





المجلة  
شباب السنة ١٩٨٦



# الجديدة

العدد الأول • السنة الثانية عشرة • شوال ١٤٠٦ هـ • يونيو ١٩٨٦ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَ الْمَوَدَّعَ وَالْحَمْدُ  
لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْمَوَدَّعَ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ  
الْمَوَدَّعَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي خَلَقَ الْمَوَدَّعَ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي خَلَقَ الْمَوَدَّعَ

سورة القلم آية «٤»



مجلة فصلية مُتَكَمِّة  
تصدر عن دار الملك عبدالعزيز

المشرف العام

## معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ

وزير التعليم العالي . ورئيس مجلس إدارة دار الملك عبدالعزيز

○ ○ ○

### أعضاء مجلس إدارة دار الملك عبدالعزيز:

معالي الأستاذ	عبد العزيز الرفاعي
سعادة الأستاذ	عبدالله بن خميس
سعادة الدكتور	عبدالرحمن بن صالح الشبلي
سعادة الدكتور	أحمد ومحمد الضبيبي
سعادة الدكتور	عبدالله المصري
سعادة الأستاذ	عبدالرحمن فهد الراشد
سعادة الأستاذ	محمد حسين زيدان
سعادة الأستاذ	عبدالله حمد الحجيل
الأمين العام للدارة	

الدارة والبحر  
٤٤١٢٣١٧ - ٤٤١٢٣١٨

الأمين العام للدارة  
٤٤١٢٣١٨ - ٤٤١٢٣١٧



رئيس التحرير

**محمد حسين زيدان**

• • •

مدير التحرير

**عبدالله همد الحقييل**

• • •

هستار التحرير

**د. منصور إبراهيم الحازمي**

**عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس**

**د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري**

**د. عبدالله الصالح المشيمين**

**د. محمد سليمان السديس**

○ ○ ○

سكرتير التحرير، «الفي»

**مصطفى أمين جاهد**

مجلد التحرير  
٤٤١٤٦٨

مجلد التحرير  
٤٤١٧٠٤٠

• آراء الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة •

### • الاشتراكات السنوية •

- ٢٠ ريالاً للاشتراك السنوي داخل المملكة العربية السعودية
- وفي البلاد العربية ما يعادل القيمة لأربعة أعداد في كل بلد.
- ٦ دولارات خارج البلاد العربية

- ترتيب البحوث داخل العدد يقض لأسباب فنية لاعتلاقة لها بمكانة البكاتب ..
- لانتزاع البحوث إلى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر ..
- ترسل البحوث سريعاً إلى مكتبين ويتم نشرها بعد النظر في صلاحيتها للنشر .

### قيمة العدد

السعودية : ثلاثة ريالات - الإمارات العربية أربعة دراهم  
- قطر : أربعة ريالات - مصر ٣٥ قرشاً - المغرب خمسة دراهم - تونس ٤٠٠ ملياً  
خارج البلاد العربية : دولار للعدد

- |   |   |
|---|---|
| • السعودية : مؤسسة الجرسني للتوزيع<br>ص ب ١٤٠٥ الرياض - ت ٤٠٢٢٥٦٤ | • البحرين : مؤسسة الهلال للتوزيع<br>ص ب ٢٢٤ المنامة - ت ٢٦٢٠٢٦  |
| • أبو ظبي : مكتبة النبل<br>ص ب ٣٧٧٨ أبو ظبي - ت ٣٢٣٠١١            | • مصر : مؤسسة الأهرام للتوزيع<br>شارع الجلاء - القاهرة ت ٧٥٥٥٤٠ |
| • دبي : مكتبة دار الحكمة<br>ص ب ٢٠٠٧ - ت ٢٢٨٥٥٢                   | • تونس : الشركة التونسية للتوزيع<br>بج قرطاج                    |
| • قطر : دار الثقافة<br>ص ب ٣٢٣ - ت ٤١٣١٨٠                         | • المغرب : الحركة الثقافية للتوزيع<br>ص ب ٦٨٣ الدار البيضاء     |

المزغنون



## صورة الغلاف

● صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبدالعزيز ولي العهد، رئيس مجلس الوزراء، رئيس مجلس الشورى، يتسلم لهدى الملك فيصل العالمية جائزة الملك فيصل العالمية.



## فى هذا العدد

- الافتتاحية ..... رئيس التحرير ٦
- الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة ١٠
- ..... د. سعود بن سعد الدريب
- تأثير جنسية وجنس الحجاج إلى بيت الله الحرام في ميزان المدفوعات السعودي. «أواخر القرن الرابع عشر الهجري» ٤٤
- ..... د. محمد شوقي بن إبراهيم مكي
- بطولة وفداء في ميفارقين ..... «لمحة تاريخية» ٧٨
- ..... د. سعد بن محمد حذيفة الغامدي
- من حديث النحو والنحاة ..... د. عبد الكريم محمد الأسعد ٩٩
- الأصول التاريخية للموقف السعودي من الصراع العربي الإسرائيلي «مرحلة الملك عبدالعزيز ١٩١٥ - ١٩٥٢م» ١٣٠
- ..... د. عبدالله حسن الأشعل
- اظرف شعراء زمانه ..... للأستاذ / أحمد عبدالسلام البقالي ١٥٢
- من أدب الرحلات ..... للأستاذ / عبدالله حمد الحقيـل ١٥٩
- المواكب السلطانية ورسوم الإعلام في الدولة الحفصية. ١٦٨
- ..... د. صالح محمد فياض أبودياك
- الوظائف الاقتصادية والاجتماعية للحلـى الإسلامية ..... ١٨٢
- ..... د. سعد محمود الجادر
- علوم.. وفنون ..... للأستاذ / مصطفى أمين جاهين ١٩٧
- المواكب السلطانية ورسوم الإعلام في الدولة الحفصية. 5
- ..... «باللغة الإنجليزية»
- ..... د. صالح محمد فياض أبودياك



# التاريخ المجفرف

بقلم رئيس التحرير

وجرى حديث بيني وبين الاخ الدكتور / سامي خماس الصقار،  
عن معرفة مكان الحدث التاريخي؛ فاكثرت تاريخنا الذي كتب  
واتسعت له الامهات من تلك الموسوعات، كان مقتصرأ على شرح الحوادث لا  
يجفرفها - لا يصف المكان ولا يحدده -



غزوة بدر مثلاً، فصلتها الرواية، وسجلتها كتب السيرة، وحفلت بها  
موسوعات التاريخ، ولكن أين المكان ؟ .. أين الوصف للأرض وطبيعتها ؟ ..  
وغزوة الأحزاب شانها شأن بدر .. الخندق .. النسوة على الجبل .. الأحزاب في  
مجمع الأسيال .. كل هذا تعريف في الغزوة لا يحتاج إلى كتابة جديدة، ولكن  
الحاجة تدعو إلى الجغرفة الجديدة.

بدر في المنحنى لمجرى وادي الصفراء، يسير مغرباً حتى إذا حجزته التضاريس من تلال الرمل والجبل، استمال منحدرًا ليستميل مغرباً بعد .. المكان أوحى -كموقع «استراتيجي» - بالتكتيك لإدارة الحرب، فالحياب بن المنذر كان عسكرياً بمعنى الكلمة، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رايه، فإذا هو على التل في أعلى الوادي لا يناله هذا السيل، فآلزموا المشركين من قريش أن يكونوا في أسفل الوادي، وتأتي رمية الله ( ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى ) ينزل المطر غيثاً، أغاث النبي وجيشه، وتعويفاً لقريش؛ لأنها في أسفل الوادي، تتلبذ الأرض تحت البعير والحصان، كأنما الحصان والجمال يتعثران في الطين، يعجز المشرك عن الفارة فإذا هو النصر، القلة تنتشر على أرض صلبة، والكثرة تتعثر على أرض رخوة .. كان هذا التكتيك، وكانت تلك الاستراتيجية رأى البشر، ولكن التوفيق من الله.

الف بعير، سبعون فرساً .. ألف فارس .. هزموا؛ لأن المكان كان طليعة الهزيمة ولنقل إنه الميدان .. ثلاثمائة وثلاثة عشر فارساً تحت قيادة رسول الله، وفرسان وسبعون بعيراً، أعطاهم المكان الصلب قمة النصر، أفلا يحتاج ذلك إلى جغرفة؟  
فالتاريخ لا يتسع فهمه إلا إذا جغرف.

**وغزوة الأحزاب .. كانت الحماية في الخندق .. هكذا الرواية .. بينما الحماية أكثر .. كانت بالجبل سلع، كان الرسول وأصحابه غرب سلع، والخندق أمامهم، يحجز الكثرة أن تغير .. فالجبل سلع يصد الصبا .. لأن هذه الغزوة كانت في أيام شتائية، وعندما تهب الصبا من المشرق تتعب وتكره، لكنها - أعني الصبا - وقد صدها الجبل سلع، كانت من أسباب الراحة للجيش المسلم، وهذا يفسره قوله صلى الله عليه وسلم :**  
**﴿ نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور ﴾.**

أما الصبا فكانت جالبة النصر على صورتين، راحة النبي وأصحابه، والكراب الكارب على المشركين؛ لأنهم كانوا في فسيح من الأرض .. في مجمع الأسيال .. بروما البئر التي تجتمع حولها الأسيال .. قناة من الشرق وأبطحان من الجنوب وسط المدينة، والعقيق من الجنوب بين الجماء وحرة واقية.

وهبت الصبا تزعج المشركين .. تكفأ قدورهم .. تقلع خيامهم، فإذا هي الراجفة ..  
حتى إذا أرجفوا وخذلهم اليهود أجمعوا أمرهم .. يصرفهم الله بالخندق .. أعجزهم  
صنع البشر، كما أزعجتهم الصبا .. تدبير الذي أتقن كل شيء ..  
إن قارئ الحدث لكتب التاريخ لا يعرف الموقع وما جرى للواقعة، لأن الرواية لم  
تجغرف لها.

وهناك ملاحظة أخرى في تحديد الأيام، فالرواية تقول : خرج الرسول صلى الله  
عليه وسلم إلى بدر، وصل بدرأ، استعد للقتال .. لكن كم هي الأيام .. قبل السابع عشر  
من رمضان .. متى علم أبو سفيان بنواضح يثرب ؟ .. متى وصل الخبر إلى مكة ؟ ..  
كم يوماً مضى حتى استعد المشركون ؟ .. وماهي عدد الأيام ؟ .. التي أوصلت الخبر،  
والتي جمعت فيها قریش أمرها .. كم يوماً مضى على نجاة العير .. إذ نجت، وهي غير  
ذات الشوكة .. وكم يوماً مضى على النفير .. حتى وصل ؟ .. وهل رسول الله وصل بدرأ  
قبل السابع عشر من رمضان ؟ .. وكم هي الأيام ؟ .. وما هو وصف الطريق الذي  
سلكه رسوله الله ؟ .. وهل هو الطريق الذي سلكته قریش ؟ .. كل ذلك يحتاج إلى جغرفة  
وصفاً وتصويراً، وقل مثل هذا في اليرموك، والقادسية والغزوات الأخرى وحتى  
السرايا، ونحن إلى اليوم .. بح صوتي .. أطالب وزارة الزراعة، والجامعات، وصاحب كل  
شأن في ذلك، أن يجغرف لنا الوديان والواحات .. فهذا كتاب «صحيح الأخبار» لابن  
بليهد، ما أحسن أن يجغرف، يطبع بجغرفة الخرائط .. أعرف اسم الوادي ولكني  
لا أعرف مسيلها الأول، ومجراه بعد، ومصبيه، وروافده .. كل شيء أصبح مكشوفاً،  
وأرض الكيان الكبير قد مسحت من الجو، فجغرفونا لنرفع عنا الجهل، يعلم نعرف به  
كل أرضنا.

ولم يطل الحوار بيني وبين الدكتور سامي، حين زارني في الدارة، إلا على أبسط  
صورة مما كتبت، وقد سره منى حين ذكرت شعر سديف مولى بني العباس حين قال :  
... وقتيلاً بجانب المهراس ...

- قال :

محمد بن الحسن، النفس الزكية : لا أظن ذلك، فما المقصود إذن؟

- قلت: لا .. ولا .. لم يكن حين قتل بجانب المهراس، فقاتله المنصور تولى الخلافة بعد قول سديف بسنوات، مدة أخيه السفاح، إن القتل بجانب المهراس أكاد أظن أنه ( حمزة بن عبد المطلب ) فالمهراس داخل أحد، ولعل أُميل على ثقافة أستاذنا حمد الجاسر .. لعل أجد عنده التصويب .. أو التخطئة لأعرف اليقين منه، كما عرف اليقين عن جبل رضوى، وكما عرفت اليقين منه حين أخطأت فصوبني؛ فقد سمعت حسن الكرمي في إذاعة لندن في برنامجه « قول على قول » سألوه عن هذا البيت «لتأبط شراً» وعن الجبل سلع، في قوله :

إن بالشَّعب الذي دون سلع لقتيل دمه ما يطل  
الكرمي أجاب : بأنه سلع البتراء في البلقاء (الأردن) وأخذت نفسي أخطئ  
الكرمي أقول :

إن تأبط شراً.. هذا الهذلي، ماشأته والبتراء في الأردن، لابد أنه أراد سلع المدينة وسألت أستاذنا حمد الجاسر عن هذا الذي قلت، فقال الجاسر بجسارة العالم ..  
الكرمي أخطأ وأنت أخطأت .. إن تأبط شراً، ذكر سلعه، الجبل في هذيل .. كأنما عندنا السلع المثلث (البتراء - المدينة - هذيل).

لو كانت لدينا جغرفة لأرضنا، أضيع اسم رضوي .. وهو أمامه في ينبع .. من معرفته؟ .. ولا أعرف أن في هذيل جبلاً اسمه سلع؟.

إنني أدعو أساتذة الجغرافيا أن يجرفوا التاريخ .. الأرض، والوادي، والجبل، والواحات، والعيون والآبار التي حفرت بالأزميل وما أكثرها حزينه، لأنها مازالت مجهولة لا نعرف مجد من حفرها، وهم من أهل هذه الأرض، ولعل مهرجان التراث في الجندارية ينتصب لهذه الجغرفة.

● محمد حسين زيدان ●

# الملك عبد العزيز

وهو مدع قواعد التنظيم القضائي في المملكة

د. سعود بن سعد العويبي

تمهيد:



أولت المملكة العربية السعودية منذ قيامها ممثلة في شخص الملك عبدالعزيز القضاء الكثير من الاهتمام والرعاية وقد أقامه على تحكيم الشريعة الإسلامية في كافة الأمور والأحوال الشخصية منها والمدنية والجنائية وأنشأت المملكة المحاكم على اختلاف أنواعها ودرجاتها، وأصدرت الأنظمة التي ترتب هذه المحاكم وتبين وظائفها، وتحدد اختصاصها وسلطاتها، وتنظيم سير العمل بها على ما سنعرفه في المباحث التالية.

وكان القضاء في الحجاز ومنطقة عسير والإحساء قد ناله شيء من التنظيم فيما يتعلق بترتيب المحاكم، وسير الإجراءات فيها، وكان قد تأثر كثيراً بالنظام القضائي العثماني وطول إجراءاته المتسمة بالرتابة والبطء بالإضافة إلى ما انتابه من ضعف ضمائر بعض القائمين عليه، فعلى الرغم من كون الباب العالي يرسل رئيس القضاة إلى مكة كل مدة معينة لضمان العدل، وحتى يكون القضاء مستقلاً عن الحكم فلا يكون للأشراف نفوذ أو تأثير في قضاء القاضي، لكن هذا الغرض لم يحصل إلا نادراً، وكان أكثر القضاة آلة في يد شريف مكة، وفي الغالب لا يحكم في الدعوى قبل أن تقدم الهدايا للقاضي<sup>(١)</sup>.

وإلى جانب هذا يوجد نظام العشائر، إذ اتبعت القبائل في البوادي نظامها القبلي القائم على السوابق، والعرف، ذلك لأن الشريف حسين حينما أعلن الثورة على الخلافة العثمانية أصدر قراراً بإلغاء الأنظمة العثمانية والرجوع إلى النظام القبلي القائم على العرف، إلى جانب تعيين موظفين خاصين للفصل في منازعات البدو السريعة<sup>(٢)</sup>.

هكذا كان وضع القضاء في الحجاز عند بدء أيام الملك عبدالعزيز.



- ١ - تنظيم قضائي قد تأثر كثيراً بالنظام القضائي العثماني والمذهب السائد في المدن هو المذهب الحنفي إلى جانب باقي المذاهب الأربعة - وخاصة المذهب الشافعي - في غير الحواضر.
- ٢ - قضاء عشائري قائم على النظام القبلي.
- ٣ - وكان من نتيجة ذلك تضارب في الاختصاص، وتنافر في الأحكام أو تعليق لها، لاعتماد الخصوم على استصدار اعلامات شرعية من قضاة ينتمون إلى مذهب معين في الفقه.

وكان على الملك عبد العزيز أن يسعى جاهداً لتحقيق التوافق بين هذه الأنظمة القضائية لما يجب أن يكون عليه نظام العدالة في الإسلام، ووضعه في إطار يقبله الجميع ولكنه كان من الحكمة بمكان فلم يقيم بتغيير جذري مباشر، بل أوكل النظر في نظام المحاكم وترتيبها إلى المجلس الأهلي (مجلس الشورى) الذي أنشئ بمكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ فقد جاء في البيان الذي أصدره أن من اختصاصات المجلس النظر في نظام المحاكم، وترتيبها بصورة تضمن توزيع العدل، وتطبيق الأحكام الشرعية تطبيقاً لا يجعل مجالاً للهوى<sup>(٣)</sup>.

وكان الوضع يحتم هذا المسلك تحسباً لردود الفعل المتوقعة على مستوى الصعيدين الداخلي والخارجي، فقد كان العالم الإسلامي يتابع ما يجري في الحجاز بعد سقوط الدولة العثمانية والنزاع مع الشريف حسين<sup>(٤)</sup>. وعلى المستوى الداخلي، فقد كان هناك اتجاهان متعارضان في ظاهر الأمر، ذلك لأن هذا التنظيم قد تأصل في نفوس أهل الحجاز خاصة سكان المدن منهم، ومن جهة أخرى فإن ما يسمون بالإخوان من أتباع عبد العزيز يطالبون بإلغاء كل تنظيم حديث خاصة ما يتعلق منه بأمور القضاء، دون النظر لما تقتضيه الأمور المصلحية، وكان رد الفعل الداخلي أهم من رد الفعل الخارجي، فالعالم الإسلامي في ذلك لم يكن في وضع يمكنه من ممارسة الانتقاد، بل ممارسة ضغط فعال مؤثر على سير الأحداث في الحجاز، وذلك بسبب تأخره، وخضوع معظمه للسيطرة الأجنبية.

وإزاء رد الفعل الداخلي اضطر الملك عبدالعزيز إلى إحالة المسألة برمتها إلى العلماء للفصل فيها، وكانت الفتوى التي أصدرها العلماء في ٨ شعبان ١٣٤٥هـ - ١١ فبراير ١٩٢٧م مؤيدة بصورة عامة للمفهوم العام، إذ جاء فيها (وأما القوانين فإن كان موجوداً منها شيء في الحجاز فيزال فوراً، ولا يحكم إلا بالشرع المطهر<sup>(٥)</sup>).

وبالرغم من قوة المعارضة، وصدور الفتوى سألغة الذكر، إلا أن ذلك لم يغير شيئاً من الوضع، ذلك لعدم وجود ما يتعارض مع الفتوى أساساً، ولزيد الإيضاح ينبغي أن نفرق بين القوانين التي تنبني على قاعدة المصالح المرسلية، التي تكون حيث لا يكون ثمة دليل من نص من الكتاب والسنة أو الاجماع يقضي بالجواز أو المنع في المسألة التي نقول فيها بالمصلحة، نفرق بين هذا النوع من القوانين، وبين القوانين الأخرى التي تعارض وتخالف نصوص الشريعة، فالأول استصلاح محض لأموال مصلحية، وهو ما يعرف بأحكام السياسة الشرعية، والثاني خروج عن أحكام الشريعة الإسلامية.

وانطلاقاً من ذلك المفهوم، فقد نصت الإرادة السنية الصادرة برقم ١١٦٦ وتاريخ ١٢/٢٧/١٣٤٥هـ الموجهة إلى النيابة العامة في مكة المكرمة على (أن أحكام القانون العثماني الخاص بتملك العقار - ما زالت جارية إلى الآن، لأننا لم نصدر ارادتنا بإلغائها ووضع أحكام جديدة مكانها. ولذا نوافق على اقتراحكم بشأن استمرار ذلك القانون، ونطلب منكم أن تبلغوا رئاسة القضاة والحكام الإداريين بالمحقات بضرورة الامتناع عن اجراء إفراغ العقار إلى الأجانب، وتوقيف الاجراءات المعروضة الآن أمامها، أما المعاملات التي جرت سابقاً فمن الضروري إحضار كشف مفصل يحتوى موقعها وأسماء أصحابها، وتواريخ إفراغها، لنرى ما يجب اتخاذه بشأنها<sup>(٦)</sup>).

ومما يؤكد أن المحاكم تسير في أحكامها الموضوعية وفق أحكام الشريعة الإسلامية ما جاء في حديث عبدالعزيز حيث قال: (أما المذهب الذي تقضي به المحكمة الشرعية فليس مقيداً بمذهب مخصوص، بل تقضي حسبما يظهر لها من أي المذاهب كان، ولا يفرق بين مذهب وآخر)<sup>(٧)</sup>. وأوضح هذا المعنى في حديث له آخر حول الموضوع

فقال: (لا نتقيد بمذهب دون آخر، ومتى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة رجعنا إليه وتمسكنا به، أما إذا لم نجد دليلاً قوياً أخذنا بقول الإمام أحمد فهذا كتاب الطحاوية في العقيدة الذي نقرؤه وشرحه للأحناف، وهذا تفسير ابن كثير وهو شافعي)<sup>(٨)</sup>.

### تشكيلات المحاكم وتحديد اختصاصاتها

لقد ترك الملك عبد العزيز المحاكم على حالها ولم يصدر سوى تشكيل مؤقت لقضاة مكة بخصوصها وكان ذلك سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م<sup>(٩)</sup> وذلك في محاولة إيجاد نظام قضائي موحد تنضوي تحته سائر المحاكم في جميع أنحاء المملكة، وكانت الخطوة الأولى في هذا السبيل صدور المرسوم الملكي بتاريخ ٦ صفر ١٣٤٦هـ - ١٢ أغسطس ١٩٢٧م بتشكيل المحاكم في الحجاز على ثلاث درجات<sup>(١٠)</sup> هي:-

- ١ - محاكم الأمور المستعجلة (محاكم جزئية).
- ٢ - محاكم كبرى، ومحاكم ملحقات، وهما عبارة عن محاكم عامة.
- ٣ - هيئة المراقبة القضائية (محكمة نقض وإبرام).

وقد تضمن المرسوم النص على اختصاصاتها بما يلي:-

#### ١ - في مكة المكرمة:

- (١) محكمة الأمور المستعجلة الأولى: وهي من قاض واحد، وقد حددت اختصاصاتها بالنظر في الجنع، والتعزيرات والحدود الشرعية التي لا قطع ولا قتل فيها، وفي الدعاوي المالية التي لا تزيد عن ثلاثين جنيهاً - وقد حددت بثلاثمائة ريال فيما بعد - وأحكامها لا تقبل النقض ما لم تخالف نصاً أو إجماعاً، وقد عدل هذا النص بتكليف المحكمة المستعجلة بأن ترفع الحكم الصادر إلى

هيئة المراقبة القضائية إذا صرح المحكوم عليه بعدم اقتناعه بالحكم، وذلك لحماية المحكوم عليه بإعطائه ضماناً أكثر<sup>(١١)</sup>.

(ب) محكمة الأمور المستعجلة الثانية: وهي من قاض واحد، وتنظر في أمور البادية وما يتعلق بها، وتكون صلاحياتها كالمحكمة المستعجلة الأولى، وذلك فيما عدا العقار حيث أنه من اختصاص المحكمة الكبرى.

(ج) المحكمة الكبرى: وهي مؤلفة من ثلاثة قضاة أحدهم رئيسها وتنظر في جميع الدعاوى التي تقدم لها مما هو خارج عن اختصاص المحاكم المستعجلة، وهي قضايا العقار والقضايا المالية التي تزيد عن ثلاثمائة ريال، والقضايا الجزائية التي تخرج عن اختصاص المحاكم المستعجلة، ومسائل الأحوال الشخصية، والقضايا الزوجية، والطلاق، وإقامة الأوصياء، وأثبات وقفية العقار ونحو ذلك، وتوزع الدعاوى فيها على القضاة لينظر كل منهم الدعوى منفرداً ثم يجتمعون كلهم قبل الحكم لإصداره بإجماعهم أو بالأكثرية، وذلك في غير الدعاوى التي فيها قطع أو قتل أو رجم، والتي تستوجب ابتداء حضور هيئة المحكمة.

## ٢ - في جدة والمدينة المنورة:

(١) محكمة الأمور المستعجلة: وهي من قاض واحد في كل منهما ويختص كل واحد منهما بما تختص به المحكمتان المستعجلتان الأولى والثانية في مكة.

(ب) المحكمة الشرعية الكبرى: في كل منهما قاض واحد، ونائب له وينظران في جميع الدعاوى الخارجة عن اختصاص المحكمة المستعجلة بجهتيها، باستثناء ما كان داخلاً في اختصاص المجلس التجاري بالنسبة لمحكمة جدة كما سيأتي ولا ينفذ أحكامها إلا بعد إقرارها من أكبر قاض في البلد ما عدا قضايا القطع والقتل والرجم، فتعرض على رئيس القضاة وهيئة التمييز، غير أن ذلك تعدل بالأمر السامي الصادر في سنة ١٣٧٤هـ، إذ نص على أن كل حكم يصدر من قاض معين ينفذ في الحال باستثناء أحوال التظلم وقضايا القتل والقطع والرجم<sup>(١٢)</sup>.

وفي سائر الملحقات يقوم بسائر الأحكام قاض واحد، ومن الملحقات التي عددها  
المرسوم، ينبع، والطائف، الوجه، وأملج، والليث، وما مائل هذه البلدان من سائر  
الملحقات.

### ٣ - هيئة المراقبة القضائية:

وتتألف من رئيس، ومعاون، وثلاثة قضاة أعضاء يختارهم الملك من كبار العلماء،  
ولما كانت مكة المكرمة مقراً لنائب الملك، وأهم مدينة في الحجاز، فقد اختيرت مقراً  
للهيئة.

ولهذه الهيئة صلاحيات ومهام واسعة، فهي تقوم بتمييز الاعلامات والأحكام التي  
لم يقنع بها المحكوم عليه، وأحكام الحدود (القطع والقتل والرجم). والتعزيرات  
الصادرة من محاكم مكة، وتدقيق أحكام القطع والقتل الصادرة من بقية المحاكم، وفي  
حالة تأييدها للحكم تكتسب الأحكام درجتها القطعية، وفي حال وجود ما يستدعي  
الملاحظة تعاد إلى المحاكم التي أصدرتها لإعادة النظر فيها، وقد نص المرسوم على أن  
تشرح الهيئة أسباب نقضها بالأدلة، وإذا صدر حكمها بالأكثرية فلا بد من أن تسجل  
الآراء المخالفة، وهي بالإضافة إلى ذلك تقوم بما يلي:-

( ١ ) الإشراف الإداري على المحاكم، والتفتيش عليها، ورئيس الهيئة بحكم منصبه  
صلة الوصل بين رئاسة الحكومة والمحاكم.

(ب) الإفتاء في المسائل التي لا يرجع النظر فيها إلى المحاكم الشرعية.

(ج) الإشراف على المعارف عن طريق مراقبة التدريس والمناهج، وملاحظة انسجامها  
مع التعاليم الشرعية.

( د ) الإشراف على هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتأكد من عدم تجاوزها  
العرف الشرعي<sup>(١٣)</sup>.

وقد سميت هيئة المراقبة القضائية في نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي  
الصادر عام ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م باسم (هيئة التدقيقات الشرعية). وأصبحت

تتألف من رئيس القضاة (رئيساً) ومن أعضاء الهيئة وهم أربعة وجعل من صلاحياتها محاكمة القضاة، بالإضافة إلى تدقيق الأحكام.

#### ٤ - المجلس التجاري:

وإلى جانب هذه المحاكم يوجد نوع من المحاكم المتخصصة، وهي المجلس التجاري حيث تألف سنة ١٣٤٥هـ - ١٩٢٩م مجلس تجاري بجدة للنظر في القضايا الناشئة بين التجار، وفي الشئون التجارية التي تستدعي سرعة البت فيها، ويتألف هذا المجلس من رئيس وستة أعضاء، نصفهم فخريون، والنصف الآخر دائمون ينتخبون من الأشخاص الذين لهم خبرة تامة بالشئون التجارية والمشهورين بالديانة والشرف والاستقامة، وينضم إليهم عضو شرعي، ويعينهم جلالة الملك جميعاً لمدة سنتين مع جواز تجديدها من الذين لا تقل أعمارهم عن الثلاثين، وتتخذ قرارات المجلس بالأغلبية، وتكون قابلة للتمييز في مهلة ثلاثين يوماً من تاريخ التبليغ، ونص النظام على التمييز يقدم مؤقتاً إلى مجلس الشورى بواسطة النيابة العامة (نائب جلالة الملك في مكة)، وعن طريق الحاكم الإداري في الملحقات<sup>(١٤)</sup>.

#### ٥ - مجلس إدارة ينبع:

وفي ينبع - بحكم وجود ميناء بها - تألف مجلس تجاري من قاضي البلد، وأمين المالية وأعضاء منتخبين برئاسة الأمير، ويقوم بمهام المجلس التجاري في ينبع، وتستأنف أحكامه أمام المجلس التجاري في جده<sup>(١٥)</sup>.

ولم يعد للمجلس التجاري في جدة وينبع أي دور، إذ تحولاً فيما بعد إلى ما يسمى اليوم بهيئات حسم المنازعات التجارية، ونخرج من هذا، أن النظام السعودي أخذ:

أولاً: بنظام تعدد القضاة.

ثانياً: وأجاز الحكم بالأغلبية أو بالأجماع.



ثالثاً: وأوجد ما يسمونه بنواب القضاة.  
رابعاً: كما تعرض لتحديد الاختصاص بالنوع وبالأشخاص.  
خامساً: وأوجد نوعاً من القضاء المتخصص.  
سادساً: واستئناف الحكم إلى محكمة أعلى.

بقى أن نعرف، ونحن في ختام حديثنا عن هذا الموضوع أن هذا التشكيل خاص بمنطقة الحجاز، كما هو ظاهر، وقد شمل فيما بعد جميع مناطق المملكة بما في ذلك الإحساء ما عدا المنطقة الوسطى (نجد وملحقاتها) فقد بقي القضاء على ما كان عليه يقوم به قضاة منفردون دون وجود تشكيل ينظم عقدهم حتى وقت متأخر على ما سنعرف.

### القضاء في نجد وملحقاتها:

أشرنا فيما سبق أن التنظيم القضائي - الذي تحدثنا عنه - قد شمل جميع مناطق المملكة، ما عدا المنطقة الوسطى (نجد وأقاليمها) فقد حظى الحجاز بشيء من التنظيم القضائي قبل الحكم السعودي، ثم حظى بشيء من ذلك في العهد السعودي - كما سبقت الإشارة إلى ذلك أما نجد وملحقاتها فلم تعرف أي تنظيم قضائي، واستمرت على هذه الحال مدة ليست بالقصيرة.

فقد بقي القضاء في قلب الجزيرة العربية (نجد وملحقاتها) يقوم به قضاة منفردون في أمهات المدن، في كل مدينة قاض وأمير (حاكم إداري) يستعرض القاضي ما بين الخصمين ثم يحكم بما يظهر له من الوجه الشرعي في القضية، فإن رضي الطرفان بالحكم نفذ من دون عناء وإن أبياه أو أباه أحدهما رفع إلى الأمير ليتولى تنفيذه، ومحكمة القاضي بيته، أو المسجد أو أي مكان وجد فيه، وربما في الطريق.

وكان القاضي ينظر في جميع القضايا وعموم الأحداث التي تحصل في البلاد التي يقيم فيها، وما قرب من محل إقامته من القرى والتوابع، ولم يكن هناك قضاء

متخصص بنوع من القضايا المحددة وأول محكمة من هذا النوع في نجد وملحقاتها (مستعجلة الرياض) وهي محكمة جزئية تنظر في قضايا ومبالغ من الحقوق محددة لا تتجاوزها إلى غيرها، أنشئت في سنة ١٣٦٩هـ.

وكان القاضي يقوم إلى جانب القضاء بالإمامة في الصلوات، والخطبة في الجمع والأعياد والوعظ والإرشاد عقود الأنكحة والافتاء في المسائل التي ليس فيها أطراف متنازعة، وأعمال التوثيق (كتاب العدل) وأمورية بيت المال من حفظ المبالغ العائدة لنافى الأهلية والتركات وغيرها مما كان محللاً للنزاع حتى إجراء الإيجاب الشرعي<sup>(١٦)</sup>.

وكان القضاء في هذه المنطقة يتسم بالبساطة في الإجراءات، وعدم التعدد في الدرجات، فلا محاكم ذات درجات، ولا محامون ولا مذكرات بالدفع والمرافعات، وكل شيء يتم شفويّاً حتى الأحكام لا تكتب بخلاصتها اعلامات (صكوك أحكام) إلا فيما ندر وقل، وكانت الأحكام تصدر في نفس اليوم، بل في نفس اللحظة التي يجلس فيها القاضي والمتقاضى فلا مواعيد مؤجلة، ولا جلسات متكررة إلا في النادر القليل.

وكان مذهب الإمام أحمد بن حنبل هو المذهب الذي عليه أهل نجد كلهم، مع الأخذ في الغالب باختيارات وترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ومن بعدهما أئمة الدعوة في هذه البلاد (الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وتلاميذه)، والأخذ بالقول الذي يسنده الدليل القوي في أي من المذاهب الأربعة<sup>(١٧)</sup>.

وكان يتم تعيين القضاة من قبل الملك عبدالعزيز، ويختارهم من أعظم الناس وأنزههم، ويجرى عليهم الأعطيات والأرزاق من بيت المال<sup>(١٨)</sup>.

وقد بقى الوضع في تعيين القضاة واتصالهم بالملك رأساً إلى حين صدور المرسوم الملكي في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م باعتبار الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ مفتى الديار السعودية في زمنه (ت ١٣٨٩هـ - ١٩٥٩م) مرجعاً عاماً لعلماء المسلمين في المملكة<sup>(١٩)</sup> وصار بذلك مرجعاً مباشراً لقضاة نجد، وكان سماحته - رحمه الله - من قبل مرجعاً للاختيار

والترشيح، ومن قبله عمه الشيخ عبدالله بن الشيخ عبداللطيف ١٣٣٣هـ كان مرجع ترشيح قضاة نجد في زمنه.

وكان القضاة متمركزين في حواضر المدن وما حولها، وكان أهلها أسهل انقياداً من غيرهم، فإن لجأ أفراد منهم إلى القضاء، فإنما يريدون الاحتكام إلى الشرع ليقول كلمته، فيخضع لها المحكوم عليه في استسلام ورضاء من دون لد أو مجادلة، حتى كاد القضاء يكون أشبه بالفتوى.

أما في البوادي - أيام ابتداء حكم عبدالعزيز - لقد كان هنا عندهم ما يسمى بحكم العارفة، والعارفة عندهم كالقاضي عند الحواضر والعارفون أفراد مشهود لهم بالحكمة والاطلاع على العرف والعادات القبلية، كما تلجأ هذه القبائل إلى التحكيم في حالة المنازعات التي تنشأ بين قبيلة وأخرى<sup>(٢٠)</sup>.

إلا أن العارفة في قبائل نجد انطوت صفحته وحل محله الاخوان من طلبة العلم الذين عينهم الملك عبدالعزيز، إذ وكل - رحمه الله - إلى الشيخ عبدالله بن عبداللطيف أمر اختيار الدعاة والمرشدين من أهل العلم وابتعائهم إلى بوادي العرب وهجرهم لتعليمهم واجبات الإسلام، والفصل فيما يعرض بينهم من خصام<sup>(٢١)</sup>.

### الجهات الملحقة بالمحاكم

هناك دوائر ليست قضائية بالمعنى المعروف، إذ ليس من اختصاصها الفصل في القضايا، وإنما هي ملحقة بالمحاكم بمثابة أجهزة مساعدة للقضاء وهي، كتاب العدل، وبيوت المال.

#### ١ - دوائر كتاب العدل:

في طور من الأطوار التاريخية للقضاء اتخذ بعض القضاة اشخاصاً لتحمل الشهادة وأدائها أمامهم، بحيث لا يقبل غيرهم وقد انتقدت هذه الطريقة من قبل

العلماء المحققين. وقد آل أمر هؤلاء الشهود من توسع اختصاصهم - غير القضائي - حتى شملت توثيق بعض العقود، وصاروا يسمون بالشهود العدول، أو العدول واختصاص كل جهة بعمل دون أخرى، وكان لهم دكاكين تسمى بالمصاطب حسب اصطلاح أهل المشرق - أو سمات العدول حسب الإصطلاح لدى أهل المغرب، وهما يعنيان مكان الجلوس وعملهم لا يخرج عن عمل ما يسمون اليوم بكتاب العدل، وكان العثمانيون قد نظمو هذه الناحية، وأوجدوا ما يسمى (كتاب العدل) لتسجيل المعاملات التجارية، كعقود الشركات - وعقود المبيعات والاتفاقيات والوكالات. الخ وأصل هذه التسمية - فيما يظهر - مأخوذة من قول الله تعالى: (... وليكتب بينكم كاتب بالعدل...) الآية (٢٢).

فدوائر كتاب العدل في العصر الحاضر ليست جديدة في تنظيمنا القضائي، وليست غريبة أو دخيلة عليه، فسميتها مأخوذة من المصدر الأول للتشريع الإسلامي وأصولها عريقة في تاريخ القضاء في الإسلام.

وأول تنظيم لدوائر كتابات العدل في المملكة ما تضمنه مرسوم صفر سنة ١٢٤٦هـ في فصله الرابع (٢٣) وخلاصة ما جاء فيه أن وظائف كتاب العدل هي تحرير الوثائق التجارية والسندات المالية، وكذلك تحرير الوكالات والوصايا والعقود العقارية والتصديق عليها، وتحريرات الانذارات بحلول الديون المؤجلة وكذا تحرير الهبات والرهونات، وغير ذلك مما هو في معنى الاقرار، وقد استثنى من الاقرارات الإقرار الخاص بإنشاء الأوقاف، والطلاق حيث أن ذلك من اختصاص المحاكم.

وأول نظام متكامل صدر لكتاب العدل بالأمر السامي بتاريخ ٢٦ صفر ١٢٤٦هـ متضمناً ثلاثين مادة، وفي سنة ١٣٥٧هـ، صدر نظام تركيز مسؤوليات القضاء، الذي هو عبارة عن قانون السلطة القضائية في اصطلاح أهل العصر، إلا أن غالبه خاص بإجراءات سير العمل داخل المحكمة، وواجبات أعوان القضاة.

وقد تضمن الباب السادس منه تعليمات لكتاب العدل أشبه بكونها لوائح منها بنظام، حيث تضمن شرحاً لوظائف كتاب العدل، وكيفية القيام بها، وواجبات بقية

أعضاء كتابات العدل، مثل: معاون كاتب العدل، والمسجل، والمبيض الخ.  
ثم صدر النظام الخاص بكتاب العدل مرة أخرى سنة ١٣٦٤هـ في (٤٨) مادة  
وكان أكثر تنظيماً وأدق مما سبقه.

ثم أعيد إصدار نظام تركيز مسئوليات القضاء بهذا الاسم أيضاً بالتصديق  
العالي رقم (١٠٩) في ٢٤/١/١٣٧٢هـ، يحوى الباب السادس، الخاص بكتاب العدل،  
ولم يطرأ في مواده تغيير عن سابقه (تركيز المسئوليات) سوى تعديل طفيف لا يستحق  
الذكر وهو الذي يطبق حالياً إلى جانب نظام كتاب العدل لسنة ١٣٦٤هـ بالنسبة لسير  
العمل وأجراءات التوثيق.

### تعيين مقام إدارات كتابة العدل

تضمن مرسوم ٤ صفر ١٣٤٦هـ تشكيلات لكتابات العدل في كل من مكة، وجدة  
والمدينة كما تضمن النص على تولي القاضي في الملحقات أعمال كتاب العدل.

ثم صدر أول نظام لكتاب العدل مقتصراً على ثلاث الدوائر المذكورة، ولم يفسح  
المجال لإنشاء دوائر كتاب عدل أخرى عند الاقتضاء أما وبعد أن ازدهرت الحركة  
الاقتصادية والعمرانية في المملكة، فقد بدئ في توسع في الأحداثات في المدن  
الكبرى والمتوسطة، وقد نص نظام القضاء الجديد على أن يكون تعيين مقام إدارات  
كتاب العدل، وتحديد دوائر اختصاصها، وإنشاء إدارات كتابة عدل جديدة بقرار  
يصدر من وزير العدل، وقد تم إنشاء العديد من ذلك، وبلغ مجموعها - كما في آخر  
إحصائية - (١٠٩) دائرة كتابة عدل موزعة على أنحاء المملكة، وتحددت دوائر  
اختصاصاتها المكانية، وهي لا تعدوا - في الغالب دائرة اختصاص المحكمة التي توجد  
بجانباها كتابة العدل.

وقد قسمت كتابات العدل في المدن الكبرى إلى كتابتي عدل، إحداهما تختص  
بتحرير العقود العقارية، وجميع التصرفات المتعلقة بها من بيع وهبة والثانية: تختص  
بإصدار الوكالات العامة وتوثيق الأمور الأخرى غير المتعلقة بأمور العقار.

ولهذا التنظيم أثر في تاريخ التوثيق في العصور الإسلامية الماضية فقد مر بنا تقسيم الوثائق في بعض الاقطار الإسلامية إلى مبرزين وغير مبرزين، فالمبرزون يحررون عقود البيع في العقارات والأحباس والهبات، والوصايا، وجميع ما له صلة بالعقار، وغير المبرزين لا يتولون شيئاً من ذلك، وإنما يكتبون المعاملات التجارية كالبيع في المنقولات وتحرير الوكالات المطلقة.

## ٢ - بيوت المال: ونظيرها في القديم والحديث:

يوجد إلى جانب المحاكم الكبرى العامة دائرة تسمى (بيت المال) يقوم بإدارتها موظف يسمى (مأمور بيت المال)، والاختصاص الموضوعي لهذه الإدارة: قيد الوفيات من الأهالي والمجاورين، والحجاج وغيرهم، وفيها تركاتهم إذا لم يكن للميت وارث، أو كان في الورثة قاصر أو غائب لا وكيل له، ويقوم مأمور بيت المال ببيع المخلفات وتصفية التركة وحصرها وقسمتها بالوجه الشرعي، وتسليمها لأصحابها، والوفاء بالتزامات والديون المترتبة على المورث، وذلك بعد صدور حكم كنسب للقطعية، ويقوم - أيضاً - بحفظ أموال الغياب الذين لا وكيل لهم، والقصار الذين لا وصى لهم، ومن لا وارث لهم والمجهولين، كما يقوم بالدفاع عن مصالح هؤلاء وأجراء المرافعة في ذلك حتى صدور الحكم... إلى غير ذلك مما هو داخل في اختصاصه.

وإنشاء بيوت المال يعود إلى تاريخ مرسوم ٤ صفر ١٣٤٦هـ الخاص بتشكيلات المحاكم، إذ نصت الفقرة (ب) من الفصل الخامس على إنشاء إدارة بيوت مال في كل من محاكم مكة، وجدة، والمدينة، كما نصت الفقرة (ج) من الفصل المذكور على تشكيلات معينة لها، وهي مرتبطة من الوجهة القضائية بالمحاكم، ويتولى كاتب المحكمة في الملحقات التي ليس فيها دائرة لبيت المال أعمال هذه الوظيفة حسبما قرره النظام<sup>(٢٤)</sup>.

وهذه الوظيفة شبيهة بوظيفة مدير إدارة أموال الأيتام في القانون العثماني الصادر في ٤ ربيع الأول ١٣٢٤هـ (الذي لا تزال بعض أحكامه نافذة في سورية إلى اليوم)<sup>(٢٥)</sup>.



وشبيهة أيضاً. بإدارة شئون القصر في الكويت، ولكن هذه أوسع اختصاصاً فيما يظهر من المقارنة، حيث لم تقتصر رعاية شئون القصر على الإيتام فحسب مثل ما جاء في القانون العثماني، بل شملت رعايتها بالنسبة للأشخاص جميع ناقصي الأهلية سواء كان ذلك بسبب القصر في حال عدم وجود واحد من ثلاثة: الأب الوحي المختار، الجد من قبل الأب، وسواء بسبب الجنون أو العتة أو الغفلة، فقد نص النظام على إقامة الإدارة وصياً على المذكورين في حال عدم وجود واحد من الأولياء المذكورين ما لم تعين المحكمة وصياً آخر.

وهي أوسع اختصاصاً - أيضاً - بالنسبة للتصرف: فإن لهذه إدارة - ممثلة في مجلسها - حق التصرف في الأموال واستثمارها بما يعود بالنفع على المشمولين برعايتها، والقيام بالأعمال التجارية أو الصناعية، وتصفياتها وأجور العقارات وبيعها والوفاء بالديون والالتزامات الثابتة بموجب أحكام واجبة النفاذ<sup>(٣٦)</sup>.

وكل ذلك - ما عدا الفقرة الأخيرة - من اختصاص إدارة بيت المال في المملكة.

وإدارات بيوت المال شبيهة - أيضاً - بوظيفة ما يسمى بالمجالس الحسبية في النظام المصري، المنظمة بقانون ١٣ أكتوبر سنة ١٩٢٥م وما قبله<sup>(٣٧)</sup> فيما يختص بأسناد حصر التركات وكشوف الحسابات إلا أنه ليس لهذه الإدارات دخل في تعيين الأوصياء أو القوم أو وكلاء عن الفائبين لأن ذلك من اختصاص القاضي الشرعي<sup>(٣٨)</sup>.

### رئاسة القضاء بالمنطقة الغربية

نستطيع أن نستخلص من صفحات التاريخ أن الملك عبد العزيز حينما دخل مكة سنة ١٣٢٤هـ - ١٩٢٤م، لم يحدث أي تغيير في دوائر الحكومة بالحجاز القائمة آنذاك وبقيت هذه الدوائر، ومنها دائرة القضاء تعمل كل منها في حدود اختصاصاتها. وقد استمر الوضع زهاء سنة تقريباً إلى حين تولى الأمير فيصل بن عبد العزيز

إدارة جميع الأمور عندما عينه الملك نائباً عاماً له في الحجاز، وكان قد عين بضعة مديرين للدوائر الهامة بعضهم مرتبط مع الملك رأساً، وبعضهم مرتبط بنائبه العام<sup>(٢٩)</sup>.

ومن بين ما تم اشغاله من الدوائر (إدارة القضاء) في عام ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م<sup>(٣٠)</sup>.

ونخلص من هذا إلى القول بوجود مصلحة ترعى شؤون القضاء، وكان يطلق على هذه المصلحة - في أول عهد المملكة - إدارة القضاء.

بقي أن نعرف متى تحول مسمى هذه المصلحة من إدارة إلى رئاسة للقضاء، إنني لم أقف على شيء يوضح ذلك على وجه التحديد سوى ما ورد في كتاب (جزيرة العرب في القرن العشرين) ما يدل على أن إدارة القضاء قد أطلق عليها اسم (رئاسة القضاء) فقد ذكر المؤلف في معرض حديثه عن المؤتمر الإسلامي الذي دعا إلى انعقاده الملك عبدالعزيز في أواخر سنة ١٣٤٤هـ بمكة المكرمة ما يفيد بأن:-

الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد (ت ١٣٥٩هـ) كان رئيساً للقضاء في ذلك الوقت أي سنة ١٣٤٤هـ وذكر في موضع آخر أنه كان في سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م مع الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ (ت ١٣٧٨هـ) في زيارة للتفتيش في المدينة المنورة، وقال عن الشيخ (كبير علماء نجد ورئيس القضاء)<sup>(٣١)</sup>.

من هذا نستطيع أن نقول أن إنشاء رئاسة القضاء وتشكيلاتها جاء مواكباً لقيام النيابة العامة في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤هـ، إذ كانت الأمور الشرعية مرتبطة إدارياً بنائب الملك في الحجاز قبل إنشاء مجلس الوكلاء بموجب التعليمات الأساسية للمملكة<sup>(٣٢)</sup>.

وقد جاء في كتاب (مشاهير علماء نجد وغيرهم) ما يؤكد لنا ذلك، حيث قال مؤلفه في ترجمة الشيخ عبدالله بن بليهد ما نصه. ولما دخل الملك عبدالعزيز الحجاز واستتب له الأمر نقله - أي: الشيخ عبدالله - من قضاء حائل إلى رئاسة القضاء بمكة سنة ١٣٤٤هـ<sup>(٣٣)</sup>.

وفي نظام سير المحاكمات الشرعية الصادر بالأمر السامي رقم (٢١) في ٢٩/٢/١٣٥٠هـ، إذ نصت المادة (٣٢) على قيام هيئة تدقيق الأحكام (تحت رئاسة رئيس القضاء) وعندما صدر نظام مجلس الوكلاء في ١٩/٨/١٣٥٠هـ - ٣٠/١٢/١٩٣١هـ عدد الدوائر المرتبطة بالمجلس وذكر من بينها (رئاسة القضاء)<sup>(٣٤)</sup>.

### وظائف رئاسة القضاء:

لقد قضى مرسوم ٤ صفر ١٣٤٦هـ الخاص بتشكيل المحاكم بإنشاء، (هيئة المراقبة القضائية) التي أصبح اسمها فيما بعد (هيئة التدقيقات الشرعية) ومركزها في مكة المكرمة، وقد عرفنا المهام المنوطة بها وهي الإشراف على جميع المحاكم وتفتيشها. وتدقيق الأحكام الصادرة من المحاكم وإبرامها أو نقضها، وفي الحالة الأخيرة إعادة القضية للمحكمة لإعادة النظر فيها مرة أخرى.

وفي عام ١٣٥١هـ كانت قد أنشئت دائرة تفتيش مؤلفة من مفتش عام ومفتشين وعدد من الكتاب، ووظيفتها التفتيش على عموم المحاكم، والكتاب بالعدل، وبيوت المال من الوجهة الشرعية والإدارية، وتنظيم بيان أسبوعي بكل ذلك ورفعها إلى رئاسة القضاء.

وجاء نظام تركيز مسئوليات القضاء الشرعي لعام ١٣٥٧هـ وإنطاط وظائف هيئة المراقبة القضائية برئاسة القضاء، وكان تأليفها من رئيس القضاء رئيساً، ومن هيئة التدقيقات وعددهم أربعة أعضاء، ونظم تفتيش المحاكم بأجراء دورات تفتيشية على المحاكم من وقت إلى آخر، ووضع التقارير عن سير الأعمال، وتنظيم الشؤون الإدارية بها، كما نظم الديوان العام لرئاسة القضاء الذي من بين أقسامه قسم القضايا، وكانت رئاسة القضاء هي الدائرة الرئيسية من حيث الرقابة التامة على المحاكم وكتاب العدل وبيوت المال، ودوائر تفتيش المحاكم، وعلى أعمالها وواجباتها وصلاحياتها وموظفيها وهي مرجع الافتاء وتدقيق الأحكام، وحركة القضاء وتنقلاتهم، والنظر في جميع الشكاوي المقدمة على الدوائر المذكورة وموظفيها.

وترتبط المحاكم برئاسة القضاة ابتداءً.  
وكان نظام مجلس الوكلاء الصادر عام ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م ينص على أن مرجع  
المحاكم هو وزارة الداخلية في حالة عدم مراجعتها لرئاسة القضاة، وكان هذا لما تحولت  
النيابة العامة إلى وزارة للداخلية<sup>(٣٥)</sup>.

أما هيئة التدقيقات فكانت تقوم بوظيفة هيئة التمييز فهي تختص بتدقيق الأحكام  
المعرضة على ( رئاسة القضاة ) التي لم يقنع بها المحكوم عليه، والأحكام التي نصت  
النظم والتعليمات على تدقيقها من رئاسة القضاة، وهي الأحكام الصادرة على بيت  
المال والأوصياء، وناظر الوقف، وما شاكل ذلك ممن لا تعتبر قناعتهم، وتدقيق الأحكام  
الصادرة بالقطع أو القتل أو الرجم، وكانت الهيئة تختص بمحاكمة القضاة، والتدقيق  
في الشكاوي المقدمة ضد الصكوك الصادرة من كتاب العدل.

وما رئاسة القضاة إلا تطوير لما عرف لدى فقهاء الإسلام بديوان القضاة، إذ كان  
لقاضي القضاة ببغداد ديوان يعرف بـ (ديوان القضاء).

ومن بين وظائف رئاسة القضاة إلى جانب الإشراف على المحاكم ما يلي:-

١ - الإشراف على هيئة المعارف عن طريق مراقبة التدريس، والكتب، وسائر المناهج  
التي يقرها مجلس المعارف، وتنبيه المجلس إلى المسائل التي يكون فيها مخالفة  
للتعليم الشرعي.

٢ - مراقبة (هيئة الأمر بالمعروف) في سير أعمالها، وحثها على القيام بواجباتها،  
وتنبيهها في حالة تجاوز العرف الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان  
موظفو الهيئة - بما فيهم الوعاظ والمرشدون - مربوطين برئاسة القضاة، وقد  
أصبحت لهذه الولاية رئاسة عامة ورئيسها بمرتبة وزير.

٣ - تعيين أئمة المساجد والمؤذنين وفصلهم وترقيتهم وأحالتهم للاستيذان،  
ومجازاتهم.

وقد نقل هذا الاختصاص لوزارة الحج والأوقاف بعد إنشائها سنة ١٣٨١هـ.

٤ - تعيين جميع المدرسين الرسميين في المساجد وفصلهم وتنقلاتهم وإجازاتهم وغير  
ذلك في حدود نظام الموظفين العام، ومن حق رئاسة القضاة مراقبة الدروس التي  
يلقونها، بحيث لا يقرر فيها ما يخالف العقيدة، ويتناقض مع الشرع الشريف. وقد

أنيط هذا الاختصاص فيما بعد بالرئاسة العامة للإشراف الديني بالحرمين بعد إنشائها سنة ١٣٨٤هـ.

٥ - وكانت رئاسة القضاة مرجع الفتوى فيما يتعلق بالمصالح الحكومية والاستفتاءات المقدمة من الأشخاص في المسائل التي لا نزاع فيها ولا تؤول إلى المنازعة والمحكمة، والنظر في جميع الأمور التي تحال إليها من المراجع العليا لإبداء الرأي فيها<sup>(٣٦)</sup>.

وقد أصبح ذلك من اختصاص الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، التي تأسست سابقا باسم دار الإفتاء سنة ١٣٧٥هـ<sup>(٣٧)</sup>.

رئاسة القضاة - بحق - أم الوزارات والرئاسات، وكان رئيس القضاة يقوم بدور وزير العدل، ورئيس المحكمة العليا - في أن واحد - على نحو ما شرحناه، وهذا هو عمل قاضي القضاة<sup>(٣٨)</sup> في الخلافات الإسلامية، إذا كانت له الرقابة على الحكام والأحكام جميعا.

### الأنظمة والتعليمات القضائية:

إن المستوى الذي يصل إليه القضاء في أية دولة يعكس مدى تطور شعبها حضارة ومدنية، ومستوى العدالة والأخلاق فيها، وتبرز العدالة والمساواة في أجلى مظهرها وأوضح صورة في بلد تحكم الشريعة الإسلامية في كافة الأمور والقضايا، لا فرق بين قضايا الأحوال الشخصية والحقوق المدنية والجزائية والتجارية.

إن المملكة العربية السعودية - ودستورها الإسلام - لتفخر أن يكون كتاب الله وسنة رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) مصدر إلهام وتشريع هذا القضاء لما يمليه من تحقيق للعدالة والمساواة، ومحافظة على القيم الدينية والأخلاقية ولما كان هناك أمور مصلحة، ومنها ما يتعلق بالجمال القضائي - على نحو ما

أشرنا إليه سابقاً - والدولة مكلفة برعايتها، فقد اقتضت الضرورة وضع أنظمة تنظمها، دون المساس بجوهر التشريع والأحكام الموضوعية المستمدة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وما أجمع عليه المسلمون وذلك لضمان حسن سير العدالة وتطبيقها، فسنت الدولة الأنظمة والتعليمات الإدارية لتنظيم القضاء من ناحية إجراءاته وتركيز مسؤولياته، وتحديد اختصاصاته، مما سنعرض له في المطلبين الآتين:-

المطلب الأول: في التنظيمات القضائية والإدارية.  
المطلب الثاني: في الإجراءات وأصول المحاكمات.

### المطلب الأول في التنظيمات القضائية والإدارية

#### ١ - أوضاع المحاكم وتشكيلاتها:

صدر لأول مرة في تاريخ القضاء في المملكة المرسوم الملكي في ٤ صفر ١٣٤٦هـ / أغسطس ١٩٢٧م بنظام تشكيلات المحاكم ويحتوى على خمسة فصول، الفصل الأول في تشكيل المحاكم ووظائفها والفصل الثاني: خاص بهيئة المراقبة القضائية (هيئة التمييز) وتأليفها ووظيفتها - على النحو الذي سبق أن نوهنا عنه. والفصل الثالث: يتضمن تعليمات لإسراع البت في القضايا، والرابع: خاص بكتاب العدل، وتشكيلاتها ووظائفها والفصل الخامس: خاص بدوائر العدل، واختصاصاتها. وقد احتوى على تشكيلات معينة لها<sup>(٢٩)</sup>.

لقد عالج هذا المرسوم ما يتصل بالمحاكم واختصاصاتها وتصنيفها وبعض إجراءات سير التقاضي بها، والأجهزة الأخرى المتممة لها فيما لا يزيد عن تسع عشرة مادة.

ومن أهم المبادئ التي تضمنها هذا المرسوم مبدأ مجانية التقاضي، إذ نصت المادة (١٦) من المرسوم المذكور على إعفاء معاملات المحاكم من الرسوم على اختلاف درجاتها.

إن هذا المرسوم - الذي مزج بين درجات المحاكم، وتشكيلاتها، وبين سير إجراءات التقاضي بها - يعتبر وثيقة من أهم الوثائق في تاريخ التنظيم القضائي وأصول المحاكمات في المملكة، فبالإضافة إلى كونه أول خطوة في طريق توحيد القضاء في الجزيرة العربية بعد توحيد أجزائها، فقد بقى - وما لحقه من تعديلات كثيرة - أساساً للتنظيم اللاحق لما قبل صدور نظام القضاء الجديد لسنة ١٣٩٥هـ.

## ٢ - الترشيح إلى المراجع إلى الأحكام:

ومن أهم الأعمال التي تمت بعد مرسوم ٦ صفر ١٣٤٦هـ نحو توحيد القضاء هو قرار هيئة المراقبة القضائية رقم (٣) في ١/٧/١٣٤٧هـ - المقترن بالتصديق العالي بتاريخ ٢٤/٣/١٣٤٧هـ، وقد نص هذا القرار على أن تكون الأحكام في جميع المحاكم منطبقاً على المفتى به من مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وقد برر هذا الاختيار بسهولة مراجعة كتبه. والتزام المؤلفين على مذهبه بذكر الأدلة أثر مسأله، وقد تضمن هذا القرار تعيين المصادر التي يرجع إليها القضاة في أحكامهم على هذا الأساس، كما تضمن إمكانية الرجوع إلى المذاهب الأخرى إذا رأى أن في تطبيق المفتى به من مذهب الإمام أحمد يؤدي إلى مشقة ومخالفة لمصلحة العموم<sup>(٤٠)</sup>.

وقد تأكد هذا الاتجاه في موضوع آخر، إذ صدر أمر ملكي بعد ذلك بسنتين حول ما يستدعى اجتماع أعضاء المحكمة، ونص على أن ما ورد في كتب مذهب الإمام أحمد بن حنبل يعمل به دون الحاجة إلى اجتماع أعضاء المحكمة، أما ما لم يرد به نص في كتب هذا المذهب، واستدعى الاجتهاد، فيتم ذلك باجتماع الأعضاء المذكورين<sup>(٤١)</sup>.

أما المصادر التي جاء ذكرها في قرار هيئة المراقبة القضائية فهي:-

(١) شرح منتهى الإرادات، المتن للشيخ الفتوحي المتوفى سنة ٩٧٢هـ، والشرح للشيخ منصور البهوتي الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٥١هـ.

(ب) شرح الاقناع، كشاف القناع عن متن الاقناع، المتن للشيخ موسى الحجاوي المتوفى سنة ٩٤٨هـ والشرح للبهوتي.

فما اتفق عليه الشرحان أو انفرد به أحدهما، فهو المتبع وما اختلفا فيه فالعمل بما في المنتهى.

وإذا لم يوجد بالحكمة الشرحان المذكوران، يكون الحكم بما في:-

(١) شرح الزاد، زاد المستقنع مختصر المقنع للحجاوي، وشرحه الروض المربع للبهوتي.

(ب) شرح الدليل، دليل الطالب لتيل المطالب، للشيخ مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٣٢هـ وشرحه منار السبيل للشيخ إبراهيم بن محمد الضويان، المتوفى سنة ١٢٥٣هـ.

وإذا لم يجد القاضي نص القضية في الشروح المذكورة، طلب نصها في كتب المذهب المذكور التي هي أبسط منها، وقضى بالراجع.

وعلى العموم كان هناك بالإضافة إلى هذه الكتب الأربعة كتابان هما:-

- ١ - المغنى لموفق الدين عبد الله بن قدامة، المتوفى سنة (٦٢٠هـ).
- ٢ - الشرح الكبير، المسمى بالشافي شرح المقنع في الفقه الحنبلي، لمؤلفه عبد الرحمن بن قدامة، المتوفى سنة (٦٨٢هـ)<sup>(١)</sup>.

وينبغي ألا يغيب عن الأذهان بأن هذه الأسبقية التي أعطيت للمذهب الحنبلي لم تكن أسبقية مطلقة فهي:-

أولاً: مقصورة على ما يخص المعاملات فقط دون العبادات بطبيعة الحال.

ثانياً: وحتى في مجال المعاملات هناك استثناءات، فقد صدرت الإرادة السنية رقم (٥) / ٢/٩ في ١٣/٧/١٣٥٣هـ وما لحقها برقم (٥) / ٤/٩ في



٢٦/٧/١٣٥٣هـ، بأن الأحكام التي تتعلق بالمساقاة وإجارة النخيل والمسائل الارثية والأوقاف يحكم فيها على مذهب أهل البلد التي فيها الدعوى، سواء كانوا أحنافاً أو شوافع أو غيرهم.

وكذا اجراء العقد الجاري قبل منعه على ما كان دون نقض له، كبيع الوفاء<sup>(٣)</sup>، وهذا موافقة للقاعدة الشرعية أن العادة محكمة، وأن المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً.

**ثالثاً:** وهناك دائماً مبدأ (مصلحة العموم) الذي جاء في قرار تعيين المراجع، وهذا المبدأ يتيح للقاضي مجال الاجتهاد في اختيار الحكم المناسب لكل قضية على ضوء الظروف والملابسات وعدم تقييده بمذهب واحد دون غيره، وفي هذا خروج عن الخلاف في مسألة تعيين الحكم بمذهب معين. وعلى هذا فإن هذا القرار لم يخرج عن كلام أهل العلم من أئمة الدعوة الذي تضمنته أحاديث الملك عبدالعزيز السابقة المتضمنة عدم التقييد بمذهب دون مذهب آخر، ومتى وجد الدليل القوي الذي يسند القول في أي مذهب من المذاهب الأربعة أخذ به، وإذا لم يوجد دليل أقوى أخذ بقول الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> والعمل جار بهذا في المحاكم في الوقت الحاضر. والشيء الجديد في هذا القرار، وما لحقه هو ترشيد للمصادر المتسمة بسهولة العبارة مع ذكر الأدلة، وفيه بيان لكيفية سلوك الطريق لمعرفة الرأي الراجح في حال تعارض أقوال الفقهاء وكيفية العمل في حال عدم وجود نص في كتب المذهب يحكم المسألة العارضة، ويلحق بهذا مسألة العدول عن اجتهاد سابق للمحكمة، وأن ذلك يتم عن طريق الاجتهاد الجماعي، بدلاً من الاجتهاد الفردي في الاختيار والترجيح، ذلك لأن رأي الجماعة خير من رأي الفرد.

### ٣ - تركيز مسئوليات القضاء الشرعي لسنة ١٣٥٧هـ:

وفي عام ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م صدر نظام تركيز مسئوليات القضاء الشرعي وهو



أول نظام مقفل عالي ما يتصل بتسمية القضاة ونوابهم، والمحاكم، واختصاصاتها الموضوعية، وتصنيفها ودرجاتها، والدوائر المرتبطة بها: كتاب العدل وبيوت المال.

وبالرغم من أنه أوسع تفصيلاً من سابقه، حيث جاء في (٢٨٢) مادة: إلا أنه لم يخرج عن الإطار الذي رسمه المرسوم السابق في أقل من (٢٠) مادة إلا فيما يتعلق بإجراءات التقاضي، حيث أفردت بنظام خاص سمي بنظام المرافعات صدر في عام ١٣٥٠هـ، سنأتي إلى الحديث عنه فيما بعد إن شاء الله.

وفي مجال تصنيف المحاكم لم يتغير شيء من ذلك فيما عدا تسمية هيئة المراقبة القضائية باسم جديد هو: هيئة التدقيقات الشرعية وإضافة بعض إصلاحات إلى اختصاصاتها، ومن أهمها محاكمة القضاة كما نص النظام الجديد على إنابة الرقابة على المحاكم، وكتاب العدل، وبيوت المال، من الوجهة الشرعية والإدارية، وكذلك دائرة تفتيش المحاكم وأعمالها وواجباتها وصلاحياتها وموظفيها أناط كل ذلك برئاسة القضاة بدلا من هيئة مراقبة القضائية على ما جاء في النظام السابق.

وفي مجال التفاصيل توسع في النواحي الإدارية للقضاء، فهو وإن كان شبيها بقانون السلطة القضائية في الدولة الحديثة، إلا أنه مزج بين التنظيم القضائي والتنظيم الإداري، ويتضح ذلك من القاء نظرة على العناوين التي حوّاها هذا النظام وهي:-

- |                    |                      |
|--------------------|----------------------|
| ١ - رئاسة القضاة.  | ٥ - المحضرون للخصوم. |
| ٢ - تفتيش المحاكم. | ٦ - كتاب العدل.      |
| ٣ - قضاة المحاكم.  | ٧ - دوائر بيت المال. |
| ٤ - كتاب المحاكم.  | ٨ - مواد عمومية.     |

كما توسع في مسميات تصنيف القضاة حيث جاءت المسميات الآتية:-

( أ ) رئيس المحكمة، وهذا اللقب يطلق على القاضي الأول في كل محكمة فيها نائبان فأكثر.

( ب ) قاضي، وهذا اللقب يطلق على المحاكم لكل محكمة فيها قاض واحد، أو قاض ونائب.

( جـ ) معاون وكل محكمة فيها نائبان فأكثر يكون عنوان النائب الأول، (معاون رئيس المحكمة).

( د ) نائب القاضي وهو القاضي الثاني أو الثالث في كل محكمة فيها قاضيان فأكثر.

( هـ ) قاضي المستعجلة الأولى، وهو القاضي الذي يقوم باختصاصات المحكمة المستعجلة الأولى طبق نظام المرافعات.

( و ) قاضي المستعجلة الثانية، وهو القاضي الذي ينظر في أمور البادية في كل بلدة فيها مستعجلتان.

( ز ) قاضي المستعجلة. وهو اللقب المعطى للقاضي في البلدة التي ليس فيها مستعجلتان وفيها قاضي محكمة عامة.

#### ٤ - تركيز مسئوليات القضاء لسنة ٧٢هـ - ١٩٥٢م.

أعيد إصدار نظام تركيز المسئوليات الذي تحدثنا عنه في السابق سنة ٧٢هـ/٥٢م، وهو لم يختلف عن النظام السابق سوى في صياغة بعض المواد، وحذف بعضها، حيث جاء مشتملاً على (٢٥٨) مادة بدلاً من (٢٨٢) في الإصدار القديم، وكان مما حذف المادة (٢٠) فيما يتعلق بصلاحيات وإجراءات هيئة التدقيقات بشأن ما إذا بدا ما يستوجب إعادة النظر في حكم صدقته الهيئة أو نقضته في حال ما إذا عرض القاضي - الذي صدر عنه الحكم - أوجها تستلزم النظر فيها، أو بين أحد الطرفين ما يوجب ذلك، فإن على الهيئة درس ما يعرض في ذلك وتقرير ما يلزم.

وهذه المادة وإن حذفت في الإصدار الجديد، إلا أن العمل لدى هيئة التمييز -

الآن - يجري بمقتضاها استناداً على صلاحية تدارك الخطأ البين لتصحيح القرار المكسب للقطعية .

كما حذفت المادة (٣٧) من الاصدار القديم التي تقضي بأن على من انعقدت الجلسة بحضوره من أعضاء الهيئة حين عرض حكم (ما) لتدقيقه واقتضت الضرورة إعادة النظر فيه بعد اتخاذ قرار بالتصديق أو النقض، فإن على من انعقدت الجلسة بحضوره حين عرضه ثانياً النظر في ذلك، باعتباره معاملة جديدة، سواء من انعقدت بهم الجلسة ممن وقع القرار السابق أم لا... الخ، وقد صدر الخطاب السامي مؤخراً برقم ١٤٠٢٨ وتاريخ ١٥/٥/١٣٩٤هـ بالتقيد بالمادة المذكورة في هذا الخصوص.

كما حذف الفصل الثالث والرابع والخامس من الباب الأول في إصدار عام ٥٧هـ - ٣٨م، الخاصة برئيس كتاب رئاسة القضاة، واختصاصاته، واختصاص الكاتب الأول وهو المسجل، واختصاص الكاتب الثاني، وتمثل هذه الفصول (١٩) مادة من المادة (٣٨ - ٥٥) واستعيز عنها في الإصدار الجديد بما يتعلق بتنظيم ديوان رئاسة القضاة في أربع مواد فقط من المادة (٣٣ - ٣٦).

كما حذف من الباب الثاني الخاص بالتفتيش على المحاكم المادة (٦٨) من الإصدار القديم، التي تنص على مسئولية المفتش عن كل تقصير يقع منه داخل صلاحياته واستعيز عنها بالمادة (٤٢) في الإصدار الجديد، الخاصة بتخصيص كاتب في المحاكم الكبرى لتقيد الدعاوى التي تم النظر فيها شهرياً في دفاترها المعدة لذلك وتنظيم كشوف بالقضايا المنتهية والمتبقية، وبعثها في حينها إلى المفتش.

ويظهر أن هذا ليس محل هذه المادة في الترتيب والتبويب وإنما مكانها في الباب الرابع الخاص بكتاب المحاكم من النظام المذكور، ولكن لما كان أمر هذه الكشوف ونهايتها إلى التفتيش صار لها وجه مناسبة في وضعها هنا.

وعلى كل فهذا النظام أنظم من سابقه، ولا يزال ساري المفعول حتى اليوم، على الرغم من صدور (نظام القضاء) الجديد في المملكة، وذلك لعدم اشتماله على ما

يتعارض معه سوى:-

١ - ما يتعلق بمسميات درجات السلك القضائي التي استعرضناها في حديثنا عن نظام تركيز المسؤوليات القديم، إذ نصت المادة (٣٨) معدلة من نظام القضاء على أن درجات السلك القضائي هي، ملازم قضائي، قاضي ج قاضي ب قاضي أ، وكيل محكمة ب، وكيل محكمة أ، رئيس محكمة ب، رئيس محكمة أ، قاضي تمييز، رئيس محكمة تمييز، رئيس مجلس القضاء الأعلى (برتبة وزير).

٢ - وفيما يتعلق بمسميات المحاكم، فقد نصت المادة (٥) من نظام القضاء على أن المحاكم تتكون من:-

( أ ) مجلس القضاء الأعلى، وهذا درجة قضائية جديدة.

(ب) محكمة التمييز، وهذه التسمية في مقابل هيئة التدقيقات الشرعية ثم هيئة التمييز بعد ذلك.

(ج) المحاكم العامة، وهذا التسمية في مقابل المحاكم الكبرى، ومحاكم الملحقات.

( د ) المحاكم الجزئية، في مقابل المحاكم المستعجلة.

٣ - وكذلك ما عدا ما يتعلق ببعض الاختصاصات الإدارية الأخرى التي أنشئت لها مصالح حكومية على ما سبق ذكره.

#### ٥ - نظام كتاب العدل:

صدر مرسوم ٤ صفر ١٣٤٦هـ الخاص بتشكيلات المحاكم واختصاصاتها: ونصت الفقرة (ب) من الفصل الرابع بأن (يسير كاتب العدل في الأعمال الداخلة في اختصاصه طبقاً لنظام يضعه مجلس الشورى<sup>(٤٥)</sup>).

ثم صدر الأمر السامي بالموافقة على أول نظام لكتاب العدل بتاريخ ٢٦ صفر ١٣٤٦هـ في ثلاثين مادة<sup>(٤٦)</sup> وقد حدد واجبات كتاب العدل نحو عملهم من عدم إفشاء

سر المعاملات الموجودة لديهم إلى غير ذلك، كما حدد وظائف كتساب العدل (اختصاصاتهم الموضوعية) بما لا يخرج عما تضمنه مرسوم ٤ صفر ١٢٤٦هـ، كما تضمن النص على قوة الأوراق - من الناحية الثبوتية - الصادرة من كتاب العدل للشرائط المحررة بالنظام المذكور، كما تضمن شيئاً من التنظيم والإجراءات للمعاملات الداخلية في الاختصاص، وبيان كيفية تنظيم العقود والسندات، وكافة الصكوك، وأن يكون ذلك كله باللغة العربية، وبعبارة صريحة واضحة على أوراق جيدة، وتجنب الشطب والمسح للكلمات، وعدم الكتابة بين السطور، وذلك لكي تكون سليمة، ويعيدة عن الطعن بدعوى التزوير، وفي حال وجود معاملة لمن لا يحسن العربية لدى كتاب العدل يجب أن تترجم لغته بواسطة ترجمانين حسب المنصوص عليه، وبحضور معرفين، ويشترط أن يكون الترجمانان والمعرفان من أهل العدالة، وكذا التثبت من هوية كل من يريد تنظيم أو توثيق المقاولات والمستندات وسائر الأوراق... الخ.

وقد أعيد إصداره مرة أخرى سنة ١٣٦٤هـ في (٤٨) مادة، ولم يضاف على سابقه سوى ما يتعلق بتنظيم الرسوم المقررة آنذاك لأعمال كتاب العدل والمغفو منها (م ٢٢ - ٢٥) التي ما لبثت وقتاً حتى صدر الأمر بإلغاء الرسوم جميعاً، وأصبحت خدمات كتاب العدل مجانية إلى جانب مجانية التقاضي حسبما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

ولا تزال نصوص هذا النظام إلى جانب ما تضمنه الباب السادس من تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي - الخاص بكتاب العدل - سارية المفعول فيما عدا النصوص الخاصة بالرسوم كما ذكرنا، وشروط تعيين كتاب العدل، حيث حل مكانها الشروط الواردة في نظام القضاء الجديد.

## المطلب الثاني في الإجراءات وأصول المحاكمات

ولم يغفل النظام القضائي السعودي جانب الإجراءات، وأصول المحاكمات القضائية، فقد عالج هذا الموضوع في الفصل الثالث من مرسوم ٤ صفر

١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م إذ تضمن تعليمات لاسراع البت في القضايا، وقد عالجت هذه التعليمات الاجراءات القضائية بصورة مختصرة في عشر مواد فقط تناولت بعض الامور الموضوعية ونصت بأن على القاضي أن يستفسر ويستوضح من المدعى عن نقاط تصحيح الدعوى إذا كان فيها نوع جهالة أو ما في معناها حتى تستكمل شرائطها الشرعية، كما تضمنت بعض الامور الاجرائية مثل: الحكم في حال حضور أو غياب أحد الخصوم وترتيب النظر في الدعاوي حسب أهميتها.

## ٢ - نظام سير المحاكمات الشرعية:

صدر هذا النظام في سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م، ويتكون من (٣٦) مادة<sup>(٤٧)</sup> عالجت نفس المواضيع التي عالجها مرسوم ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م، لكن بشيء من التفصيل، وتطرق إلى أمور لم يتطرق إليها المرسوم المذكور، ومن هذه الأمور ما يتصل بالشهود وطعنهم وتعديلهم.

وقد اهتم هذا النظام بضمان سرعة البت في القضايا المعروضة على المحاكم، فنصت المادة الأولى منه على أن القاضي يجب أن ينظر في القضية خلال عشرة أيام من تاريخ استلامها، مع المباشرة بالنظر في قضايا المسجونين، وإصدار الحكم من حين وصول الأوراق إليها.

وحدد مدى سلطة القاضي في تأجيل إصدار الحكم، وذلك في حالتين:

**أحدهما:** إذا كان غير واثق من مطابقة القرار الذي سيتخذه - حسبما يقتضيه الوجه الشرعي - على القضية المعروضة عليه، وفي هذه الحال يكون القاضي بحاجة إلى مزيد من الوقت، لاستجلاء وجه الحكم بالبحث في المصادر ومشاورة العلماء.

**ثانيهما:** إذا كانت المحاكمة بين الأقارب، ويرى القاضي أن اعطاهم مزيداً من الوقت قد يتيح فرصة للتوفيق والإصلاح، خشية استحكام النزاع المؤدى إلى قطيعة الرحم.

وفي غير تلك الحالات لا يجوز تأخير الحكم أكثر من أربعة أيام.

كما أجاز هذا النظام قضاء الفرد، وكانت التعليمات في المرسوم السابق تقضي بصدور الأحكام من جميع القضاة أو بالأكثرية.

كما نظم بعض الإجراءات المتعلقة بتمييز الأحكام، وكون قناعة المحكوم عليه تسقط حق تمييزه وينفذ الحكم بدون عرضه على هيئة التمييز، ما لم يكن المحكوم عليه وصياً أو ناظر وقف أو مأمور بين مال المسلمين، وغيرهم ممن لا تعتبر قناعتهم مكسبة القطعية للحكم، فإن الحكم لا ينفذ في حق هؤلاء إلا بعد تصديقه من مرجعه صيانة لحقوق القصار والوقف والمستحقين فيه والغائبين.

أما فيما يتصل بوكالة أحد المترافعين في الخصومة، فقد جاء هذا النظام مخففاً للقيود على الوكيل (المحاماة) إلى حد ما بالنسبة لما قبله، إذ سمح للموظفين بأن يوكلوا غيرهم - ولو كانوا حاضرين في البلد - كما خفف في مسافة الغيبة عن البلد في جواز توكيل أحد المتحاكمين لغيره، حيث حددها بدون مسافة القصر، كأهل الضواحي، بالإضافة إلى المسموح لهم بالتوكيل في حالات المرض.

### ٣ - نظام المرافعات:

صدر هذا النظام سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م، ويعتبر أكثر من سابقه تفصيلاً في معالجة الإجراءات القضائية، حيث يتكون من (١٤٢) مادة<sup>(٤٨)</sup> وقد أعيد إصدار هذا النظام سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م بعد إجراء بعض التغييرات عليه تحت عنوان (تنظيم الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية) ..

### ٤ - تنظيم الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية:

لقد أعيد إصدار نظام المرافعات السابق - كما ذكرنا - باسم تنظيم الأعمال



الإدارية في الدوائر الشرعية، وبالمقارنة بين النظامين يظهر أن تنظيم الأعمال الإدارية مجرد إعادة صياغة نظام المرافعات السابق مع حذف بعض المواد: فقد جاء هذا النظام في (٩٦) مادة بدلاً من (١٤٢) مادة، وهذا النظام هو المعمول به - الآن - لدى المحاكم، وما لحقه من القرارات والتعليمات الصادرة من المقام السامي، ومن رئاسة القضاة سابقاً ووزارة العدل - حالياً<sup>(٤٩)</sup> بالإضافة إلى ما تتعلق بالاجراءات القضائية من نظام (تركيز مسئوليات القضاء الشرعي).

وبالقاء نظرة عامة، نجد أن نظام (تنظيم الأعمال الإدارية) يشتمل على الموضوعات التالية:-

- ١ - تحديد موعد سماع الدعوى، وإعلانها للخصوم.
- ٢ - تنظيم ملفات القضايا المعدة للنظر قبل موعد الجلسة من قبل الكاتب المختص.
- ٣ - سماع الدعوى واستجواب الخصوم.
- ٤ - غياب الخصوم أو أحدهم.
- ٥ - الأحكام الغيابية.
- ٦ - اعلام الحكم وتمييزه.
- ٧ - التنفيذ المؤقت.
- ٨ - الوكالات (المحاماة).
- ٩ - أحكام عمومية.

### وزارة العدل<sup>(٥٠)</sup>:

ولما كان الحديث عن العدل من الأهمية بمكان، لأنه مطلب كل إنسان حينما يشعر بالظلم من بني جنسه في هذه الحياة، وبه قامت الأرض والسموات - كان لابد من وصل الحديث عن الماضي بالحاضر في هذا المرفق.

ففي صيف عام ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م أكد رئيس مجلس الوزراء الملك فيصل -

رحمه الله - في بيانه الذي أذاعه عزم حكومته على إنشاء وزارة العدل، تشرف على  
الشئون الإدارية للقضاة<sup>(٥١)</sup>.

وفي السنة المالية التالية لإصدار البيان ظهرت الميزانية العامة للدول تحمل فصلاً  
خاصاً باسم، وزارة العدل، وبالرغم من أن الميزانية العامة للدولة ظلت تحمل كل سنة  
هذا الفصل، إلا أن إنشاء الوزارة بتعيين وزير لها لم يتم إلا في عام ١٣٩٠ هـ -  
١٩٧٠ م.

لقد أنشئت وزارة العدل في هذا العام، وحلت محل رئاسة القضاة، وأنيبها  
المهام التي كانت تضطلع بها الرئاسة، من حيث الإشراف الإداري والمالي على المحاكم،  
والدوائر القضائية الأخرى، ما عدا تدقيق الأحكام فقد نيّطت بجهة قضائية، أسميت  
بالهيئة القضائية العليا.

وكان من حق وزارة العدل اتخاذ التدابير أو التقدم إلى الجهات المختصة بما تراه  
من المقترحات أو المشروعات التي من شأنها ضمان المستوى اللائق بمرافق العدالة في  
المملكة، كما تقوم بدراسة ما يرد إليها من مجلس القضاء الأعلى من مقترحات أو  
قرارات وترفع إلى المراجع العليا ما يحتاج منها إلى إصدار أوامر أو مراسيم  
ملكية<sup>(٥٢)</sup>.

ولقد عيّنت الدولة بمرافق القضاء إيماناً منها بأن العدل، وإشاعته بين الناس من  
أسمى الغايات وأنبى الأهداف، فاهتمت وزارة العدل بدعم المحاكم من ناحية الأعمال  
المكتبية والوظيفية، كما عيّنت - أيضاً - بالسكن الإداري، ببناء الدور للمحاكم وكتاب  
العدل والمجمعات الشرعية، وخطت في هذا المجال خطوات واسعة تكاد تكون شاملة،  
لقد شهدت وزارة العدل خلال السنوات الماضية تحولات كبيرة تتفق مع المسؤولية  
الجسيمة للأجهزة القضائية، والدوائر العدلية في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية  
والقواعد المرعية، وتوخي تحقيق العدالة بروح تستوعب طبيعة التحولات الاجتماعية  
والاقتصادية التي تمر بها المملكة.

وأن المتتبع لتاريخ القضاء في المملكة العربية السعودية يدرك أن ولاية الأمر يولونه اهتماماتهم وعنايتهم، فمنذ قيام الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام محمد بن سعود الذي قام بنصرة الدعوة السلفية، التي دعا إليها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حامل راية الإسلام في القرن الثاني عشر إلى أن وحد عبدالعزيز هذه المملكة، وحتى وقتنا الحاضر، وهي تحكم بالشريعة الإسلامية.

لقد علم عبدالعزيز أعراب الجزيرة الخضوع للشرع، والمحافظة على النظام العام، والاحتكام في خصوماتهم إلى القضاء بدلاً من الأخذ بالشار والخصام، وتحكيم الحسام بإرساء قواعد التنظيم القضائي.

وجاء سعود فاتم عمل أبيه وتوسع فيه، فاستكثر من القضاة، وبعث بهم إلى مختلف المدن والقرى والهجر.

وجاء فيصل - رحمه الله - فنظم القضاء، وقعد قواعده، وجسم مبادئ وأسس استقلاله.

وفي عهد الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله ومن بعده الملك فهد حفظه الله يحظى بالعناية والدعم المتواصل، وخير دليل على ذلك ما أصدرته الدولة من المراسيم الملكية والقرارات والنظم واللوائح التي تدعم مركزه والمنتسبين إليه مادياً وأدبياً ومعنوياً...

• • •

## الهوامش

- (١) - (٢) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١٥١، ١٥٦.
- (٣) جريدة أم القرى، العدد ٢٢ الصادر في ١٦/١/١٣٤٤هـ - ٨/٨/١٩٢٥م.
- (٤) الدكتور السليم، التنظيم القضائي في المملكة، محاضرات بمعهد الإدارة العامة ص ٥.
- (٥) نص الفتوى في كتاب حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٣٠٠.
- (٦) مجموعة النظم - قسم القضاء الشرعي - طبع معهد الإدارة العامة بالرياض ص ٥.
- (٧) جريدة أم القرى العدد ١٢٨ في ٧/٢/١٣٤٦هـ - ٥/٨/١٩٢٧م.
- (٨) جريدة أم القرى العدد في ٧/٢/١٣٤٦هـ - ٢٤/٢/١٩٣٤م.
- (٩) جريدة أم القرى العدد ٦٤ في ٥/٩/١٣٤٤هـ - اذار ١٩٢٦م.
- (١٠) مجموعة النظم المصدر السابق ص ٦ - ٩.
- (١١) مجموعة النظم المصدر السابق ١٢.
- (١٢) مجموعة النظم المصدر السابق ص ١٣، ١٤، ١٦، ١٧.
- (١٣) انظر في الفقرتين (ج، د) المرسوم الملكي الصادر في ٢٤/صفر ١٣٤٦ مجموعة النظم - قسم القضاء الشرعي ص ٩، ١٠.
- (١٤) المادتان ٥٤٤، ٥٥٧ من نظام المحكمة التجارية لسنة ١٣٥٠هـ.
- (١٥) المادة ٥٥٩ من نظام المحكمة التجارية، المصدر السابق.
- (١٦) تقريرنا المقدم لوزارة العدل سنة ١٣٩١هـ ص ٣.
- (١٧) انظر الدور السنوية في الأجوبة النجدية (٨/٣).
- (١٨) انظر الفرق بين العطاء والرتق فيما سبق ص ١٨٢.
- (١٩) جريدة البلاد السعودية العدد ١٤٢٧ بتاريخ ٢٠/٤/١٣٧٣هـ - ١٥/١/١٩٥٤م.
- (٢٠) صبحي المحمصاني الاوضاع التشريعية والقضائية في الدول العربية.
- (٢١) انظر مشاهير علماء نجد وغيرهم المصدر السابق ص ١٠٥ - ١٠٦.
- (٢٢) الآية ٢٨٢ سورة البقرة.
- (٢٣) مجموعة النظم المصدر السابق ص ١٢٤.
- (٢٤) انظر المادة (٢٥٤) من تركيز المسئوليات لعام ٧٢هـ والمادة (٢٧٨) في إصداره السابق سنة ١٣٥٧هـ.
- (٢٥) مصطفى الزرقاء للدخل الفقهي العام (٢/٧٧٩ - ٧٩١).
- (٢٦) قانون رقم ٤ لسنة ١٩٧٤م، مجلة الكويت اليوم، العدد (٩٧٦) الصادر بتاريخ ٢١ ربيع أول عام ١٣٩٤هـ، الموافق ١٤ أبريل (نيسان) ١٩٧٤م ص ٣ - ٥.
- (٢٧) أحمد إبراهيم بك، (الالتزامات في الشرع الإسلامي) هامش ص ١١٤، ١١٥، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦ فقد نقل في هذه الهوامش بعض أحكام هذه المجالس.

- (٢٨) وقد كانت هذه المجالس محل انتقادات من الفقهاء والعلماء في مصر حتى انتهى الأمر بالفائتها في عام ١٩٤٧م وضع اختصاصاتها إلى المحاكم الأهلية.
- (٢٩) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١٥١.
- (٣٠) نشرت هذه التعيينات في جريدة أم القرى عدد ٣ في ٢٩/٥/١٣٤٢هـ.
- (٣١) حافظ وهبه، المصدر السابق ص ١٣٤، ٢٨٢، الطبعة الرابعة.
- (٣٢) نشرت التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية في جريدة أم القرى عددي ٩٠ و ٩١ في ٢٥/٢، ٣/٣/١٣٤٥هـ، ٣، ١٠/٩/١٩٢٦م.
- (٣٣) ص ٢٢٦.
- (٣٤) مادة (١٩) من نظام مجلس الوكلاء جريدة أم القرى عدد ٣٧٠ في ٧/٩/١٣٥٠هـ.
- (٣٥) المواد ١٧ و ١٩ و ٢٠ من نظام مجلس الوكلاء، المصدر السابق.
- (٣٦) المرسوم الملكي الصادر في ٢٤ صفر ١٣٤٦هـ مجموعة الأنظمة ص ٩ و ١٠ وانظر المواد ٣ و ٤ و ٥ و ٧ و ٩ و ١١ من نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي لعام ١٣٧٢هـ.
- (٣٧) وقد تأسست هيئة كبار العلماء عام ١٣٩١هـ بموجب أمر ملكي رقم ١٣٧/أ وتاريخ ١١/٨/١٣٩١هـ وتتلخص مهام الهيئة - كما نص عليها أمر انشائها فيما يلي:-  
١ - ابداء الرأي فيما يحال إليها من ولي الأمر من أجل بحثه وتكوين الرأي المستند إلى الأدلة الشرعية فيه.
- ب - التوجيه في القضايا الدينية المتعلقة بتقرير احكام ليسترشد بها ولي الأمر وذلك بناء على بحوث يجرى تهيتها واعدادها طبقاً لما نص عليه في هذا الأمر.
- (٣٨) وهذا اللفظ غير مرضي عند عامة أهل العلم.
- (٣٩) مجموعة الأنظمة، المصدر السابق ص ٦ - ٩ و ١٠ و ١٢٤.
- (٤٠) مجموعة النظام، قسم القضاء الشرعي ص ١١ طبع معهد الإدارة العامة.
- (٤١) مجموعة النظم، المصدر السابق ص ١٥، ١٦.
- (٤٢) فؤاد حمزة، البلاد السعودية ص ١٩٧ ط الثانية.
- (٤٣) مجموعة النظم، المصدر السابق ص ٣٩.
- (٤٤) انظر: الدرر السننية في الاجوبة النجدية (٨/٣).
- (٤٥)، (٤٦) مجموعة الأنظمة، المصدر السابق ص ١٢٤.
- (٤٧) مجموعة الأنظمة، المصدر السابق ص ٢١ - ٢٥.
- (٤٨) مجموعة الأنظمة، المصدر السابق، طبع معهد الإدارة العامة ص ٤٣ - ٥٨.
- (٤٩) انظر في ذلك مجموعة الأنظمة واللوائح والتعليمات التي اصدرتها وزارة العدل في سنة ١٤٠٠هـ.
- (٥٠) التنظيم القضائي في المملكة ص ٣٣٦ ط أول ج/ص طبعة ثانية للمكاتب.
- (٥١) جريدة البلاد العدد ١١٤٩ الصادر بتاريخ ١٠/٦/١٣٨٢هـ - نوفمبر سنة ١٩٦٢م.
- (٥٢) المادة (٨٧) من نظام القضاء.

# تأثير جنسية وجنس الحجاج إلى بيت الله الحرام في مِيزان المدفوعات السعودية أواخر القرن الرابع عشر الهجري

د. محمد شوقي بن إبراهيم مكي

تقديم:

الاقتصادي مقابل أداء واجبها تجاه  
حجاج بيت الله الحرام. ولكن تثار  
تساؤلات أخرى: ألا يمكن قيام  
الدولة بواجبها تجاه حجاج بيت الله  
الحرام، وفي الوقت نفسه ترشيد  
الصرف الحكومي على مشاريع  
وخدمات الحج بحيث تخلق أكبر  
مردود اقتصادي ممكن من هذا  
الصرف.

يكثر الحديث من أن  
لآخر عن اهتمامات  
الحكومة السعودية بالحج وصرفها  
الملايين من الريالات على مشاريع  
الحج لتسهيل أداء الحجاج المسلمين  
لشعائرهم الدينية. وكثيراً أيضاً ما  
تثار التساؤلات عن الفائدة  
الاقتصادية التي قد تعود على المملكة  
العربية السعودية مقابل صرف تلك  
الملايين من الريالات. ويكون الجواب  
دائماً بأن المملكة لا تفكر في المردود



ومن هنا ظهر هدف البحث في دراسة جنسية وجنس الحجاج المسلمين إلى مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري. ويقود هذا الهدف إلى هدف آخر وهو تحليل العلاقة بين هذه التركيبات والدخل الاقتصادي في المملكة. وقد وضعت لهذه الدراسة عدة فرضيات يمكن تلخيصها فيما يلي:

١ - يرتبط ازدياد الدخل القومي من الحج في المملكة العربية السعودية بازدياد عدد الحجاج القادمين من جنسيات تتمتع بارتفاع مستوى الدخل الفردي.

٢ - تقل نسبة الزيادة السنوية في الدخل القومي في المملكة من الحج مع تناقص قدوم الجنسيات صاحبة الدخل الفردي المرتفع.

٣ - تقارب نسب الجنس بين حجاج الدول ذات الدخل الفردي المرتفع أكثر منه بين الدول ذات الدخل الفردي المحدود.

ولتحقيق هذه الأهداف فقد استخدمت بيانات وزارة الداخلية في المملكة العربية السعودية عن أعداد وجنسية وجنس الحجاج القادمين إلى

المملكة وكذلك بيانات مؤسسة النقد العربي السعودي عن متحصلات الحج. وفي الواقع يواجه الباحث لهذه البيانات مشكلة عدم تطابق كل سنوات عدد الحجاج مع السنوات التي تتوفر عنها بيانات الواردات من الحج. ولهذا فستقتصر الدراسة المقارنة في هذا البحث على الفترة التي تتوفر عنها مثل تلك البيانات وهي الفترة الممتدة بين ١٣٨١هـ - ١٣٩٩هـ. أما الفترة التي تلت هذا التاريخ فقد أصبحت متحصلات الحج لا تظهر في التقارير الرسمية منفصلة وإنما تدخل ضمن مجموع متحصلات أخرى خارج نطاق الزيت. كما ستقتصر تحليلات الجنس على الفترة الممتدة بين سنة ١٣٨٥هـ وسنة ١٣٩٥هـ لأن مثل هذه البيانات توقفت عن الصدور بعد هذا التاريخ ولم تعد إلا في سنة ١٤٠٤هـ. أما البيانات العامة للحجاج فيمكن أن تصل إلى سنة ١٤٠٤هـ. وسوف تستخدم لفرض مقارنة النسب الحسابية البسيطة.

## الجنسية:

تصنيف كين أوتر. ولهذا تم مثلاً ضم  
حجاج أفغانستان وباكستان  
وبنغلاديش وسيرالانكا إلى حجاج  
الهند، وكذلك ضم حجاج لبنان  
وفلسطين والأردن إلى حجاج سوريا  
(جدول رقم ١). ونظراً لأن تقسيم كين  
شمل الحجاج غير المحليين فقط فقد  
اقتصر تقسيم سنة ١٤٠٤هـ على  
الحجاج غير السعوديين فقط لتسهيل  
عملية المقارنة. أما تقسيم رتر فقد  
اشتمل على الحجاج من مختلف أنحاء  
الجزيرة العربية. ولهذا فقد ضم  
للمجموع العام للحجاج في سنة  
١٤٠٤هـ الحجاج من مختلف مناطق  
المملكة.

إن من أقدم التقديرات الكمية  
التوفرة عن عدد الحجاج المسلمين  
وجنسياتهم المختلفة تعود إلى ما كتبه  
كين J. Keane في سنة ١٢٩٤هـ  
(١٨٧٧م) وإلدن رتر E. Ritter في سنة  
١٣٤٧هـ (١٩٢٩/٢٨م). لقد قسم كل  
من كين ورتر الحجاج إلى ١١ تقسيماً  
و ١٠ تقسيمات واسعة تبعاً لأصل  
الحجاج. وقد حاول الباحث إظهار  
الفرق بين نسب الحجاج من الجنسيات  
المختلفة التي ذكرها كل من كين ورتر  
ونسب الحجاج من نفس الجنسيات في  
الفترة الحديثة (١٤٠٣هـ). ولتحقيق  
هذا الغرض كان لابد من ضم بعض  
الجنسيات مع بعضها البعض لتقارب

## جدول (١)

النسبة المئوية للحجاج حسب الأصل لسنوات ١٢٩٤هـ و ١٣٤٧هـ  
و ١٤٠٤هـ

الجنسية	% من المجموع	% من مجموع سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٤/٨٣م)
تقسيم كين ١٢٩٤هـ الهنود	٢٠,٨	١٣,٨٨*



الجنسية	% من المجموع	% من مجموع سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٤/٨٣م)
العرب	١٥,٠	٣٢,٠٥
الأفريقيون	١٥,٠	٨,٥٧
الشماليون	١٠,٠	٥,٥٤
الزنوج	١٠,٠	٥,٥٤
الفرس	٦,٠	٣,٩٢
الترك	٦,٠	٤,٧٠
السوريون	٥,٠	٨,٣٠
مالاويون	٥,٠	٠,١٠
التتار	٣,٠	-
البدو	٥,٠	٦,٠٩
البقية		
تقسيم رتر ١٣٤٧هـ		
حجاج من وسط أفريقيا والسودان.	* ٢٣,٣	* ٦,٩١
حجاج الملايو وبورنيو.	١٧,٤	٥,٢٧
حجاج من شبه الجزيرة العربية.	١٧,٤	٤٣,٧٢
حجاج من الهند	١٤,٦	٨,٤٤
حجاج من مصر	٨,٧	٩,١٩
حجاج من مراكش والجزائر وليبيا.	٥,٨	٤,٥٠
حجاج من سوريا وتركيا والبلقان.	٥,٨	٥,٥٣
حجاج من أفغانستان وبلخستان.	٣,٥	١١,٠٧

الجنسية	% من المجموع	% من مجموع سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٤/٨٣م)
حجاج من كردستان وبخاري ووسط آسيا.	٢,٩	٠,٠١
حجاج من الصين	٠,٦	٠,٠٦
البقية	-	٤,٩٣

بأعداد الحجاج في بداية القرن العشرين. أما النقص في أعداد الحجاج من الصين فيعود إلى صعوبة انتقال المسلمين إلى خارج الحدود التي يسيطر عليها الشيوعيون.

وهناك كتاب آخرون ذكروا تفاوت أعداد الحجاج المسلمين من جنسيات مختلفة ولكنهم لم يعطوا تقديرات دقيقة لهذه الجنسيات. ومن أمثلة هؤلاء ماكتبه روتر (Rutter, O.P. 15) وغفور (Ghafur, A. PP. 14-33). ولم تظهر المحاولة الدقيقة لتصنيف الحجاج حسب مناطق قدمهم إلا في سنة ١٣٧٩هـ - (١٩٦٠/٥٩م) - حينما أصدرت وزارة المالية والاقتصاد

يتضح من الجدول السابق أن هناك جنسيات معينة كانت تشكل نسبة كبيرة من الحجاج في تقديرات كين ورتزر ومازالت تحافظ على هذه النسب الكبيرة مثل الهنود والمالايين والعرب، كما أن هناك جنسيات معينة انخفضت نسبة مشاركتها في الحج مثل حجاج شمال أفريقيا والصينيين. وربما يرجع ارتفاع نسبة المجموعة الأولى إلى سهولة وتطور وسائل النقل الحديثة للمسافات البعيدة مما شجع على زيادة أعداد الحجاج من المناطق البعيدة. أما نقص نسب الحجاج من شمال أفريقيا فيعود إلى زيادة مشاركة الحجاج من الجنسيات الأخرى، مع أن أعداد الحجاج من شمال أفريقيا قد ازدادت فعلاً مقارنة

ودول أوروبا، ودول أمريكا، وأستراليا، ومناطق أخرى غير مصنفة. وقد بدأت بعض الخرائط تظهر لتوضيح دول مصدر الحجاج المسلمين في الستينيات (Prothers, R., P. 34) والسبعينيات (Shair, I.P. 602; King, R.P.70).

ولقد كان للتنوع في جنسيات الحجاج أثر في تنويع قوة مصدر الدخل من الحج الذي كان يعتبر من أهم مصادر العملة الصعبة للمملكة، وذلك قبل اكتشاف الزيت في الخمسينيات من القرن الرابع عشر الهجري. وقد قدرت بعض المصادر دخل الحكومة السعودية من الحج قبل تدفق موارد الزيت فيما بين ١٥ (Shair, I.P. 602) و ٢٤ (Wal- pole, N, P. 300) أو ٣٠ (Crary, D., P. 366) مليون ريال سعودي. ويشكل الحج للمدن المقدسة مصدر دخل هام لسكانها لأنه قد يغطي مصاريف بقية السنة لبعض المشتغلين بخدمة الحجاج. وفي دراسة حديثة للمؤلف ثبت أن الحج كان حتى التسعينيات من القرن الرابع عشر الهجري يشكل نسبة هامة من مصدر الدخل الاجمالي لهذه المدن المقدسة. فقد كان هذا الدخل

الوطني أول كتاب إحصائي في المملكة لسنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٦/٦٥م). لقد تضمن هذا الكتاب بعض المعلومات عن جنسيات الحجاج لست سنوات سابقة.

وقد صنف الحجاج في هذا المصدر حسب القدوم تبعاً لستة أقاليم وهي الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا، وبقية أفريقيا، وآسيا والشرق الأقصى، ودول أوروبا، ودول أمريكا. وفي الواقع فإن هذه المعلومات، وإن كانت مفيدة، لم تكن ذات جدوى كبيرة لمن يريد التعمق في معرفة ودراسة أصل أقطار كل الحجاج. ولهذا فقد بدأت منذ سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٨/٦٧م) الجهات المختصة تجمع المعلومات عن أعداد الحجاج إلى مكة المكرمة عن كل دولة على حدة. وقد قسمت أقطار الحجاج أيضاً إلى ست مجموعات وهي الدول العربية، وبقية دول آسيا، وبقية دول أفريقيا، ودول أوروبا، ودول أمريكا، وأستراليا. وفي سنة ١٤٠٤هـ - (١٩٨٤/٨٣م) - قسمت دول مصادر الحجاج إلى ثمان مجموعات وهي دول مجلس التعاون وبقية الدول العربية، وبقية دول آسيا، وبقية دول أفريقيا،

حجاجها ومقدار ما يحملونه من مال إلى المملكة. ومثل هؤلاء الحجاج يكونون مرغوبين من قبل العاملين في خدمة الحجاج في أماكن الحج كالمطوفين والادلاء، ولهذا كان بعض المطوفين والادلاء، حتى أوائل التسعينيات، يرسلون وكلاء عنهم أو يقومون بأنفسهم بزيارة الأقطار الإسلامية المختلفة لجذب أكبر عدد من الحجاج، وخاصة الأثرياء منهم.

ولكن تتدخل أحياناً، حتى مع وجود الإمكانيات الاقتصادية لأداء فريضة الحج، بعض العوامل المحددة لعدد الحجاج من جنسيات معينة. ومن هذه العوامل الحروب والنزعات الداخلية والخارجية. ومن الأمثلة على ذلك الحرب الداخلية في شبه الجزيرة العربية نتيجة للغزو التركي في بداية القرن الرابع عشر الهجري وفي الأربعينيات منه مما خفض عدد الحجاج من كثير من الدول (Arm-strong, H., P. 255) ولا زالت القلاقل السياسية، حتى في الفترات الحديثة، تؤثر على عدد الحجاج من بعض الدول. فمثلاً لو تتبعنا احصائيات الحجاج

يشكل نحو ٨٦٪ من الدخل اليومي للمدينة المنورة خلال موسم الحج وإلى نحو ٦٦٪ من إجمالي دخل المدينة في سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م (Mecci, M.S., P. 267). ولكن أهمية الحج الاقتصادية بالنسبة للمملكة ككل ضعفت حديثاً بحيث أصبح الحج يشكل المصدر الثاني أو الثالث للدخل الوطني. كما أن نسبة مساهمة دخل الحج في الدخل الوطني أصبحت ضئيلة جداً إذ لم تتجاوز ١,٩٪ في سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩/٧٨م). وقد نتج عن هذه الزيادة السريعة في الدخل العام من قطاع الزيت، بالإضافة إلى إلغاء الحكومة في سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٣/٥٢م) ضريبة الحج على الحجاج واكتفت فقط بتحصيل مبلغ ٦٠ ريال سعودي للحجر الصحي مما جعل الفائدة الكبرى من الحج تذهب للقطاع الخاص، وخاصة للعاملين في خدمة الحجاج (Mecci, P. 264).

ويؤدي اختلاف المستويات الاقتصادية للدول المرسله للحجاج إلى تنوع قوة مصادر دخل الحج. فالدول ذات المستوى الاقتصادي الجيد لا تضع الكثير من العقبات أمام حركة

حول سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٤/٧٣م) ١٣٩٢هـ (١٩٧٣/٧٢م). ولكن في سنة  
وهي السنة التي نشبت فيها الحرب ١٣٩٤هـ (١٩٧٥/٧٤م) ازداد عدد  
الرابعة بين العرب واسرائيل لوجدنا أن  
هناك انخفاضاً في عدد الحجاج من كثير  
للعويض بعض النقص الذي حصل في  
من الدول مقارنة باحصائيات سنة  
السنة لسابقة (جدول رقم ٢).

### جدول (٢)

تغير عدد الحجاج في بعض الدول بين عامي ١٣٩٢هـ و ١٣٩٤هـ  
(١٩٧٣/٧٢م - ١٩٧٥/٧٤م)

الدولة	العدد في ١٣٩٢هـ (١٩٧٣/٧٢م)	العدد في ١٣٩٣هـ (١٩٧٤/٧٣م)	نسبة التغير بين ١٣٩٢هـ و ١٣٩٣هـ	العدد في ١٣٩٤هـ (١٩٧٥/٧٤م)	نسبة التغير بين ١٣٩٣هـ و ١٣٩٤هـ
الأردن	٣٥٨١٩	١٢٨٥١	-٥٠,٢٣	١٩٣٩١	٥٠,٩٠+
باكستان	٨٩٣٧٣	٦٠٦٨٨	-٣٢,١٠	٦٦٥٣٤	٩,٦٣+
سوريا	٣١٧٧٧	١٠٤٨٤	-٦٧,٠١	٣١٥٨٣	١٩٩,٥٥+
العراق	٢٤٦٨١	٣٥٥٦٧	٤٤,١١+	٥٨٩٨٣	٦٥,٨٠+
فلسطين	١٥٥٦	١١٣٥	-٢٧,٠٦	٢٥٩٦	١٢٨,٧٢+
لبنان	٦٧١٥	٥٣٥٥	-٢٠,٢٥	٩٥٢٥	٧٧,٩٠+
ليبيا	٢٣٧٧٤	٣٠٧٠٤	-٢٩,١٥+	٢٠٧١٥	٠,٠٣+
مصر	٣٩٦٠٦	٣٦٤٥٢	-٧,٩٦	٨٩٦١٧	١٤٥,٨٠+
الهند	١٨٣٠٦	١٩٨٧٩	٨,٥٩+	٢١٨٧٤	١٠,٠٤+
المجموع	٢٦١٦٠٧	٢١٣١١٥	-١٨,٥٤	٣٣٠٨١٨	٥٥,٢٣+

المصدر: وكالة وزارة الداخلية للجوازات والاحوال المدنية، ١٣٩٥هـ، احصائية الحجاج،  
جدة، ص ص ٢٧ - ٣١.

عدد الحجاج في العشر السنوات السابقة ونسبة نموهم في العشر السنوات التالية (جدول رقم ٣).

لقد ازداد كل الحجاج غير السعوديين في الفترة من ١٣٨٣هـ (٦٣ / ١٩٦٤م) إلى ١٣٩٢هـ (٧٢ / ١٩٦٤م) بنسبة نحو ١٤٪ سنوياً. ولكن في سنة ١٣٩٣هـ (٧٣ / ١٩٧٤م) نقص عدد الحجاج بنسبة ٥,٨٪ عن سنة ١٣٩٢هـ (٧٢ / ١٩٧٣م). أما نسبة النمو في الفترة من ١٣٩٤هـ (٧٤ / ١٩٧٥م) إلى ١٤٠٣هـ (٨٢ / ١٩٨٣م) فقد كانت تقارب ٩٪ سنوياً، ولكن ضمن هذه الفترة كانت زيادة ١٣٩٤هـ (٧٤ / ١٩٧٥م) تعادل نحو ٥٠٪ من عدد الحجاج في سنة ١٣٩٣هـ (٧٣ / ١٩٧٤م).

يوضح الجدول السابق أن أكثر الدول المتأثرة بالنقص هي الدول ذات العلاقة المباشرة بالحرب مثل الأردن وسوريا وفلسطين ومصر. أما الدول البعيدة عن ميدان القتال فقد كان تأثيرها محدوداً، بل إن بعضها لم يتأثر إطلاقاً إذ ازداد عدد الحجاج منها بنسب متفاوتة كما حصل بالنسبة للعراق وليبيا والهند. ويتضح أيضاً من الجدول أن زيادة عدد الحجاج في السنة التالية للحرب كانت كبيرة جداً من دول المواجهة حيث تراوحت النسبة ما بين ٥٠٪ و ٢٠٠٪. وقد انطبق هذا على كل الدول العربية فيما عدا ليبيا. ويمكن التأكيد على تأثير الحرب في خفض عدد الحجاج في سنة ١٣٩٣هـ (٧٣ / ١٩٧٤م) من النظر إلى نسبة نمو

### جدول (٣)

نسبة التغير في عدد الحجاج غير السعوديين إلى مكة المكرمة

في الفترة من ١٣٨٣هـ (٦٣ / ١٩٦٤م) إلى ١٤٠٣هـ (٨٢ / ١٩٨٣م)

السنوات الهجرية	عدد الحجاج غير السعوديين	النسبة المئوية للتغير
١٣٨٣هـ	٢٦٦٥٥٥	٣٢,٠+

السنوات الهجرية	عدد الحجاج غير السعوديين	النسبة المئوية للتغير
١٣٨٤هـ	٣٨٣٣١٩	٨,٨+
١٣٨٥هـ	٢٩٤١٨٨	٣,٨+
١٣٨٦هـ	٣١٦٢٣٦	٧,٥+
١٣٨٧هـ	٣١٨٥٠٧	٠,٦+
١٣٨٨هـ	٣٧٤٧٨٤	١٧,٨+
١٣٨٩هـ	٤٠٦٢٩٥	٨,٤+
١٣٩٠هـ	٤٣١٢٧٠	٦,١+
١٣٩١هـ	٤٧٩٣٣٩	١١,٢+
١٣٩٢هـ	٦٤٥١٨٢	٣٤,٦+
١٣٩٣هـ	٦٠٧٧٥٥	٥,٨-
١٣٩٤هـ	٩١٨٧٧٧	٥١,٢+
١٣٩٥هـ	٨٩٤٥٧٣	٢,٦-
١٣٩٦هـ	٧١٩٠٤٠	١٩,٦-
١٣٩٧هـ	٧٣٩٣١٩	٢,٨+
١٣٩٨هـ	٨٣٠٢٣٦	١٢,٣+
١٣٩٩هـ	٨٦٢٥٢٠	٣,٩+
١٤٠٠هـ	٨١٢٨٩٢	٥,٨-
١٤٠١هـ	٨٧٩٣٦٨	٨,٢+
١٤٠٢هـ	٨٥٣٥٥٥	٢,٩-
١٤٠٣هـ	١٠٠٣٩١١	١٧,٦+

المصدر: المديرية العامة للجوازات، ١٤٠٣هـ، إحصائية الحجاج، جدة، ص ١.

قدر إلدن رتر E. Rutter عددهم بنحو ١٠٠٠ حاج في سنة ١٣٤٤هـ (Rutter, E., PP. ٢٥/١٩٢٦م). (271-273).

وتشبه أوضاع روسيا الحال في الصين حيث تندر المعلومات الدقيقة عن عدد المسلمين. ففي سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٦/٥٥م) قدر قسطنطين Constantine وجود ربع مجموع مسلمي العالم (والبالغ عددهم نحو ٣٠٠ مليون نسمة في تلك السنة) داخل الكتلة الشيوعية (Constantine, J., P. 7). وفي سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨١م/١٩٨٢م) قدر عددهم بنحو ٤٥ مليون نسمة (بأقادر، أبوبكر محمد، ص ١٨). وقد قل عدد الحجاج المسلمين القادمين من الجمهوريات الإسلامية في روسيا منذ ١٣٥٧هـ (١٩٣٨/٣٧م) بسبب انقطاع العلاقات السياسية بين المملكة وروسيا من جهة، ولأن الروس لم يتمكنوا من كسب عطف وتأييد هؤلاء المسلمين لسياساتهم الشيوعية (مكي، محمد، ص ١١٩: Spector, I., P. 236). ولورفعت هذه الصواجز السياسية والإحصائية لعلم الله كم من المسلمين

ومن العوامل التي تؤثر أيضاً في عدد الحجاج من جنسيات معينة الاضطهاد الديني كما هو الحال مثلاً في الصين والاتحاد السوفيتي حيث مارس الشيوعيون في الصين ضغوطاً كبيرة على المسلمين ضد ممارستهم لشعائهم الدينية. وتذكر بعض المراجع أمثلة لهذه الضغوط في مذابح المسلمين بين سنوات ١٣٦٠ و ١٣٦٢هـ (١٩٤١ - ١٩٤٣م) في سينكيانج (Machain, P. 14). وحتى الوقت الحاضر لا يعرف بدقة عدد المسلمين الاجمالي في الصين. ومع هذا فهناك اتفاق بأن أكبر تركيز لهم هو في الشمال الغربي حيث تصل نسبتهم إلى نحو ٣٤٪ من سكان الاقاليم الخمسة في تلك المنطقة (Lindeck, J., P. 473). وقد قدرت بعض المصادر الحديثة عددهم بنحو ١١٥ مليون نسمة في سنة ١٣٩٩هـ - (Chisti, S., P. 79). وربما كانت الضغوط الدينية على هؤلاء المسلمين هي السبب في قلة عدد الحجاج من تلك البقاع أو عدم وجودهم أثناء أداء مئات الآلاف من الحجاج المسلمين لفريضة الحج، مع أن التقارير ذكرت وجودهم في مكة قبل استيلاء الشيوعيين على الحكم في الصين. فمثلاً



تدفق من تلك الأصقاع إلى مكة المكرمة  
ليضافوا إلى ملايين البشر المتجمعة  
هناك.

### الجنسية والدخل:

سنحاول في هذا القسم الربط بين  
أعداد الحجاج من جنسيات مختلفة  
في المستوى المعيشي في الفترة من  
١٣٨٤ إلى ١٣٩٩ هـ (١٩٦٥/٦٤م -  
١٩٧٩/٧٨م) وبين التغيرات في  
الدخل القومي في المملكة العربية  
السعودية من الحج للفترة نفسها.

إن قلة البيانات في هذا الجانب تقف  
حجر عثرة أمام المقارنة والتحليل  
لفترات طويلة. فالمعلومات عن  
متحصلات المملكة من الحج متوفرة،  
كما هو واضح من جدول (رقم ٤)،  
لنحو عقدين من الزمان (١٣٨١ -  
١٣٩٩ هـ (١٩٦٢/٦١) -

١٩٧٩/٧٨م) ولكن المعلومات  
المطابقة لها عن عدد الحجاج من  
جنسيات مختلفة وعن معدل الدخل  
الفردى لهذه الجنسيات تتوفر لتسع  
سنوات فقط، كما هو واضح من  
جدول (رقم ٦).

ومع هذا النقص فالمعلومات المتوفرة  
يمكن أن يكون مؤشراً للعلاقة بين  
المتغيرات المختلفة المذكورة آنفاً. لقد  
أوضح جدول (رقم ٤) استمرار زيادة  
الدخل من الحج باستثناء السنتين  
الأوليين لتوفر البيانات (١٣٨٢،  
١٣٨٣ هـ). ولقد تضاعف دخل الحج  
بين سنة ١٣٨١ هـ وسنة ١٣٩٩ هـ نحو  
١٥ مرة. ولكن نسبة هذا الدخل كانت  
في تناقص مستمر مقابل زيادة الدخل  
من مصادر أخرى. ولهذا فإن مقارنة  
نسبة دخل الحج بأعداد الحجاج  
ومستواهم المعيشي قد لا تكون مفيدة في  
هذا المجال. ولكن مقارنة نسب التغير في  
دخل الحج بأعداد الحجاج ومستواهم  
المعيشي قد تكون أكثر تعبيراً لهدف  
الدراسة.

وتبعاً لهذا الاتجاه فإننا نلاحظ  
تذبذب نسب التغير كثيراً من سنة  
لأخرى ولكننا نلاحظ بشكل عام أن  
نسب التغير لبعض السنوات كبيرة جداً  
كما هو الحال مع سنوات ١٣٨٤ هـ  
(١٩٦٥/٦٤م)، ١٣٨٩ هـ  
(١٩٧٠/٦٩م)، ١٣٩٢ هـ  
(١٩٧٣/٧٢م)، ١٣٩٣ هـ  
(١٩٧٤/٧٣م)، ١٣٩٤ هـ

(٧٤/١٩٧٥م)، ١٣٩٧هـ  
(٧٦/١٩٧٧م). وفي كل هذه السنوات (باستثناء ١٣٩٣هـ) تساوت أو ازدادت مساهمة الحج في ميزان المدفوعات العام مقارنة بالسنوات التي سبقتها. وفي الوقت نفسه نجد أن الانفاق الحكومي على مشاريع الحج قد ازداد بشكل ملحوظ. فمثلاً نجد أن نفقات مشاريع الحج لوكالة الحج التابعة لوزارة الحج والأوقاف (وهي المسئول الأول عن شئون الحجاج) قد تضاعفت خلال الفترة الممتدة بين السنة المالية

١٣٨٦/٨٥هـ وسنة ١٣٩٩/٩٨هـ نحو عشر مرات (جدول ٥). ولا شك أن هناك العديد من المؤسسات الحكومية الأخرى التي تقوم بمشاريع أخرى تخدم الحجاج بطريق مباشر أو غير مباشر مثل مصلحة الطرق ووزارة الصحة. ولو قارنا البيانات في جدول (رقم ٤) بتلك الموضحة في جدول (رقم ٥) أمكن الاستنتاج بأنه ليس هناك ارتباط بين مستوى التحصيل من الخارج والإنفاق على مشاريع الحج.

فقد نجد بعض السنوات التي تزداد فيها متحصلات الحج ولكن النفقات على

مشاريع الحج تتذبذب بين الارتفاع والزيادة كما هو الحال مثلاً مع سنوات ١٣٨٩هـ، ١٣٩٣هـ حيث استمرت متحصلات الحج في الزيادة بينما تناقصت نفقات مشاريع وكالة الحج، ولا شك أن مثل هذا الاتجاه هو في صالح الاقتصاد المحلي، لأنه يجعل الحج مساهماً فعالاً في ميزان المدفوعات السعودي. وقد ازداد في بعض السنوات التي تتوفر معلومات المتحصلات عنها عدد الحجاج من ذوي الدخل المتوسط والمرتفع\* مثل حجاج الإمارات العربية المتحدة، وإيران، وتركيا، والسنغال، وسوريا والكويت، ولبنان وبنجيريا مع الاختلاف في حجم هذه الزيادات بين الدول المختلفة. ويتضح من جدول رقم (٦) أن عدد الحجاج في الدول المذكورة قد ازداد فيما عدا سوريا والكويت في سنوات ١٣٩٤ و ١٣٩٧ و ١٣٩٨هـ.

وقد تعود نسب التناقص عن سنة الأساس في سوريا إلى استمرار آثار حرب ١٣٩٣هـ (٧٣/١٩٧٤م) حتى السنة التالية، ولكن السبب غير واضح بالنسبة للكويت، ومما يدعم هذا الرأي أن حجاج سوريا قد ازدادوا في سنة

جدول ( ٤ )  
مساهمة الحج في ميزان المدفوعات السعودي  
(بملايين الريالات)

الخصائص	من الحج
13144-13146-13147-13148-13149-13150-13151-13152-13153-13154-13155-13156-13157-13158-13159-13160-13161-13162-13163-13164-13165-13166-13167-13168-13169-13170-13171-13172-13173-13174-13175-13176-13177-13178-13179-13180-13181-13182-13183-13184-13185-13186-13187-13188-13189-13190-13191-13192-13193-13194-13195-13196-13197-13198-13199-13200-13201-13202-13203-13204-13205-13206-13207-13208-13209-13210-13211-13212-13213-13214-13215-13216-13217-13218-13219-13220-13221-13222-13223-13224-13225-13226-13227-13228-13229-13230-13231-13232-13233-13234-13235-13236-13237-13238-13239-13240-13241-13242-13243-13244-13245-13246-13247-13248-13249-13250-13251-13252-13253-13254-13255-13256-13257-13258-13259-13260-13261-13262-13263-13264-13265-13266-13267-13268-13269-13270-13271-13272-13273-13274-13275-13276-13277-13278-13279-13280-13281-13282-13283-13284-13285-13286-13287-13288-13289-13290-13291-13292-13293-13294-13295-13296-13297-13298-13299-13300-13301-13302-13303-13304-13305-13306-13307-13308-13309-13310-13311-13312-13313-13314-13315-13316-13317-13318-13319-13320-13321-13322-13323-13324-13325-13326-13327-13328-13329-13330-13331-13332-13333-13334-13335-13336-13337-13338-13339-13340-13341-13342-13343-13344-13345-13346-13347-13348-13349-13350-13351-13352-13353-13354-13355-13356-13357-13358-13359-13360-13361-13362-13363-13364-13365-13366-13367-13368-13369-13370-13371-13372-13373-13374-13375-13376-13377-13378-13379-13380-13381-13382-13383-13384-13385-13386-13387-13388-13389-13390-13391-13392-13393-13394-13395-13396-13397-13398-13399-13400-13401-13402-13403-13404-13405-13406-13407-13408-13409-13410-13411-13412-13413-13414-13415-13416-13417-13418-13419-13420-13421-13422-13423-13424-13425-13426-13427-13428-13429-13430-13431-13432-13433-13434-13435-13436-13437-13438-13439-13440-13441-13442-13443-13444-13445-13446-13447-13448-13449-13450-13451-13452-13453-13454-13455-13456-13457-13458-13459-13460-13461-13462-13463-13464-13465-13466-13467-13468-13469-13470-13471-13472-13473-13474-13475-13476-13477-13478-13479-13480-13481-13482-13483-13484-13485-13486-13487-13488-13489-13490-13491-13492-13493-13494-13495-13496-13497-13498-13499-13500-13501-13502-13503-13504-13505-13506-13507-13508-13509-13510-13511-13512-13513-13514-13515-13516-13517-13518-13519-13520-13521-13522-13523-13524-13525-13526-13527-13528-13529-13530-13531-13532-13533-13534-13535-13536-13537-13538-13539-13540-13541-13542-13543-13544-13545-13546-13547-13548-13549-13550-13551-13552-13553-13554-13555-13556-13557-13558-13559-13560-13561-13562-13563-13564-13565-13566-13567-13568-13569-13570-13571-13572-13573-13574-13575-13576-13577-13578-13579-13580-13581-13582-13583-13584-13585-13586-13587-13588-13589-13590-13591-13592-13593-13594-13595-13596-13597-13598-13599-13600-13601-13602-13603-13604-13605-13606-13607-13608-13609-13610-13611-13612-13613-13614-13615-13616-13617-13618-13619-13620-13621-13622-13623-13624-13625-13626-13627-13628-13629-13630-13631-13632-13633-13634-13635-13636-13637-13638-13639-13640-13641-13642-13643-13644-13645-13646-13647-13648-13649-13650-13651-13652-13653-13654-13655-13656-13657-13658-13659-13660-13661-13662-13663-13664-13665-13666-13667-13668-13669-13670-13671-13672-13673-13674-13675-13676-13677-13678-13679-13680-13681-13682-13683-13684-13685-13686-13687-13688-13689-13690-13691-13692-13693-13694-13695-13696-13697-13698-13699-13700-13701-13702-13703-13704-13705-13706-13707-13708-13709-13710-13711-13712-13713-13714-13715-13716-13717-13718-13719-13720-13721-13722-13723-13724-13725-13726-13727-13728-13729-13730-13731-13732-13733-13734-13735-13736-13737-13738-13739-13740-13741-13742-13743-13744-13745-13746-13747-13748-13749-13750-13751-13752-13753-13754-13755-13756-13757-13758-13759-13760-13761-13762-13763-13764-13765-13766-13767-13768-13769-13770-13771-13772-13773-13774-13775-13776-13777-13778-13779-13780-13781-13782-13783-13784-13785-13786-13787-13788-13789-13790-13791-13792-13793-13794-13795-13796-13797-13798-13799-13800-13801-13802-13803-13804-13805-13806-13807-13808-13809-13810-13811-13812-13813-13814-13815-13816-13817-13818-13819-13820-13821-13822-13823-13824-13825-13826-13827-13828-13829-13830-13831-13832-13833-13834-13835-13836-13837-13838-13839-13840-13841-13842-13843-13844-13845-13846-13847-13848-13849-13850-13851-13852-13853-13854-13855-13856-13857-13858-13859-13860-13861-13862-13863-13864-13865-13866-13867-13868-13869-13870-13871-13872-13873-13874-13875-13876-13877-13878-13879-13880-13881-13882-13883-13884-13885-13886-13887-13888-13889-13890-13891-13892-13893-13894-13895-13896-13897-13898-13899-13900-13901-13902-13903-13904-13905-13906-13907-13908-13909-13910-13911-13912-13913-13914-13915-13916-13917-13918-13919-13920-13921-13922-13923-13924-13925-13926-13927-13928-13929-13930-13931-13932-13933-13934-13935-13936-13937-13938-13939-13940-13941-13942-13943-13944-13945-13946-13947-13948-13949-13950-13951-13952-13953-13954-13955-13956-13957-13958-13959-13960-13961-13962-13963-13964-13965-13966-13967-13968-13969-13970-13971-13972-13973-13974-13975-13976-13977-13978-13979-13980-13981-13982-13983-13984-13985-13986-13987-13988-13989-13990-13991-13992-13993-13994-13995-13996-13997-13998-13999-14000-14001-14002-14003-14004-14005-14006-14007-14008-14009-14010-14011-14012-14013-14014-14015-14016-14017-14018-14019-14020-14021-14022-14023-14024-14025-14026-14027-14028-14029-14030-14031-14032-14033-14034-14035-14036-14037-14038-14039-14040-14041-14042-14043-14044-14045-14046-14047-14048-14049-14050-14051-14052-14053-14054-14055-14056-14057-14058-14059-14060-14061-14062-14063-14064-14065-14066-14067-14068-14069-14070-14071-14072-14073-14074-14075-14076-14077-14078-14079-14080-14081-14082-14083-14084-14085-14086-14087-14088-14089-14090-14091-14092-14093-14094-14095-14096-14097-14098-14099-14100-14101-14102-14103-14104-14105-14106-14107-14108-14109-14110-14111-14112-14113-14114-14115-14116-14117-14118-14119-14120-14121-14122-14123-14124-14125-14126-14127-14128-14129-14130-14131-14132-14133-14134-14135-14136-14137-14138-14139-14140-14141-14142-14143-14144-14145-14146-14147-14148-14149-14150-14151-14152-14153-14154-14155-14156-14157-14158-14159-14160-14161-14162-14163-14164-14165-14166-14167-14168-14169-14170-14171-14172-14173-14174-14175-14176-14177-14178-14179-14180-14181-14182-14183-14184-14185-14186-14187-14188-14189-14190-14191-14192-14193-14194-14195-14196-14197-14198-14199-14200-14201-14202-14203-14204-14205-14206-14207-14208-14209-14210-14211-14212-14213-14214-14215-14216-14217-14218-14219-14220-14221-14222-14223-14224-14225-14226-14227-14228-14229-14230-14231-14232-14233-14234-14235-14236-14237-14238-14239-14240-14241-14242-14243-14244-14245-14246-14247-14248-14249-14250-14251-14252-14253-14254-14255-14256-14257-14258-14259-14260-14261-14262-14263-14264-14265-14266-14267-14268-14269-14270-14271-14272-14273-14274-14275-14276-14277-14278-14279-14280-14281-14282-14283-14284-14285-14286-14287-14288-14289-14290-14291-14292-14293-14294-14295-14296-14297-14298-14299-14300-14301-14302-14303-14304-14305-14306-14307-14308-14309-14310-14311-14312-14313-14314-14315-14316-14317-14318-14319-14320-14321-14322-14323-14324-14325-14326-14327-14328-14329-14330-14331-14332-14333-14334-14335-14336-14337-14338-14339-14340-14341-14342-14343-14344-14345-14346-14347-14348-14349-14350-14351-14352-14353-14354-14355-14356-14357-14358-14359-14360-14361-14362-14363-14364-14365-14366-14367-14368-14369-14370-14371-14372-14373-14374-14375-14376-14377-14378-14379-14380-14381-14382-14383-14384-14385-14386-14387-14388-14389-14390-14391-14392-14393-14394-14395-14396-14397-14398-14399-14400-14401-14402-14403-14404-14405-14406-14407-14408-14409-14410-14411-14412-14413-14414-14415-14416-14417-14418-14419-14420-14421-14422-14423-14424-14425-14426-14427-14428-14429-14430-14431-14432-14433-14434-14435-14436-14437-14438-14439-14440-14441-14442-14443-14444-14445-14446-14447-14448-14449-14450-14451-14452-14453-14454-14455-14456-14457-14458-14459-14460-14461-14462-14463-14464-14465-14466-14467-14468-14469-14470-14471-14472-14473-14474-14475-14476-14477-14478-14479-14480-14481-14482-14483-14484-14485-14486-14487-14488-14489-14490-14491-14492-14493-14494-14495-14496-14497-14498-14499-14500-14501-14502-14503-14504-14505-14506-14507-14508-14509-14510-14511-14512-14513-14514-14515-14516-14517-14518-14519-14520-14521-14522-14523-14524-14525-14526-14527-14528-14529-14530-14531-14532-14533-14534-14535-14536-14537-14538-14539-14540-14541-14542-14543-14544-14545-14546-14547-14548-14549-14550-14551-14552-14553-14554-14555-14556-14557-14558-14559-14560-14561-14562-14563-14564-14565-14566-14567-14568-14569-14570-14571-14572-14573-14574-14575-14576-14577-14578-14579-14580-14581-14582-14583-14584-14585-14586-14587-14588-14589-14590-14591-14592-14593-14594-14595-14596-14597-14598-14599-14600-14601-14602-14603-14604-14605-14606-14607-14608-14609-14610-14611-14612-14613-14614-14615-14616-14617-14618-14619-14620-14621-14622-14623-14624-14625-14626-14627-14628-14629-14630-14631-14632-14633-14634-14635-14636-14637-14638-14639-14640-14641-14642-14643-14644-14645-14646-14647-14648-14649-14650-14651-14652-14653-14654-14655-14656-14657-14658-14659-14660-14661-14662-14663-14664-14665-14666-14667-14668-14669-14670-14671-14672-14673-14674-14675-14676-14677-14678-14679-14680-14681-14682-14683-14684-14685-14686-14687-14688-14689-14690-14691-14692-14693-14694-14695-14696-14697-14698-14699-14700-14701-14702-14703-14704-14705-14706-14707-14708-14709-14710-14711-14712-14713-14714-14715-14716-14717-14718-14719-14720-14721-14722-14723-14724-14725-14726-14727-14728-14729-14730-14731-14732-14733-14734-14735-14736-14737-14738-14739-14740-14741-14742-14743-14744-14745-14746-14747-14748-14749-14750-14751-14752-14753-14754-14755-14756-14757-14758-14759-14760-14761-14762-14763-14764-14765-14766-14767-14768-14769-14770-14771-14772-14773-14774-14775-14776-14777-14778-14779-14780-14781-14782-14783-14784-14785-14786-14787-14788-14789-14790-14791-14792-14793-14794-14795-14796-14797-14798-14799-14800-14801-14802-14803-14804-14805-14806-14807-14808-14809-14810-14811-14812-14813-14814-14815-14816-14817-14818-14819-14820-14821-14822-14823-14824-14825-14826-14827-14828-14829-14830-14831-14832-14833-14834-14835-14836-14837-14838-14839-14840-14841-14842-14843-14844-14845-14846-14847-14848-14849-14850-14851-14852-14853-14854-14855-14856-14857-14858-14859-14860-14861-14862-14863-14864-14865-14866-14867-14868-14869-14870-14871-14872-14873-14874-14875-14876-14877-14878-14879-14880-14881-14882-14883-14884-14885-14886-14887-14888-14889-14890-14891-14892-14893-14894-14895-14896-14897-14898-14899-14900-14901-14902-14903-14904-14905-14906-14907-14908-14909-14910-14911-14912-14913-14914-14915-14916-14917-14918-14919-14920-14921-14922-14923-14924-14925-14926-14927-14928-14929-14930-14931-14932-14933-14934-14935-14936-14937-14938-14939-14940-14941-14942-14943-14944-14945-14946-14947-14948-14949-14950-14951-14952-14953-14954-14955-14956-14957-14958-14959-14960-14961-14962-14963-14964-14965-14966-14967-14968-14969-14970-14971-14972-14973-14974-14975-14976-14977-14978-14979-14980-14981-14982-14983-14984-14985-14986-14987-14988-14989-14990-14991-14992-14993-14994-14995-14996-14997-14998-14999-15000-15001-15002-15003-15004-15005-15006-15007-15008-15009-15010-15011-15012-15013-15014-15015-15016-15017-15018-15019-15020-15021-15022-15023-15024-15025-15026-15027-15028-15029-15030-15031-15032-15033-15034-15035-15036-15037-15038-15039-15040-15041-15042-15043-15044-15045-15046-15047-15048-15049-15050-15051-15052-15053-15054-15055-15056-15057-15058-15059-15060-15061-15062-15063-15064-15065-15066-15067-15068-15069-15070-15071-15072-15073-15074-15075-15076-15077-15078-15079-15080-15081-15082-15083-15084-15085-15086-15087-15088-15089-15090-15091-15092-15093-15094-15095-15096-15097-15098-15099-15100-15101-15102-15103-15104-15105-15106-15107-15108-15109-15110-15111-15112-15113-15114-15115-15116-15117-15118-15119-15120-15121-15122-15123-15124-15125-15126-15127-15128-15129-15130-15131-15132-15133-15134-15135-15136-15137-15138-15139-15140-15141-15142-15143-15144-15145-15146-15147-15148-15149-15150-15151-15152-15153-15154-15155-15156-15157-15158-15159-15160-15161-15162-15163-15164-15165-15166-15167-15168-15169-15170-15171-15172-15173-15174-15175-15176-15177-15178-15179-15180-15181-15182-15183-15184-15185-15186-15187-15188-15189-15190-15191-15192-15193-15194-15195-15196-15197-15198-15199-15200-15201-15202-15203-15204	

--- السنرات التي تتوزع عنها بيانات الحاج حسب مستوى نظم السنوري (في جدول رقم ١٠).

\* اعتبرت سنة ١٣٨١ هـ هي سنة الأسس،  
١٤٠٠ هـ: التقرير السنوي، جة (النسب والوثرات هي من حسب الجاهل).  
المصدر: مؤسسة النقد العربي السعودي.

جدول ( ٥ )  
ميزانية المشاريع لوكالة الحج للسنوات المالية من ١٣٨٦هـ إلى ١٤٠٠هـ  
(بالآف الريالات)

١٣٨٦هـ	١٣٨٧هـ	١٣٨٨هـ	١٣٨٩هـ	١٣٩٠هـ	١٣٩١هـ	١٣٩٢هـ	١٣٩٣هـ	١٣٩٤هـ	١٣٩٥هـ	١٣٩٦هـ	١٣٩٧هـ	١٣٩٨هـ	١٣٩٩هـ	١٤٠٠هـ
٤٣٨٩	٨٠٨٤	٦٠١٠	٧٣٦٦	٧٨٤٠	٧٨٩١	٦٩٧٠	٥٨٧٨	٤٠١٤	٢٠٩٢٧	١٦٩٢٢	٤٢١٢٣	٤٢١٢٣	٤٢١٢٣	٤٢١٢٣
ميزانية المخرجات														
١٠٠٠٠	١٨٤,٢	١٣١,٩	١١٧,٨	٦٤,٧	٦٥,٩	١٥٨,٨	١٣٢,٩	٩٢,٦	٤٣٨,٨	٢٨٥,٦	٩٦,١	١٠٠٩,٥	٧٠٩,٥	٧٠٩,٥
مؤشر التغير														

\* أُعيرت سنة ١٣٨٦هـ في سنة الإنشائي لأنه قبل هذا التاريخ كانت بيانات الميزانية تصدر غير مفصلة لوزارة الحج والأوقاف أي أنها تصدر في قسم واحد.  
المصدر: مفصلة الإحصاءات العامة، ١٣٨٩ - ١٤٠٠هـ، المكتب الإحصائي السعودي، وزارة المالية والاقتصاد الوطني، الرياض.

١٣٩٨هـ (١٩٧٨/٧٧م) أي بعد زوال آثار الحرب.

ولو أمعنا النظر في جدول رقم ٦ نجد أن زيادة عدد الحجاج أو الدخل ليست مضطربة في كل الدول وبصورة مستمرة فقد يعثر بها بعض التناقص في بعض السنوات ولكنه لا يصل إلى مستوى سنة الأساس أو دونها إلا في حالات نادرة. وعلى سبيل المثال نجد أن مستوى الدخل انخفض في دولة الإمارات في سنة ١٣٩٨هـ عن السنة السابقة (١٣٩٧هـ)، ولكنه كان أعلى بكثير من سنة الأساس (١٣٩٠هـ).

وبالرغم من هذا الانخفاض في مستوى الدخل فإن عدد الحجاج قد ازداد من دولة الامارات في سنة ١٣٩٨هـ مقارنة بسنة ١٣٩٧هـ. وفي إيران انخفض مستوى الدخل قليلاً في سنة ١٣٩٨هـ، مقارنة بسنة ١٣٩٧هـ ولكنه كان أيضاً أعلى بكثير من سنة الأساس (١٣٩٠هـ). وهنا أيضاً كان عدد الحجاج قريباً من سنة الأساس ولكنه كان أعلى من سنة ١٣٩٧هـ.

ولو قارنا هذا الوضع ببيانات الدول الأخرى ذات المستوى المعيشي المنخفض التي يقل دخل الفرد فيها عن ١٠٠٠ ريال لمعظم سنوات الفترة لوجدنا أن فجوات تناقص مستوى الدخل واعداد الحجاج كبيرة. فمثلاً نلاحظ في سيراليون انخفاض مستوى الدخل بشكل واضح في سنة ١٣٩٨هـ مقارنة بسنة ١٣٩٧هـ وفي سنة ١٣٩٧هـ مقارنة بسنة ١٣٩٤هـ وكذلك انخفاض عدد الحجاج في هذه السنوات. وفي الهند نلاحظ أن مستوى الدخل ارتفع في سنة ١٣٩٤هـ وارتفع كذلك عدد الحجاج ولكن عندما انخفض مستوى الدخل في سنوات ١٣٩٧هـ انخفض أيضاً عدد الحجاج.

ويلاحظ أن عدد مرات النقص في عدد الحجاج في الدول ذات الدخل المتوسط والمرتفع تعادل فقط ٣٥٪ من عدد البيانات المتوفرة عنها في جدول رقم (٦)، مقارنة بـ ٢٨٪ في الدول الأخرى ذات المستوى المعيشي المنخفض. أما عدد المرات التي كانت مؤشرات زيادة الحجاج فيها تتجاوز ١٠٠٪ عن سنة الأساس فقد بلغت ٤٤٪ من بيانات

(٦٩/١٩٧٠م). وفي هذه السنة لم ينخفض من عدد حجاج الدول ذات الدخل المتوسط والمرتفع إلا حجاج السنغال فقط. أما في السنة الثانية، والتي حقق فيها الدخل القومي زيادة تصل إلى ٣٥٪ مقارنة بالسنة التي سبقتها (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، كان هناك خمس دول من مجموع ثماني دول من ذوي الدخل المتوسط والمرتفع حققت تناقصاً في عدد حجاجها.

ويؤكد ما سبق أن اشرنا إليه معامل الارتباط Correlation Coefficient لتوضيح العلاقة بين مستوى الدخل في الدولة وعدد الحجاج القادمين منها (جدول رقم ٧). ففي هذا الجدول نلاحظ أن معامل الارتباط في معظم الدول ذات الدخل المحدود (الصومال ومصر والهند واليمن الشمالي) أعلى منه في معظم الدول ذات الدخل المرتفع (مثل الامارات العربية المتحدة وايران وتركيا السنغال وسوريا والكويت ولبنان). ويعني هذا الوضع أن تحسن مستوى الدخل في الدولة يؤثر في عدد الحجاج منها ولكن في الدول

مجموعة الدول ذات الدخل المتوسط والمرتفع، ونحو ٦٨٪ من بيانات مجموعة الدول ذات الدخل المحدود. أما عدد المرات التي كانت مؤشرات زيادات الحجاج تقل فيها عن ٥٠٪ فقد كانت تعادل ٨,٣٪ في مجموعة الدخل الأولى و٣,٧٪ في مجموعة الدخل الثانية.

ومما سبق يمكن أن نستنتج بأن زيادة عدد الحجاج من ذوي الدخل المحدود كانت أكثر من زيادة الحجاج من ذوي الدخل المرتفع في سنوات زيادة مساهمة دخل الحج في ميزان المدفوعات السعودي. وهذا يعني دحض الفرضية الأولى التي تربط بين ازدياد الدخل القومي من الحج وبين عدد القادمين من جنسيات يتمتع أفرادها بمستوى معيشي مرتفع. فلقد اتضح أن الزيادة في الدخل القومي تعود إلى الزيادة في عدد الحجاج من ذوي الدخل المحدود.

إن دحض الفرضية السابقة يلغي الفرضية الثانية، ويتضح هذا من بيانات سنة ١٣٩٠هـ (٧٠/١٩٧١م) وسنة ١٣٩٧هـ (٧٦/١٩٧٧م). ففي السنة الأولى انخفضت نسبة الزيادة في الدخل القومي من الحج إلى ٨,٥٪ فقط

المرتفعة الدخل بشكل عام، فإن بشكل أكبر بعدد الحجاج المتزايدين  
تذبذب الدخل لا يؤثر في عدد الحجاج من الدول (المحدودة الدخل والتي  
منها، ومن هنا كان تأثير الدخل شهدت معظمها تحسناً في مستوى  
القومي في المملكة العربية السعودية الدخل الفردي فيها.

معدل الدخل الفردي السنوي وعدد الحجاج لبيئات  
من الجنسيات الإسلامية ومؤشرات التغير للدخل وعدد  
الحجاج\*

الدولة	السنوات**					
	النوع	١٣٨٤هـ	١٣٩٠هـ	١٣٩٤هـ	١٣٩٧هـ	١٣٩٨هـ
		(١٩٦٥/٦٤م)	(١٩٧١/٧٠م)	(١٩٧٥/٧٤م)	(١٩٧٧/٧٦م)	(١٩٧٨/٧٧م)
الامارات العربية المتحدة.	أ	-	١٠٦٠٦,٥	٦٦٩١,٣	٦٣٧٧٢,٥	٥٥١٦١,٢
	ب	-	١٠٠,٠	٤٤٠,٢	٦٠١,٣	٥٢٠,١
	ج	-	٢٣٧	٣٤٢٢	٣٥٦٠	٥١٨٣
	د	-	١٠٠,٠	١٤٢٣,٩	١٥٠٢,١	٢١٨٦,٩
أندونيسيا	أ	٣٢٨,٥	٣١٥,٠	٧٠٩,٥	٧٠٣,٥	١٠٠٦,٢
	ب	١٠٤,٣	١٠٠,٠	٢٢٥,٣	٢٢٣,٣	٢١٩,٤
	ج	١٥٢٢٤	١٤٦٢٣	٦٨٨٧٢	٣٥٧٠٣	٧٢٥٢٧
	د	١٠٤,١	١٠٠,٠	٤٧٠,٧	٢٤٤,١	٤٩٥,٦
إيران	أ	٣٢٨١,٠	١٣٥٠,٠	٤٠٩١,٣	٥٤٦٣,٥	٥١٦٦
	ب	٢٤٣,٠	١٠٠,٠	٣٠٣,١	٤٠٤,٧	٣٨٢,٧
	ج	١٩٠٧٢	٤٨٣٦٧	٥٧٣١٤	٣٤٩٠٩	٤٨٣٦٨
	د	٣٩,٤	١٠٠,٠	١١٨,٥	٧٢,٢	٩٩,٨
باكستان	أ	٣١٠,٥	٧٣٣,٥	٦٤٦,١	٦٤٠,٥	٦٠٥,٧
	ب	٤٢,٣	١٠٠,٠	٨٨,١	٨٧,٢	٨٢,٦
	ج	٢٦٠٥٢	٣٨٢٥٦	٦٦٥٣٤	٤٧٥٩١	٦١٩٢٤
	د	٦٨,١	١٠٠,٠	١٧٣,٩	١٢٤,٦	١٦١,٩
تركيا	أ	٨٠١,٠	١٥٧٥,٠	٣٠٨١,٧	٣٠٥٥,٥	٢٨٨٩,٦

الدولة	السنوات						
	النوع	١٣٨٤هـ (١٩٦٥/٦٤م)	١٣٩٠هـ (١٩٧١/٧٠م)	١٣٩٤هـ (١٩٧٥/٧٤م)	١٣٩٧هـ (١٩٧٧/٧٦م)	١٣٩٨هـ (١٩٧٨/٧٧م)	١٣٩٩هـ (١٩٧٩/٧٨م)
تشاد	ب	٥٠,٩	١٠٠,٠	١٩٥,٧	١٩٤,٠	١٨٢,٥	٢٩٧,٢
	ج	-	١٣٢٦٩	١٠٦٠٤٥	٩١٤٩٧	٢٩٩٦٩	١٥١٧٧
	د	-	١٠٠,٠	٧٩٩,٢	٦٨٩,٦	٢٢٥,٩	١١٤,٤
	أ	-	٢٨٧,٠	٥٨٢,٥	٥٧٧,٥	٥٤٦,٢	٣٨٧,٢
	ب	-	١٠٠,٠	١٥٠,٥	١٤٩,٢	١٤١,١	١٠٠,١
السنغال	ج	١٥٣٦	٢٠٣٤	٤٩٢١	١٧٢٠	٢٢٥٩	٤٧٨٥
	د	٧٥,٥	١٠٠,٠	٢٤١,٩	٨٤,٦	١٦٠,٢	٢٢٥,٢
	أ	٧٩٦,٥	٨٤١,٥	١٢٠٧,٢	١١٩٧,٠	١١٣٢,٠	١٥١٣,٦
	ب	٩٤,٧	١٠٠,٠	١٤٣,٥	١٤٢,٢	١٣٤,٥	١٧٩,٩
	ج	٢٣١٩	٢٤٢٢	٣٤٠٣	٤٨٢٥	٣٩٣٩	٤٢٣١
السودان	د	١٣٧,٠	١٠٠,٠	١٤٠,٥	١٩٩,٢	١٦٢,٦	١٧٤,٧
	أ	٤٢٧,٥	٦٨٤,٠	١٠٧٣,١	١٠٦٤,٠	١٠٠٦,٢	١٣٠٢,٤
	ب	٦٢,٥	١٠٠,٠	١٥٦,٩	١٥٥,٦	١٤٧,١	١٩٠,٤
	ج	١٤٠,٥	١٤٨٦٥	٤٢٠٨٤	٣٢٣٥٣	١٧٤٠٨	١٩٧٩٩
	د	٩٤,٥	١٠٠,٠	٢٨٣,١	٢١٧,٦	١١٧,١	١٣٢,٢
سوريا	أ	-	١١٥٦,٥	٢٤٧٨,١	٢٤٥٧,٠	٢٢٢٢,٦	٣٦٢٥,٦
	ب	-	١٠٠,٠	٢١٤,٢	٢١٢,٥	٢٠٠,٩	٢١٢,٥
	ج	٢٠٩١٨	٤٢٣٣٩	٣١٥٨٣	٢٤٨٢٩	٥٦١٣٨	٦١٩٦٩
	د	٤٩,٤	١٠٠,٠	٧٤,٦	٥٨,٦	١٣٢,٦	١٤٦,٤
	أ	-	٦٣٠,٠	٧١٢,١	٦٩٦,٥	٦٥٨,٧	٨٨٠,٠
سيراليون	ب	-	١٠٠,٠	١١٢,٢	١١٠,٦	١٠٤,٦	١٣٩,٧
	ج	-	٣٥٣	٥٠٤	٢٠	١٩١	٣٦٥
	د	-	١٠٠,٠	١٤٢,٨	٥,٧	٥٤,١	١٠٣,٤
	أ	٣٢٧,٥	٢٤٦,٥	٥٣٢,٠	٥٢٥,٠	٤٩٦,٥	-
	ب	١٣٦,٩	١٠٠,٠	٢١٦,٤	٢١٢,١	٢٠١,٤	-
الصومال	ج	٩٦٢	١٩٠	٣٧١٧	٤٧٨٦	٥٤١٩	١٢٩٣٤
	د	٥٠٦,٣	١٠٠,٠	١٩٨٢,٦	٢٥١٨,٩	٢٨٥٢,٠	٦٨٠٧,٤
	أ	-	١٢٦٦٣,٠	٤٠٣٥١,٤	٤٠٣٥١,٤	٣٧٨٣٦,٦	٦٠١٩٢,٠
	ب	-	١٠٠,٠	٣١٨,٧	٣٢٨,٧	٢٩٨,٨	٤٧٥,٢
	ج	٤٨٣٠	٨٠٧٢	٥٢٧٠	٣١٨٧	٥٩١٨	٥٤٠٧



[illegible]

\* اعتبرت سنة ١٢٩٠ هـ سنة الأساس لحساب مؤشرات التغير التي وضعها الباحث.

♦♦ بيانات معدل الدخل الفردي تتوفر حتى سنة ١٤٠٢هـ ولكنها اقتصرت في هذا الجدول على ست سنوات لتسهيل

المقارنة مع البيانات المتوفرة في جدول رقم (٤).

١ - معدل الدخل الفردي بالريال السعودي.

ب - مؤشر تغيير الدخل الفردي.

جـ - عدد الحجاج.

د - مؤشر تغيير عدد الحجاج.

## جدول (٧)

معامل الارتباط بين مستوى  
الدخل وعدد الحجاج  
القادمين إلى مكة المكرمة

الدولة	قيمة معامل الارتباط
الامارات العربية المتحدة	٠,٧٨
أندونيسيا	٠,٦٤
إيران	-٠,٢٤
باكستان	٠,٤٠
تركيا	-٠,٠٠٤
تشاد	-٠,٠٢
السنگال	٠,١٩
السودان	-٠,٠٤
سوريا	٠,٣٩
سيراليون	٠,١٥
الصومال	٠,٩٣
الكويت	-٠,٦٩
لبنان	٠,١٤
مصر	٠,٧٠
نيجيريا	٠,٧٥
الهند	٠,٨١
اليمن الشمالي	٠,٨٩

المصدر: جدول رقم ٦.

## المصادر:

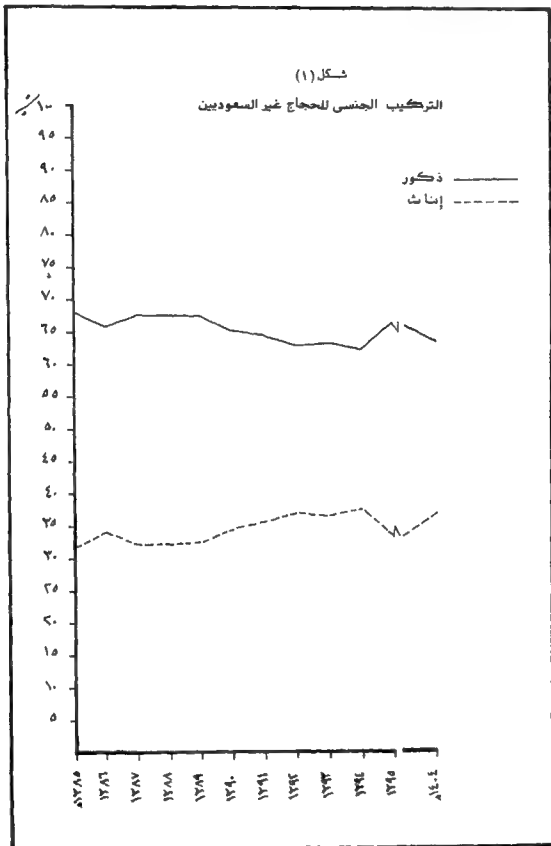
١ - United Nations, 1979/80, *Statistical Year Book*, New York, PP. 698-700.٢ - The World Bank, 1979-1984, *World Development Report*, Oxford University, Press, Oxford.٣ - وكالة وزارة الداخلية للجوازات والاحوال المدنية، ١٣٨٤ - ١٣٩٨هـ، *إحصائية الحجاج*، جدة.

## الجنس أو النوع:

(١٩٧٥م). ويتضح من الشكل المذكور أن نسب الذكور للإناث قد استمرت متوازنة تقريباً خلال هذه الفترة لتصل إلى نحو ٢:١ وربما يؤكد هذا الاتجاه تقدير غفور السابق الذكر عن نسبة الرجال للنساء بين الحجاج. أن زيادة الذكور على الإناث قد ترتبط بمستوى الصرف النقدي العام للحجاج. فبين الجنسيات التي تضم عدداً كبيراً من الحجاج يمكن أن نتوقع أيضاً صرفاً كبيراً لازدياد عدد الذكور بينها. وسوف تؤثر هذه الزيادة في النهاية على الاقتصاد المحلي في مناطق الحج.

ويوضح جدول رقم (٨) عدد الذكور والإناث في الدول المذكورة في جدول رقم (٦) في سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م). ومن هذا الجدول يتضح أن عدد الذكور في كل الدول ذات الدخل المتوسط والمرتفع يزيد على عدد النساء، فيما عدا لبنان، وكذلك في كل الدول ذات الدخل المنخفض فيما عدا تشاد. ولعل هذا الاستثناء يعود لظروف الحروب الداخلية التي تعاني منها هذه الدول والتي قد تؤثر نسب النوع فيها. ومع هذا فإن نسب النوع تشير إلى ازدياد الذكور كثيراً على الإناث في الدول ذات

يمكن الإشارة هنا إلى أن المعلومات الخاصة بالتركيب الجنسي أو النوعي للحجاج نادرة وغير مستمرة فيما عدا العقد ونصف العقد الماضيين. ولو أن هناك إشارات عامة من حين لآخر عن هذه المعلومات في بعض مراجع الرحلات. فمثلاً قدر على بي نسبة النساء بين الحجاج بنحو ٢,٥٪ فقط أثناء زيارته للحجاز في الفترة من ١٢١٨هـ (١٨٠٣/١٨٠٤م) إلى ١٢٢٢هـ (١٨٠٧/١٨٠٨م) (Ali Bay, p. 27). وقد عزت دائرة المعارف الإسلامية هذا النقص في نسبة النساء إلى خطورة السفر وصعوبته في تلك الفترة (Lewis, B.P. 34)، ولا شك أن كل هذه هي تقديرات شخصية لا تعتمد على إحصائيات دقيقة. ولكن منذ سنة ١٢٨٦هـ (١٩٦٧/٦٦م) بدأت الحكومة السعودية طباعة المعلومات المتعلقة بالتركيب النوعي للحجاج. ويوضح شكل رقم (١) اتجاه نمو ونسب الذكور والإناث بين الحجاج غير السعوديين للفترة من ١٣٨٥هـ - (١٩٦٦/٦٥م) إلى ١٣٩٥هـ



المصدر: أ. كتاب، ومعهما في السنوات

## جدول (٨)

عدد الذكور والإناث في عينات  
من الدول الإسلامية، ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م).

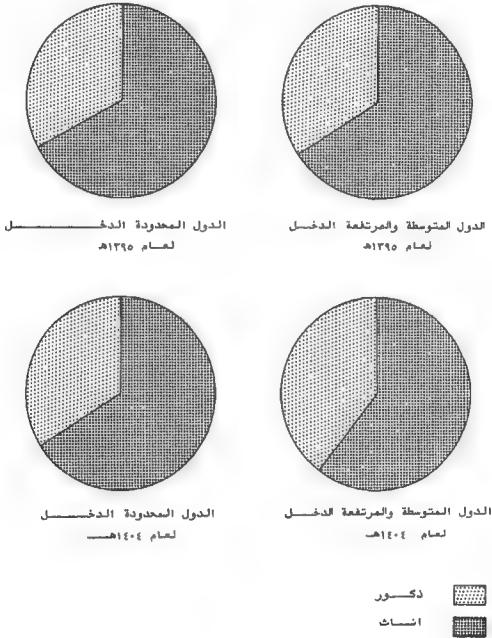
الدولة	ذكور	إناث	مجموع	نسبة النوع
الامارات العربية المتحدة	٢١٧٤	١٦٨٣	٣٨٥٧	١٢٩
أندونيسيا	٣٠٦٢١	٢٤٩٩٦	٥٥٦١٧	١٢٣
ايران	٤٩٩٣٠	٢٤١٦٥	٧٤٠٩٥	٢٠٦
باكستان	٣١٣٥١	١٣٦٧٦	٤٥٠٢٧	٢٢٩
تركيا	٩٨٥٩٨	٣٧٥١٧	١٣٦١١٥	٣٦٢
تشاد	٥٦٨	٣٩٣	٩٦٥	١٤٤
السنغال	٢٦٠٩	١٢٢٣	٣٨٣٢	٢١٣
السودان	١٤٤٧٦	٩٧٣٣	٢٤٢٠٩	١٤٨
سوريا	١٨١٩٤	١٣٠١٥	٣١٢٠٩	١٣٩
سيراليون	٢٦٧	١١٠	٣٧٧	٢٤٢
الصومال	١٨٣٨	١٢٧٤	٣١١٢	١٤٤
الكويت	٤٩٤٩	٣٨٥٩	٢٨٨٠٨	١٢٨
لبنان	٧٢٦	٤٨٢	١٢٠٨	١٥٠
مصر	٣٠٦٥٦	٢٠٥٧٤	٥١٢٣٠	١٤٩
نيجيريا	٦٠٢٥٦	٣٢٣٣٧	٩٢٥٩٣	١٨٦
الهند	١١١٥٧	٧٧٠٦	١٨٨٦٣	١٤٤
اليمن الشمالي	٩٣٠٥٨	٢٠٨٤١	١١٣٨٩٩	٤٤٦

جدول: وكالة وزارة الداخلية للجوازات والأحوال المدنية، ١٣٩٥هـ، إحصائية الحجاج، جدة.

شكل (٢)

نسب النوع للحجاج المسلمين مصنفة حسب مجموعات الدخل.

١٣٩٥ . ١٤٠٤ هـ



الدخل المنخفض منه بين الدول ذات الدخل المرتفع. وربما كان هذا الارتفاع في عدد الذكور هو السبب في زيادة تأثير هذه المجموعة الأخيرة على الدخل العام في المملكة مقارنة بتأثير دول المجموعة الأولى. ويؤكد هذا نسب النوع لكل الحجاج من الدول المتوسطة والمرتفعة والمحدودة الدخل في سنوات ١٣٩٥هـ، ١٤٠٤هـ (شكل ٢). ويمكن أن نستنتج من هذا صحة الفرضية الثالثة في هذا البحث وذلك من مقارنة نسب النوع مثلاً في كل من الكويت أو الإمارات العربية المتحدة بنسب النوع في اليمن أو باكستان والهند.

ويلاحظ أن هناك اتجاهاً للزيادة الطفيفة في نسب الحجاج من النساء بشكل عام. كما يلاحظ أيضاً إنسياب هذه النسب بانتظام بالنسبة لوسائل قدوم الحجاج فيما عدا حجاج البحر حيث يلاحظ زيادة قليلة في نسب النساء مقارنة بحجاج الجو والبر (جدول رقم

٨). وربما ترجع هذه الزيادة إلى استخدام هذه الوسيلة الرخيصة من قبل حجاج الدول الفقيرة نسبياً وذات الأعداد السكانية الكبيرة مما يشجع الكثير منهم على الحج مع عدم رفع التكاليف كثيراً عن المعدل العام.

وتوضح البيانات أيضاً قلة النساء بالنسبة لحجاج البر. وربما يرجع هذا النقص إلى طول المسافات التي تجعل السفر متعباً نوعاً ما خاصة في الفصول الحارة، رغم أن طرق المواصلات البرية قد تطورت كثيراً خاصة بين المملكة وجيرانها من الدول العربية فيما عدا اليمن التي تنخفض نسبة النساء بين حجاجها كثيراً مقارنة بالدول الأخرى المجاورة. فمثلاً في سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) كانت نسبة الإناث تشكل ٤٣,٨٪ من مجموع حجاج الكويت، بينما كانت نسبتهم بين حجاج اليمن الشمالي تعادل ١٨,٣٪ فقط. (مصلحة الإحصاءات العامة، ١٣٩٦هـ)\*.

## جدول (٩)

النسب المئوية للحجاج غير  
السعوديين تبعاً لوسيلة السفر  
والجنس، ١٣٨٥ - ١٣٩٥هـ (٦٥/١٩٦٦ - ١٩٩٥م).

وسيلة السفر								
السنة	الجو		البحر		البر		المجموع	
	الجنس							
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
١٣٨٥هـ	٦٨,٣	٣١,٧	٦٣,٧	٣٦,٣	٧٢,٤	٢٧,٦	٦٨,١	٣١,٩
١٣٨٦هـ	٦٦,٣	٣٣,٧	٦٢,١	٣٧,١	٦٩,٨	٣٠,٢	٦٥,٩	٣٤,١
١٣٨٧هـ	٦٤,٠	٣٦,٠	٦٠,٠	٤٠,٠	٧٧,٣	٢٢,٧	٦٧,٧	٣٢,٣
١٣٨٨هـ	٦٢,٠	٣٨,٠	٦٠,٢	٣٩,٨	٧٧,٣	٢٢,٧	٦٧,٧	٣٢,٣
١٣٨٩هـ	٦٣,٢	٣٦,٨	٦٠,١	٣٩,٩	٧٥,٠	٢٥,٠	٦٧,٥	٣٢,٥
١٣٩٠هـ	٦٤,٨	٣٥,٢	٦٢,٠	٣٨,٠	٦٨,١	٣١,٩	٦٥,٣	٣٤,٧
١٣٩١هـ	٦٢,٤	٣٧,٦	٦٠,١	٣٩,٩	٧٠,٥	٢٩,٥	٦٤,٤	٣٥,٦
١٣٩٢هـ	٦٢,٧	٣٧,٣	٥٨,٠	٤٢,٠	٦٩,٧	٣٠,٣	٦٢,٨	٣٧,٢
١٣٩٣هـ	٦٣,٠	٣٧,٠	٥٧,٩	٤٢,١	٦٩,٨	٣٠,٢	٦٢,٣	٣٦,٧
١٣٩٤هـ	٦١,١	٣٨,٩	٥٧,١	٤٢,٩	٦٧,٢	٣٢,٨	٦٢,٢	٣٧,٨
١٣٩٥هـ	٦٣,٣	٣٦,٧	٦٠,٩	٣٩,١	٧٤,١	٢٥,٩	٦٦,٥	٣٢,٥

جدول: مصلحة الإحصاءات العامة، ١٣٨٦ - ١٣٩٨هـ، الكتاب الإحصائي السنوي،  
وزارة المالية والاقتصاد الوطني، الرياض.



## الخاتمة:

عدد الحجاج القادمين للحج سواء من داخل المملكة أو خارجها. ويمكن ان يتم هذا عن طريق بث الوعي بين الناس بعدم تكرار الحج وإتاحة الفرصة لمن لم يؤد فريضة الحج مطلقاً. إن مثل هذا الإجراء لا يهدف إلى كبت حريات الناس وإنما هو في صالحهم لأداء فريضة الحج بما يتطلبه هذا الموقف العظيم من خشوع وروحانية لا تتم في الأجواء المزدهمة المكتظة بملايين البشر في مكان محدود المساحة.

كما ان تحديد عدد الحجاج وضبط عمليات البناء والتطوير في مناطق الحج يعنى ترشيد الصرف الحكومي في هذا المجال. ويمكن ترشيد الصرف الحكومي المتعلق بالحج أيضاً عن طريق ضبط البدلات السخية التي تصرف للعاملين في خدمة الحجاج من القطاعات الحكومية المختلفة ونشر الوعي بين الناس بأن ما يقومون به في هذا المجال هو جزء من عملهم وواجبهم باعتبارهم مواطنين يتشرفون بسكنى هذا البلد الذي يضم اقدس بقعة في العالم.

لم يظهر في هذه الدراسة وجود ارتباط محدد للفوائد الاقتصادية للمملكة بجنسية معينة أو نوع معين من الحجاج. فقد ثبت في هذه الدراسة دحض الفرضية الأولى والثانية التي تربط بين زيادة الدخل القومي من الحج في المملكة وزيادة عدد الحجاج من الدول ذات الدخل المرتفع. ولا شك ان ضعف هذا الارتباط يزيد العبء على حكومة المملكة العربية السعودية في الاهتمام بالعناية لتوفير المتطلبات المختلفة للحجاج من كل الجنسيات لأن كلا منهم مفيد ومهم بغض النظر عن الجنسية أو الجنس. وهذا الاهتمام لا يتأتى إلا بمعرفة وتحديد الاختلافات في تركيب الحجاج القومي والنوعي مما يعنى ضرورة العناية بمعلومات الجنسية والجنس ومحاولة تسجيل كل التفاصيل المتعلقة بها. وقد بنى الآن الكثير من الخدمات الأساسية التي تخدم الحجاج في مناطق الحج. وللاستفادة القصوى من هذه الخدمات دون الحاجة إلى المزيد منها ينبغي تحديد

## ● الهوامش ●

\* النسب المثوية من حساب الباحث.

المصادر:

Kean, J.F., 1887, Six Months in the Hejaz, Ward & Dawney London, p. 69.

Jour. Vol. 74

(3), pp. 271-273.

٣ - وكالة وزارة الداخلية للجوازات والأحوال المدنية، ١٤٠٤هـ، إحصائية الحجاج، جدة.

\* الذين يزيد دخلهم السنوي على ١٠٠٠ ريال سعودي لذوي الدخل المتوسط ويزيد على ١٠,٠٠٠ ريال لذوي الدخل المرتفع لمعظم سنوات الفترة.

\* لقد توقف صدور بيانات القيد تبعاً لوسيلة النقل مصنفة حسب الجنس بعد عام ١٣٩٥/١٩٧٥م ولا تدرى لذلك سبباً مع أن مثل هذه المعلومات مهمة جداً في التخطيط للمستقبل لأن معرفة اتجاه التركيب النوعي للحجاج القادمين بوسائل النقل المختلفة قد يسهل توفير الخدمات اللازمة لكل نوع عند نقاط البداية أو النهاية لكل وسيلة نقل.

(١) السيوطي، الموهر ١: ٢٩٠.

(٢) انظر د/ حسن عيون، اللغة والنحو ٤٢ - ٤٤.

(٣) من الآية ٧١ من سورة الإسراء.

(٤) من الآية ١ من سورة المؤمنون.

(٥) ابن جني، الخصائص ٢: ١٢.

(٦) انظر شيئاً من هذه الأمثلة في الثعالبي، فقه اللغة ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٧) انظر الثعالبي، فقه اللغة ٣٢٨.

(٨) انظر الشنقيطي، الدرر اللوامع ١: ١٤١.

(٩) انظر ابن فارس، الصاجي ٦ - ٩، ١٣ والسيوطي، المزهر ١: ٨ ومحمد

الطنطاوي، نشأة النحو ١٣.

(١٠) ابن جني، الخصائص ١: ٣٤.

(١١) انظر ابن منظور، لسان العرب ١٥: ٣٠٩، وابن النديم، الفهرست ٣٥٦،

٣٥٧.

- (١٢) الانباري، نزهة الألباء ٥.
- (١٣) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ١: ٢٢١.
- (١٤) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ١: ٢٢٢، ٢٢٣.
- (١٥) الرافعي، تاريخ آداب العرب ١: ١٠٢، ١٠٣.
- (١٦) انظر أحمد أمين، ضحى الإسلام ٢: ٢٩٣.
- (١٧) انظر د/ حسن عون، اللغة والنحو ٢٠٩ - ٢٥٠.
- (١٨) انظر أحمد أمين، ضحى الإسلام ٢: ٢٩٣.
- (١٩) جوتولد فايل، مقدمة الانصاف ٣ ترجمة د/ عبد الحليم النجار نقلاً عن د/ عبدالرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية ١٠٤.
- (٢٠) انظر دي يور، تاريخ الفلسفة في الإسلام ٤٠ - ٤١.
- (٢١) ابن جني، الخصائص ١: ٣٤.
- (٢٢) عبدالقاهر، دلائل الإعجاز ٦٤ - ٦٥.
- (٢٣) السيوطي، الاقتراح ٦.
- (٢٤) الأشموني، منهج السالك إلى الفية ابن مالك ١٥.
- (٢٥) الخضري، حاشيته على ابن عقيل ١٠.
- (٢٦) ابن خلدون، المقدمة ٥١٥.
- (٢٧) انظر الجاحظ، البيان والتبيين ٢: ٢١٩.
- (٢٨) انظر الانباري، نزهة الألباء ١٠.
- (٢٩) انظر ابن فارس، الصحاح ٦ - ٩، ١٣، ومحمد الطنطاوي، نشأة النحو ١٣.
- (٣٠) الانباري، نزهة الألباء ١١.
- (٣١) الانباري، نزهة الألباء ٨.
- (٣٢) انظر الانباري، نزهة الألباء ١١.
- (٣٣) ابن النديم، الفهرست ٦١.
- (٣٤) أحمد أمين، ضحى الإسلام ٢: ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠.
- (٣٥) انظر دائرة المعارف الإسلامية ١: ٤٢٢.
- (٣٦) انظر إبراهيم مصطفى، بحثه عن أول من وضع النحو، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة مؤراد سابقاً، ديسمبر سنة ١٩٤٨م، مجلد ١٠، جزء ٢، ص ١ - ٦ نقلاً عن د/ عبدالرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية ٥٣ - ٥٤.
- (٣٧) محمد الطنطاوي، نشأة النحو ٢٢، ٢٣.
- (٣٨) انظر د/ عبدالرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية ٥٤ - ٦٠.
- (٣٩) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء ١٢.
- (٤٠) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ٢: ٧٢٩.
- (٤١) ابن النديم، الفهرست ٥٩.

- (٤٢) القفطي، إنباء الرواة ١: ٤.
- (٤٣) القفطي، إنباء الرواة ١: ٥.
- (٤٤) القفطي، إنباء الرواة ١: ٦.
- (٤٥) انظر الراقي، تاريخ أديب العرب ١: ٢٨٨.
- (٤٦) انظر طه الراوي، نظرات في اللغة والنحو ٧.
- (٤٧) د/ شوقي ضيف، المدارس النحوية ٥.
- (٤٨) يعدّ هذا المصحف أقدم مصحف مخطوط في العالم وهو موجود بحالته أولى في دار الكتب المصرية «انظر د/ حسن عون، اللغة والنحو ٢٣٦.
- (٤٩) انظر د/ حسن عون، اللغة والنحو ٢٣٦ ويصف جرجي زيدان هذا المصحف بأنّه مكتوب بمداد أسود فيه نقط حمراء اللون، فالنقطة فوق الحرف فتحة وتحت كسرة وبين يديه ضمة كما وصفها أبو الأسود لما أراد التثنية وأتوه بكاتب فقال له: إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فأنقطة نقطة فوق وإن ضمنت فبين يديه وإن كسرة فمن تحت «انظر جرجي زيدان، تاريخ أديب اللغة العربية ١: ٢٢٢.
- (٥٠) انظر الراقي، تاريخ أديب العرب ١: ٢٨٧.
- (٥١) من آية ٣ من سورة التوبة.
- (٥٢) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء ١: ١٢.
- (٥٣) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين ١١، ١٢.
- (٥٤) الأنباري، نزهة الألباء ٤ - ٥.
- (٥٥) أبو العلي اللغوي، مراتب النحويين ٩٨ - ١٠١.
- (٥٦) انظر: القفطي، إنباء الرواة ١: ١٧.
- (٥٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢: ٣١٣.
- (٥٨) من آية ٢٤ من سورة التوبة.
- (٥٩) انظر السيرافي، خيار النحويين البصريين ٢٣.
- (٦٠) انظر الأنباري، نزهة الباء ١٨.
- (٦١) انظر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين ٣٢، والأنباري، نزهة الألباء ١٩، ٢٠.
- (٦٢) انظر أحمد أمين، ضحى الإسلام ٢: ٢٩٠، ٢٩١.
- (٦٣) انظر مثلاً هذا باب استكره النحويون وهو قبيح فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب «سبويه، الكتاب ١: ١٦٧.
- (٦٤) المبرد، المقتضب ٤: ٨، وأنظر في ذلك سبويه، الكتاب ٢: ٩٥.
- (٦٥) المبرد، المقتضب ٤: ٨٠.
- (٦٦) انظر المبرد، المقتضب ١: ١٠٩ - ١١٠.
- (٦٧) انظر المبرد، المقتضب ٢: ٢٩٧، وأنظر سبويه، الكتاب ١: ٤٠١.
- (٦٨) المبرد، المقتضب ٣: ١٣٢.

- (٦٩) الطُّفْلَةُ: الجارية الناعمة «انظر الفيروزا بادي، القاموس المحيط ٤: ٧».
- (٧٠) انظر الانباري، نزهة الألباء ١٢٨.
- (٧١) أو عمرو الكلبي «انظر يا قوت، معجم الأدياء ١٢: ١٠٣ - ١٠٤».
- (٧٢) أو خُرُشُوا، أي قالوا كذباً «انظر ياقوت، معجم الأدياء ١٢: ١٠٤».
- (٧٣) كبلاد فارس.
- (٧٤) كبلاد الروم ونحوها. أي لست أعجمياً.
- (٧٥) انظر ابن جني، الخصائص ١: ٢٢٩ - ٢٤٠.
- (٧٦) انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢: ٣٠٨.
- (٧٧) انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢: ٣٠٨ - ٣٠٩.
- (٧٨) انظر الرُّبَيْدِي، طبقات النحويين واللغويين ١٣.
- (٧٩) انظر ياقوت، معجم الأدياء ١٣: ١٩٣.
- (٨٠) انظر السيوطي، بغية الوعاة ١: ٥٥٨.
- (٨١) انظر ياقوت، معجم الأدياء ٧: ١١٦.
- (٨٢) انظر ياقوت، معجم الأدياء ٧: ١١٦.
- (٨٣) ابن خلدون، المقدمة ٥١٤.
- (٨٤) انظر السيوطي، بغية الوعاة ١: ٣٩٧.
- (٨٥) انظر القفطي، إنباء الرواة ١: ١٤٤.
- (٨٦) انظر القفطي، إنباء الرواة ٢: ٢٥٩.
- (٨٧) انظر ياقوت، معجم الأدياء ٧: ١١١ - ١١٢.

## المراجع

الحجاج، جدة.

أولاً: المراجع العربية:

٢ - مصلحة الإحصاءات العامة،

١٣٨٥هـ - ١٤٠٠هـ، الكتاب

الإحصائي السنوي، وزارة المالية  
والاقتصاد الوطني، الرياض.

٤ - مكي، محمد شوقي بن إبراهيم،

١٤٠٥هـ، سكان المدينة المنورة،

دار العلوم، الرياض.

١ - باقادر، أبو بكر أحمد، ١٤٠٢هـ،

«الأقليات المسلمة وحقوق

الإنسان، مجلة كلية الآداب،

جامعة الملك عبد العزيز، مجلد ٢،

ص ١٣ - ٣١.

٢ - المديرية العامة للجوازات،

١٤٠٣ - ١٤٠٤هـ، إحصائية

- ٥ - وزارة الحج والأوقاف، ١٣٩٩هـ،  
وزارة الحج والأوقاف - تاريخ  
وتطور: شئون الحج، ج١، دار  
عكاظ، جدة.
- ٦ - وكالة وزارة الداخلية للجوازات  
والأحوال المدنية، ١٣٩٥هـ،  
إحصائية الحجاج، جدة.
- ○ ○

ثانياً: المراجع غير العربية:

1. Ali Bey, 1816, *Travels in Morrocco, Tripoli, Cyprus, Egypt, Arabia, Syria and Turkey, 1803-1807*, Garey, Philadelphia, Vol. 2.
2. Admiralty, 1946, *Western Arabia and the Red Sea*, Geographical Handbook Series, Naval Intelligence Office, London.
3. Armstrong, H.C., 1934, *Lord of Arabia: Ibn Saud*, London.
4. Chisti, S.K., 1979, "Muslim Population of Mainland China: An Estimate", *Jour. of Institute of Muslim Minority Affairs*, Vol. (2), PP. 75-85.
5. Constantine, J., 1955, *Hands Across the Curtain*, New Republic, No. 9, p. 7.
6. Crary, D.D., 1951, "Recent Agricultural Developments in Saudi Arabia", *Geogr. Rev.*, Vol. 41 (3), pp. 366-383.
- Ghafur, A.S., 1953, "From America to Mecca on Airborne Pilgrimage", *Nat. Geogr. Mag.*, Vol. 104 (1), pp. 1-60.
8. King, R., 1972, "The Pilgrimage to Mecca: Some Geog-

- 
- raphical and Historical Aspects", **Erdkunde**, Vol. 26 (1), pp. 61-73.
9. Lewis, B., et al, (eds.), 1965, **The Encyclopaedia of Islam**, Vol. 3, Fas. 41-42, Leiden,
10. Linbeck, J.M., 1950, "Communism, Islam and Nationalism in China", **Review of Politics**, No. 10, pp. 473-488.
11. Ma Chien, 1953, "How Muslims live in China", **China Reconstructions**, 2 (March-April), pp. 13-15.
12. Mecci, M.S., 1979, **An Analysis of the Effects of Modern Pilgrimage on the Urban Geography of Medina**, Ph. D. Thesis, Dept. of Geography, Durham.
13. Prothero, R., 1965, **Migrant and Malaria**, Longmans, London.
14. Rutter, E., 1929, "The Muslim Pilgrimage", **Geogr. Jour.**, Vol. 74 (3), PP. 271-273.
15. Rutter, O., 1937, **Triumphant Pilgrimage**, Lippincott, London.
16. Shair, I.M., & Karan, P.P. 1979, "Geography of the Islamic Pilgrimage", **GeoJournal**, Vol. 3 (6), pp.599-608.
17. Spector, I., 1959, **The soviet union and the Muslim World, 1917-1958**, University of Washington press, seattle.
18. Walpole, N.C. et ál, 1971, **Area Handbook for Saudi Arabia**, The American University, Washington D.C.
19. The World Bank, 1979-1984, **World Development Report**, Oxford University, Press, Oxford.



## لمحة تاريخية

# بطولة وفداء في مَيَّافَارِقِينَ

### مقدمه

نظرة تاريخية خاطفة على أوضاع  
المنطقة المجاورة عشية أخذ المغول  
مَيَّافَارِقِينَ ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م .

٦٥٦ - ٦٥٨ هـ

١٢٥٨ - ١٢٦٠ م

### د. سعد بن محمد حذيفة الغامدي

على النهاية حتى اضحت امبراطورية  
المغول جارة لمن تبقى من الدويلات  
الإسلامية في الغرب، كالخلافة  
العباسية في بغداد، واتا بكيات  
الموصل وأربل، والإمارات الأيوبية في  
شمال الجزيرة وأرمينيا، والسلاجقة  
في آسيا الصغرى وارزن الروم؛ تلك  
الدويلات التي كانت الحروب الأهلية  
فيها بينها، شغل حكامها الشاغل، على

جاء المغول من قلب  
منغوليا إلى العالم  
الإسلامي في أواخر العقد الثاني من  
القرن السابع الهجري.



الثالث عشر ميلادي؛ وذلك عندما قاد  
جنكيز خان سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م  
جحافلهم ضد الاقطار الإسلامية  
الشرقية<sup>(١)</sup>. وما إن شارف هذا العقد



بالجبن والخور، من قبل سلطان الإسلام محمد خوارزمشاه (٥٩٦ هـ - ٦١٧ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٩ م) عندما هرب أمام المغول، رغم أنه لم يقابل جنكيز خان قط في مصادمة، هذا التصرف المخزى والمشين من قبل من كان يعتبر من أقوى السلاطين الذين عرفهم التاريخ الإسلامي، لا من حيث إعداد جيوشه، ولا من حيث إمكانياته المادية واتساع رقعة أراضيه، هذا الفعل المنكر، أسبابه ونتائجه تطرقنا إليه بنوع من الإسهاب في كتابنا الأنف الذكر<sup>(٥)</sup>.

عندما رجع جنكيز خان إلى بلده، بعد أن خلف وراءه الأراضي الإسلامية، وخاصة خراسان وإقليم ماوراء النهر، وهي شبه أكوام من الدمار جاء جلال الدين بن خوارزمشاه (٦٢١ هـ - ٦٢٨ هـ / ١٢٢٤ م) إلى الغرب من ممتلكات والده، وحاول أن يقيم له دولة على أنقاض ما خلفه المغول، إلا أنه لم يوفق في جهوده تلك، لأسباب كثيرة، لعل من أهمها وأبرزها دخوله مع الأمراء والحكام المسلمين المجاورين له، في تحزبات سياسية، وتكتلات عسكرية، وأحلاف معينة، مع البعض ضد البعض الآخر؛ الأمر الذي نتج عنه صراعات دامية، وحروب فتاكة بين أولئك الحكام

الرغم من شعورهم بقرب نهايتهم، واحداً بعد الآخر، على أيدي هذا الجار الجديد، فما إن رجع جنكيز خان، في خريف عام ٦١٩ هـ / ٢٢٢ م من المنطقة الإسلامية إلى وطنه منغوليا، بعد حملته البركانية التي دمرت كل شيء تقريباً، حتى أصبحت الأراضي الإسلامية الممتدة من همدان وإقليم فارس، وكرمان، وأذربيجان في الغرب حتى نهر سيحون في الشرق، ومن قمم جبال القوقاس وشمال بحر قزوين شمالاً إلى نهر السند جنوباً، كلها أمست جزءاً من أراضي الخان المغولي في «قراقوروم»<sup>(٦)</sup> وقد سبق لنا في بحث حول هذا الموضوع أن ناقشناه بنوع من التفصيل<sup>(٣)</sup>.

أما فيما يتعلق بأسباب الغزو المغولي للعالم الإسلامي، وما ذهب إليه المؤرخون المعاصرون لتلك الأحداث، والمحدثون من مؤرخي عصرنا الحاضر، حول هذه المسألة بالذات، فقد تناولت ذلك، وأبدت رأيي الشخصي، مستنداً على وثائق ومجريات الأحداث التاريخية، في كتاب لنا منشور الآن<sup>(٤)</sup> أما ما يتعلق بالموقف المدهش، بل المذهل، والغير متوقع، الذي اتسم

الأراضي فيها حتى حدود مصر الغربية<sup>(٦)</sup> وقد سارت هذه الحملة، دون أن تلقى صعوبة في انجاز مهامها، سواء في المرحلة الأولى (ضد قلاع الإسماعيليين في إيران) أو الثانية (ضد الخليفة في بغداد) أما في آخر مرحلة لها، وهي الثالثة، فقد تعثرت منذ بدايتها، وذلك لظروف داخلية، بصفة أساسية، تتعلق بوفاة الخان المغولي في الشرق<sup>(٧)</sup>. هذا من جهة، ومن ناحية أخرى فقد ظهرت علامات المقاومة لتلك الحملة منذ البداية، بل وقبل الاستعداد والسير لتنفيذها؛ عندما أعلن حاكم مسلم واحد في الغرب عداؤه وتصديه للمغول، وقرر صادقاً على أن يقف في وجه هولاء، ويتحدى قواته الضاربة، التي جاءت من الشرق، وكأنها إعصار من نار تحرق كل شيء ذلك الحاكم هو محمد الكامل، ملك «ميافارقين». ولقد استطاع هذا الرجل أن يقف، ومعه أهل مدينته من خلفه، في وجه جحافل المغول وأتباعهم من المسلمين وغيرهم، قرابة سنتين، وهو يقاتلهم حتى الرمي الأخير، فقتل نحب شهيداً، فخلد التاريخ ذكره، كواحد من شهداء المسلمين. وهنا أقول: «انه إن كانت هناك وقفة شجاعة من قبل حكومة المماليك في

المسلمين في المنطقة لم تنته فيما بينهم إلا بعد أن جاء المغول، فأنهوا حكم الجميع، وقوضوا عروشهم العاجية، وصفّوهم بشكل نهائي؛ فأدخلوا أراضيهم ضمن الممتلكات المغولية، على أيدي قائدين من كبار قوادهم<sup>(٨)</sup> وقد سبق لنا دراسة ذلك في كتابنا السابق أيضاً<sup>(٩)</sup>

ولكن إعصار المغول المدمر الثاني جاء في أوائل العقد الأول من النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، عندما قاد جحافلهم الجرارة حفيد جنكيز خان، هولاكوبن تولي بن جنكيز خان، وذلك في حملتهم المشهورة ضد الأقطار العربية، فاستنزل الإسماعيليين من قمم جبالهم في إيران؛ وتقدم غرباً وقضى على اللور والأكراد في حصونهم العالية على جبال زاجروس؛ ثم سار إلى بغداد، فقوض عرش الخلافة العباسية، وقضى على آخر خلفاء بني العباس<sup>(٨)</sup> ثم بعد ذلك شرع في إنهاء المرحلة الأخيرة من حملته، وهي الاستيلاء على بلاد الشام ومصر.

جاء هولاكو إلى المنطقة لينفذ أوامر الخان الصادرة اليه، بعد اجتماع عام في عاصمة المغول؛ تلك الأوامر التي تنص على أن يتوجه إلى الغرب، ويفتح

مرحلة في حملة المغول الغربية، بعد راحة دامت أكثر من سنة ونصف؛ فاجتاحت قواته شمال الجزيرة؛ إلا أنها تعثرت في «ميافارقين» وتكبّدت خسائر كبيرة قبل أخذ المدينة. «ولولا الجوع لم يتمكن المغول من أخذها»<sup>(١٢)</sup>.

### «حصار وسقوط «مَيَاْفَارِقِينَ» على أيدي المغول وأتباعهم

جاء في الروايات التاريخية والمعاجم الجغرافية التي تسنّى لنا الرجوع إليها، أن مدينة «مَيَاْفَارِقِينَ» كانت إحدى المدن التاريخية القديمة الواقعة في شمال العراق؛ حتى أن تاريخها ليبدأ من قبل ميلاد المسيح عيسى بن مريم « عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات والتسليم »، وهي مدينة كانت محاطة بجائط رفيع البناء، وهو مبني من الصخور، وبها قلعتان حصينتان يقول عنها في هذه الفترة المؤرخ المعاصر لها ابن الأثير بأنها: «قلعة حصينة منيعة من حصون الروم القديمة»<sup>(١٣)</sup>. ويقول عنها صاحب مصنف «نزهة القلوب» بأنها من ديار ربعية، وتقع في الإقليم الرابع ....، وأنها مدينة كبيرة، ذات مناخ جيد، وبها فواكة كثيرة»<sup>(١٤)</sup>. أما

مصر، وما تلا ذلك من بطولات في «عين جالوت» فاعقبها ذلك الانتصار الذي تردده الأجيال منذئذٍ، فقد وضع محمد الكامل من «ميافارقين» حجر الأساس لذلك الانتصار الكبير في عين جالوت. لأن موقفه المتحدي لقوات هولاكو، رغم صغر حجم مدينته، والقلّة المتناهية لإمكاناته القتالية، من الرجال والعتاد، إذا ما قورنت بما لدى خصومه، جعل الممالك في مصر يقدمون على اتخاذ عين الموقف، وهو النزال للخصوم، والوقوف أمام هولاكو لرد عاديته؛ وشجعهم على نبذ الاسطورة التي تقول بأن المغول قوم لا يمكن الوقوف أمامهم أو ينال نصر عليهم<sup>(١٥)</sup>.

بعد أن اجتاحت قوات هولاكو بغداد، وقُتل خليفَتُها المستعصم، أضحت ممتلكات الدولة العباسية جزءاً من أملاك الخان في قلب منغوليا؛ وأمست امبراطوريته يحدها من الجنوب الغربي نهر الفرات. ولم يبق على هولاكو إلا الشام ( وقد نجح نجاحاً منقطع النظير في احتلال أراضيه ) ومصر؛ ولولا وفاة أخيه منكو، لكانت الكارثة حقاً «ولكن الله سَلَّمَ». وقد سار هولاكو من إقليم أذربيجان متجهاً لتنفيذ آخر

صاحب كتاب «حدود العالم» فيذكر أنها مدينة تقع على الحدود بين أرمينيا والجزيرة والروم<sup>(١٥)</sup>. أما اسمها في الأوساط الغير اسلامية، فقد ورد عن الكتب السريانية واليونانية، بأن مدينة «مَيَّافَارَقِينَ» تسمى باللغة الأرمنية «نيفوكارد Nephugard» أما في اللغة السريانية فتسمى «ميفركت Maifarkat»<sup>(١٦)</sup>. كما تعرف في الأوساط الغربية المسيحية بـ «مارتير بوليس Martyrpolis» أي مدينة الشهداء<sup>(١٧)</sup>.

كان يحكم هذه المدينة وتوابعها الملك الأيوبي محمد الكامل بن شهاب الدين غازي بن الملك العادل<sup>(١٨)</sup> وعلى الرغم من أنه كان قد أعلن نوعاً من الولاء للمغول، في بادئ أمرهم، إلا أنه عندما حُزب الأمر، وجاعوا ليقضوا على الخلافة العباسية، نبذ الولاء لهم، وجيش كتيبة عسكرية أرسلها نجدة للخلافة في بغداد؛ ولكن المغول وأتباعهم كانوا أسرع في إنهاء مسألة احتلال بغداد؛ فرجعت كتيبته من مكان يعرف بـ «بشيرية»<sup>(١٩)</sup>. ثم بعد ذلك قَتَلَ شحاتي المغول الذين عنده، واستعد المنازلة المغول، وإلى على نفسه ألا يأخذ المغولُ مدينته بتلك السهولة التي أخذوا

بها بغداد. على الرغم من أن مصادر مادتنا التاريخية في هذا الموضوع قد أخفقت في ذكر التاريخ الذي بدأت القوات المغولية قتلها وحصارها لأهل «مَيَّافَارَقِينَ»، إلا أن جميع القرائن والأحداث التاريخية تدل على أن ذلك ربما كان في أشهر النصف الثاني من عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م؛ فقد كان على رأس هذه القوات أحد قادة هولاكو، ويدعى «إيلكا نويان». الذي يبدو لنا أن قوات هذا القائد كانت طلائعية لقوات لحقت بها فيما بعد، وعلى قيادتها ابن هولاكو نفسه

لم تستطع هذه الكتيبة المغولية أن تنال من أهل المدينة، أو أن تحرز أي تقدم في عملياتها العسكرية؛ بل على العكس من ذلك فقد سيطر أهل المدينة على الموقف، إذا ما صدقنا رواية، في هذا الشأن أوردها لنا المؤرخ الشامي المعاصر لتلك الأحداث، أبو شامة، حيث يقول: «...، وفتك فيهم صاحب ميافارقين الكامل بن شهاب الدين غازي بن العادل أيده الله بنصره لما حاصرها...»<sup>(٢٠)</sup> وقد استمرت هذا الكتيبة المغولية في حصارها لمحمد الكامل، الذي كانت كفته هي الراجحة

عليهم، حتى جاءت قوة إضافية من المغول وأتباعهم من المسلمين، كبدرو الدين لؤلؤ<sup>(٢١)</sup>.

كما تبع ذلك نقصان في المواد التموينية لدى أهل المدينة، وأخذت الأمراض تنتشر بينهم، حتى الأشهر الأخيرة من عام ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م. وهنا نجد هولاكو يفرّد كتائب عسكرية أخرى، تعزيزية، ويرسلها لتلحق بقوات «إيلكا نويان» وهو في طريقه على رأس قواته الباقية التي سار بها إلى الشام<sup>(٢٢)</sup>.

جاءت تلك القوات المغولية الجديدة يقودها «يَشْمُوتُ بن هولاكو» وقائد آخر، من كبار قادتهم هو «سُونْتَايِ نُويَان». لما قرب «يَشْمُوت» وزميله من «ميفارقين» سلك نفس الطريق الذي يلجّه المغول، بوسائلهم وأساليبهم الملتوية، لا استنزال خصومهم من معاقلتهم المنيعه؛ فقد أرسل رسالاً إلى محمد الكامل يدعونه إلى السمع والطاعة والاستسلام لهم، ووعده الأمن والسلام. وهنا يورد لنا رشيد الدين نص إجابة هذا الأمير الأيوبي فيقول : « ينبغي على الأمير ألا يضرب في حديد بارد، والأ يتوقع شيئاً مستحيلاً، لأنه لا

يوثق بوعدهم، فإنني لن أنخدع بكلامكم الرقيق، ولن أهاب جيش المغول، وسأقاتل بالسيف مادامت لي نفس حية، فإنه لا يوثق بأبن رجل غادر بوعده وميثاقه مع خورشاه<sup>(٢٣)</sup> والخليفة<sup>(٢٤)</sup> وحسام الدين بن عكا<sup>(٢٥)</sup> وتاج الدين (والي) أربيل<sup>(٢٦)</sup> خاصة وأن الملك ناصر الدين قد جاءكم بأمانكم فلقي في نهاية الأمر ما لقي<sup>(٢٧)</sup>، «وإذا انخدعت بكلامكم» فإنني سوف ألقى مالمقه<sup>(٢٨)</sup>.

هكذا، أوضح محمد الكامل موقفه من المغول فإنهم أرادوا أخذ بلدته فلن يأخذونها بسهولة ويسر، بوعود وأهية كاذبة خادعة، كما أخذت قلعة خورشاه، وقلع حسام الدين في عكا، ومدينة بغداد؛ بل عليهم أن يقاتلوه لأخذها، فيكون منهم ضحايا. فأخذ يتأهب لهم؛ وهنا يقول ابن العبري : « ... ، وبينما هو كذلك أدركته عساكر المغول وأحاطت بمدينته وفي رأس العسكر يشموت بن هولاكو. وفي يوم وليلة بنى المغول حول مدينته سوراً وحفروا خندقاً عميقاً ثم نصبوا عليها المنجنقات، وأبدأوا بالقتال، وقاتلوا قتالاً شديداً من الجانبين»<sup>(٢٩)</sup>.

تلك هزيمة هولاء لا تهمنا انفسنا  
واتهمناه بالمكابرة. فقد كان خير من  
عرف المغول، وخبر قوتهم وكيف حطموا  
عروش ملوك قبله وقوضوا ممالك ودولا،  
بسل امبراطوريات، قبل أن يصلوا إلى  
مدينته الصغيرة، إذن كان يقاتلهم، هو  
ومن معه قتال من يسعى وراء الشهادة  
فقط؛ فقد كان يقول : « سأضرب  
بالسيف مادام في رمق ينبض  
بالحياة »<sup>(٤١)</sup>.

ثانياً : الوقفة الفذة التي وقفها إلى  
جانبه مواطنوه؛ فلم يكن ذلك الموقف  
ليدعو إلى الدهشة، فالقتال حمية للدين،  
ودفاعاً عن الأهل والنفس والوطن  
من أهم أسباب وقوفهم خلف أميرهم  
كيف لا ! وهو خير من يقف امرؤ خلفه  
فلم يخل عليهم بماله، ولا بغذائه، أو  
بلباسه، أو بما تحويه مخازن مدينته!  
وقد أعلنها قائلاً : «إنني لن أبخل عليكم  
بما أملكه في المخازن من الذهب والفضة  
والغلال، فسوف أبذلها جميعاً في  
وجوهها وأثر بها المحتاجين. فإنني  
بحمد الله لست كالمستعصم عبداً  
للدهرم والدينار، حيث أطاح برأسه،  
وفقد مُلك بغداد بسبب بخله  
وأمساكه»<sup>(٣٣)</sup>. وهنا أرى من الأنسب

استطاع هذا الأمير الأيوبي أن يقف  
في وجه المغول لمدة تزيد على سنة  
ونصف؛ كبدهم خسائر كبيرة، كان على  
رأس القتل قائد كبير برتبة «نويان»<sup>(٣٠)</sup>  
ولعلنا نتساءل عن سبب صمود أهل  
المدينة الطويل ذلك، وما الحقه من  
خسائر في صفوف القوات الغازية ؟  
ربما نجد الإجابة على هذا السؤال في  
بعض النقاط، لعل من أهمها :-

أولاً : صدق أمير المدينة في حربه ضد  
غزاة الأهل والوطن؛ وحبه أن ينال  
الشهادة، والشهادة فقط، لأنه لم يكن  
يأمل - على ما ظن - أن يحرز نصراً على  
المغول بمفرده؛ لأن هذا الأمل يعني قلب  
النظريات العسكرية في بديهيات الأمور.  
فلا أعتقد بأن أحداً يظن بأن جمهورية  
منغوليا الحالية في مقدورها أن تحرز  
النصر العسكري على جمهوريات روسيا  
السوفيتية، في حالة قيام حرب معها، في  
هذا التاريخ من القرن الخامس  
عشر هـ / أواخر العشرين م. فلم يكن  
في استطاعة ذلك الأمير الأيوبي وحده  
أن يهزم امبراطورية المغول الواسعة  
الارحاء، وبما كان تحت يدها من  
إمكانات، وعدة الحرب وعتاده، ولو قلنا  
إنه كان يهدف من وراء وقفته الشجاعة

المدافعين لم يستسلموا إلا عندما نفذ هذان العنصران من المدينة: فقد كانت المدينة يدافع أهلها عنها بمنجنيق واحد تقريباً، أقيم وأحكم بناؤه. فكان يهلك بحجارتها أناساً كثيرين، مما أعجز العدو قهر المدينة؛ فوقفوا حيارى لا يدرون ماذا يفعلون.

أخذ العدو يفكر فيما يفعل أمام هذه المشكلة، فهداهم تفكيرهم إلى رجل مسلم من أتباعهم: كان ذلك هو الملك بدر الدين لؤلؤ، حاكم الموصل. كان لهذا التابع المسلم مواقف تدل على الإخلاص لآسياده المغول<sup>(٣٦)</sup> لم يتورع هذا الشيخ المسن، وقد بلغ ستاً وتسعين سنة من العمر، عن المساهمة مع المغول في المذابح التي ارتكبوها ضد إخوانه المسلمين حتى وإن كانت مشاركة ضد محمد الكامل، الذي قال عنه المؤرخون بأنه قد اشتهر بالصلاح والتقوى والزهد والتعبد والعيش من كسب يده. أرسل بدر الدين رجلاً ماهراً كان لديه، في عمل المنجنيقات وبشكل متقن. أقام ذلك الرجل الماهر منجنيقاً على مرتفع عالٍ، في مقابل منجنيق أهل المدينة؛ وبناءً بإتقان ودقة متناهية، فكان من دقته أنه إذا أطلق أهل المدينة

إيراد أمثلة، أوردتها مصادرنا التاريخية نستدل بها على موقف أهل المدينة الذي اتسم بالبطولة النادرة، والشجاعة الفذة، وعلى قمة المدافعين بطلان عظيمانيهما: عنبر الحبشي ورفيقه في الكفاح والمصير سيف الدين لوكبلي<sup>(٣٧)</sup>. استبسل الرجلان وجاهدا في الله حق الجهاد؛ حيث تقول مصادرنا إن هذين البطلين كانا يخرجان من المدينة فيجالدان المغول، فيفتكان بهم، وفي كل مرة تبلغ ضحاياهما ما يقارب عشرة من فرسان الأعداء، ففي اليوم الرابع في الحصاد، كانت ضحيتهما قائداً كبيراً هو «ناوري الكرجي» عندما خرج ليأخذ بثأر زملائه ممن سبقه إلى حتفه، فالحقاه بهم<sup>(٣٨)</sup> وما إن يرجعا إلى المدينة حتى يستأنفا قتال الأعداء، مع إخوانهم سكان المدينة من خلال أبراجها.

ثالثاً: حصانة المدينة ومناعتها؛ فقد كانت «ميافارقين» تتمتع بموقع حصين، وتحصينات عالية، الأمر الذي جعل أمر الدفاع عنها شياً ميسوراً بحيث يستطيع المدافعون عنها أن يقاموا العدو مهما طال بهم الزمن، متى توفر عندهم الغذاء والماء. وسنجد أن

الباقية لدى المغول، لإخضاع أهل «ميفارقين»<sup>(٤١)</sup>.

يبدولنا أن يشموت بن هولاكولم يعد القائد المباشر لحصار هذه المدينة، فقد ذكرت مصادرنا بأن «أرفتو نويان» أُرسِلَ لمساعدة القائد الأول الذي قاد طلائع قواتهم، «إيلكا نويان» ولعل الأمير المغولي وجد من المستحيل اجتياح المدينة بالقوة، فترك «إيلكا» محاصراً لها، وذهب هنا أو هناك، ولكنه غير بعيد، فاستُدعى عندما استسلمت المدينة.<sup>(٤٢)</sup>

#### استسلام «ميفارقين»

بعد حصار دام لأكثر من سنة ونصف، نفذت المؤن والذخائر، وأعلاف الدواب من المدينة؛ وأصبح الناس فيها يقتاتون على كل ما يقع تحت أيديهم، ومن أي شيء كان. دبت المجاعة إلى المدينة، من جراء الحصار الطويل؛ فأكثروا الميتة، والدم، والقطط، والكلاب، والفئران؛ بل لقد أجبرهم الجوع المرعب والمجاعة المهلكة إلى أن يقتاتوا على لحوم الأدميين. أصبحت الأم تاكل ابنها، والأب ياكل ولده، وبالعكس، الإبناء

قذيفة منجنيقهم أطلقت قذيفة منه فتصطدم القذيفتان في الهواء، فأذهل الناس من مهارة القائمين على هذين المنجنيقين. وفي النهاية استطاع سكان المدينة أن يسكتوا سلاح عدوهم، فقد التهمته النيران، وربما بقذيفة من النفط الملتهب، وقعت عليه فأحرقته، أو أن أهل المدينة قاموا بهجوم ليلي، فأحرقوه فأسقط في أيدي الأعداء<sup>(٣٧)</sup>.

كان هولاكولم قد عاد من الشام، بعد اجتياحه لأراضيها في طريقه إلى الشرق، بعد أن وصلت أنباء وفاة أخيه<sup>(٣٨)</sup>. ويبدولنا أن هذا الأمير المغولي قد أُبلغ بأن ابنه لم يفلح في مهمته العسكرية ضد «ميفارقين»؛ فأرسل جيشاً تعزيراً يقوده «أرفتو نويان»<sup>(٣٩)</sup> وكانت أوامره إليه بأن يمتنع عن قتال أهل المدينة، لئلا يعرض جنده لخطر الموت، كما فعل بمن سبق، إذ رأى هولاكوبأنه من المستحيل أن تؤخذ المدينة عنوة، وهذا بعكس ما أورده مصنف كتاب «الحوادث الجامعة»<sup>(٤٠)</sup> فكانت الأوامر تقضي بأن يحاصروا أهل المدينة من جميع جهاتها، وليمنعوا دخول أي شيء إليها أو منها، حتى يموت أهلها وتتفق دوابهم، بعد أن تنفذ التموينات؛ بهذه الوسيلة الوحيدة



## يأكلون الآباء والأمهات<sup>(٤٣)</sup>

ونتيجة حتمية لذلك، استشرى المرض بين الناس، فذب الموت إلى مدينة الكامل محمد، بعد أن خيمت الأوبئة على سمائهم، فلم يكن لساكني «ميفارقين» نجاة من المحتوم؛ فماتوا فوجاً بعد فوج، في الطرقات، في الحوانيت، في البيوتات وفي كل مكان، «...، لأنهم هلكوا جوعاً وماتوا. ولولا ذلك لم يتمكن المغول من أخذها..»<sup>(٤٤)</sup>.

أما ما يتعلق بهذين الفارسين، فقد قتلا جواديهما، بعد أن نفذت الأعلاف، فاقتاتا مع أصحابهما على لحم الجوادين. وقد قررا الخروج لقتال العدو حتى يستشهدا، إلا أن الكامل محمد منعهما من ذلك. وهنا أرسل بعض من الأفراد الباقين، بشكل سري كما يبدو لنا، وهم أحياء شبه أموات، إلى الأمير المغولي برسالة يطلبون الأمان ويقولون، له: «..... إنه لم يعد في المدينة أحد قادر على القتال، فلم يبق سوى عدة أفرادهم بأرواحهم أحياء وبجسادهم أموات، فلو قدم جيش الآن فليس هناك مخلوق قادر على النهوض لمجابهته»<sup>(٤٥)</sup>.

أرسل يشموت رسولاً من عنده، هو القائد «أرقتو نويان» نفسه، ليتأكد من صحة تلك الرسالة، وليستطلع الأخبار عن كذب. دخل «أرقتو» بجنده المدينة، وفعللاً لم يجد فيها من يقوى على النهوض لقتاله؛ فمن كانت له قدرة على الحركة هرب ليبحث عن ملجأ أو مغارة أو سرداب، لينجو من سيف المغول، وأتباعهم من المسلمين أمثال بدر الدين لؤلؤ؛ ولكن أين المفر، فلم يعد هناك مفر لهارب. جاء «أرقتو» وجنده، فأتوا على البقية الباقية. أما الفارسان المسلمان، فقد خرجا لقتال المغول، ففتكا بهم فتكاً، ولكن تكاثرت عليهما جيوش الغزاة، فصعدا على سطح أحد المنازل وشرعا يرشقان العدو بسهامهما ثم نزلا يجالداًهم بسيفيهما، فتكسرت النصال، فأنهال عليهما المغول، فقتلوهما شهيدين، «يرحمهما الله، ويرحم شهداء» «ميفارقين».

وهكذا استباح المغول الغزاه هذه المدينة، بعد حصار طويل، عانى أهلها معاناة، فوق طاقة البشر، وقاسوا الشدائد حتى استشهدوا جميعاً. يقول أبو الفدا «...، وفي سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) استولى التتر (يعني هنا بالطبع المغول) على ميفارقين، واستمر

منه قطعة قطعة ويضعونها في فيه حتى مات في سنة ٦٥٧ هـ / (١٢٥٩) (٥١). إلا أن ابن العبري لم يذكر هذه الميعة الشنيعة، أو ذاك التمثيل في أبشع صوره، بل اكتفى بالقول بأنهم قتلوا «الاشرف صاحبها وبعد ذلك ندم هولاء على قتله» (٥٢).

ولعل الذي يهنا هنا هو : لماذا ندم هولاء على قتل هذا الأمير الأيوبي المجاهد ؟ ربما كان هولاء يأمل بأن يستعين بكل أمير أو مسئول يقع تحت يده لخدمة أغراضه، وخاصة فيما يتعلق بفتوحاته المستقبلية الباقية من مهمته في حملة المغول الغربية هذه، وهي أراضي مصر. كما أن هذا الفعل لم يخدم أية مصلحة للمغول، على الأقل في وقت مثل هذا، حيث لم تنقشع تلك الغمامة السوداء، التي أمتست تخيم على سماء العلاقات السائدة بين أحفاد جنكيز خان، مؤسس دولتهم وبنائى مجدهم؛ فلم يكن قد تم تعيين خان جديد ليعتلي عرش المغول، وأمتهم ومن يستبسل في الدفاع عنهم، لخدمة أغراض المغول لإخضاع ما تبقى من أراض تقع ضمن مخططهم المستقبلي القريب.

لقد شعر هولاء بأنه قد تسرع

الحصار عليهم مدة سنتين حتى فنيت أزوادهم وفني أهلها بالسوء والقتل وصاحبها الملك الكامل محمد بن الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب مصابراً وثابتاً وضعف من عنده عن القتال ...» (٤٦) وقال أبو شامة بأن الكامل محمد صبر على مجاهدتهم أكثر من سنة ونصف (٤٧). وحول هذا الموضوع يذكر رشيد الدين، بأنه عندما دخل المغول المدينة وجدوا كافة أهلها موتى، وقد سقطت جثثهم وتراكم بعضها فوق بعض، ماعدا سبعين شخصاً كانوا نصف أموات وقد اختفوا في المنازل ...» (٤٨).

## مصير محمد الكامل

### ملك «ميفارقين»

قبض المغول على الملك محمد، على اثر استسلام المدينة، وعلى أخيه (٤٩). وقد أخذوا وأحضروا إلى يشموت، فأرسلها بدوره إلى والده، الذي كان مقيماً في مكان يعرف بـ «تل باشر» على نهر الفرات (٥٠) وهنا تذكر بعض مصادر مادتنا أن هولاء أمر بمحمد الكامل «بِئْطُطْ إرباً إرباً؛ فكانوا يقطعون اللحم

عندما حكم على هذا الأمير الأيوبي بالقتل، وإن كان مصيره القتل، في أغلب الظن، كما حصل للناصر يوسف، صاحب الشام، وكبير بني أيوب<sup>(٥٣)</sup>.

ولعل السبب في تسرع هولاكو ما كان يغلي في صدره من حنق وغضب على الكامل، وذلك لما ألحقه من خسائر كبيرة في صفوف قواته، طوال سنتي الحصار؛ فنقدم بعد أن هدأت ثأثرته، ولكن أتى للندم من جدوى. لذلك نجده يصطنع أحد رجال محمد الكبار، ويدعى عبد الله، وينصبه خلفاً لسيدته ليحكم «ميفارقين» تحت المظلة المغولية. أما الشهيد محمد، فقد قطع رأسه، وأخذ إلى مدن الشام، ليطاف به هناك. وحول هذا الموضوع يذكر أبو الفداء قائلاً: «... فاستولى التتر (وهو يقصد هنا بكل تأكيد المغول) عليها وقتلوا صاحبها الملك الكامل المذكور وحملوا رأسه على رمح وطيف به في البلاد ومرو به على حلب وحماة ووصلوا به إلى دمشق...»<sup>(٥٤)</sup>.

لم يكن المغول وأتباعهم من المسلمين وحدهم الذين تباهاوا بمقتل رجل مجاهد، والتطواف برأسه في المدن الرئيسية في الشام، فقد كان هناك العدو

اللدود الأول للمسلمين والاسلام الذي خضع وخضع لسلطان المغول، وتذلل لعبوديته، ذلك العدو : هم للصليبيون؛ قاموا بدور فعال في حملة المغول، وعلى رأسهم «بوهمند الرابع» ملك انطاكية. والملك «حايكوم» ملك أرمينيا، ناهيك عن الجرجانيين (الكرج) الذين كان لهم دور كبير في هذا الشأن.<sup>(٥٥)</sup> فقد قاموا بحمل رأس ذلك الشهيد والتجول به في الحارات والشوارع، في تلك المدن الشامية، ومنها مدينة دمشق، وهم يغنون ويضربون الطبول. وبعد أن شفيت فيهم الروح الصليبية الحاقدة للانتقام من المسلمين، نجدهم يعلقون رأس ذلك الأمير الشهيد داخل شبكة على أحد أسوار أبواب دمشق. وهنا يذكر أبو شامة، وهو ممن عاصر هذه الأحداث، وشاهد أحداثها، وممن رأى ذلك الرأس، مانصه : « وفي يوم الاثنين ٢٧ جماد الأول<sup>(٥٦)</sup> طيف بدمشق برأس مقطوع مرفوع على رمح قصير معلق بشعره فوق قطعة شبكة زعموا أنه رأس الكامل محمد بن شهاب الدين غازي بن العادل صاحب ميفارقين الذي دام التاتار (يعني المغول) على حصاره أكثر من سنة ونصف ولم يزل ظاهراً عليهم إلى أن فني أهل البلد فوجد مع من بقى

قائمة الهوامش  
والتعليقات

(١) ولد جنكيز خان في أوائل النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، ربما في سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٥ م، واسمه «تيموجين». لمعلومات عن هذا الخان المغولي، راجع مؤرخ المغول الأول، رشيد الدين «جامع التواريخ» ج ١ / ٢٢٢ «لمعلومات وافية عن هذا المصدر، انظر قائمة المصادر رقم (٨). وكذلك انظر الحواشي الواردة في كتابنا «سقوط الدولة العباسية» لمعلومات عن هذا المرجع انظر قائمة المراجع رقم (٢١) ص. ص: ٥٧ - ٥٨.

(٢) كلمة «قراقروم» تعني «الحجارة السوداء» وهي عاصمة الدولة المغولية التي أسسها جنكيز خان.

(٣) لمعلومات أكثر تفصيلاً، انظر كتابنا «سقوط الدولة العباسية» ص. ص: ١٠٩ - ١٢٨.

(٤) حول هذا الموضوع، وما أورده المؤرخون في هذا الصدد، راجع ما قلناه، ورأينا في ذلك، في كتابنا «أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الاسلامي»، ص. ص: ٢٣٧ - ٢٧٢. «لمعلومات وافية عن هذا المرجع انظر قائمة المراجع رقم (٢٢)».

(٥) راجع التفاصيل في مؤلفنا المذكور في الحاشية السابقة، ص. ص: ٢٧٥ - ٣٠٤.

(٦) كل ما يتعلق بالقائدين المغوليين «تشر ماغون نويان أو جرماغون

من أصحابه موتى أو مرضى، فقطع راسه وحمل إلى البلاد فطيف به بدمشق ثم علق على باب الفراديس الخارج...» (٥٧).

ظل الرأس معلقاً حتى عادت دمشق إلى سلطة المسلمين، على أيدي المماليك، بعد معركة عين جالوت: فأخذَ الرأس ودفن في مكان يعرف بمشهد الحسين في مسجد الرأس، داخل باب الفراديس، إلى الجهة الشرقية من المحراب في أصل الجدار، وإلى الجهة الغربية من المحراب طاقاة يقال إن رأس الحسين بن علي (رضي الله عنهما) قد دفن فيها (٥٨).

اتفقت جميع مصادرنا الإسلامية، فارسية وعربية، تقريباً على أن هذا الرجل الشهيد، إن شاء الله، كان من الحكام الصالحين، وأنه كان زاهداً، وعابداً، بل وفوق ذلك كله أنه كان يعيش من تعبهِ ويشغل يديه، فقد ذكرت تلك المصادر أنه كان يعيش على الخبز ومن أجر الحياكة (٥٩).

رحم الله ذلك البطل المظفر الشهيد، ورحم الله شهداء «ميفارقين» الذين ضربوا المثل في التحدي والصمود أمام جحافل البغى والعدوان.

نوبيان» وزميله «بايجونويان» وعملياتهما العسكرية ضد الأراضي الإسلامية في جنوب غرب آسيا، يمكن الرجوع إلى كتابنا المذكور في الحاشية رقم (١)، ص: ٢٩٩ - ٣٠٣، ص: ٣٦٠ - ٣٦٨. وفي مصنفنا المذكور في الحاشية رقم (٤)، ص: ٣٥٨ - ٣٦١.

(٧) يمكن مراجعة ذلك بالتفصيل في كتابينا السابقين، وفي فصول مختلفة منها، ويدلك أيها الباحث الكريم عنوان الفصل في محتويات كل واحد من الكتابين المذكورين.

(٨) كل شيء يتعلق بحملة المغول الغربية هذه، وما جرى فيها من أحداث سياسية وعسكرية، ومدى مساهمات حكام مسلمين فيها، وكيف قضت على ركن الدين خورشاه، آخر حكام طائفة الإسماعيليين؛ ثم دخول المغول بغداد، كل ذلك ذكرناه في كتابنا «سقوط الدولة العباسية» في الفصلين الرابع، والخامس، أي في الصفحات من ٢٤٥ إلى ٣٨٠.

(٩) اجتمع المجلس الأعلى للمغول، برئاسة الخان منكو نفسه، وهو ما يُدعى بـ «قورلتاي» عقب انتخابه وتعيينه كـ «قآن» جديد للمغول، وقرر أن يرسل المغول حملتين عسكريتين لهم، شرقية وغربية، وذلك في عام ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م؛ فأخذ قيادة حملة الشرق، وأُسند إلى أخيه الأصغر منه، هولاكو مهمة قيادة الحملة الغربية، وأوصاه بعدة أشياء. لمعلومات

وافية عن هذا الاجتماع، وعن فعوى وصاياها لآخيه أنظر، كتابنا «سقوط الدولة العباسية» ص: ٢٤٧ - ويعددها، وما ورد في هوامش تلك الصفحات من مصادر أولية تتعلق بذلك.

(١٠) توني منكوقا أن (٦٤٩ - ٦٥٥ هـ / ١٢٥١ - ١٢٥٧ م) في محرم من عام ٦٥٥ هـ / كانون الثاني - شباط (يناير - فبراير) ١٢٥٧ م، انظر، رشيد الدين، «جامع التواريخ» ج ١ / ص: ٦٠٣ - ٦٠٤.

(١١) عقد محمد الكامل العزم على الوقوف في وجه المغول منذ أوائل سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م، عندما أرسل قوة صغيرة من عنده، نجدة للخليفة في بغداد، بينما كانت معركة «عين جالوت» في شهر رمضان من عام ٦٥٨ هـ / أيلول (سبتمبر) ١٢٦٠ م. أما بداية قتال المغول لمحمد الكامل فقد كان، كما يبدو لنا، في أوائل النصف الثاني من نفس العام، أي عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م.

(١٢) ابن العبري، «تاريخ مختصر الدول»، ص: ٢٨٠. (عن هذا المصدر انظر كشف المصادر رقم (١٠)).

(١٣) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» ج ٧ / ص: ٩٢. (عن هذا المصدر انظر كشف المصادر رقم (١)).

(١٤) القزويني، «نزهة القلوب»، ص: ١٠٥. (عن هذا المصدر انظر كشف المصادر رقم (١٤)).

محمد الكامل الى منغوليا، فراجع ذلك في : الجوز جاني، «طبقات ناصري» جـ ٢ / ص . ص . ٢٠٠ - ٢٠١، الترجمة الانجليزية جـ ٢ ص : ١٢٦٥. وكذلك نفس المصدر الاخير والصفحة، حاشية رقم (٢) نقلًا عن المؤرخ والاديب «الفى» من أن الكامل كان اول الحكام المسلمين الذين ذهبوا إلى هناك : رشيد الدين، «جامع التواريخ» جـ ٢ / ٢٢٧ : الترجمة العربية، جـ ٢ / ص . ص : ٣٢٢ - ٣٢٣ : ابن العبري - «تاريخ مختصر الدول»، ص . ٢٧٧ . اما ما يتعلق بشهاب الدين غازي، وتقواه وورعه فراجع في ذلك : «مراة الزمان» لسبط بن الجوزي، جـ ٨ / حوادث سنة ٦٤٤ هـ.

(١٩) تقع بشرية (أو بشرية، أو بشرية) بالقرب من نهر دجيل. وقد جرى على أرضها معركة بين جيش المغول (ميمنته) بقيادة بايجو نويا، وبين جيش الخلافة، بقيادة الدويدار (الدواة دار) الصغير، هزم فيها الأخير، وعلى أثرها سقطت خلافة العباسيين وقتل آخر خلفائهم، المستعصم. حول هذه القرية، انظر : رشيد الدين «جامع التواريخ»، جـ ٢ / ٧٠٩ : وصاف الحضرة، «تاريخ وصاف»، ص : ٢٥ (لمعلومات عن هذا المصدر، انظر قائمة المصادر) (١٧).

(٢٠) ابوشامة، «تراجم رجال القرنين السادس والسابع»، ص : ٢٠١ (حول هذا المصدر انظر كشاف المصادر) رقم (٩).

(١٥) مجهول المؤلف «حدود العالم»، ص : ١٤٣. (عن هذا المصدر انظر كشاف المصادر) رقم (١٦).

(١٦) الجوزجاني، «طبقات ناصري» الترجمة الانجليزية، جـ ٢ / ص : ١٢٧٠، حاشية ٩. (حول هذا المصدر انظر كشاف المصادر) رقم (٣) حيث نقل المحقق والمترجم لهذا الكتاب الهام من كتاب ياقوت الحموي، الموسوم بـ «معجم البلدان» جـ ٥ / ص . ص : ٢٣٥ - ٢٣٨ (عن هذا المصدر، انظر قائمة المصادر رقم (١٨))

(١٧) فيما يتعلق بسبب تسميتها بهذا الاسم، انظر المصدر السابق نفس الجزء والصفحات (اي كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي).

(١٨) توفي شهاب الدين غازي سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م، وخلفه على حكم «ميفارقين» ابنه محمد الكامل (٦٤٤ - ٦٥٨ هـ / ١٢٤٦ - ١٢٦٠ م). وقد قبل حاكم هذه المدينة وتوابعها الخضوع للسلطة المغولية، لانه لم يجد من الحكام المسلمين من يعينه لايجاد وحدة تقف صفًا واحدًا في وجه هذه القوة الرهيبة. وقد ذهب بنفسه إلى عاصمة المغول، وقابل خاتمه هناك، ورتب معه مسألة منع قوات الخان من ان تتعدى علي ممتلكاته: فعاش معهم في سلام، حتى هددوا بقتلهم، فنبذ ولاهم، وحاربهم. فيما يتعلق بمفهوم المغول لاسلام انظر : Carpi, S. «His-tory of the Mongols» P.2. عن هذا المصدر الهام انظر كشاف المصادر رقم (١٩). اما ما يتعلق برحلة

(٢١) لمعلومات أكثر تفصيلاً عن هذا الحاكم المسلم وبداية خضوعه للمغول واستمراره في خدمتهم، حتى ضد أخوانه المسلمين، أنظر كتابنا «سقوط الدولة العباسية» ص . ص : ٢٥٧ - ٢٦٠، والمصادر التي وردت في حواشي هذا الكتاب.

(٢٢) هناك العديد من الكتب المعاصرة للغزو المغولي لبلاد الشام، مسلمة (عربية وفارسية)، ومسيحية، مثل : المكين جرجس، «أخبار الأيوبيين»، ص . ص : ١٧١ - ويعدها (لمعلومات عن هذا المصدر أنظر كشف المصادر) رقم (١١)؛ أبو شامة، «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» من سنة ٦٥٧ هـ إلى سنة ٦٥٩ هـ؛ ابن العبري، «تاريخ مختصر الدول»، ص . ص : ٢٧٧، ويعدها، ابن الفوطي، «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة» - منسوب إليه -، ص . ص : ٣٤١، ويعدها (لمعلومات عن هذا المصدر أنظر كشف المصادر في آخر البحث رقم (١٢)؛ رشيد الدين، «جامع التواريخ»، ج ٢ / ص . ص : ٧١٨، ويعدها؛ وغيرها من المصادر، وخاصة الشامية التي تلت الغزو بفترات، مثل : أبو الفداء، «المختصر في أخبار البشر» (أنظر الكشف رقم)؛ ابن كثير، «البداية والنهاية»، أنظر كشف المصادر رقم (١٥)؛ الذهبي، «العبر في أخبار من غير» (لمعلومات عنه أنظر قائمة المصادر)، «دول الاسلام» (لمعلومات وأقية عن هذا المصدر أنظر قائمة المصادر)؛ اليونيني، «ذيل مرآة الزمان» حوادث سنوات : ٦٥٧ هـ

و٦٥٨ هـ. (لمعلومات عن هذا المصدر، انظر قائمة المصادر رقم (٧) (٢٠).

(٢٣) حول استسلام خورشاه لهولاكو، أنظر التفاصيل لمؤرخ معاصر كان مصاحباً لهولاكو في حملته تلك هو : علاء الدين عطا ملك الجويني، «جها لكشاي»، فاتح العالم، ج ٣ / ص . ص : ٢٥٩ - ويعدها، (لمعلومات عن هذا المصدر الهام الفارسي اللغة انظر كشف المصادر في نهاية البحث رقم (٤).

(٢٤) عن كيفية المراسلات بين هولاكو وآخر خلفاء العباسيين، وماذكرته المصادر في هذا الشأن، وعن استسلام المستعصم، راجع كتابنا «سقوط الدولة العباسية»، خاصة ص . ص : ٢٣٩ - ٢٤٣.

(٢٥) حسام الدين بن عكا طرقيته، في كتابنا المذكور في العاشية السابقة، بنوع من التفصيل في الصفحات : ٢٩٢ - ٢٩٤.

(٢٦) كان تاج الدين أبو المعالي محمد بن الصلاحي العلوي يحكم مدينة «أربل» وتوابعها، إبّان الغزو المغولي، لتفاصيل أكثر في هذا الموضوع، أنظر : المكين جرجس «أخبار الأيوبيين»، ص : ١٦٧؛ رشيد الدين، «جامع التواريخ»، ج ٢ / ص ٧١٦، الترجمة العربية ج ٢ / ص . ص : ٢٩٨ - ٢٩٩؛ ابن الفوطي، «الحوادث الجامعة»، ص : ٣٣٧.

(٢٧) لقد جانب رشيد الدين الصواب هنا : فمعركة «عين جالوت» لم تكن قد حدثت بعد، فقد جرت في ٢٧ رمضان سنة ٦٥٨ هـ / ٣ أيلول (سبتمبر) عام ١٢٦٠ م، ومن المعروف أن الناصر لم يُقتل إلا في آخر شهر شوال ٦٥٨ هـ /

الصالح اسماعيل، في جيش هولوكو ضد العراق، وبغداد. وعندما عجز المغول في محاولاتهم لاحتلال مدينة «أربل» قام هو بهذا العمل نيابة عنهم راجع كتابنا «سقوط الدولة العباسية» ص ٢٥٧ - ٣٦٠ وموارد في هوامش تلك الصفحات من المصادر الهامة. رشيد الدين، «جامع التواريخ» ج ٢ / ص ٧١٦، الترجمة العربية ج ٢ / ص : ٢٩٩.

(٢٧) رشيد الدين، «جامع التواريخ» ج ٢ / ص : ٧٢٦، الترجمة العربية، ج ٢ / ص : ٣٢٠ - ٣٢١ ب ابن العبري، «تاريخ مختصر الدول»، ص : ٢٧٧.

(٢٨) فيما يتعلق بحصار وسقوط حلب، راجع : أبو شامة، «تراجم رجال القرنين السادس والسابع»، ص : ٢٠٣؛ رشيد الدين «جامع التواريخ» ج ٢ / ص : ٧١٩ - ٧٢٠؛ ابن العبري، «تاريخ مختصر الدول»، ص : ٢٧٩؛ ابن الفوطي، «الحوادث الجامعة»، ص : ٢٤٢؛ أبو الفداء، «مختصر تاريخ البشر» ج ٢، حوادث سنوات ٦٥٧ هـ ويدها؛ اليونيني، «ذيل مرآة الزمان»، الجزء الأول، حوادث سنوات ٦٥٧ هـ - ٦٥٨ هـ، وخاصة ج ١ ص : ٣٤٩ ويدها.

(٢٩) كان له دور كبير في حملة المغول في مجموعها. وخاصة في المرحلة الثالثة والأخيرة من حملتهم. لمعلومات عنه، انظر : المكن جرجس، «أخبار الأيوبيين»، ص : ١٦٧؛ رشيد الدين،

أيلول (سبتمبر ١٢٦٠ م) : ان صبح لنا الاعتماد على رواية المكن جرجس، «أخبار الأيوبيين» ص : ١٦٧ ؛ ويؤيد ذلك مجريات الاحداث، لأن الكامل محمد قد طيف برأسه في المدن الشامية، والناصر ما يزال حياً.

(٢٨) انظر ذلك في رشيد الدين، «جامع التواريخ»، ج ٢ / ص : ٧٢٥

(٢٩) ابن العبري، «تاريخ مختصر الدول»، ص : ٢٧٧.

(٣٠) هو القائد المسيحي «ناوري الكرجي»، انظر الحاشية التالية رقم (٣٤).

(٣١) رشيد الدين «جامع التواريخ»، ج ٢ / ص : ٧٢٥.

(٣٢) المصدر السابق، نفس الصفحات؛ انظر أيضاً : ابن العبري، «تاريخ مختصر الدول»، ص : ٢٧٧.

(٣٣) الجورجاني، «طبقات ناصري»، ج ٢ / ص : ١٢٧٢. وقد جاء في حاشية رقم (٥) سيف الدين اركلي وعنبر حبيشي.

(٣٤) بيدولنا بروضوح أن هذا القائد هو جرجاني (كرجي) الجنسية. وبالتأكيد فإنه كان على رأس جيش من المسيحيين الكرج. وقد طرقت هذا الموضوع، ومدى مساهمة هؤلاء المسيحيين في حملة المغول، راجع ذلك في كتابنا «سقوط الدولة العباسية»، ص : ٣١٨ - ٣٢٣.

(٣٥) رشيد الدين، «جامع التواريخ»، ج ٢ / ص : ٧٢٦.

(٣٦) كان قد شارك بجيش كبير، وربما بكل ما يملك، ووضعه تحت قيادة ابنه



كان يتراوح بين سبعين إلى ثمانين فرد.  
راجع رشيد الدين، «جامع التواريخ»،  
ج ٢ / ص : ٧٢٧؛ كذلك : خواند  
امير، «حبيب السيرة»، ج ٣ / ص :  
٩٩.

(٤٦) ابو الفدا، «المختصر في أخبار البشر»،  
ج ٢ / ص : ٢٠٢. وقد أورد أبو  
شامة، في مصنفه «تراجم رجال القرنين  
السادس والسابع» ص : ٢٠١ خير  
أخذ المغول لهذه المدينة في حوادث سنة  
٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م بينما جاءت عند  
رشيد الدين، «جامع التواريخ»  
ج ٢ / ص : ٧٢٧، ان ذلك كان في  
سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م. وهذا على ما  
يبدولنا خطأ.

(٤٧) أبو شامة، «تراجم رجال القرنين  
السادس والسابع»، ص : ٢٠١

(٤٨) رشيد الدين، «جامع التواريخ»،  
ج ٢ / ص : ٧٢٧.

(٤٩) اخو محمد الكامل هو الأمير الأيوبي  
عمر الذي قتل أيام أبيهما في سنة  
٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م. أما هذا الاخ  
الثاني الذي قتل معه، فإني لم أعر  
على اسمه في المصادر التي رجعت إليها.

(٥٠) تل باشر إحدى القلاع الرومانية  
القديمة، وهي حصينة تقع إلى الشمال  
من حلب ليس بعيداً عنها، وكان أغلب  
سكانها من الأرمن، وهم نصرانيو  
الديانة، كما نعرف. انظر : ياقوت  
الحموي، «معجم البلدان»  
ج ٢ / ص : ٤٠.

(٥١) يبدولنا ان هذه مغارة تاريخية، فلعل  
المقصود سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م،

«جامع التواريخ»، ج ٢ / ص : ٧١٠،  
٧١٦، ٧١٩، ٧٢٦؛ بناكتي،  
«تاريخ بناكتي» ص : ٤١٨ -  
٤٢١ (المعلومات عن هذا المصدر انظر  
الكشاف رقم (٢) : خواند امير، «تاريخ  
حبيب السيرة»، ج ٣ / ص : ٩٩،  
(المعلومات عن هذا المصدر انظر كشاف  
المصادر رقم (٦)).

(٤٠) «الحوادث الجامعة» (المنسوب لآين  
الغولي ص : ٣٤٠. وكذلك فقد جانب  
آين كثير «البدائية والنهائية»  
ج ١٣ / ص : ٢١٥) الصواب عندما  
يشموت بن هولكو وقد أخذ مدينة  
محمد الكامل عنوة واقتداراً.

(٤١) يقول آين العبري : «فمنعوا الناس من  
الدخول إليها والخروج عنها» تاريخ  
مختصر الدول، ص : ٢٧٧.

(٤٢) أبو الفدا، «مختصر تاريخ البشر»،  
ج ٣ / ص : ٢٠٣.

(٤٣) انظر، رشيد الدين، «جامع التواريخ»،  
ج ٢ / ص : ٧٢٧. وقد ذكر مانصه :  
«... بسر بدران مي خورود  
ومادر فرزندرا...».

(٤٤) ابن العبري، «تاريخ مختصر الدول»،  
ص : ٢٨٠.

(٤٥) يبدولنا ان الذين راسلوا المغول هم  
أناس من المسيحيين؛ فقد كان منهم  
عدد كبير يسكن في هذه المدينة، وخاصة  
ما يتعلق بالناحية الدينية ونظرة هؤلاء  
الناس إليها. وقد ذكرت الروايات التي  
جاءت في مصادر مادتنا بأن عدد  
الأفراد الذين بقوا أحياء، قبيل  
استسلامهم واجتياح المغول لمدينتهم

المصادر التي استعنت بها

أولاً: الإسلامية

- (١) ابن الأثير، عز الدين علي، «الكامل في التاريخ»، بيروت، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
- (٢) بناكتي، فخر الدين أبو سليمان، «سليمان بناكتي» وهو معروف أيضاً ب: روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والانساب، تحقيق د / جعفر شاعر، طهران، ١٣٤٨ هـ. ش.
- (٣) الجورجاني، القاضي منهاج الدين سراج، «طبقات ناصري» تحقيق عبد الحي حبيبي، كابل، ١٣٤٢ هـ. ش. كما حققه وترجمة إلى اللغة الانجليزية الميجر: هـ. ج. راقرتي، لندن، ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م. وقد أعيدت طباعة الترجمة في سنة ١٩٧٠ م.
- (٤) الجويني، علاء الدين عطا ملك، «تاريخ جما نكشاي» اي «تاريخ فاتح العالم» تحقيق الاستاذ الكبير المرحوم ميرز محمد بن عبد الوهاب القزويني، طبعة ليدن في السنوات: ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م، ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦ م، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م. وقد ترجم إلى اللغة الانجليزية على يد العلامة المستشرق الانجليزي الاستاذ الدكتور ج. أ. بويل، طبع في مطبعة جامعة مانشستر، ١٩٥٠ / ١ م.
- (٥) ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد، «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، تحقيق م. م. عبد الحميد، بيروت، ١٩٦٨ م.

- رشيد الدين، «جامع التواريخ» ج ٢ / ص: ٧٢٧، وقد نقل عنه كما يظهر لنا، خواندر امر، «حبيب السير» ج ٣ / ٩٩. انظر الحاشية رقم (٢٧).
- (٥٢) ابن العبري، «تاريخ مختصر الدول»، ص: ٢٧٨.
- (٥٣) عن مقتل الناصر، راجع ذلك بنوع من التفصيل، برواية شاهد عيان، في «المصدر السابق» ص: ٢٨٠.
- (٥٤) أبو الفدا، «المختصر في أخبار البشر»، ج ٣ / ص: ٢٠٣.
- (٥٥) كل ما يتعلق بدور المسيحيين في حملة المغول الغربية، ومساهماتهم في حملة هولاكو ضد العراق والشام، انظر كتابنا «سقوط الدولة العباسية» ص: ٣١٨ - ٣٢٢.
- (٥٦) عام ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م.
- (٥٧) أبو شامة، «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» ص: ٢٠١. انظر أيضاً: Brent, P., «The Mongol Empire, Genghis Khan: His Triumph and his Legacy» London, 1976, P:140; J.J. Saunders, «The History of The Mongol Conquests» London, 1971, P:113.
- (٥٨) أبو شامة «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» ص: ٢٠١. أبو الفدا، «المختصر في أخبار البشر»، ج ٣ / ص: ٢٠٣ - ٢٠٤.
- (٥٩) انظر المصدر السابق، نفس الجزء والصفحات: كذلك رشيد الدين، «جامع التواريخ»، ج ٢ / ص: ٧٢٧.

مجلة الدراسات الشرقية، ١٩٥٥ -  
١٩٥٧ م، ج ١١ / ص ص : ٧٠٩ -  
١٧٧.

(١٢) ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل،  
«المختصر في أخبار البشر»، القاهرة،  
١٣٢٥ هـ.

(١٣) ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق،  
منسوبة اليه مصنف : «الحوادث  
الجامعة والتجارب النافعة في المائة  
السابعة»، تحقيق الاستاذ المرحوم  
مصطفى جواد، بغداد، ١٣٥١ هـ/  
١٩٣٢ م.

(١٤) القزويني، حمد الله المستوفي، «القسم  
الجغرافي من كتاب : «نزهة القلوب»  
ترجمة الى اللغة الانجليزية المشرقية :  
ج لوسترنج، طبع في لندن، هولندا،  
١٩١٩ م».

(١٥) ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء،  
«البيداء والنهاية»، بيروت ١٩٦٧ م.

(١٦) المؤلف مجهول، «حدود العالم»، ترجمة  
وشرحه في اللغة الفارسية إلى اللغة  
الانجليزية الاستاذ الدكتور/ ف...  
مينورسكي، حرره الاستاذ الدكتور :  
س.أي. بوزوروث ل : إحياء ذكرى :  
إي.ج.ج. جب. السلسلة الجديدة، ١١،  
لندن، ١٩٧٠ م.

(١٧) وصف الحضرة، شرف الدين عبد الله،  
«تاريخ وصف» وهو معروف أيضاً ب :  
«كتاب تجزئة الامصار وتجزئة  
الاعصار»، تحقيق عبد المحمد آيتي،  
طهران، ١٣٤٦ هـ سن.

(١٨) ياقوت الحموي، «معجم البلدان»،  
بيروت، ١٩٥٧ م.

(٦) خواند امير، غياث الدين بن هماد  
الدين، «تاريخ حبيب السير في أخبار  
افرادى بشره، تحقيق : م.د. سياتي،  
طهران، ١٣٣٣ هـ ش.

(٧) الذهبي، شمس الدين محمد، «العبري  
أخبار من غير» تحقيق د/ صلاح الدين  
المنجد، الكويت، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م،  
«دول الاسلام» حيدر آباد، ١٣٣٧ هـ.

(٨) رشيد الدين، فضل الله بن عماد الدولة  
الوزير، «جامع التواريخ» الجزء الاول  
«من بداية قبائل المغول حتى نهاية حكم  
تيغور قان» والجزء الثاني «من بداية  
سلطنة هولاكو خان حتى نهاية حكم  
غازان خان»، تحقيق : بهمن كريمي،  
طهران، ١٣٣٨ هـ ش.

وقد ترجم القسم الاول من الجزء  
الثاني إلى العربية من ترجمة فرنسية  
قام بها نشات وآخرون، بيروت،  
١٩٦١ م.

(٩) سبط بن الجوزي، يوسف بن قزغلو،  
«مرآة الزمان»، تحقيق دائرة المعارف  
العثمانية حيدر آباد، الدكن،  
١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م.

ابو شامة، عبد الرحمن بن اسماعيل،  
«تراجم رجال القرنين السادس  
والسابع»، وهو المعروف أيضاً : «الذيل  
على الروضتين»، القاهرة، ١٣٦٦ هـ/  
١٩٤٦ م.

(١٠) ابن العبري، ابو الفرج كريكوري،  
«تاريخ مختصر الدول» ترجمه المؤلف  
من اللغة السريانية إلى اللغة العربية،  
وحققه صالحاني، بيروت، ١٩٥٨ م.

(١١) ابن العميد، المكين جرجس، «أخبار  
الأيوبيين»، تحقيق : س.كهن، نشر في

(٢٢) الغامدي، سعد حذيفة، «أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي»، ١٤٠١ هـ.

(١٩) البونيني قطب الدين موسى، «ذيل مرآة الزمان»، حيدر آباد، ١٢٧٤ هـ / ١٩٥٤ م.

#### ب - الإنجليزية

(٢٣) برنت، بيتر، «الامبراطورية المغولية، جنكيز خان، انتصاره وراثته»، لندن، ١٩٧٦ م. (وقد سبق في الحاشية رقم (٥٧) أن دونت اسم الكتاب ومؤلفه وداره التي طبع بها باللغة التي كتب بها المرجع).

(٢٤) ساووندرز، ج.ج، «تاريخ الفتوحات المغولية»، لندن، ١٩٧١ م. (وقد ذكرت في الحاشية رقم (٥٧) اسم المؤلف وعنوان مصنفه باللغة الانجليزية).

\*\*\*

#### ثانياً : المصادر بلغة غير الإسلامية :

(٢٠) الكرييني، جون البلانو الكرييني، «تاريخ المغول»، تحقيق : س. دوسون، تحت عنوان : «البعثة المغولية»، لندن، ونيويورك، ١٩٥٥ م.

#### ثالثاً : المراجع «بالعربية وغيرها» :

##### ١ - العربية

(٢١) الغامدي، سعد حذيفة

« سقوط الدولة العباسية » ١٤٠١ هـ

○ ○ ○

«أن خططي التي سرت - ولا أزل أسير عليها - هي : إقامة الشريعة السمحة، كما انني أرى من واجبي ترقية جزيرة العرب، والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف».

**الملك عبدالعزيز**

# النحو والنحاة

د. عبد الكريم محمد الأسعد

ضوء على البحث:

هذا مقال أشبه ما يكون بتاريخ النحو والنحاة منه بالنحو نفسه، وقد تطرّق  
بإيجاز إلى مجموعة من الأمور هي:



- ١ - إيراد الخلاف في وجود لهجة خاصة ممتازة ومتميزة لقريش.
- ٢ - ذكر أسباب وجوب الاهتمام باللغات الأخرى - ولاسيما لهجة تميم - إلى جانب لهجة قريش، في الدرس النحوي.
- ٣ - القول في الشواهد التي سمعت بلغات أخرى تتناقض مع القواعد النحوية الموضوعية وفقاً للغة معينة معتمدة ومفضلة هي لغة الحجاز، اتعدّ شاذة تحفظ

ولا يقاس عليها، أم هي مقبولة ولكن يجب تأويلها، أم هي لغة صحيحة سليمة مطردة يسوغ القياس عليها والاعتداء بها ؟

٤ - الكلام عن اللغة والنحو: هل هما توقيفان قديمان أم حادثان متطوران؟ وهل نشأ معاً أم متعاقبين؟

٥ - التحقيق فيما إذا كان النحو العربي قد اعتمد في أوائله على غيره من نحو الأقاليم الأخرى، والحديث عن الحركات وتطورها.

٦ - سرد تعريفات شتى لعلم النحو من حيث هو، وبيان لصلته الوثيقة بفروع العربية الأخرى وليدان هذه الفروع جميعاً.

٧ - الكشف عن أسبق هذه الفروع إلى الوضع والتدوين مع الإسهاب في تعليل ذلك بالإفاضة في موضوع اللحن في الإعراب على السنة العامة والخاصة وفيما ألف في هذا الموضوع.

٨ - عرض كافٍ لقضية وضع النحو ووضعه ووقت الوضع مع إظهار ما في ذلك كله من اضطراب في الأقوال الكثيرة وعماية في الروايات المتعددة، وقد أوردت في سبيل تجلية ذلك كثيراً من النقل وقيضاً من الاعتراضات والإجابات عليها، كذلك أبنت الاضطراب الذي أصاب الروايات المتعلقة بالسبب الذي حمل أبا الأسود في أرجح الأقوال على وضع النحو، وبأول الأبواب التي وضعها فيه، وأظهرت الميل إلى أن تكون هذه الروايات المضطربة سبباً وجيهاً يحمل على غلبة الظن بتعدد بواعث وضعه أبواب النحو المتعددة لا بتوحيدها.

٩ - إيضاح للظروف التي نما النحو فيها وأزدهر في البصرة والكوفة بالذات مع بيان لكيفية نشوئه ثم لمراحل تطوره المتعاقبة ولما فيها من علامات بارزة جديرة بالتسجيل، يضاف إلى ذلك حديث سريع عن الخليل وسيبويه كأتنين من أقدم النحاة وأبرزهم على مرّ العصور، وكذلك عن كتاب سيبويه والطابع العام للدرس النحوي فيه وظاهرة تضمّنه أقوال استأذنه الخليل.

١٠ - تسجيل ما آل إليه الدرس النحوي في مرحلته الأخيرة الممتدة إلى اليوم من تأثر مفرط بالمنطق مع التمثيل لهذا، وذلك بصرف النظر عما تخلل هذه المرحلة أخيراً من محاولات بعض المعاصرين غير الحاسمة في سبيل نحو ميسر مبسط سهل.

١١ - رواية شيء من مواقف بعض النحاة القدامى في رفض الاتجاه الفلسفي في الدرس النحوي، ثم دفاع عن النحو التقليدي ودعوة إلى التوسط بين طرفي النقيض بالأخذ بهذا النحو مع الحرص على تنقية بعض مسأله التي غلبت عليها التعمية والتكلف والتعقيد والافتعال من هذه الشوائب.

١٢ - إيراد مواقف طريفة وأشعار ظريفة لأناس من الخاصة والعامة في كره النحو وهجاء النحاة ثم سرد مأثورات أخرى تضادها في الاتجاه فتدعو إلى درس النحو وحبّه والاهتمام به، وقصص لطيفة تظهر فائدته ومنزلة النحاة وتكشف عن مدى اعتزازهم بأنفسهم وعن صور من تكريم المجتمع لهم وتحثّ على الاقتداء بهم والاطلاع على آثارهم.

\*\*\*

**لا بدّ -** ليكون للكلام على علم النحو ثمرته المفيدة القائمة على أساس واضح متين - من التعرّض للغة لأنها ميدانه الفسيح ومادّته التي بني عليها ودار فيها، فاللغة العربية هي اللغة التي نطق بها أفراد القبائل في شبه الجزيرة، وكانت متنوعة بتنوع هذه القبائل، وهو ما يعرف باللهجات. وقد سادت لهجة قريش غيرها من اللهجات «لأنّ الله تعالى اختارهم من جميع العرب وأختار منهم محمداً صلى الله عليه وسلّم، فجعل قريشاً قطّان حرمه وولاة بيته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون إلى مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش في دارهم، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقّة السننّها إذا انتهم الوفود من العرب تخيّرُوا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فأجتمع ما تخيّرُوا من تلك اللغات إلى سلاّئقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب»<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنَّ هذا القول حمل فريقياً من الباحثين<sup>(٢)</sup> على أن ينفي وجود لهجة خاصة لقريش، وعلى أن يعدّ ما سمّي بلهجة قريش مزيجاً من لهجات القبائل تكوّن على مرّ الزمن وأنتهى به الأمر إلى أن يكون لهجة الحجاز الذي تسكنه قريش.

وقد ردّ هذا بأنّ لقريش لهجة خاصة ممتازة وإنّ هذه كانت تهضم ما يفد إليها من اللهجات الأخرى، وسواء أنمحت اللهجة القرشية الأولى وحلّ محلّها هذا الخليط من اللهجات الأخرى أم لم تنمح فإننا ما نزال نجد أنفسنا أمام لهجة متماسكة ومتميّزة عن غيرها من اللهجات الأخرى ويستوى في ذلك أن نسمّيها لهجة قريش أو لهجة الحجاز<sup>(٣)</sup>.

وأياً ما كان الأمر فإنّ الاهتمام بلهجة قريش التي كانت لغة القرآن والتي أورشنتنا الكثير من الآثار الدينية والأدبية ينبغي أن لا بصرفنا عن الاهتمام باللهجات العربية الأخرى التي تشترك مع لهجة قريش في الخصائص العامة للغة العربية، فقد قرئت بعض آيات القرآن بغير لهجة قريش على ما رأيناه في قراءة عاصم وحمزة والكسائي من السبعة بكسر حاء «حج» من قوله تعالى: «ولله على الناس حجّ البيت... الآية»<sup>(٤)</sup> وهي لغة نجد<sup>(٥)</sup>، وعلى ما نراه في قراءة ورش مثلاً لقوله تعالى: «فمن أوتي كتابه بيمينه»<sup>(٦)</sup>، بضمّ النون<sup>(٧)</sup>، وقوله تعالى: «قد أفلح المؤمنون»<sup>(٨)</sup>، بفتح الدال، وذلك للنقل<sup>(٩)</sup>، وفي قراءة الحسن وزيد بن عليّ على لغة تميم لقوله تعالى: الحمد لله بكسر الدال لاتباع<sup>(١٠)</sup>، كذلك كان كثير من فحول الشعراء ممّن يحتجّ بشعرهم من غير قريش كالفرزدق القائل:

ما أنت بالحكم الترضى حكومتَه ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

حيث لم يجعل النحاة «ما» في البيت حجازية وما بعدها اسمها وخبرها مراعاة للغة الشاعر صاحب البيت لأنه تميمي، وبنو تميم تهمل ما، وإنّما إعمالها لغة أهل الحجاز<sup>(١١)</sup> ولولا المزاييا الخاصة التي أنفردت بها كل لهجة ما اختلف التميميون وغيرهم مع الحجازيين الذين لا يشكّ أحد في فصاحتهم جميعاً على اختلاف قبائلهم، بل ما كانت لغة تميم أقيس أحياناً من لغة الحجاز، وتشهد صور الخلاف المتعددة بين اللهجات



العربية التي نقلها إلينا النحويون بما كان للهجة تميم خاصة من قوة ونفوذ في بعض المسائل ربّما فاقت قوة لهجة قريش ونفوذها، من هنا فإنَّ «الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء» وإن كان غير ما جاء به خيراً منه<sup>(٨)</sup>، أمّا وجدناه في بطون الكتب القديمة من شواهد سمعت بلهجات أخرى غير لهجة قريش وتناقضت لذلك مع القواعد النحوية الموضوعة وفقاً للّهجة القرشية وألتمس النحويون لها تخريجات شتى كالحمل على الشذوذ أو التأويل ليقبلوها بعد أن يجعلوها منسجمة مع ماقدّوا، فهو في الحقيقة من بقايا اللغة العربية في مراحلها الأولى يوم كانت لا تلتزم تماماً طرق الاداء وعلامات الإعراب المعروفة، يتمثل هذا في القاعدة النحوية القاضية بإفراد الفعل مع الفاعل المثنى أو الجمع، إذ رأينا أمثلة متعددة<sup>(٩)</sup> تخالف هذه القاعدة، وقد سميت لغة (الكلوني البراغيث) وهي لغة قبائل من العرب هم ازد شنوءه أوطيء أو بلحارث، وهذا يحملنا على الاعتقاد بأنّ هذه اللغة في التعبير أسبق من القاعدة النحوية وأنها صحيحة فصيحة لا داعي لتخريجها لتتفق مع قاعدتهم، وهي كذلك منسجمة إذْ الأتليق أن يجمع الفعل مع الجمع ويثنى مع المثنى ويفرد مع المفرد، لذلك رأينا الثعلبي مثلاً يذهب إلى أنّ العرب ربّما جمعت الفعل عند تقدمه على الإسم «لأنّه الأصل»<sup>(١٠)</sup> فاللغة ينبغي أن تدرك بالذوق والحسّ قبل المنطق والعقل اللذين أعتدّهما النحاة في هذه المسألة ليقيموا عليهما قولهم بأنّ حالة إفراد الفعل مع تنثية الفاعل أو جمعه هي القياس وأنّ ترك ذلك خروج عنه<sup>(١١)</sup>

ومردّ ما تمكّن النحاة من تخريجه من الشواهد التي خالفت القواعد، وما استعصى عليهم تخريجه منها فسمّوه لذلك لحناً، هو في الحقيقة أنَّهُم لم يعرفوا اللهجات الأخرى غير لهجة قريش معرفة واسعة أو لم يطلعوا عليها أطّالاعاً كافياً أو ظنّوا خطأ بأنّ العرب أصحاب اللغة يغلطون أو يتكلمون على غير قياس لغتهم، ولو لم يكن ذلك كلّهُ لقبلوا كلّ الشواهد وصحّحوها وأسندوها إلى لهجاتها المتعددة المقبولة دون حاجة إلى التأويلات البعيدة والتخريجات العجيبة.

وقد جرى الخلاف في اللغة العربية نفسها، أي توقيفيّة قديمة لم تعرف اللحن في مفرداتها والخطأ في قواعدها؟ أم هي حادثة متطورة لم توجد منذ أول عهدها كاملة

ناضجة وإنما سارت وفقاً لقوانين التطور الطبيعي ومَرَّت بمراحل الطفولة والشباب ثم النضوج الذي نراه متمثلاً فيما نقراه من آثارها التي بلغت درجة شاملة من التنوع والاتساع والدقة والانضباط والرقى والقدرة على التعبير عن أدقِّ الأشياء وأعمقها مع الالتزام بطرق الأداء الخاصة وبالنظام الدقيق في ملاحظة علامات الإعراب من حركات وحروف.

وكما ذهب ابن فارس<sup>(١٣)</sup> وغيره إلى أنَّ اللغة توقيفية قديمة صحيحة الإعراب لم تعرف اللحن ولا الخطأ في مفرداتها وقواعدها، ذهبوا إلى أنَّ النحو كذلك توقيفي قديم نشأ مع اللغة التي لم يعرف أصحابها اللحن والخطأ فيها، والأولى خلاف ذلك في الأمرين معاً، لأنَّ اللغة في حياتها تخضع لتطور المجتمع، فكلُّما اتَّسع اتَّسعت وتعدَّدت تراكيبها، وأساليبها تتشكَّل في العادة وفق ما يستلزمه نموُّه في جميع نواحي الحياة فيه، وحين تستطيع اللغة مسايرة المجتمع في إحساسه وتصوره وخياله وإدراكه فإنَّ ثروتها في التراكيب والأساليب والمفردات تكون قد استكملت إلى حدِّ كبير، وتكون بذلك قد أصبحت أرضاً صالحة مهَّدة لاستخراج الملاحظات النحوية منها ثم لاستنباط النواة وقواعدهم وأحكامهم النحوية تبعاً لهذه الملاحظات.

إنَّ هذا يعني بوضوح أنَّ النحول ينشأ مع اللغة وإنما كان مرحلة لاحقة من مراحل نموها ومظهراً تالياً من مظاهر رقيها، وأنَّه وليد العقل في حين أنَّ اللغة كانت وليدة الحسِّ الذي يسبق وجوده وجود العقل على المعتاد على ما يدلُّ عليه عدم وجود النحو إلَّا في اللغات الراقية بآثارها الأدبية والعلمية الواسعة.

والنحو على كل حال هو مجموعة القواعد التي تلتزم بها أساليب اللغة في طرق أدائها للمعاني مع السير على نهج هذه القواعد ووضعها موضع التنفيذ عن طريق التزام كل حالة من حالات الإعراب المختلفة في كل حالة من حالات الكلمة بالنسبة لموضعها من الجملة كالالتزام الرفع في كل فاعل والالتزام النصب في كل مفعول والالتزام الجرَّ والجزم في أماكنهما.

وقد سمِّي هذا العلم في مرحلته الأولى زمن عليّ وأبي الأسود (العربية) ولم يقصد بها آنذاك القواعد التي تضبط اللغة وتعلَّم النطق بها وهو المعنى الإصطلاحي

الذي أخذ يقصد من النحو أخيراً بعد أن مرّ بما يفيد شموله للمقصود بعلم الصرف الآن ثم سار بعد ذلك خطوات واسعة في طريق النّموّ فتخصّص بمعناه الدقيق ووضعت فيه مؤلفات خاصة بأسمه اقتصرّت على أبحاثه وحدها.

والمعنى اللغويّ العام للنحو هو الاتجاه والقصد، ثم سَمّي هذا العلم بهذا الاسم أخذاً من هذا المعنى بعد أن خصّص عمومّه بالمعنى الاصطلاحي الخاص للمناسبة بينهما، وتخصيص العام أمر شائع كصرف الكتاب إذا أطلق إلى كتاب سيبويه وصرف الصلاة إذا أطلقت وهي في اللغة الدعاء إلى العبادة المعروفة، قال ابن جني عن النحو «هو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحواً كقولك قصدت قصداً، ثم خصّ به أنتحاء هذا القبيل من العلم»<sup>(١٣)</sup>!

ويبدو أنّ لفظ النحو والنسبة إليه كان ممّا جرت به الألسنة قديماً فقد اصطلاح على تليّيب يوحنا<sup>(١٤)</sup> الاسكندراني النصراني الذي عاش زمن الرسول وأدرك فتح عمرو بن العاص لمصر يبيح النحوي. ولكن المشهور أنّ علم النحو إنما سَمّي<sup>(١٥)</sup> بهذا الاسم لقول عليّ لأبي الأسود لما عرض عليه ما استنبطه وأهتدى إليه من بعض أسسه: ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت!! أنح هذا النحو. وهو الظاهر لأنّ كلمة نحويّ أطلقت قديماً على اللغويّ وسأوتها<sup>(١٦)</sup> في المعنى مما يحمل على الاعتقاد بأنّ تليّيب يوحنا بهذا اللقب لم يقصد به أنه يدرس النحو ويضيف إليه بالمعنى الذي يفهم الآن منه.

وقد عاد فريق من الباحثين بالنحو العربي إلى أمم أخرى لما لا حظّوه من نشوئه والاشتغال به في العراق على يد نحاة كان كثير منهم من غير العرب الذين أفادوا من لغاتهم الأصلية في وضع قواعد النحو العربيّ وتقسيمه وتبويبه حيث ظهر ناضجاً فجأة في كتاب جامع هو كتاب سيبويه، ولما وجدوه من التشابه بينه وبين النحو السرياني أو الكلداني أو اليوناني في التبويب وفي تقسيم الكلمة وفي حركات الإعراب على سبيل المثال، يقول جرجي زيدان عن النحو العربيّ «يغلب على ظنّنا أنهم تسجّوا

في تبويبه على متوال السريان لأنَّ السريان دَوَّنوا نحوهم وآلَّفوا فيه الكتب في أواسط القرن الخامس للميلاد... فالظاهر أنَّ العرب لمَّا خالطوا السريان في العراق اطلعوا على أدابهم وفي جملتها النحو فأعجبهم، فلما أضطروا إلى تدوين نحوهم نسجوا على منواله لأنَّ اللغتين شقيقتان، ويؤيِّد ذلك أنَّ العرب بدأوا بوضع النحو وهم في العراق بين السريان والكلدان، وأقسام الكلام في العربية هي نفس أقسامه في السريانية<sup>(١٦)</sup> ويقول عن الحركات «أول من رسمها أبو الأسود الدؤلي فإنَّه وضع نقطاً تمتاز بها الكلمات أو تعرف بها الحركات.... والأرجح أنَّه اقتبس ذلك من الكلدان أو السريان جيرانه في العراق.... أمَّا صور الحركات التي وصلت إلينا نعني الضمة والفتحة والكسرة فلا نعلم واضعها أو واضعيها ولا الزمن الذي وضعت فيه، ولكن الغالب أنَّها وضعت في القرون الأولى للإسلام.... اقتداء بالسريان»<sup>(١٧)</sup> ويقول الرافعي إنَّ دلائل الحركات الخطية لم تكن عند العرب «بل اخترع أصولها السريان حينما تنصَّروا وأرادوا ضبط قراءاتهم في الأناجيل، فوضعوا علامات صغيرة تدلُّ على الحركات.... ولا يزال أثر هذه الطريقة في المصاحف المخطوطة في القرن الثاني للهجرة»<sup>(١٨)</sup>؛ ويوافق أحمد أمين على أنَّه حدث تأثير ضئيل من اليونان والسريان في النحو العربي في العصر الأول لوضعه وأنَّه لم يلبث أن تطور بعد نقل الفلسفة اليونانية إلى العربية إلى تأثر النحو العربيَّ بها في قواعده وعلله<sup>(١٩)</sup>؛

ويرى فريق آخر من الباحثين أنَّ الصلة الوثيقة بين اللغة العربية وبين غيرها من اللغات السامية كالسريانية والعبرية التي تشعَّبت جميعاً عن أصل واحد قديم لا تعني بالضرورة اعتماد العربية على غيرها، فالعكس ممكن فرضاً مادامت القضية احتمالاً، كما يرى هذا الفريق أنَّ النحو العربيَّ يدور على نظرية العامل وهي لا توجد في أيِّ نحو أجنبي، وأنَّ انبعاث النحو في العراق وتصدَّر العناصر غير العربية لدراسته لا يعني أكثر من أنَّ الحاجة الداعية إلى إيجاد هذا العلم إنَّما كانت فساد اللسنة باختلاط العرب بالعجم، ومن الطبيعي أن يكون ذلك أكثر ما يكون في الأماكن التي يكثر فيها هؤلاء الأعاجم كالعراق، وأنَّ الأعاجم الذين أقبلوا على النحو العربيَّ إنَّما فعلوا ذلك لحاجتهم إلى تفهِّم الدين الجديد الذي اعتنقوه عن طريق دراسة قواعد لغته، وأنَّ المشابهة القليلة بين النحو العربيَّ ونحو اليونان في تقسيم الكلمة عند العرب إلى اسم

وفعل وحرف مثلاً أسوة بتقسيم اليونان الكلمة إلى اسم وفعل ورباط، وفي بعض المصطلحات النحوية العربية أيضاً التي أشبهت مثيلاتها في منطق اليونان مردها إلى أن تأثر العرب بمنطق اليونان وفلسفتهم إنما كان في تنظيم النحو وتهذيبه وتقسيمه وفي بعض مصطلحاته وأساليبه وفي طرق الحجاج والمناقشة فيه، ولم يكن التأثر في أصول النحو وأساسه لأن هذه كانت قد وضعت قبل نقل المنطق اليوناني إلى العربية وقبل أن تزدهر حركة الترجمة إليها من غيرها، وإن ما يقال من أن تأثر النحو العربي المباشر بنحو الأجانب أدّى إلى الطفرة فيه وإلى اكتماله المفاجيء في كتاب سيبويه ليس دقيقاً لأن فكرة النحو العربي فكرة قديمة ترجع إلى منتصف القرن الأول للهجرة، وقد أخذت قواعده تنمو وتتطور إلى أن نضجت واكتملت في أواخر النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة وليس من المعقول أن يكون في الأمر طفرة ليس في مقدور العرب أن يفعلوها وحدهم بعد هذا الزمن الطويل من التطور من أبي الأسود المتوفى سنة ٦٩هـ إلى سيبويه المتوفى سنة ١٨٨هـ، والأمر في حقيقته لا يخرج - فيما أظن - عما يقال من أن نواة البصرة الأولين قد عرفوا أن لبعض اللغات الأجنبية نحواً فحاولوا أن يضعوها للعربية نحواً مماثلاً معتمدين في ذلك على ملكاتهم العقلية التي رقيت بتأثير ما وقفوا عليه من الثقافات الأجنبية وخاصة فلسفة اليونان<sup>(٢٠)</sup> ومنطقهم فأبدعوا علم النحو ابتداء على ما قاله ليتمان<sup>(٢١)</sup> الذي أضاف «أنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدّموه»<sup>(٢٢)</sup> وعلى ما قاله فايل من أن الرواية العربية حفظت لنا «في مجموعات مختلفة من كتب التراجم وصفاً لمسلك نمو هذا العلم الذي هو أجدد العلوم أن يعدّ عربياً محضاً»<sup>(٢٣)</sup> وما رآه دي بور من أن علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربي يحقّ للعرب أن يفخروا به، وأن العرب لم يكونوا يحبّون أن تعكّر عليهم النظريات الفلسفية العامة صفاء اللذة التي يجدونها في دقائق لغتهم وأنه كثيراً ما تفرّ أساتذة اللغة المتشدّدون من صيغ لغوية أتى بها مترجمو الكتب الأجنبية<sup>(٢٤)</sup>.

ومثل هذا الذي قيل في تطور قواعد النحو يقال في تطور الحركات التي نشأت رموزها كالنحو بسيطة كنقطة فوق حرف أو بين يديه أو تحته، ثم تطورت مثله إلى وضعها الحالي كحركات مأخوذة من الحروف المشابهة لها حين اكتشف الخليل بن أحمد الرابطة بينهما.

وقد عَرَفَ أهل الصناعة من القدامى وغيرهم النحو وحده بتعريفات متعددة بعضها يفضي إلى بعض وحدّوه حدوداً تشمل الصرف معه ويؤدي بعضها أيضاً إلى بعض نختار منها جميعاً ما قاله ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ من أنه «انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّب بعضهم عنها ردّ به إليها»<sup>(٢٤)</sup> وما قاله عبد القاهر المتوفى سنة ٤٧١هـ «وَأَعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ النِّظْمُ إِلَّا أَنْ تَضَعَ كَلَامَكَ الْوَضْعَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ عِلْمُ النُّحُوِّ وَتَعْمَلُ عَلَى قَوَائِنِهِ وَأَصُولِهِ وَتَعْرِفُ مَنَاجِيزَ الَّتِي نَهَجْتَ فَلَا تَزَيِّغُ عَنْهَا، وَتَحْفَظُ الرِّسُومَ الَّتِي رَسَمْتَ لَكَ فَلَا تَخْلُ بِشَيْءٍ مِنْهَا.... فَلَسْتُ بِوَاجِدٍ شَيْئاً يَرْجِعُ صَوَابُهُ إِنْ كَانَ صَوَاباً وَخَطْؤُهُ إِنْ كَانَ خَطَأً إِلَى النِّظْمِ وَيَدْخُلُ تَحْتَ هَذَا الْاسْمِ إِلَّا وَهُوَ مَعْنَى مِنْ مَعَانِي النُّحُوِّ قَدْ أَصِيبَ بِهِ مَوْضِعُهُ وَوَضِعَ فِي حَقِّهِ أَوْ عُمِلَ بِخِلَافِ هَذِهِ الْمَعَامِلَةِ فَأُزِيلَ عَنْ مَوْضِعِهِ وَاسْتَعْمِلَ فِي غَيْرِ مَا يَنْبَغِي لَهُ، فَلَا تَرَى كَلَاماً قَدْ وَصِفَ بِصِحَّةِ نِظْمٍ أَوْ فُسَادِهِ أَوْ وَصِفَ بِمَزِيَّةٍ وَفُضِّلَ فِيهِ إِلَّا وَأَنْتَ تَجِدُ مَرْجِعَ تِلْكَ الصِّحَّةِ وَذَلِكَ الْفُسَادِ وَتِلْكَ الْمَزِيَّةِ وَذَلِكَ الْفُضْلِ إِلَى مَعَانِي النُّحُوِّ وَأَحْكَامِهِ، وَوَجَدْتَهُ يَدْخُلُ فِي أَصْلٍ مِنْ أَصُولِهِ وَيَتَّصِلُ بِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِ»<sup>(٢٥)</sup> وما نقله السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ عن صاحب المستوفى وهو أنّ «النحو صناعة علمية ينظر لها أصحابها في ألفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى فيتوصل بإحداهما إلى الأخرى»<sup>(٢٦)</sup> وتعريف الأشموني المتوفى سنة ٩٢٩هـ له بأنه «العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي أئتلف منها»<sup>(٢٧)</sup> وتعريف الخضري المتوفى سنة ١٢٨٧هـ له بأنه «يطلق على ما يعمّ الصرف تارة وعلى ما يقابله أخرى ويعرّف على الأول بأنه علم بأصول مستنبطة من كلام العرب يعرف بها أحكام الكلمات العربية حال أفرادها كالإعلال والإدغام والحذف والإبدال وحال تركيبها كالإعراب والبناء وما يتبعهما من بيان شروط لنحو النواسخ وحذف العائد وكسر إنّ أو فتحها ونحو ذلك وعلى الثاني يخصّ بأحوال التركيب»<sup>(٢٨)</sup>

وللنحو صلة وثيقة بفروع العربية الأخرى، فهو من هذه الفروع يرتكز وسائرهما

على كلام العرب، ويبحث مثلها فيه، ويتعرف بالاشتراك معها على جميع نواحيه من أساليب وتركييب في مطلق الكلام، وأوزان وقوافٍ في الشعر منه، وبنيات للكلمات وضبط للأواخر وغير ذلك. ولقد كان النحو أسبق هذه الفروع وضعاً وتدويناً لأنّ اللحن تسرّب إلى الإعراب قبل غيره لذلك احتاجوا أولاً إلى ما يعصم اللسان عن الخطأ فيه، ومردّ اللحن إلى اتساع رقعة الدولة الإسلامية واختلاط العرب بسواهم وتلاقي لغتين أو أكثر في الألسنة، وهذا - كما هو المتصور - يؤثّر فيها، فتُدخلُ كلُّ لغة الضيم على صاحبها. وقد خشي المسلمون على القرآن كما خافوا على اللغة من هذا اللحن فيبادر علماءهم إلى وضع القواعد التي تضبط اللغة وتعين على فهمها وأدائها المعاني وتيسّر في الوقت نفسه لغير أبنائها سبل تعلّمها وإجادتها، وقد وصف ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ الأمر كلّهُ وصفاً دقيقاً شاملاً فقال «لما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز.... وخالطوا العجم تغيّرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعرّبين.... ففسدت بما ألقى إليها ممّا يغيّرها لجنوحها إليه بأعتياد السمع، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد فينغلق القرآن والحديث على الفهوم، فاستتبّطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه منها بالأشباه مثل أنّ الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغيّر الدلالة بتغيّر حركات هذه الكلمات فأصطلحوا على تسميته إعراباً وتسمية الموجب لذلك التغيّر عاملاً وأمثال ذلك، وصارت كلّها اصطلاحات خاصة بهم فقيّدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة وأصطلحوا على تسميتها بعلم النحو» (٢٩).

ولقد بدأ اللحن في السنة العامة واشتهر من أمثلة ذلك قولهم في البداية هذه عصاتي<sup>(٣٠)</sup> بدل عصاي، وقولهم بالعراق حيّ على الصلاة بكسر الياء بدل فتحها، وقول أعرابيٍّ لمؤذن قال أشهد أنّ محمداً رسول الله ينصب رسول: ويحك يفعل ماذا؟ وقد ألّفت كتب فيما تلحن به العامة كتكتب الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ وأبي عبيدة المتوفى سنة ٢١٠هـ والمازني المتوفى سنة ٢٤٩هـ وأبي حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠هـ، ثم تسرّب إلى السنة الخاصة فصنّفت لهم بعد ذلك كتب فيما لحنوا فيه كتكتاب

ما تلحن فيه الخاصة لأبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ وكتاب درة الغواص في أوام الخواص للحريري المتوفى سنة ٥١٦هـ الذي وضع الجو البقي المتوفى سنة ٥٣٩هـ تتمته.

وفي واضع النحو وتاريخ الوضع اضطراب في الأقوال وعماية اتسعت لتضارب الآراء، فقد زعم أن واضعه نصر بن عاصم<sup>(٣١)</sup> المتوفى سنة ٨٩هـ وأن أول كتاب وضع في النحو كان له على التحقيق<sup>(٣٢)</sup>، أو عبد الرحمن بن هرمز<sup>(٣٣)</sup> المتوفى سنة ١١٧هـ، قال ابن النديم «قرأت بخط أبي عبد الله بن مقلة عن ثعلب أنه قال: روى ابن لهيعة عن أبي النضر قال: كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية»<sup>(٣٤)</sup>، أو ابن أبي إسحاق<sup>(٣٥)</sup> المتوفى سنة ١١٧هـ، وزعم ابن<sup>(٣٦)</sup> فارس وغيره أن النحو قديم في العرب أبنته الأيام وقل في أيدي الناس ثم جدده الإسلام على يد أبي الأسود بإرشاد الامام علي، وقد غلا ابن فارس في هذا غلواً شديداً إذ نسب للعرب العاربة معرفتهم بمصطلحات النحو بتوقيف من قبلهم حتى انتهى الأمر إلى الموقف الأول وهو الله الذي علم آدم الأسماء كلها.

والمختار لا يعدو أن يكون علياً المقتول سنة ٤٠هـ لما روي عن أبي الأسود أنه سئل «من أين لك هذا النحو؟ فقال: لفت حدوده من علي بن أبي طالب»<sup>(٣٥)</sup> ولقول أبي عبيدة وغيره «أخذ أبو الأسود النحو عن علي بن أبي طالب»<sup>(٣٦)</sup> ولما رواه ابن النديم من أن محمد بن إسحاق قال «زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود الدؤلي، وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب<sup>(٣٧)</sup>» ولما ذكره الأنباري من أن الصحيح أن أول من وضع علم العربية وأسس قواعده وحد حدوده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأخذ عنه أبو الأسود<sup>(٣٨)</sup>، ولقول القفطي «الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»<sup>(٣٩)</sup> ولقوله أيضاً «رأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي السراقين جزءاً فيه أبواب من النحو يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي»<sup>(٣٩)</sup> ولقوله كذلك «وأهل مصر قاطبة يرون بعد النقل والتصحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب



وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي، وأخذ عن أبي الأسود الدؤلي نصر بن عاصم<sup>(٣٩)</sup> أو أن يكون أبا الأسود الدؤلي نفسه المتوفى سنة ٦٩هـ بأمر عليّ أو زياد بن أبيه أو آبنه، لما لوضع النحو من خطورة تقتضي التفرغ التام، وهو متاح لأبي الأسود، في حين تقضت حياة عليّ وغيره في الكفاح وسياسة الناس، روي أنّ رجلاً بمدينة الحديثة اسمه محمد بن الحسين كان جماعة للكتب وقد آلت إليه خزانة صديق له كان مشتهراً بجمع الخطوط القديمة، قال ابن النديم «فرايتها وقلبتها فرأيت عجباً إلا أنّ الزمان قد أخلقها وعمل فيها عملاً أدرسها.... ورأيت ما يدلّ على أنّ النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته، وهي (أربعة) أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها: هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر»<sup>(٤٠)</sup> وقال محمد بن سلام الجمحي «كان أول من أسّس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي»<sup>(٤١)</sup> وقال ابن قتيبة إنّ أبا الأسود «يعدّ في... النحوين لأنّه أول من عمل في النحو كتاباً»<sup>(٤٢)</sup>، وذهب معاصر إلى أنّ أبا الأسود استعرض طائفة من كلام العرب وتوصّل إلى استنباط بعض القواعد بإرشاد الإمام عليّ وأسماها النحو ودونها في صحيفة له عرفت عند النحاة بالعليقة وهي أول كتاب دون في علم اللسان العربي<sup>(٤٣)</sup>؛

على أنّ أبا الأسود لم يسلم ممّن يشكّك في أولية وضعه النحو بحجة أنّ عصره لم يكن يتواءم مع ما نسب إليه من الاصطلاحات<sup>(٤٤)</sup> الوضعية المرتبة، فعل هذا الاستاذ أحمد أمين حين ذهب إلى أنّ الرواة يكادون يتفقون على أنّ أبا الأسود ابتكر شكل المصحف، وإلى أنّ هذا يعدّ خطوة أولية في سبيل النحو تتمشّى مع قانون النشوء، وأنّه من الممكن أن تأتي من أبي الأسود، وأنّ هذا «يلفت النظر إلى النحو، فعمل أبي الأسود يسلم إلى التفكير في الإعراب ووضع القواعد له.... وأنّ هذه الأمور لما توسّع العلماء فيها بعدُ وسمّوا كلامهم نحواً سجدوا اسم النحو على ما كان قبل من أبي الأسود وقالوا: إنّه واضع النحو للشبه في الأساس بين ما صنع وما صنعوا، وربّما لم يكن هو يعرف أسم النحو بتاتاً... إنّما الذي له الفضل الأكبر في ذلك الخليل بن أحمد ذو العقل الجبار المبتكر الذي قلّ أن يوجد له نظير في علماء ذلك العصر، والذي عكف على العلم يخترع فيه ويستنبط أصوله من فروع على طريقة لم يسبق إليها... وهو

الذي عمل النحو الذي نعرفه إلى اليوم»<sup>(٤٥)</sup>

وفعل هذا أيضاً الأستاذ إبراهيم مصطفى الذي عدَّ تقبُّل فكرة وضع أبي الأسود للنحو أمراً لا يستساغ وقال «إنَّه لا يعقل أن يكون هذا الزمن المبكر قد تمكَّن فيه العرب من الاشتغال بالعلوم ووضع القواعد على هذا الوجه الذي نراه في كتب العربية، وقد أنكر ذلك<sup>(٤٦)</sup> المستشرقون وعدَّوه حديث خرافة، ولقد ساقنا هذا الإشكال إلى أن تنتهج سبيلاً أخرى في البحث ففتَّبنا كتب النحو الباقية بأيدينا لنعلم أقدم عالم نسب إليه رأي نحوي في هذه الكتب، وكان أول هذه الكتب كتاب سيبويه، ويلاحظ أول ما يلاحظ أننا لم نجد في كتاب سيبويه ولا فيما بعده من الكتب رأياً نحوياً نسب إلى أبي الأسود ولا إلى طبقتين بعده، فنحن أمام حقيقة واضحة أخذت من كتب النحو وهي أن أقدم من نسب إليه رأي نحوي هو عبدالله بن أبي اسحاق. الحضرمي<sup>(٤٧)</sup>، أمَّا عمل أبي الأسود فقد كان نقط المصحف كما أشارت إليه الروايات لضبطه على سبيل العرب وسمتها في القول، وذلك ما كان يقصده الرواة من كلمة النحو، وهو عمل طبيعي في صدر الدولة الإسلامية، أمَّا هذه القواعد النحوية التي كتب لها هذا العمر الطويل فإنَّ أول من نهج سبيلها عبدالله بن أبي اسحاق، وقد دخل عامل آخر في الأمر وهو هو بعض المؤلفين إذ كانوا يحبُّون أن ينسب كل شيء إلى علي وشيعته، فخفيت الحقيقة حتى أن أن يجلبها البحث في كتب النحو ذاتها لا في أخبار الطبقات»<sup>(٤٨)</sup>.

في حين ناقش الشيخ محمد الطنطاوي هذه الشكوك فقال «نحن لا ندعي أن أبا الأسود قد وفَّق إلى النحو على غرار ما نراه في كتبنا من تعريفات ومصطلحات وتقاسيم فإنَّ طبيعة عهده السابق على عصر المقتضي تقتضي مجرد اتجاهاه إلى أبواب هذا العلم إجمالاً حسبما تقتضيه الفطرة العربية... وذلك كافٍ في اعتباره المؤسس له... إلَّا أنَّه مما لا يختلف فيه أثنان أنَّ النهضة بهذا العلم... كان عمادها الخليل بن أحمد... ومع هذا فإنَّ عناصره الأساسية التي أهدى إليها أبو الأسود بتعليم وإقرار الإمام علي لم تتغيَّر ولم تتبدَّل... على أننا لو تمثَّلنا شخصية أبي الأسود ونزعتَه وعصره... لأيقنا صحة هذه النسبة، فقد كان علويُّ الرأي يجاهر بتشييعه... وقد توالى خلافة الأمويين زمناً ليس بالقصير وهم منطوون على نار من الحقد للعلويين وأتباعهم... فكيف يدَّعون

أمراً خطيراً كهذا يمضي على كَرِّ الزمان ويخلد في بطون الأسفار، وهم أحرص الناس على الغُضِّ من شأن العلويين وشيعتهم ولاسيما في مثل هذا الشأن ذي البال والأثر الخالد»<sup>(٤٩)</sup>

وناقشها أيضاً مناقشة مستفيضة باحث معاصر آخر فذهب إلى أنَّ ما دفع الأستاذ إبراهيم مصطفى إلى ما قاله هو على ما يبدو إنكار المستشرقين الذي عدّه حقيقة لا تقبل الجدل على الرغم من أنَّ الرواة يكادون يجمعون على أنَّ واضع النحو هو أبو الأسود بأمر عليٍّ، وليس لهم مصلحة تجعلهم يؤثرون عالماً على غيره ولا والياً على آخر، وهم ليسوا متعصبين لأبي الأسود وعليٍّ ليدفعهم تعصبهم إلى بغض زياد وأبن أبي اسحاق، ونحن إن علمنا أنَّ في تاريخ زياد ما يدعو إلى بغضه فلسنا نعلم من تاريخ ابن أبي اسحاق ما يدعو إلى كراهيته، بل إنَّ الرواة ينسبون إليه أنّه كان الغاية في النحو شديد التجريد للقياس فيه، وأنه أوّل من علّله<sup>(٥٠)</sup>؛ وحتى زياد نفسه فإنهم أيضاً ينسبون له أو موافقته فضل فكرة ضبط المصحف لحفظه سليماً، لأنه كما يقولون الذي جمع الرجال الذين اختار منهم أبو الأسود من اعانه على إنجاز عمله.

وقد أضاف هذا الباحث أنَّ أحداً لم يقل إنَّ أبا الأسود وضع النحو كاملاً، فهو قد وضع فكرة أبواب استدعتها الظروف بدون دقة أو تفريع ممّا نراه اليوم في كتب النحو، ولا ينبغي على كل حال أن يستغرب منه التفكير في وضع قواعد عامة تساعد على ضبط اللغة بعد أن عمل على ضبط المصحف، وإذا كانت صلة أبي الأسود بعليٍّ ما نعرف، وإذا كان زياد في حياة عليٍّ من أنصاره وقوّاده، فإنّه لن يكون عسيراً علينا أن نفهم الصلة التي تربط عليّاً بهذا الموضوع، أما المنهج الذي سار عليه الأستاذ إبراهيم ليعلم أقدم عالم نسب إليه رأي نحويّ في الكتب الموجودة بين أيدينا ففيه كثير من القصور لأنّه جعل الكتابة والتقييد معياراً له مع أننا نعلم أنَّ الكتابة جاءت متأخرة عند العرب، وأنَّ العلماء ظلّوا فترة طويلة يعتمدون على الرواة والحفاظ، وأنَّ العناية في التدوين لم توجه في أول الأمر إلّا للمصحف، فليس بغريب إذن أن يتأخر تسجيل النحو، وليس بغريب كذلك ألاّ ينسب إلى أبي الأسود شيء في كتاب سيبويه، فعدم نسبة شيء إلى أبي الأسود إذن لا يدلّ على أنّه لم يكن له رأي في النحو، وأمّا ذهابه إلى أنَّ مراد الرواة بالنحو الذي نسبوا وضعه لأبي الأسود هو نطق المصحف فحسب وأنَّ

الامر أختلط عليهم فظنوا أنه بذلك وضع النحو فهو ممّا لا يستقيم، إذ لا يعقل أن يختلط الأمر على الرواة وهم ينصّون على نقط أبي الأسود للمصحف مرّة وعلى وضعه مسائل من النحو مرّة أخرى، وليس هناك في الوقت نفسه ما يدعوننا إلى أن نسيء الظنّ بالرواة وهم أكثر ممّا بحثاً في لغة العرب وأقرب ممّا زمناً لنشأة العلم، ثم ماذا نقول فيما ينسبه ابن عبد ربّه إلى أبي الأسود من أنّه قال: من العرب من يقول لسولاي لكان كذا وكذا، أليس هذا بحثاً في صميم النحو؟ ثم أليس ردّه على بني قشير حين قالوا بعد أن سمعوا أبياته:

يقول الأزدلون بنو قشير طوال الدهر لاتنسى عليا  
فقلت لهم: وكيف يكون تركي من الأعمال ما يجدي عليا  
أحبّ محمداً حبّاً شديداً وعباساً وحمزة والوصيا  
فإن يك حبّهم رشداً أصبه ولست بمخطيء إن كان غيا

شككت يا أبا الأسود في قولك: فإن يك حبّهم، فقال أما سمعتم قول الله تعالى: وإنا وإياكم لعلّى هدى أو في ضلال مبين؟<sup>(٥١)</sup> أليس ردّه هذا استدلالاً في مسألة نحوية؟ وإذا كان ذلك لم يذكر في كتب النحوف فإنّ ذكره في كتب الأدب لم يخرج عن طبيعته النحوية، كما لا يستطيع أحد أن يدعي أنّ عالماً ينقط المصحف كلمة كلمة ويلاحظ حركات حروفه حرفاً حرفاً ثم يخرج من عمله هذا دون أن تتكّن لديه فكرة أولية عن شئون النحو<sup>(٥٢)</sup>.

وأياً ما كان الأمر في هذا الموضوع فإنّه من العسير جداً تجليته تجلية تامة وبيان حقيقته على وجه القطع وذلك لكثرة ما فيه من الأقوال المتضاربة والروايات المتعددة والمواقف المتعارضة، فقد رأينا من يقول إنّ نسبة وضع النحو إلى الإمام عليّ دفعت إليها روح التشيع عند أصحابها كما هو الحال عند القائلين بذلك من القدماء، وأنّها شاعت في البيئات الشيعية كما كان في مصر أيام القفطي، ويرى أنّ انشغال عليّ بمسئوليّاته الدينية والسياسية يحول في الحقيقة دون ذلك، بالإضافة إلى أنّ ابن سلام وهو أقدم من أثرت عنهم الرواية في هذا الموضوع لم يشر إلى مجهود عليّ في تأسيس النحو.

وهناك من يذهب إلى أنَّ شبه الإجماع في جانب أبي الأسود وحده، وأنَّ أحدًا من الرواة حتى من بين من نسب وضع النحو إلى غير أبي الأسود لم يتعرض لنفي نسبة الوضع إليه، وأنَّ ما رواه ابن النديم من أنَّ عبدالرحمن بن هرمز أول من وضع العربية لا ينهض لأنَّه رواية من مصدر واحد لا يوجد ما يدعمها من المنقول أو المعقول فضلاً عن أنَّ ابن النديم نفسه ساقها في حديث واحد إلى جانب روايات أخرى تنسب وضع النحو لغيره فلا يعول عليها إذن إزاء شبه الإجماع في جانب الدؤلبي، هذا بالإضافة إلى مصحف مخطوط<sup>(٥٣)</sup> عثر عليه في مسجد عمرو بن العاص في القسطنطينية وهو اثر مادي قديم جمع الشكل الذي وضعه أبو الأسود بمداد أحمر، ونقط الإعجام التي عرفت عن نصر بن عاصم بمداد أسود<sup>(٥٤)</sup>.

وهناك من ينادي بإخراج وضع نصر بن عاصم نقط الإعجام من دائرة النحو لأنَّه ليس منه، ويعتقد في الوقت نفسه أنَّ تأليفه كتاباً في النحو كما قيل لا يعني أنَّه أول كتاب فيه لأنَّ أبا الأسود قبله ترك صحيفة في النحو لم يكتب<sup>(٥٥)</sup> غيرها، ولأنَّ المدة التي عاشها نصر بعد وفاة أبي الأسود وهي عشرون سنة تسمح له بتأليف كتاب في النحو بعده، وهذا على كل حال لا يقوى على الطعن في نسبة أولية الوضع في النحو لأبي الأسود.

ومن الواضح أنَّ حصيلة هذه الأقوال والمناقشات تؤل بقرارها إلى أن يشعر بأنه لا سبيل إلى تحقيق تاريخ وضع النحو البتة، وإلى أنَّ معرفة واضعه تكاد تكون معضلة، كما أنَّها تفضي في الوقت نفسه إلى حقيقة تبدو وحدها مؤكدة وهي أنَّ وضع النحو إنما كان في الفترة المحصورة بين عليّ المقتول سنة ٤٠هـ وعبدالرحمن بن هرمز المتوفى سنة ١١٧هـ وهي لا تتجاوز كثيراً سبعين سنة.

وقد أصاب الاضطراب أيضاً الروايات في السبب الذي حمل أبا الأسود على وضع النحو كما هو راجع على ما نطق به جمهور الرواة، فقد روي أنَّه سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى «أنَّ الله بريء من المشركين ورسوله»<sup>(٥٦)</sup> بكسر اللام في رسوله فقال: ما ظننت أمر الناس يصل إلى هذا ووقد على زياد بن أبيه والي البصرة - أو على أبنه عبيد الله

واليها من بعده - وقال له: إنّي أرى العرب قد خالطت الأعاجم وتغيّرت السننهم  
افتأذن لي أن أضع للعرب ما يقيمون به كلامهم؟ وقيل إنّ رجلاً لحن أمام زياد - أو  
أبنة عبيد الله - فطلب من أبي الأسود أن يرسم للناس العربية، وقيل إنّ رسمها حين  
سمع أبنته تقول ما أحسن السماء وهي لا تريد الاستفهام وإنّما تريد التعجب فقال  
لها قولي ما أحسن السماء، وروي أنّه شكّا فساد لسانها لعلّي فوضع له بعض أبواب  
النحو وقال له: انح هذا النحو. إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة المشهورة والمبثوثة في  
ثنايا كتب التراجم وأمهات مصنفات الأدب.

ولا ينبغي لنا الشك في جميع أسباب وضع أبي الأسود النحو لتعدد رواياتها  
وتناقضها واضطرابها، والأقرب أن تؤدّي بالنفس إلى الإطمئنان والثقة بأن سبب  
وضع النحو لأبّد أن يعود إلى أسباب متعددة لا إلى سبب واحد إنّ الأليق أن يكون  
الباعث على الوضع التعدد في الخطأ والتنوع فيه وليس الخطأ الواحد الذي يمكن أن  
لا يكون حافزاً كافياً للقيام بمثل هذه المهمة الجليّة.

وكما اضطربت الروايات في السبب الذي حمل أبا الأسود على وضع النحو فإنّها  
اختلفت كذلك في أوّل ما وُضِعَ من أبوابه بصرف النظر عن الواضع، فقد روي أنّ أبا  
الأسود «وضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف الرفع والنصب والجرّ  
والجزم»<sup>(٥٧)</sup> وروي أنّ أول من أصل النحو وأعمل فكره فيه «أبو الأسود الدؤلي  
ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز فوضعوا للنحو أبواباً وأصلوا له أصولاً،  
فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم ووضعوا باب الفاعل والمفعول  
والتعجب والمضاف»<sup>(٥٨)</sup> وروي أنّ «سبب وضع عليّ لهذا العلم ما روى أبو الأسود قال  
دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فوجدت في يده رقعة فقلت ما هذا يا أمير  
المؤمنين؟ فقال إنّي تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء - يعني  
الأعاجم - فأردت أن أضع لهم شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه ثمّ ألقى إليّ الرقعة  
وفيها مكتوب، الكلام كلّ آسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما  
أنبأ به، والحرف ما جاء بمعنى، وقال لي انح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك،  
وأعلم يا أبا الأسود أنّ الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر وآسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنّما

تتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمّر، وأراد بذلك الاسم المبهّم، قال أبو الأسود: فكان أول ما وقع لي إن وأخواتها ما خلا لكن، فلمّا عرضتها على عليّ قال لي: وأين لكن؟ فقلت: ما حسبتها منها، فقال هي منها فالحقها، ثم قال ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، فلذلك سمّي النحو نحواً»<sup>(٥٩)</sup>

وقد نشأ النحو ونما وأزدهر في البصرة والكوفة حيث آستوطنهما العرب والعجم معاً وظهر اللحن فيها بينهم ظهوراً لا مثيل له في سائر البلاد، قال أبو الطيب «ولا علم للعرب إلّا في هاتين المدينتين، فأما مدينة الرّسول فلا نعلم بها إماماً في العربية، قال الأصمعي: أقمت بالمدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلّا مصحفة أو مصنوعة، وكان بها ابن داب يضع الشعر وأحاديث السمر وكلاماً ينسبه إلى العرب فسقط وزهد علمه وخفيت روايته.... وممن كان بالمدينة أيضاً عليّ الملقب بالجمال وكان وضع في النحو كتاباً لم يكن شيئاً، وأما مكة فكان بها رجل من الموالي يقال له ابن قسطنطين يشدو شيئاً من النحو، فأخبرنا جعفر بن محمد، قال: أخبرنا إبراهيم بن حميد قال: أخبرنا أبو حاتم قال: وضع ابن قسطنطين بمكة شيئاً من النحو، ثم قدم البصرة فسمع النحو فطرح جميع ما كان عمل ووضع شيئاً آخر لا يساوي شيئاً أيضاً، وأما بغداد فمدينة ملك وليس بمدينة علم، وما فيها من العلم فمذكور إليها ومجلوب للخلفاء وأتباعهم ورعيّتهم»<sup>(٦٠)</sup>

ولقد مرّ علم النحو بمراحل تطور متعاقبة كانت في البداية سريعة وذلك بسبب ارتباطه بضبط القرآن والحديث حتى يظلاً بمنجاة من اللحن والتحريف ممّا جعله في حقيقة الأمر ثمرة من ثمرات الدراسة القرآنية، وهذه المراحل هي: إعراب القرآن بوضع رموز لحركات أواخر كلماته وهو العمل الذي قام به أبو الأسود، ثم إعجامة لتمييز حروف الهجاء المتشابهة في الصورة بعضها عن بعض وهو ما قام به نصر بن عاصم، ثم استبدال ما فعله أبو الأسود بوضع الخليل بن أحمد الحركات التي نعرفها للإعراب مع بقاء نقط الإعجام على ما كانت عليه، وبعد هذا بدأ النحو يبحث في تأليف الكلام وعمله، ثم أتجه أخيراً عبر أزمان ممتدة طويلة إلى ما نراه من أشكال الدرس فيه على نحو ما هو مشاهد في أمهات كتب النحو عند المتأخرين.

ولقد ظهرت في مراحل التطور المتعاقبة علامات جديدة بالتسجيل، من ذلك ضرب المثل وسوق الدليل لبيان صحة ما ذهب إليه أهله كما حدث في قصة أبي الأسود<sup>(٦١)</sup> مع بني قشير، ومنه: إجابة العلماء على ما أصبح يوجّه إليهم من الأسئلة عن ضبط معيّ أو استعمال خاص كالذي روي من قول أبي الأسود «من العرب من يقول لولاي لكان كذا وكذا»<sup>(٦٢)</sup> فالملظنون أن يكون هذا ردّاً أو كالدردّ على سؤال وجّه أو يمكن أن يوجّه إليه عن جواز استعمال الضمير بعد لولا، وكسؤال الحجاج ليحي بن يعمر المتوفى سنة ١٢٩ هـ «أتجدني ألحن؟ قال: الأمير أفصح من ذاك، قال: عزمتُ عليك لتخبرني، وكانوا يعظمون عزائم الأمراء، فقال يحي بن يعمر: نعم في كتاب الله، قال: ذاك أشنع له، ففي أي شيء من كتاب الله؟ قال: قرأت: قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله»<sup>(٦٣)</sup> فترفع أحب وهو منصوب، قال إذا لا تسمعي الحن بعدها، فنفاها إلى خراسان»<sup>(٦٤)</sup>

ومن هذه العلامات بدء التعليل والقياس على يد عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ الذي قال عنه يونس «هو والبحر سواء»<sup>(٦٥)</sup> أي هو الغاية، والذي تعقب الفرزدق وهو من هو في الفصاحة وخطأه في قوله: وعضّ زمانٍ يا بن مروان لم يدع من المال إلّا مسحاً أو مجلف إذ قال له: على أي شيء ترفع أو مجلف؟ فأجابه: على ما يسوءك وينوءك<sup>(٦٦)</sup>؛ فقد كان الحضرمي يعلّل لما يراه بأنه معطوف على منصوب فينصب. والذي تعقبه أيضاً في مدحه يزيد بن عبد الملك بقوله:

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور  
على عمائمنا يُلْقَى وارحلنا على زواحف تُرْجَى مَخْهَارِيرِ  
إذ قال له: أسأت إنما هو: مَخْهَارِيرٌ، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع<sup>(٦٧)</sup>

ولمّا رأى الفرزدق هذا التتبع من الحضرمي ثارت نفسه عليه فقال يهجوّه:

فلو كان عبدالله مويّ هجوته ولكن عبدالله مويّ مواليا



ولم يترك ابن أبي اسحاق هذا أيضاً بدون نقد فقال له: لقد لحت فيه وكان ينبغي أن تقول: مولى مَوَالٍ<sup>(٦٦)</sup>.

ويعدّ من هذه العلامات أيضاً بروز ظاهرة التفسير والشرح والتعليل مما أخرج النحو عن دائرة الرواية وحدها إذ لم يعد النحاة كعيسى بن عمر المتوفى سنة ١٤٩هـ وأبي عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ يكتفون بنقل ما يسمعون ولكنهم أخذوا يحاولون إلى جانب التماس العلل والأسباب لوجهات نظرهم في مسائل النحو التي لم تعد متفقاً عليها فتح باب الحجاج والجدل والتخريج والتأويل ونحو ذلك مما يعني أن الدرس النحوي قد خطا على أيديهم خطوة متقدمة إلى الأمام.

ومن أهم العلامات ظهور علم النحو على يد الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥هـ وسيبويه المتوفى سنة ١٨٨هـ تماماً مكتملاً ناضجاً وضعت قواعده وفرعت مسائله وبسطت قضاياها ومدّت أظنابه وفتقت معانيه والتمست له العلل وأفترضت فيه الفروض، وأوضح فيه الحجاج حتى بلغ أقصى حدوده وأقيم فيه الحوار على أسس دقيقة متماسكة يفي بعضها إلى بعض على نحو ما كان منهما في كتاب سيبويه بينه وبين أستاذه الخليل ممّا يحيط بالنحو ويقف بالنظرة الشاملة على كل صغيرة وكبيرة فيه مع الموازنة والاستنباط.

ويعدّ الخليل وسيبويه أبرز أعلام النحو في جميع المراحل فهما اللذان ملأه بالاصول والفروع والأدلة والأقيسة، وسيبويه هو الذي أخرج كتابه الجامع لقواعد النحو المحيط بمسائله فقد كان الخليل كما يقول أحمد أمين أرقى من أن يعكف على الكتب يدونها فهو يخترع العلم. ويتركه لتلاميذه يدونونه ولم يكن يرضى أن يؤلف في النحو حرفاً أو يرسم منه رسماً واكتفى في ذلك بما أوحى إلى سيبويه من علمه ولقنه من دقائق نظره ونتائج فكره ولطائف حكمته فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلّده وألف فيه الكتاب الذي أعجز من تقدّم قبله كما أمتنع على من تأخّر بعده<sup>(٦٧)</sup> لذلك أكثر سيبويه في كتابه من النقل عن أستاذه الخليل، ونقل كذلك عن غيره، بالإضافة إلى رواية ما سمعه والموازنة بين ما يروي وينقل وغير ذلك من الأمور التي تجعل النحو في كتابه

مشارفاً على التمام ممّا مهّد الطريق للتّالين لكي يضعوا مسائل النحو في وضعها النهائي الذي نشاهده الآن، ولكي يسمّوا مصطلحاته التسمية الاصطلاحية ويحدّدوها التحديد الواضح الدقيق اللذين نعرفهما في الوقت الحاضر.

وعندي أنّ سيبويه يعدّ أول من فتح باب التّفلسف في الدرس النحويّ ليلجّه بعد ذلك من وليه من النخاة المناطقة في العصور المتعاقبة ولیمعنوا في منطقة النحو وفلسفته بما أخرج أكثر مسائله في النهاية عن دائرة الحسّ اللغويّ والرواية الصافية ليدخلها في دائرة المعقول وذلك عن طريق افتراضه الأساليب وإتيانه أحياناً بالعقد منها وعقده الأبواب التي تتضمّن ما جاء به النحويون منها قياساً ممّا لم تتكلم به العرب حتى تكمل لهم الأوجه التي تصوّروها<sup>(٦٨)</sup>؟

أما المرحلة الأخيرة الطويلة الممتدة فهي مستمرة إلى عصرنا الحاضر الذي شهد محاولات لا يمكن وصفها بالحاسمة على يد بعض المعاصرين في سبيل حو ميسر مبسّط سهل إلى نحو ذلك من النعوت، وأهمّ مظاهر هذه المرحلة تأثّر النحو بالمنطق في البدء تأثراً لم يلبث أن تصاعد جيلاً بعد جيل، تتضح أوائل ذلك عند المبرّد المتوفى سنة ٢٨٥هـ وذلك على نحو يزيد في الغالب على ما كان منه في نحو سيبويه، فقد شهد المبرّد اتّساع نطاق الترجمة للمنطق والفلسفة وسائر العلوم والمعارف، وتأثّر لذلك في نحوه بالمنهج الفلسفي وبطرائق المتكلمين ومصطلحاتهم وأساليبهم، يظهر هذا جليّاً في مثل قوله «قاماً طلحة فلو قلت في جمعها طلحتون للزمك أن تكون أنتهه وذكرته في حال وهذا هو المحال»<sup>(٦٩)</sup> وقوله عن الأفعال «كان حدّها ألا يعرب شيء منها لأنّ الإعراب لا يكون إلّا بعامل، فإذا جعلت لها عوامل تعمل فيها لزمك أن تجعل لعواملها عوامل، وكذلك لعوامل عواملها إلى ما لا نهاية»<sup>(٧٠)</sup> وقد افتراض المبرّد كسيبويه الصيغ وربّما تعسف فيها وآبتعد بها عن اللسان العربيّ على نحو ما فعل من بنائه مثل جعفر من قلت وبعث ومثل تفعل من القول والبيع ومثل تفعل منهما<sup>(٧١)</sup> كما افتراض مثله الأساليب وربّما بالغ فيها وأغرب وجنح إلى التعقيد اللفظي والتعليل المنطقي كما فعل في باب مسائل أيّ في<sup>(٧٢)</sup> الاستقهاهم، وكقوله عن الموصول «فإن قلت: الذي التي اللذان الذين التي في الدار جاريّتهم منطلقون إليهما صاحبها أخته زيد، كان جيداً بالغا»<sup>(٧٣)</sup>.

ومع أنَّ التأثر بالمنطق والفلسفة والالتزام بهما في الدرس النصويّ كان أهم مظاهر هذه المرحلة منذ بدايتها فإنّ رفض بعض النحاة منذ البداية لهذا الاتجاه يعدّ أيضاً من أهم معالمها، فقد رأينا الجرمي مثلاً المتوفى سنة ٢٢٥هـ يأبى التعقيد ويكره كثرة التقديرات بل يرى أنَّ ما لا يحتاج إلى تقدير خير ممّا يحتاج إليه، وكان يرى أيضاً أن يقتصر في النحو على السماع والقياس على المسموع دون الإتيان بفروض غير مستعملة وصور ذهنية نظرية لم يرد لها مثيل عن العرب على نحو ما جاء به المبرد ومن بعده لأنّ في ذلك تكلفاً شديداً.

وهذه الفروض والصور إن دلّت على قدم راسخة في العلم وعلى تمرّس أصحابها الطويل به فإنّها في الحقيقة تبعث الآن على ضيق لا يقلّ عن ضيق بعض المتقدّمين بها كالجرمي وكابن مضاء المتوفى سنة ٥٩٢هـ الذي حمل في كتابه «الردّ على النحاة» على كل ذلك حملة شعواء وكغيرهما.

على أنَّ كثرة ناقدِي النحو ولاسيّما في الزمان الأخير لما شابَه من التمنطق والتفلسف ثم غلب عليه منهما في شتّى نواحي درسه لا يعني بالضرورة الدعوة إلى نبذهِ وإهماله وإطراحه، ذلك لا ينبغي أن يخطر على بال منصف، فللنحو فائدتُهُ وفضله وللنحاة منازلهم وأقدارهم، وكفي النحو أننا نبعث فيه عن اللغة التي تكلمت بها العرب ونزل بها القرآن. كلّ ما ينبغي أن نتطلع إليه ونعمل في سبيله بهدوء وروية ودون تحامل هو أن يكون النحو خالياً من التعمية والتكلف والتعقيد والافتعال ونحو ذلك من السلبات المرفوضة في صيغه وأساليبه وأفكاره وأمثله. أمّا ما كان من كره بعض الناس - علماء وغير علماء في الأزمنة المختلفة - للنحو ورفضهم له بحجة ما رأوه فيه، وذلك كالذي روي من أنَّ أعرابياً وقف على حلقة أبي زيد الأنصاري المتوفى سنة ٢١٥هـ فظنّه قد جاء يسأل عن مسألة في النحو فقال له: سل يا أعرابي، فقال له على البديهة:

لست	لنحو	جئتكم	لا ولا فيه	أرغب
أنا	مالي	ولامريء	أبد الدهر	يُضرب
خلّ	زيداً	لشأنه	أينما شاء	يذهب

وَأَسْتَمِعَ قَوْلَ عَاشِقٍ قَدْ شَجَاهَ التَّطَرُّبَ  
هَمُّهُ الدَّهْرَ طَفْلَةً<sup>(٧٤)</sup> فَهُوَ فِيهَا يُشَبِّبُ<sup>(٧٥)</sup>

وما روي من إنشاد عَمَّار<sup>(٧٦)</sup> الكلبي في هجاء النحويين وقد عيب عليه بيت من شعره فامتعض لذلك:

ماذا لقينا من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا  
إن قلت قافية بكرة يكون بها بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا  
قالوا لحت وهذا ليس منتصباً وذلك خفض وهذا ليس يرتفع  
وحرّضوا<sup>(٧٧)</sup> بين عبد الله من حُقي وبين قوم على إعرابهم طبعوا  
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم ما تعرفون وما لم تعرفوا فذعوا  
لأن أرضي أرض لا تشبُّ بها نارُ المجوس<sup>(٧٨)</sup> ولا تُبْنَى<sup>(٧٩)</sup> بها البيع<sup>(٨٠)</sup>

أقول إنَّ هذا وأمثاله ينطوي على مبالغات ينبغي أن تردّها أو تحدّ من أثرها ماثورات كثيرة تضادّها في الاتجاه وتتفوّق عليها في القوة، وقصص متعددة تظهر منزلة النحاة وتصرّح باعترازهم بأنفسهم وتبين صوراً من تكرمهم، فقد كان عبد الملك بن مروان يقول «تعلّموا النحو كما تتعلّمون السنن والفرائض»<sup>(٨١)</sup>، ومما أمتدح به النحو قول الشاعر:

النحو يَبْسُطُ من لسان الأَلَكَنِ والمرء تَكْرُمُهُ إذا لم يَلَحْنِ  
فإذا طَلَبْتَ من العلوم أجْلَهَا فأجْلُها منها مَقِيمُ الألسن<sup>(٨٢)</sup>

وقول ابن شبرمة قاضي الكوفة «إنَّ الرجل ليلحن وعليه الخَرُّ الأدكن فكانَّ عليه أخلاقاً، ويعرب وعليه أخلاق فكانَّ عليه الخَرُّ الأدكن»<sup>(٨٣)</sup>، وروي أنَّ الرشيد أشرف «على الكسائي وهو لا يراه فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدها، فابتدرها الأمين والمأمون وكان مُؤدبهما فوضعاها بين يديه فقبل رعوسهما وأيديهما ثم أقسم عليهما ألا يعاودا، فلما جلس الرشيد مجلسه قال: أيُّ الناس أكرم خدماً؟ قالوا: أمير المؤمنين أعزّه الله. قال: بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون، وحديثهم الحديث»<sup>(٨٤)</sup>، وروي أنَّ

سليمان بن عليّ والي الأهواز أرسل إلى الخليل يلتصق منه الشخصوس إليه لتأديب أولاده ويرغبه، ولكنه كان زاهداً عفيف النفس لا يختار صحبة الملوك والأمراء فلم يستجب له وأخرج إلى رسول سليمان خبزاً يابساً وقال له: ما عندي غيره، وما دمت أجدّه فلا حاجة لي في سليمان، فقال الرسول: فماذا أبلغه عنك؟ فأنشأ يقول:

أبلغ سليمان أنّي عنه في سعة وفي غنى غير أنّي لست ذا مال<sup>(٨٥)</sup>

وأراد الواثق أن يستبقي المازنيّ عنده فقال له المازني «يا أمير المؤمنين إنّ الغنم لفي قربك والنظر إليك، والأمن والفوز لديك، ولكنّي الفت الوحدة وأنست بالانفراد ولي أهل يوحشني البعد عنهم ويضربهم ذلك، ومطالبة العادة أشدّ من مطالبة الطباع»<sup>(٨٦)</sup> ولما اعتذر قال له الخليفة «لا تقطعنا وإن لم نطلبك، فقلت: السمع والطاعة، وأمر لي بألف دينار»<sup>(٨٧)</sup> وقال ابن خلدون عن النحو «به يتبيّن أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة»<sup>(٨٨)</sup> وقال أبو بكر بن مجاهد في فضل النحو «قال لي ثعلب يا أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا وأصحاب الحديث بالحديث ففازوا وأصحاب الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري ماذا يكون حالي؟ فأنصرفت من عنده فرايت النبيّ صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فقال لي: أقرئ أبا العباس منّي السلام، وقل له أنت صاحب العلم المستطيل»<sup>(٨٩)</sup> قال أبو عبد الله الروذباري أحمد بن عطاء «أراد أن الكلام به يكمل، والخطاب به يجمل، وأنّ جميع العلوم مفتقرة إليه»<sup>(٩٠)</sup>

ونحو هذه الأقوال والأشعار والروايات كثير مبيّث في بطون الأسفار، ومبناها جميعاً ومدارها بيان قيمة النحو العظمى والدعوة إلى تعلّمه والكشف عن منزلة أعلام النحاة والحثّ على الاقتداء بهم والاطلاع على آثارهم، فالنحو في حقيقة الأمر أشرف العلوم لأنّ به صلاح الألسنة وسلامة المنطق وسلاسة البيان وأستقامة الأداء، وبه يحسن الناس تلاوة القرآن وعن طريقه يخدمون الدين وبواسطته يرفعون شأنهم، وفصاحة الكلام لا تكون إلّا به وصحة الكتابة لا تتمّ إلّا بعونه، فهو مفتاح العلوم ومعيار الآداب، وبه يسلم كلّ من الكتاب والسنة من عادية اللحن والتحريف ويستبين

سبيل العلوم على تنوع مقاصدها، وهو الذريعة إلى تحديد المعنى وتقريب التفاهم وإرساء دعائم الحكم الصحيح، وهو في نهاية المطاف المعيار الذي يوزن به الكلام وتحفظ به اللغة خصائصها ومقوماتها وتتقي به الألسن مزالقتها، فهو درع اللغة الواقي وقوام الألسنة الحافظ ووسيلة تذوق الفنون والسير فيها على بصيرة.

أما أعلام النحاة فإن مكانتهم بين عليية القوم كانت رفيعة إذ كان منهم المؤدّبون الذين يشرفون على تربية أولاد الخلفاء والأمراء والرؤساء كالكسائي والمبرد، ومن لم يستطع من هؤلاء أن يحظى بأحد الأعلام مؤدّباً لأولاده كان حريصاً على أن يتصل به ويستزيره ويخطب وده ويجزل عطاءه. كذلك كانت منزلتهم في الحياة العامة، فقد عظمهم الناس وأنزلوهم من أنفسهم منزل الإجلال والإكبار وضرّبوا بهم المثل في سعة العقل وحدة الفهم والإحاطة بمسائل العلم، فما أقروه خلد وبقي وما هجنوه سقط وضاع، وكان عليية القوم وعامة الناس على حدّ سواء حرصاً منهم على صحة كلامهم يلجئون إليهم إذا خفي عليهم وجه الصواب فيه، فقد استقدم المهديّ مثلاً الكسائي بسبب الرغبة في معرفة كيفية صياغة الأمر من السواك بالإضافة إلى حرصه على وجود نحويّ كبير إلى جانبه يرجع إليه عند اللزوم<sup>(١)</sup> وكان اتصال المازني بالوائق بسبب بيت من الشعر ضلّ في توجيهه الحاضرون فأرسل الخليفة إلى المازني أستاذ العربية في عصره فحضر وأنقذهم من حيرتهم<sup>(٢)</sup>



### ● الهوامش ●

- (١) السيوطي، المزهري: ١: ٢٦٠.
- (٢) انظر د / حسن عون، اللغة والنحو ٤٢ - ٤٤.
- (٣) من الآية ٧١ من سورة الإسراء.
- (٤) من الآية ١ من سورة المؤمنون.
- (٥) من الآية ٩٧ من سورة آل عمران.
- (٦) انظر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١: ١٧٣.

- (٧) انظر ابن هشام، شرح شذور الذهب ١٦، ٣٤.
- (٨) ابن جني، الخصائص ٢: ١٢.
- (٩) انظر شيئاً من هذه الأمثلة في الثعالبي، فقه اللغة ٢٢٨ - ٢٢٩.
- (١٠) انظر الثعالبي، فقه اللغة ٣٢٨.
- (١١) انظر الشنقيطي، الدرر اللوامع ١: ١٤٦.
- (١٢) انظر ابن فارس، الصحاحي ٦ - ١٣، ٩، والسيوطي، المزهر ٨: ١، ومحمد الطنطاوي، نشأة النحو ١٣.
- (١٣) ابن جني، الخصائص ١: ٣٤.
- (١٤) انظر ابن منظور، لسان العرب ١٥: ٣٠٩، وابن النديم، الفهرست ٣٥٦، ٣٥٧.
- (١٥) الانباري، نزهة الألباء ٥.
- (١٦) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ١: ٢٢١.
- (١٧) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ١: ٢٢٢، ٢٢٣.
- (١٨) الرافعي، تاريخ آداب العرب ١: ١٠٢، ١٠٣.
- (١٩) انظر أحمد أمين، ضحى الإسلام ٢: ٢٩٣.
- (٢٠) انظر د/حسن عون، اللغة والنحو ٢٠٩ - ٢٥٠.
- (٢١) انظر أحمد أمين، ضحى الإسلام ٢: ٢٩٣.
- (٢٢) جوتولد فايل، مقدمة الانصاف ٣ ترجمة د/عبدالحليم النجار نقلاً عن د/عبد الرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية ١٠٤.
- (٢٣) انظر دي بون، تاريخ الفلسفة في الإسلام ٤٠ - ٤١.
- (٢٤) ابن جني، الخصائص ١: ٣٤.
- (٢٥) عبد القاهر، دلائل الاعجاز ٦٤ - ٦٥.
- (٢٦) السيوطي، الاقتراح ٦.
- (٢٧) الأشموني، منهج السالك إلى الفية آبن مالك ١٥.
- (٢٨) الخصري، حاشيته على ابن عقيل ١٠.
- (٢٩) ابن خلدون، المقدمة ٥١٥.
- (٣٠) انظر الجاحظ، البيان والتبيين ٢: ٢١٩.
- (٣١) انظر الانباري، نزهة الألباء ١٠.
- (٣٢) انظر الرافعي، تاريخ آداب العرب ١: ٢٨٨.
- (٣٣) ابن النديم، الفهرست ٥٩.
- (٣٤) انظر ابن فارس، الصحاحي ٦ - ١٣، ٩، ومحمد الطنطاوي، نشأة النحو ١٣.
- (٣٥) الانباري، نزهة الألباء ١١.
- (٣٦) الانباري، نزهة الألباء ٨.
- (٣٧) ابن النديم، الفهرست ٥٩.
- (٣٨) انظر الانباري، نزهة الألباء ١١.
- (٣٩) القفطي، إنباه الرواة ١: ٤، ٥، ٦.
- (٤٠) ابن النديم، الفهرست ٦١.

- (٤١) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء ١٢.
- (٤٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ٢: ٧٢٩.
- (٤٣) انظر طه الراوي، نظرات في اللغة والنحو ٧.
- (٤٤) هذا التشكيك ينسحب بالضرورة على الإمام عليٍّ للسبب نفسه.
- (٤٥) أحمد أمين، ضحى الإسلام ٢: ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠.
- (٤٦) انظر دائرة المعارف الإسلامية ١: ٤٢٢.
- (٤٧) إذا الدكتور شوقي ضيف هذا الحدو فقال «إنَّ هناك خطأ شاع وذاع قديماً وحديثاً وهو ما ينسب إلى أبي الأسود وتلاميذه من وضع بعض مبادئ النحو، وهي إنَّما بدأت توضع مع الجيل التالي عند أبي إسحاق الحنظلي» د/ شوقي ضيف، المدارس النحوية ٥.
- (٤٨) نقلاً عن د/ عبدالرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية ٥٢ - ٥٤ بتصرف.
- (٤٩) محمد الطنطاوي، نشأة النحو ٢٢، ٢٣.
- (٥٠) انظر الأنباري، نزعة الألباء ١٨.
- (٥١) من آية ٢٤ من سورة سبأ.
- (٥٢) انظر د/ عبدالرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية ٥٤ - ٦٠.
- (٥٣) يعدُّ هذا المصحف أقدم مصحف مخطوط في العالم وهو موجود بحالته الأولى في دار الكتب المصرية «انظر د/ حسن عون، اللغة والنحو ٢٣٦».
- (٥٤) يصف جورج زيدان هذا المصحف بأنه مكتوب بمداد أسود وفيه نقط حمراء اللون، فالنقطة فوق الحرف فتحة وبعده كسرة وبين يديه ضمة كما وصفها أبو الأسود لما أراد التنقيط أتوه بكاتب فقال له إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه وإن ضمنت فبين يديه وإن كسرت فمن تحته «انظر جورج زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية ١: ٢٢٣».
- (٥٥) انظر الرافعي، تاريخ أدب العرب ١: ٢٨٧، وطه الراوي، نظرات في اللغة والنحو ٧.
- (٥٦) من آية ٣ من سورة التوبة.
- (٥٧) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء ١٢.
- (٥٨) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين ١١، ١٢.
- (٥٩) الأنباري، نزعة الألباء ٤ - ٥.
- (٦٠) أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين ٩٨ - ١٠١.
- (٦١) انظر القفطي، إنباه الرواة ١: ١٧.
- (٦٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢: ٣١٣.
- (٦٣) من آية ٢٤ من سورة التوبة.
- (٦٤) انظر السيرا في، أخبار النحويين البصريين ٢٣.
- (٦٥) انظر الأنباري، نزعة الألباء ١٨.
- (٦٦) انظر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين ٢٢، والأنباري، نزعة الألباء ١٩، ٢٠.
- (٦٧) انظر أحمد أمين، ضحى الإسلام ٢: ٢٩٠، ٢٩١.
- (٦٨) انظر مثلاً «هذاباب استكرهه النحويون وهو قبيح فوضعو الكلام فيه على غير ما وضعت العر» هسيبويه، الكتاب ١: ١٦٧.



- (٦٩) المبرد، المقتضب ٤: ٨، وانظر في ذلك سيبويه، الكتاب ٢: ٩٥.  
(٧٠) المبرد، المقتضب ٤: ٨٠.  
(٧١) انظر المبرد، المقتضب ١: ١٠٩ - ١١٠.  
(٧٢) انظر المبرد، المقتضب ٢: ٢٩٧، وانظر سيبويه، الكتاب ١: ٤٠١.  
(٧٣) المبرد، المقتضب ٣: ١٢٣.  
(٧٤) المؤلف: الجارية الناعمة وانظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط ٤: ٧.  
(٧٥) انظر الانباري، نزهة الألباء ١٢٨.  
(٧٦) أو عمرو الكلبي «انظر ياقوت، معجم الأدباء ١٢: ١٠٣ - ١٠٤.  
(٧٧) أو خُصَّصوا، أي قالوا كذباً «انظر ياقوت، معجم الأدباء ١٢: ١٠٤.  
(٧٨) كبلاد فارس.  
(٧٩) كبلاد الروم ونحوها. أي لست أعجمياً.  
(٨٠) انظر ابن جني، الخصائص ١: ٢٣٩ - ٢٤٠.  
(٨١) انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢: ٣٠٨.  
(٨٢) انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢: ٣٠٨ - ٣٠٩.  
(٨٣) انظر الرُّبَيْدِي، طبقات النحويين واللغويين ١٣.  
(٨٤) انظر ياقوت، معجم الأدباء ١٣: ١٩٣.  
(٨٥) انظر السيوطي، بغية الوعاة ١: ٥٥٨.  
(٨٦) انظر ياقوت، معجم الأدباء ٧: ١١٦.  
(٨٧) انظر ياقوت، معجم الأدباء ٧: ١١٦.  
(٨٨) ابن خلدون، المقدمة ٥١٤.  
(٨٩) انظر السيوطي، بغية الوعاة ١: ٣٩٧.  
(٩٠) انظر القفطي، إنباء الرواة ١: ١٤٤.  
(٩١) انظر القفطي، إنباء الرواة ٢: ٢٥٩.  
(٩٢) انظر ياقوت، معجم الأدباء ٧: ١١١ - ١١٢.

### المصادر والمراجع

- أخبار النحويين البصريين، السريافي، تحقيق فريتس كرنكو، بيروت سنة ١٩٣٦م.
- الاقتراح في أصول النحو، السيوطي، ط٢ حيدر آباد سنة ١٣٥٩هـ.
- إنباء الرواة على أنباء النحاة، القفطي، تحقيق محمد أبي الفضل، دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٢م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ط٢ مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٦٨م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل، عيسى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٦٤م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢ بمصر سنة ١٩٦٠م.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مصر سنة ١٩١١م.
- تاريخ آداب اللغة العربية، جورج زيدان، دار الهلال بالقاهرة سنة ١٩١٤م.
- تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ترجمة عبدالهادي أبي ريده، ط٤ بالقاهرة سنة ١٩٥٧م.
- حاشية الخضري على ابن عقيل، مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٤٠م.
- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٢م.
- دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب بمصر.
- الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، الشنقيطي، مطبعة كردستان بالقاهرة سنة ١٣٢٨هـ.
- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا، ط٢ بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٣١هـ.
- شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محي الدين عبدالحميد ط ١٠ بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٦٥م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م.
- الصاحبى، ابن فارس، تحقيق السيد صقر، عيسى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٧٧م.
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، ط٧ مكتبة النهضة المصرية.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر بدون تاريخ.
- طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تحقيق محمد أبي الفضل، الخانجي بمصر سنة ١٩٥٤م.

- العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق د/مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٣م.
- فقه اللغة وسرّ العربية، الثعالبي، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٧٢م.
- الفهرست، ابن النديم، المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨هـ.
- القاموس المحيط، الفيروزا بادي، ط٢ مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٥٢م.
- الكتاب، سيبويه، بولاق سنة ١٣١٧هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت بدون تاريخ.
- اللغة والنحو، دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة، د / حسن عون، مطبعة رويال بالاسكندرية سنة ١٩٥٢م.
- المدارس النحوية، د / شوقي ضيف، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م.
- مدرسة البصرة النحوية، د / عبدالرحمن السيد، العراق سنة ١٩٦٨م.
- مراتب التحوين، أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبي الفضل، نهضة مصر سنة ١٩٥٥م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق جاد المولى وزميليه، عيسى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ.
- معجم الأدباء، ياقوت، تحقيق مرجليوت، دار المأمون بمصر سنة ١٩٣٨م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة جمال للنشر بيروت بدون تاريخ.
- المقتضب، المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة سنة ١٣٨٦هـ.
- المقدمة، ابن خلدون، دار الشعب بالقاهرة بدون تاريخ.
- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، الأشموني، عيسى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد أبي الفضل، دار نهضة مصر سنة ١٩٦٧م.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، ط٢ سنة ١٩٦٩م بمصر.
- نظرات في اللغة والنحو، طه الراوي، المكتبة الأهلية ببيروت سنة ١٩٦٢م.

# الأصول التاريخية للم

## من الصراع الع

### « مرحلة الملك عبد الع

د : عبدالله حسن الأشعل

تكشف الوثائق والدراسات أن مأساة فلسطين كانت أولى شواغل الملك عبد العزيز منذ ظهور بوادر هذه المأساة وأنه أبدى اهتماماً عظيماً بها، كما لعب دوراً مباشراً فيها رغم أن خيوط هذه المؤامرة بدأت تتضح خلال الحرب العالمية الأولى في نفس الوقت الذي كانت بريطانيا فيه تسرف في وعودها للشريف حسين من خلال مراسلات حسين - مكماهون، والتي ثبت أنها كانت تخدع الشريف حسين حتى يشترك في المجهود الحربي ضد الأتراك. ومن المعلوم أن الملك عبدالعزيز كان يخوض في تلك الفترة حروباً شديدة في كثير من مناطق المملكة ضد خصومه فلم يكن بحاجة إلى وعود الحكومة البريطانية حتى يحارب الأتراك، إذ القزم جانب الحياد رغم عدائه للأتراك لأنه كان يرى أن كلا من الأتراك والإنجليز يقفون في وجهه ويعوقون جهوده. بل إن الملك عبد العزيز رغم ظروف حروبه، وحاجته إلى مصادقة بريطانيا القوية حتى لا توجه ضده جهوده



# وقف السُّعودي رُحى الإِسْرَائِيلِي — زَين ١٩١٥ - ١٩٥٣ م —

رفض في ابناء - كما سنرى - أن يكون مقابل اعترافها به في اتفاقية دارين ١٩١٥ م، أن يعترف لها بالهيمنة واليد الطولي في فلسطين.

ونلاحظ أن الفترة الزمنية التي انشغل فيها الملك عبد العزيز بمأساة فلسطين قد امتدت اذن من ١٩١٥ م تقريباً حتى وفاته عام ١٩٥٣ م ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى ثلاث مراحل متميزة:

المرحلة الأولى : الملك عبد العزيز ومرحلة توحيد الدولة : -

خلال هذه المرحلة كان هناك خطان متوازيات من التطورات الأولى بالنسبة لتطور المسألة، والثاني بالنسبة للملك وحروبه.

فيما يتعلق بتطور مسألة فلسطين شهدت المرحلة الأولى تبلور خطوط المؤامرة الصهيونية على فلسطين فيما عرف بتصريح بلفور، الذي أصدره اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا العظمى إلى أحد الرعايا البريطانيين اليهود هو اللورد روتشيلد في ٢ نوفمبر ١٩١٧ م، وفيه حددت بريطانيا موقفها إذ أيدت الحل الصهيوني للمسألة اليهودية، وتعددت من جانبها بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ م وانعقد مؤتمر الصلح في فرساي بباريس حيث أُملى المنتصرون شروطهم على المهزمنين فيما عرف بمعاهدة صلح فرساي، أشارت تصريحات الرئيس الأمريكي ولسون في الحرية والاستقلال وتقرير المصير وحقوق الأقليات أمالاً كبيراً لدى سكان المستعمرات مثلما أثارت آمال الفلسطينيين في العدل الأمريكي ليرد عنهم الحيف البريطاني المتمثل في تصريح بلفور، ولم يكونوا يعلمون أن الفكرة الصهيونية كانت مختصرة هي الأخرى في الولايات المتحدة وأن الرئيس ولسون كان يفخر دائماً بأنه صهيوني<sup>(١)</sup> أي من أنصار الحل الصهيوني القاضي بأن تكون فلسطين مركز تجمع لليهود العالم في كيان سياسي مستقل، فلم يظفر الفلسطينيون وغيرهم من الولايات المتحدة حتى بالنظر إليهم على أنهم من الأقليات التي تحمس لهم الرئيس ولسون رغم أنهم كانوا أغلبية، ولم يكن اليهود يشكلون سوى ١٠٪ فقط عام ١٩١٨ م. وفاتهم كما فات غيرهم أن الأقليات التي قصدتها الرئيس الأمريكي هي الأقليات الأوروبية، وأن الدول الأوروبية كانت لا تزال ترى أن حماية القانون الدولي العام لا تمتد إلى خارج أوروبا حيث الشعوب المتبريرة، ورغم ما أبداه ولسون من تمسك باحترام إرادة الشعوب ومعرفة رغباتها، فقد أغفل توصية لجنة كينج - ١٩١٩ م بإسقاط الخطة الصهيونية وأيد تقرير لجنة أخرى متعاطفاً مع اليهود<sup>(٢)</sup> وفي ٣٠ يونيو وافق الكونجرس على المشروع الصهيوني<sup>(٣)</sup>.

وتقدمت المسألة خطوة أخرى عندما نص عهد العصبة<sup>(٤)</sup> - وهو جزء لا يتجزأ من معاهدة فرساي المطولة - على التزامات الدولة المنتدبة على فلسطين، وهي بريطانيا، التي صمم لها دورها في نظام الانتداب، وتشمل تنفيذ وعد بلفور، ثم كانت الخطوة التالية في تصاعد مسيرة المسألة خطوات تنفيذية وإدارية في فلسطين لتنفيذ هذا الالتزام، تبدأ بوضع برنامج لتنظيم هجرة اليهود إلى فلسطين. وهكذا تزايد عدد

اليهود عن طريق الهجرة، حتى بدأ الميزان الديمغرافي بين العرب واليهود يختل بشدة، وبدأ العرب في فلسطين ينتبهون إلى هذا المخطط، ثم عمدوا إلى مقاومته، وتصاعدت المقاومة فيما عرف بالثورة العربية الكبرى فيما بين عامي ١٩٣٦ - ١٩٣٨ م.

**أما الخط الثاني** المتعلق بالملك عبد العزيز وحروبه، فقد كان هو الآخر في تقدم مستمر انتهى بنجاح إلى ترسيخ دعائم الوحدة في شبه الجزيرة، وتوج بإعلان المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢ م.

ولا شك أن استقرار الأمور للملك عبد العزيز منذ عام ١٩٢٦ م واعتراف العالم بما فيه بريطانيا بسلطانه الجديد، قد مكنته من أن يلعب دوراً أكبر في القضية.

هذه المرحلة هي أخطر مراحل القضية الفلسطينية حيث تبلورت فيها معالم المناسبة. بحيث لم يبق سوى تدشينها بقيام إسرائيل عام ١٩٤٨ م. ولذلك نجد تزايد اهتمام الملك بها خصوصاً وأنها صادفت استقرار الأمور له في الجزيرة، ففي هذه المرحلة حدثت الثورة الفلسطينية الكبرى احتجاجاً على موجات الهجرة اليهودية القادمة من أوروبا تطاردها نقمة هتلر منذ توليه الحكم عام ١٩٣٣ م، كما شهدت هذه المرحلة الانتهاء إلى أن التقسيم هو الحل الوحيد للمشكلة، وبدأ يبرز فيها دور الولايات المتحدة المباشر الذي لم يقف عند حد الضغط على بريطانيا لتسهيل هجرة اليهود، وإنما بلغ أيضاً حد السعي لدى الملك عبد العزيز للسماح بهذه الهجرة ومحاولة اقناعه، واستمالته مرة أخرى للموافقة على ذلك. كذلك شهدت هذه المرحلة انتقال فكرة التقسيم من الإطار البريطاني الأمريكي إلى الإطار العالمي، وهو ما تمثل في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة لتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ م وأخيراً قيام إسرائيل في العام التالي.

### المرحلة الثانية : الملك عبد العزيز والثورة العربية الكبرى في فلسطين :-

ليس معنى قولنا أن الثورة الفلسطينية ٣٦ - ١٩٣٩ م هي التي أبرزت دور الملك عبد العزيز، أنه لم يولي تطور المشكلة اهتمامه من قبل، بل كانت رغم مشاغله

العديدة - محور اهتمامه. ويشير المؤرخ أمين سعيد إلى اهتمام الملك بأعمال اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني في القاهرة عام ١٩٢٩ م وهو يناقش تطورات المشكلة في ضوء حوادث حائط المبكى، حيث استنكر الملك اعتداء اليهود على المصلين المسلمين في المسجد الأقصى في أكتوبر ١٩٢٩ م وينقل أكرم زعيتر عن عوني عبدالهادي صوراً من مظاهر اهتمام الملك بالقضية<sup>(٥)</sup>، كما يشير إلى زيارة ولي عهده، الأمير سعود بن عبدالعزيز ١٩٣٥ م للاطلاع على الوضع في فلسطين<sup>(٦)</sup>.

وتكشف دراسة حديثة لأحد الباحثين اليهود<sup>(٧)</sup> تعالج جذور العلاقة بين الدول العربية والقضية الفلسطينية، أن الملك عبد العزيز قد تابع الثورة وأبدى حرصه الشديد على نتائج النضال الفلسطيني، وحرص على أن تؤتي ثمارها ويجنبها الاخطار، كما يشير إلى نقطة هامة يكشف عنها لأول مرة، وهي أن الحكومة البريطانية اتجهت إلى توسيط الملك عبد العزيز، وبعض الزعماء العرب مع الفلسطينيين لوقف الثورة مقابل تعهد بريطانيا بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين باعتبار أن هذه الهجرة هي سبب هذه الثورة، وكان وقفها هو مطلبها الرئيسي. ولكن الدوائر الصهيونية عملت على عرقلة هذا الخط، وكشفت في الصحافة وفي البرلمان. وكذلك توضح هذه الدراسة أن الملك عبد العزيز هو الزعيم العربي الوحيد الذي لم توعز له بريطانيا بالتدخل فضلاً عن أن الملك عبدالعزيز تدخل اما بمبادرة منه، أو بعد استنجد الفلسطينيين به لمساعدتهم.

وفي دراسة عن الثورة الفلسطينية، يتضح لنا من الوثائق البريطانية أن الشيخ كامل القصاب مبعوث الملك عبد العزيز قد قرأ على اجتماع اللجنة العربية العليا رأى الملك الذي ترك للجنة وقف الاضراب أو استمراره على ضوء مصالح البلاد وقدرات الثوار، وأنه وعد في الحالتين بمساعدتهم ومساندتهم، وصارحهم بأنه اتصل بالحكومة البريطانية عدة مرات لكي تتعهد بوقف الهجرة مقابل تعهد الملك بوقف الاضراب، ولكنها لم تمنحه هذا التعهد. وهذا يصحح ما رددته اللجنة من أنه لولا الوساطة العربية لاستمرت الثورة ونجحت في وقف الهجرة.



ورغم ضعف وسائل الاتصال والاعلام، فإن الثورة الفلسطينية وجدت تجاوباً وتأييداً واسعاً للثوار في المملكة وتشكلت لجان لمساعدة المنكوبين، وصارت صحيفة صوت الحجاز تنشر أسماء المتبرعين وتهيب بالمزيد.

وكان الملك عبد العزيز حريصاً على سبرغور الانجليز بعد الثورة فاستمر في حوارهم مع الحكومة البريطانية املاً أن يعدل في سياستها تجاه القضية الفلسطينية، وأبرز لها دوره في تهدئة الثوار، واقناع الفلسطينيين باستقبال لجنة التحقيق الملكية (لجنة بيل)، ولكن بريطانيا كانت عازمة على تنفيذ وعد بلفور وفقاً لصك الانتداب، وهو السبب الذي جعل الملك عبد العزيز يرفض الدعوات المتكررة له لشغل المقعد المخصص للشريف حسين في عصبة الأمم المتحدة.

وتشير الوثائق البريطانية<sup>(٩)</sup> إلى أن الملك عبد العزيز أرسل للحكومة البريطانية في ٦ فبراير ١٩٣٧ م مقترحات خاصة بالقضية الفلسطينية وذلك في رسالة يشير فيها إلى أن اهتمامه الكبير بقضية فلسطين هو في نفس الوقت استجابة لموقف الشعب السعودي إذ يقول "ولقد عانينا الشيء الكثير من الضغط على رعايانا كي لا يظهر أي أمر يزيد تعقيد المشكلة، وكثير مما علمناه لم نخبر به الحكومة البريطانية". وفي هذه المقترحات السعودية نقطتان هامتان هما : "ايقاف الهجرة اليهودية وتقرير شكل الحكومة في فلسطين بالتفاهم مع أهلها"<sup>(١٠)</sup>.

وأحس الملك أن مقترحاته لم تلق الاهتمام الكافي من الحكومة البريطانية، فوجه تحذيراً، "هادئاً" اليها، بأنه استطاع حتى الآن أن يتحكم في مشاعره لتكون متمشية مع المصالح السياسية، لكنه وقف وحده، وأنه مالم يمكن ايجاد بعض الوسائل لارضاء عرب فلسطين فلن يستطيع أن يفعل أكثر من هذا من أجل بريطانيا" وعكف الملك على القضية يوليتها كل اهتمامه واتصاله بالحكومة البريطانية. مثال ذلك أنه أرسل اليها في ٢٨ مارس ١٩٣٧ م. مضيفاً إلى مقترحاته فيذكرها بأن وعد بلفور يقضي بمنح اليهود وطناً قومياً في فلسطين. وليس بمنح فلسطين كلها لهم كواطن قومي، كما أن هذا الوعد

تعهد بعدم الاضرار بالعرب الأصليين، وأن اليهود الذين هاجروا حتى الآن يمكن اعتبارهم تحقيقاً للوعد، وأنه اذا عقدت حكومة وطنية معاهدة يمكن أن تتضمن حماية الأقليات بشرط ألا يسمح لليهود آخرين بالهجرة إليها، وألا يسمح بانتقال الأرض العربية إلى أيدي اليهود، وأنه شخصياً مستعد دائماً للمساعدة في اقناع عرب فلسطين بأن يكونوا راضين عن أي شيء لا يهدد بانقراضهم في النهاية أو بإيجاد أغلبية يهودية في فلسطين تعرض للخطر مصالح العرب والمسلمين وبريطانيا، وأنه يأمل أن يجد هذا الموضوع ما يستحقه من الاهتمام وأن يعامل عرب فلسطين بعدالة ورحمة".

وفي أبرايل ١٩٣٧ م أبرق المبعوث البريطاني في جدة إلى حكومته بما يردده الملك عبد العزيز في جلساته الخاصة من أن السياسة الصهيونية خاطئة وأنه يخشى أن تؤدي - ونذر الحرب العالمية بادية - إلى ارتكاب العرب لمذبحة ضد اليهود، وأن وجود اليهود في فلسطين ليس في مصلحة بريطانيا ونقل مبعوثو بريطانيا إلى حكومتهم صلابة موقف الملك ومتابعته اليومية للمشكلة، واعتقادهم أنه إذا أدت سياسة بريطانيا إلى أن يصبح العرب أقلية في دولة يهودية فسوف ينقلب عدواً خطيراً لبريطانيا. وانزعجت الحكومة البريطانية من هذه التحذيرات، فحاولت المراوغة علها تحتوي موقف الملك، اذ وجهت مبعوثها في جدة لمحاولة ايهام الملك أنها مهتمة بموقفه ومقترحاته، وأن يحاول المبعوث التركيز على نقاط الالتقاء بين موقف الملك وبعض نقاط تقرير لجنة بيل.

وقد أورد خير الدين الزركلي<sup>(١١)</sup> بعض نصوص المراسلات العديدة بين الملك عبد العزيز والحكومة البريطانية حول المشكلة الفلسطينية.

والواقع أن رسائل الملك كانت مفصلة وواضحة لا تترك لبساً أو سوء فهم أو اجتهاد في شيء يتعلق بها. ففي مذكرة سلمتها الخارجية السعودية إلى المفوضية البريطانية في جدة في سبتمبر ١٩٣٧ م يعبر فيها الملك عن دهشته لدى ابلاغه بتقرير اللجنة الملكية بالتقسيم، قبل اذاعته، ويوضح في صراحة تامة أربعة أسباب تجعله يهتم هذا الاهتمام الشديد بقضية فلسطين، هي:

١ - أن وعود بريطانيا للعرب الاستقلال أعطيت في الأساس باسم الحجاز الذي أصبح قسماً مهماً من المملكة.

٢ - أن عدم حل القضية على وجه مقبول قد يؤدي إلى إيجاد هوة سحيقة لا يمكن اجتيازها بين بريطانيا والعرب، بما في ذلك من أخطار.

٣ - أن قضية فلسطين قضية عربية إسلامية، ولا يمكن لأي حاكم عربي مسلم أن يغفلها دون أن يعرض نفسه للانتقاد والتخطئة.

٤ - مسؤولية الملك مع زملائه الملوك العرب عن التوسط لتهديته الثوار الفلسطينيين.

ويروى خير الدين الزركلي<sup>(١٢)</sup> الدبلوماسي الذي رافق الملك مدة طويلة أنه كان يغلبه التأثر وتخلفه العبرة وهو يتكلم إلى المبعوثين البريطانيين عن مأساة عرب فلسطين.

ولقد كان الملك عبد العزيز عنيذاً في موقفه ولا يقبل المساومة عليه على الإطلاق. فقد رفض مقابلة بن جوريون للتحديث في المشكلة الفلسطينية عام ١٩٣٨ م ويروى الشيخ حافظ وهبه أنه هو أيضاً رفض عرضاً آخر من هذا الزعيم الصهيوني وأقره الملك على ذلك، لأنه كان قد رفض عرضاً من فيلبي لنفس الغرض.

وقد حاول الانجليز الضغط على الملك خلال المراحل الصعبة من تكوين الدولة، فيذكر خير الدين الزركلي<sup>(١٣)</sup> أن بريطانيا طلبت من الملك عام ١٩٢٦ م في اجتماعات وادي العقيق التي أسفرت عن عقد اتفاقية جدة، وضع مادة خاصة للاعتراف بمركز خاص لبريطانيا في فلسطين، ولكنه رفض ذلك.

وتحينت بريطانيا فرصة مطالبة الملك بإلغاء معاهدة ١٩١٥م التي فرضت على نجد لتأخذ ثمن الغائها منه «بالمركز الخاص» لها في فلسطين، واستمرت المحادثات نحو عشرين يوماً ولكنها توقفت، ولم تستأنف إلا بعد أن تنازلت بريطانيا عن هذه المادة، وبعض المواد الأخرى التي سبق وأن طلبت اضافتها<sup>(١٤)</sup>.

ويروى جون فليبي<sup>(١٥)</sup> أن بعض الزعماء الصهانية انتهزوا فرصة حاجة الملك عبد العزيز إلى المال في حروبه، فاتفقوا فيما بينهم على وضع خطة لتقسيم فلسطين وتوطين أعداد كبيرة من اليهود فيها، مقابل دفع مبلغ عشرين مليون جنيه استرليني للملك من المصادر الصهيونية في شكل قرض، لأنهم كانوا يتوقعون أن يصبح الملك زعيم الزعماء، Bossof Bosses على حد تعبير تشرشل للزعيم الصهيوني حاييم وايزمان. واعتقد فليبي أن الحاجة سوف تلجئ الملك لقبول هذا العرض، ولكنه فوجيء بثورة الملك العارمة بمجرد أن فاتحه هو فيه، فقد عظم عليه فكرة أن يبيع فلسطين<sup>(١٦)</sup>. وكبر في نفسه هذه الإهانة التي وجهها الصهانية له إلى حد أن تساومه الوكالة اليهودية وزعماء الصهيونية<sup>(١٧)</sup>. ويقول بيتر مانسفيلد<sup>(١٨)</sup>. إن رئيس البعثة الدبلوماسية الأمريكية في الرياض كرر العرض عام ١٩٤٣ م ولقي نفس المصير.

#### المرحلة الثالثة : موقف الملك عبد العزيز من اتجاهات التقسيم :

فور إعلان توصيات اللجنة الملكية البريطانية بتقسيم فلسطين في يوليو ١٩٣٧ م قامت المظاهرات الغاضبة في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية، وأرسل المتظاهرون برقيات للملك استنكاراً للتقسيم، ويؤيدونه في موقفه من رفض هذه الفكرة تماماً<sup>(١٩)</sup>. وكذلك أرسل علماء نجد رسالة للملك اعتبرها بمثابة فتوى دينية، مما يظهر الطابع الديني لموقف الملك من قضية الصراع العربي الصهيوني. وتقول هذه الرسالة إن تمكين اليهود من بسط ولايتهم في بلاد الاسلام أمر باطل ومحرّم، وطلبوا من الملك في هذه الرسالة أن يقوم بالتصدي لهذا الخطر، وأعلن علماء نجد أنهم سينادون هم وعلماء الحجاز بالجهاد المقدس إذا طبقت سياسة التقسيم، وقد تشكل في مكة المكتب الرئيسي للدفاع عن فلسطين، حيث أخذ هذا المكتب يتصل بالمكاتب المناظرة له في مصر وسوريا والعراق للتنسيق معها للتصدي لسياسة التقسيم وإعانة الفلسطينيين<sup>(٢٠)</sup>.

ورغم هذا الاهتمام الدؤوب من الملك عبد العزيز بالقضية الفلسطينية، فإنه قد حرص في رسائله لعرب فلسطين ولجنتهم العليا ألا ينعكس ذلك الاهتمام في رسائله بل

بدأت هذه الرسائل فاترة، وسبب ذلك أنه كان لا يحب أن يعلن ويفاخر بأعماله، فضلاً عن أنه كان يفضل المعالجة الهادئة<sup>(٢١)</sup>. وقد أشار في رسالة إلى الحكومة البريطانية في ١٩٣٨/٤/٥ م إلى أن صمته قد يستغل لتجريح مركزه في العالم العربي والإسلامي.

وقد أدت هذه الطريقة بالفعل إلى إساءة البعض فهم موقف الملك عبد العزيز وأخفق المراقبون في التمكن بموقفه، فحيث توقعوا أن يقبل فكرة التقسيم، فإذا هو أول من يعارض التقسيم ويستنكره ويتصدى له ويحذر من مخاطرة، وحاول بكل السبل أن يحارب قرار التقسيم، من ذلك ما نقل عن الشيخ يوسف ياسين مبعوث الملك قوله للمبعوث الألماني في بغداد في ١٩٣٧/١١/٥ م أن الملك يتوقع من ألمانيا أن تقوم بخطوات للحيلولة دون قيام دولة يهودية في فلسطين<sup>(٢٢)</sup>.

وتشير بعض المصادر<sup>(٢٣)</sup> إلى أن الفترة من ٣٧ - ١٩٤٠ م شهدت قيام الملك عبد العزيز بالتراسل مع الألمان للحصول على شحنات من الأسلحة لصالح المناضلين الفلسطينيين، كما أنه عمل على مساعدتهم مالياً بقدر استطاعته حينذاك.

#### الملك عبد العزيز وقبول أمريكا لفكرة التقسيم :

أدى قبول الولايات المتحدة لفكرة التقسيم التي اقترحتها اللجنة الملكية البريطانية إلى غضب الملك عبد العزيز فأرسل خطاباً<sup>(٢٤)</sup> مطولاً إلى الرئيس الأمريكي روزفلت في ١٩٣٨/١١/٢٩ م (شوال ١٣٥٧هـ) أوضح فيه أن مناصرة أمريكا لليهود تعكس اغفالها لوجهة النظر العربية، وتأثرها بالدعاية اليهودية التي صورت سحق العرب على أنه عمل إنساني، وأن هذا لا يتفق مع تقاليد الديمقراطية الأمريكية المؤسسة على تأييد الحق والعدل ونصرة الأمم الضعيفة.

وفند الملك عبد العزيز في خطابه هذا بالتفصيل جميع أسانيد اليهود وهي الحجة التاريخية: أنهم مشتتون في بلاد العالم، وأنهم يريدون مجتمعاً في فلسطين يعيشون فيه أحراراً، وأنهم يعتمدون في تنفيذ ذلك على وعد بلفور.

ثم يوجز ما فصله في "مرافعته القيمة" قائلاً: من ذلك يتبين لفخامتكم أن حجة اليهود التاريخية باطلة، ولا يمكن اعتبارها، كما أن حجتهم من الوجهة الانسانية قد قامت فيها فلسطين بما لم يقدّم به بلد آخر، ووعد بلفور الذي يستندون إليه مخالف للحق والعدل ومخالف لبدأ تقرير المصير، والمطامع الصهيونية تجعل العرب في جميع الأقطار يوجسون منها خيفة وتدعوهم لمقاومتها..

ثم راح يؤكد بعد ذلك على حقوق العرب في فلسطين "فهي عربية عرقاً ولساناً وموقعاً وثقافة وليس في ذلك أية شبهة أو غموض، وتاريخ العرب في تلك البلاد مملوء بأحكام العدل والأعمال النافعة".

وأوضح الملك أن عرب فلسطين قدموا للحلفاء في الحرب الأولى أفضل المساعدة ولم يجدوا منهم سوى النكران والجحود. وختم رسالته مؤكداً على أنه "ليس من العدل أن يطرد اليهود من جميع أنحاء العالم المتتمدن وأن تتحمل فلسطين الضيقة المغلوبة على أمرها هذا الشعب برمته".

وقد رد روزفلت على الملك بخطاب موجز بتاريخ ٩ يناير ١٩٣٩ م ولم يعد فيه بشيء.

#### المرحلة الرابعة : مساعي الملك عبد العزيز لدى الولايات المتحدة وبريطانيا:

أدرك الملك عبد العزيز التحول الذي طرأ على الدور الأمريكي في القضية إذ شعر أن الولايات المتحدة تكاد تحل محل بريطانيا تدريجياً في تبني القضية مثلما أخذت تحل محلها في مسؤوليتها العالمية في جميع أنحاء العالم. كذلك علم الملك باستقرار النية في هذا الاتجاه مما كشف عنه المؤتمر الصهيوني في بليموث ١٩٤٣ م. ولذلك أرسل في ٣٠ أبريل ١٩٤٣ م رسالة إلى الرئيس روزفلت<sup>(٢٥)</sup> الحاقاً بكتابه السابق إليه عام ١٩٣٨ م ينبه فيه إلى مساعي اليهود ودعاياتهم لاغتصاب فلسطين مستغلين ظروف الحرب، وأبدى خشيته من أن يقتزن نصر الحلفاء في هذه الحرب العظمى بتحقيق جور فادح وذلك عند تمكين اليهود من فلسطين. ويؤكد الملك في كتابة على عدم أحقية اليهود

في فلسطين ويقول بشأن دعوى اليهود في فلسطين "تكاد السموات يتفطرن، وتنشق الأرض. وتخرب الجبال، من كل ما يدعيه اليهود في فلسطين ديناً وديناً".

ويشير الملك إلى تزايد نسبة اليهود من ٧ ٪ عام ١٩١٨ م إلى ٢٩ ٪ عام ١٩٣٩ م، ويؤكد أنه لا يريد محو اليهود، ولكنه يطالب بالامحى العرب من أجل اسكان اليهود، ويقترح توزيعهم على دول الحلفاء. وناشد الملك الرئيس الأمريكي أن يعمل على انصاف العرب حتى يشاركوا الحلفاء نصرهم. وقد سبقت الاشارة في هذه الدراسة إلى أن تشرشل طلب من الملك خلال لقائهما عام ١٩٤٥ م في مصر قبول عدد من اليهود المضطهدين في بلاده، ولكن الملك رفض حتى مناقشة الموضوع، ونحن نرى أنه ربما كان هذا الموضوع وغيره مما تناوله هذا اللقاء سبباً في توتر اللقاء وعدم ارتياح الملك لتشرشل.

وبعد أن استقبل الملك عبد العزيز هو سكينز مبعوث الرئيس الأمريكي الذي سلمه رد الرئيس في يوليو ١٩٤٣ م، حمله الملك رسالة أخرى<sup>(٢٦)</sup> إلى الرئيس يؤكد فيها على موقفه من القضية.

ورأى الرئيس روزفلت من المفيد أن يلتقي بالملك عبد العزيز ليقنعه بالتخلي عن موقفه المتشدد لعرب فلسطين والمناهض للهجرة اليهودية إلى فلسطين، فالتقى الزعيمان على ظهر المدمرة الأمريكية كوينسي في فبراير ١٩٤٥ م في قناة السويس.

وينقل Benoist Mechin في كتابه "ميلاد مملكة"<sup>(٢٧)</sup> تفاصيل هذا اللقاء مستعيناً بأقوال نجل روزفلت، ومذكرات روزفلت نفسه، ومعلومات مدير أرامكو، وفيه أعاد الملك موقفه من العرب واليهود ورأيه في تسوية المشكلة وأصراره على هذا الموقف مما ترك علامات الإعجاب بصلابته وصراحته ووضوحه في نفس روزفلت، واعترف بأنه أفاد كثيراً بمعرفة جوانب المشكلة من هذه المقابلة، ووعده بالآ يتخذ موقفاً ضاراً بالعرب في المستقبل.

ويروى المؤلف<sup>(٢٨)</sup> عن هذه المقابلة أن الملك لم يبتسم ويفرج في النقاش إلا بعد أن انتهى من القضية الفلسطينية. وقد طلب الملك من الرئيس تعهد الولايات المتحدة - في إطار صيغة لتعاونهما - بمساندة كل المبادرات السعودية الخاصة بتحرير الشعوب العربية الموضوعة تحت الوصايات الأجنبية..

ويشير المؤلف<sup>(٢٩)</sup> إلى أن من أسباب إعجاب روزفلت أيضاً بالملك عبد العزيز قبله بالتعاون مع الولايات المتحدة مع تمسكه الصارم باستقلال بلاده، وحرية في القرار. وقال روزفلت في الكونجرس في مارس ١٩٤٥ م "لقد وعيت عن مشكلة المسلمين ومشكلة اليهود في حديث دام خمس دقائق مع ابن سعود أكثر مما كنت أستطيع معرفته بتبادل ثلاثين أو أربعين رسالة"<sup>(٣٠)</sup>.

وفي مارس ١٩٤٥ م عاد الملك يذكر الرئيس روزفلت بوعود الحلفاء للعرب، وراح يكرر في كتاب مفصل<sup>(٣١)</sup> متانة الحقوق العربية وفساد المزاعم اليهودية على نحو ما فعل في مراسلاته السابقة مع روزفلت، وتنبأ الملك بأن تكوين دولة يهودية في فلسطين سيكون ضربة قاضية للكيان العربي ومهددة للسلم باستمرار وقد حدد الرئيس روزفلت تأكيدات بالعدل في القضية، وذلك في رده على الملك<sup>(٣٢)</sup> بتاريخ ٥ أبريل ١٩٤٥ م.

ومما يذكر أن الملك عبد العزيز التقى بتشرشل أيضاً خلال وجوده بمصر للقاء روزفلت في فبراير ١٩٤٥ م، ويقول حافظ وهبه إن مشادة وقعت بين عبد العزيز وتشرشل بسبب تمسك تشرشل بموقف بريطانيا من اليهود وفقاً لوعده بلفور. ويبدو من رواية أمين سعيد<sup>(٣٣)</sup> لمقابلة الملك وتشرشل أن الأخير أثار الملك وأغضبه عندما افتتح حديثه بشأن أول واضح لسياسة إيجاد وطن قومي لليهود. ولكن الملك لم ييأس من اقناع تشرشل بالقضية فكتب إليه شارحاً وموضحاً في ١٠ مارس ١٩٤٥<sup>(٣٤)</sup> كما أن تشرشل سجل بمذاكرته إعجابه بالملك<sup>(٣٥)</sup>.

### ترومان و عبد العزيز :-

في ١٦ أغسطس ١٩٤٦ م نشرت جريدة أم القرى بياناً سلمته المفوضية



الأمريكية في جدة إلى وزارة الخارجية السعودية صادر عن البيت الأبيض يؤكد أن الحكومة الأمريكية لم تتقدم بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين بل رحبت بحلها بالتشاور بين الدول العربية وبريطانيا. ولكن مما أذهل الملك عبد العزيز صدور بيان آخر مناقض للاول بتاريخ ٤/١٠/١٩٤٦ م يظهر تأييد أمريكا لتوصية اللجنة الأمريكية - البريطانية بفتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتحمسها لتنفيذ الفكرة. فكتب الملك للرئيس ترومان<sup>(٣٦)</sup> في ١٥/١٠/١٩٤٦ م بهذا المعنى، وذكره بوعود روزفلت، وحثه على اقرار الحق والعدل والانصاف لعرب فلسطين.

ورد الرئيس ترومان<sup>(٣٧)</sup> بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٤٦ م مؤكداً على تأييد بلاده للحل الصهيوني وفقاً لوعده بلفور منذ صدوره، وتمسكه بأن تحقيق هذا الحل هو السبيل الوحيد لمواجهة كارثة اليهود في أوروبا واضطهادهم.

والواقع ان المراسلات بين عبد العزيز وترومان لم تنقطع أملاً من الملك في اقناع الرئيس بعدالة القضية العربية، واثنائه عن تأييده لليهود، ونشر إلى بعضها<sup>(٣٨)</sup>: منها رسالة الملك إلى ترومان في ٢٣/٨/١٩٤٥ م، ورسالة في ٤ يناير ١٩٤٦ م، ورسالة ٢٤ مايو ١٩٤٦ م، ورسالة ترومان في ٨ يوليو ١٩٤٦ م، ورسالة الملك في ١٥/١٠/١٩٤٦ م .... الخ. وهكذا كانت الرسائل المشار إليها بعض ما سبقها ومالحقها من مراسلات يدافع فيها الملك عن حقوق العرب في فلسطين.

ولقد أفزع الملك عبد العزيز رجوع ترومان عن وعوده سلفه روزفلت، وكان ذلك صدمة كبيرة له في مصداقية الولايات المتحدة. ويفسر دافيد هوارث ذلك بأن الملك لم يفتن إلى أن النظام الأمريكي يفرق بين الوعود الشخصية للرئيس، والوعود الرسمية، لأن الوعد بمقاييس الملك البدوية امر يتعلق بالشرف، وأنه وفق مفهومه حيث هو الدولة والحكومة، لا فرق بين وعد شخصي وآخر رسمي، ولنا على ذلك ملاحظتان : أولاً: أن الملك أوضح صراحة لروزفلت أنه يود أن يفهم الجانب الانساني من المشكلة بوصفه انساناً، وان يلتزم بموقف بوصفه

رئيساً. وهذا يدل على تمييز الملك وإدارته لهذا الفرق . والملاحظة الثانية . أن الخطة الصهيونية كانت أكبر من روزفلت وغيره وأنها كانت ماضية في طريقها، ولذلك فإن وعود روزفلت لعبد العزيز إما أن تنم عن غفلة بما يجري، أو قصد به تخديره وتهديته، أو أنها كانت أمالاً عند روزفلت.

#### المرحلة الخامسة : جهود الملك في الاطار العربي : -

يلفت النظر إشارة الملك عبد العزيز في لقائه بوفد اللجنة العربية العليا التي زارته خلال زيارته للقاهرة في ١٣ يناير ١٩٤٦م، أربعة أمور تشكل جوهر السياسة السعودية حتى الآن، وهي تأكيد على أن قضية عرب فلسطين "وكانت ولا تزال في قلبه"، وأن طريقته في معالجة القضية ليست الأقوال وإنما العمل الصامت، ثم وصيته لعرب فلسطين بالتضامن والوحدة وأن يكونوا "كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً". والأمر الرابع هو أن أساس مناصرة قضية فلسطين هو الإسلام والعروبة، إذ أكد أنه "لا يخدم قضية فلسطين حبا في فلسطين بل بدافع الإيمان بالدين الحنيف، فضلاً عن أنها قضية العرب كلهم".

وفي مؤتمر إنشاص في ٢٩ مايو ١٩٤٦ م أكدت المملكة مع شقيقاتها العربيات على حق العرب في فلسطين، وناشدت إنجلترا وأمريكا وقف باب الهجرة اليهودية. كذلك سارعت المملكة إلى مؤتمر الجامعة العربية في بلودان عام ١٩٤٦م الذي اتخذ عدداً من القرارات لدعم عرب فلسطين ومناوأة اليهود، ورفض تقرير لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية التي أيدت اليهود ضد العرب. وقرر السعي لدى بريطانيا لإنهاء انتدابها وتمكين شعب فلسطين من تقرير مصيره. ثم اشتركت المملكة في مؤتمر الاسكندرية في ١٢ أغسطس ١٩٤٦ م لتنسيق الموقف العربي في مؤتمر المائدة المستديرة في لندن في ١٠ سبتمبر ١٩٤٦ م.

وعندما نظرت الجمعية العامة للأمم في سبتمبر سنة ١٩٤٧ م تقرير لجنة

فلسطين التي أوصت بتقسيمها، انتهت بقرار من الجمعية بهذا المعنى، وقد أرسل الملك وزير خارجيته الأمير فيصل إلى اجتماعات الجمعية حيث ناشد الشعب الأمريكي ألا يوافق حكومته على فكرة تقسيم فلسطين التي تؤذن باضطرابات لا تنتهي في الشرق الأوسط<sup>(٤٠)</sup>. وتقدم الوفد السعودي باقتراح مع العراق وسوريا يقضي بإنهاء الانتداب على فلسطين، والاعتراف باستقلالها كدولة واحدة، وكان هذا الاقتراح ضمن المقترحات الأخرى التي أحالتها الجمعية على اللجنة الخاصة بالقضية الفلسطينية لدراساتها<sup>(٤١)</sup>.

ورفضت المملكة قرار التقسيم، وأصدرت الخارجية السعودية في مايو ١٩٤٨ بياناً<sup>(٤٢)</sup> أيدت فيه القرارات العربية التي تتخذ للدفاع عن فلسطين والمحافظة على عربيتها والحيلولة دون تقسيمها، وقيام الدولة اليهودية، كما قررت المملكة بالاشتراك مع شقيقاتها الدخول إلى فلسطين في الموعد المتفق للدفاع عسكرياً عنها. هكذا نلاحظ أن الملك عبد العزيز كان يدرك بحسه الفطري السليم جميع أبعاد المسألة في فلسطين منذ بدايتها وطوال مراحل تطورها.

هكذا كان توقعه لتغليب اليهود على العرب، ولرؤيته في الحل الصحيح للمشكلة، وواقعيته في تقدير جوانب الموضوع بأكمله، إذ كان يقدر مدى التزام بريطانيا بوعدها والقوى السياسية الصهيونية التي رسمت هذا الالتزام وحدوده ووسائل تنفيذه، في نفس الوقت الذي فهم فيه بشكل عميق أن الصهاينة نجحوا في اقناع بريطانيا بأن مصلحتها في مصر تقتضي تواجد النفوذ اليهودي في فلسطين. وكان الملك يصر على أن الظلم والاضهاد الذي حاق باليهود في أوروبا سببه سوء عاداتهم وخياناتهم لأوطانهم، وأن ظلمهم هذا المزعم في أوروبا لا يجب أن يتحمله عرب فلسطين الأبرياء وأن يدفعوا هم ثمنه بلا جريرة وأن يشرذمو من أوطانهم، بل يطالب بتوطين اليهود في البلاد التي طردوا منها بعد زوال الظروف التي طردوا فيها وأسباب طردهم، أو توطينهم في دول الحلفاء.

وكان الملك يدرك أبعاد المؤامرة الكبرى بين بريطانيا والولايات المتحدة وبين الاستعمار والصهيونية والشيوعية خصوصاً بعد تحمس الاتحاد السوفيتي لقيام

اسرائيل، وادخاله الموضوع في نطاق الحرب الباردة الجديدة، كما كان يدرك أن المؤامرة تستهدف العرب جميعاً ولا تقتصر على عرب فلسطين.

ولقد غضب الملك لاعتراف واشنطن بإسرائيل نكثاً بوعده روزفلت للملك حتى أنه رفض وقتها قبول مبلغ ١٥ مليون دولار كقرض من بنك التصدير والاستيراد الأمريكي<sup>(٤٣)</sup>.

### المرحلة السادسة : مرحلة المواجهة وقيام إسرائيل ( ١٩٤٨ - ١٩٥٣ م )

لم يتردد الملك عبد العزيز في أن يشترك الجنود السعوديون مع اخوانهم المصريين وبقية الدول العربية التي قررت التصدي عسكرياً لليهود، وهذه الدول هي سوريا والعراق ولبنان والأردن.

وأدرك الملك عبد العزيز في تلك المرحلة أن الصراع قد انتقل من كونه صراعاً داخلياً أو حرباً أهلية بين العرب واليهود المدعومين من بريطانيا وأمريكا في فلسطين، إلى دائرة الصراع ذي الطابع الدولي. كذلك لا بد أنه قد أدرك أن فرضيات المشكلة قد تغيرت بعد زرع إسرائيل في قلب المنطقة العربية غير بعيد عن الحدود السعودية خصوصاً وأن إسرائيل بدأت تطالب منذ قيامها واغتصابها لموطئ قدم لها على خليج العقبة بحرية المرور في مضائق تيران وفي الخليج نفسه على أساس أنه ممر مائي دولي. وقد نجحت إسرائيل بالفعل في مؤتمر جنيف لقانون البحار عام ١٩٥٨ م في اقرار هذا الزعم في المادة ١٦/٤ من اتفاقية الجرف القاري.

وبدل استقراء فكر الملك عبد العزيز أنه كان يدرك بعداً استراتيجياً واضحاً في الصراع العربي الاسرائيلي بوضعه الجديد، كما كان يستشعر بعداً أمنياً ملحوظاً للمملكة أقصحه عن نفسه بعد ذلك في القول والفعل.

وقد أوضح في رسالة بعثها للرئيس ترومان<sup>(٤٤)</sup> في ٤ يناير ١٩٤٦ م " أن برامج

الصهيونية .. لا تعتبرها الحكومة السعودية موجبة لفلسطين وحدها، بل هي في نفس الوقت تعتبر خطراً مهدداً للمملكة ... وقد أوضحت هذا بكل جلاء لسلفكم ... روزفلت". وقال إن الصهيونية تهدد أمن الشرق الأوسط والمملكة العربية السعودية.

ويتصل بهذه النقطة أن الملك عبد العزيز ظل على قناعة كاملة من أن تخاذل العرب وتهاونهم وتناحرهم هو السبب في ضياع فلسطين بما في ذلك هزيمة العرب أمام إسرائيل عام ١٩٤٨ م<sup>(٤٥)</sup>. وكان الملك لا يوافق على أن يطلب العرب مناصرة غيرهم قبل أن يتحدوا ويخلصوا ويتساندوا، وكان يحلوه أن يردد قول الشاعر<sup>(٤٦)</sup> :

إذا خائنك الأدنى الذي أنت حزبه فواعجبا إن ساءلك الأبعاد  
وهناك نقطة أخرى سبق للملك أن أعربت عنها في مراسلات الملك عبد العزيز مع الحكومة البريطانية مما سبقت الإشارة إليه، وهي أنه لا يستطيع - وهو يتعامل مع اليهود - أن يغفل التجربة المريرة التي عاناها الرسول منهم<sup>(٤٧)</sup> وأنه لا يثق فيهم ولا يأمن غرهم ومكرهم، وأنه يخشى على الأماكن المقدسة منهم، ولذلك كانت المملكة هي الدولة العربية الوحيدة التي لم تسمح بدخول أي يهودي إليها.

وتجدر الإشارة إلى أن الملك فيصل عندما كان يمثل المملكة في الأمم المتحدة في دورة الجمعية عام ١٩٤٩ م التي قبلت فيها إسرائيل في الأمم المتحدة، قد عاد بقناعة أكدت نظرة والده الملك عبد العزيز، وهي التواطؤ بين الاستعمار والشيوعية والصهيونية، وأن العرب هدف لهذا التواطؤ، وأن تقرب أيهم للعرب إنما بهدف خدمة مصالح هذه الأطراف.

### المملكة العربية السعودية وحالة الحرب مع إسرائيل.

اشتركت المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٨ م بكتيبة ضمن مواقع القوات المصرية ولما انتهت الحرب بقيت هذه الكتيبة مؤقتاً في مصر. كذلك كان للمملكة بعض

القوات في الجبهات الأردنية والسورية. فهل هذا القدر من المشاركة العسكرية يدعو إلى القول بأن المملكة دولة محاربة Belligerent State تربطها بإسرائيل علاقة حرب من الوجهة القانونية، أم أن السعودية تعتبر في حالة حرب بحكم علاقة التضامن بينها وبين بقية الدول العربية المحاربة في إطار ميثاق الدفاع العربي المشترك، والتزاما منها بالقرارات العربية بشأن التكاتف السياسي وغيره ضد إسرائيل.

الواقع أنه تطبيقاً للقواعد العامة لقانون الحرب فإن الدولة تكون في حالة حرب قانوناً State of war إذا هي أعلنت الحرب حتى لو لم تشارك في العمليات الحربية، بل لا تعد في حالة حرب بغير هذا الاعلان، حتى لو اشتركت في هذه الأعمال، والدولة المحاربة قد تنظر إلى مساعدة دولة ثالثة لخصمها على أنها مجرد أعمال غير ودية un-friendly أو أعمال عدائية Hostile تخل بحيادها وتعرضها للعقوبات الانتقامية، ولكن الدولة الثالثة تظل في مرتبة أقل من الدولة المصاربة، وذلك في نظر الدولة المصاربة الأخرى المتضررة.

وعندما أبرمت اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ م تم توقيعها مع سوريا ومصر ولبنان والأردن. وقد حلت الأردن محل العراق الذي كانت له قوات في مواقع خاصة بها في فلسطين، وبذلك استبعد العراق من عداد الدول الموقعة على اتفاقيات الهدنة<sup>(٢٠)</sup>.

وواقع الأمر أن إسرائيل تكيف اتفاقيات الهدنة بالطريقة التي تخدم مصالحها حسب الظروف والفرص. فعندما تواطأت فرنسا وبريطانيا مع إسرائيل في عدوان ١٩٥٦ م أوضحت مصر أن اشتراك إسرائيل في العدوان واحتلالها لسيناء يعد انتهاكاً صارخاً لاتفاقيات الهدنة المعقودة بينهما، ولكن رئيس وزراء إسرائيل أكد أن اتفاقية الهدنة " قد ماتت ودقنت ".

ومن ناحية أخرى قامت إسرائيل في ٨ يونيو ١٩٨١ م بعدوانها على العراق ودمرت المفاعل النووي العراقي وتذرعت إسرائيل بحجتين غريبتين وهما : أن الهجوم عمل من أعمال الدفاع الوقائي عن النفس Pre-emptive Self-Defence وقد اظهرنا في دراسة سابقة فساد هذا الزعيم.

وزعمت اسرائيل من ناحية أخرى أن عملها العدواني هذا امتداد للأعمال  
الحربية التي تسوغها حالة الحرب التي تزعم أنها تأسست بحكم اشتراك  
القوات العراقية في جميع المواجهات المسلحة مع اسرائيل على جبهات مختلفة  
وبحكم عدم قبول العراق لقرارات الأمم المتحدة بشأن تسوية الصراع العربي  
الاسرائيلي بما في ذلك اتفاقيات الهدنة.

○ ○ ○

### الهوامش

(١) Mohamed Shadid, The United States and the Palestinians, London, 1981. P.27

(٢) وهي لجنة الشرق الأدنى في المخابرات الأمريكية التي أوصت بأن يضمن مؤتمر السلام الاعتراف  
بالدولة اليهودية حال قيامها حيث قالت "فمن العدل والانصاف أن تصبح فلسطين دولة يهودية" راجع  
د . نجيب صدقة، قضية فلسطين، بيروت ١٩٤٦ م ص ٦٥.

(٣) نص القرار المشترك لمجلس الكونجرس الأمريكي في: محمد شديد، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٤) المادة ٢٢ كم عهد العصبة، التي تضمنت التزام بريطانيا بتنفيذ صك الانتداب في ضوء وعد بلفور.

(٥) يوميات. اكرم زعير، بيروت ١٩٨١ م، ص ٢٥٦.

(٦) المرجع السابق، ص ٤ - ٥ جاء فيه أن الملك عبدالعزيز قام برفقته فؤاد حمزه وبخير الدين الزركلي بزيارة  
نابلس في ١٥ أكتوبر ١٩٣٥، وصور الشاعر عبد الرحيم محمود أمام الملك أبعاد المناسبة بقوله:

يا ذا الأمير أمام عينك شاعر  
المسجد الأقصى أجت تزوره  
وغدا، وما أدناه لا يبقى سوى  
ضمت على الشكوى المريعة أضلعه  
أم جئت من قبل الضيع تودعه  
دمع لنا يهملى وخذ تقررعه

لكن الحقيقة: أن الذي قام بتلك الزيارة هو الأمير سعود بن عبد العزيز، وليس الملك نفسه. انظر  
مذكرات الشاعر عبدالله بلخير المنشورة بجريدة الشرق الأوسط، العدد ٢٥٨٩ بتاريخ ١٢/٢٠/١٩٨٥ م،  
وما نشره الاستاذ محمد حسين زيدان لرسالة الاستاذ محمد شراب، بجريدة عكاظ، العدد ٧١٣٥  
وتاريخ ١٩ ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ، حول هذا الموضوع.

(٧) M.J. Cohen, Origins of The Arab States involvement in Palestine, Middle East, Studies 1983, pp. 244 et Sq.

(٨) د. عادل غنيم، الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ م حتى الحرب العالمية الثانية، القاهرة  
١٩٨٠، ص ٦٨ - ٧٠.

(٩) المرجع السابق، ص ٤١٠.

(١٠) يتلخص مشروع الملك عبد العزيز في الدعوة إلى إقامة حركة دستورية يمثل فيها سكان فلسطين حسب النسبة الحالية لأعدادهم وبضمانات كافية لحماية الأماكن المقدسة والأقليات والمصالح البريطانية في المنطقة، واشترط المشرع الحد من بيع الأراضي وتنظيم الهجرة بصورة تضمن الإبقاء على النسبة الحالية للسكان. راجع مقال د. عبد الوهاب أحمد، «بريطانيا والبحث عن حل سلمي للمشكلة الفلسطينية إبان ثورة عرب فلسطين ١٩٣٦ - ١٩٣٩»، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الرابع ديسمبر ١٩٨٢ ص ٢٢.

(١١) الزركلي شبه الجزيرة، مرجع سابق، ص ١٠٧٩ وما بعدها.

(١٢) نفس المرجع.

(١٣) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة، مرجع سابق، ص ١٠٧٣.

(١٤) المرجع السابق.

(١٥) أورد جون فيليبي هذه الرواية في كتابه Arabian Jubilee طبعة نيويورك ١٩٥٣ م ص ٢١٢ - ٢١٣. كما أورد الرواية حافظ وهبه سفير الملك في لندن، ويذكر أنها حدثت مرة أخرى عام ١٩٤٠ م أنظر ص ١٧٩ من كتابه "خمسون عاماً في جزيرة العرب"، القاهرة ١٩٦٠ م.

(١٦) Peter Mansfield, The New Arabians, U.S.A, 1981, P.71

(١٧) قال الملك عبد العزيز في حديثه للكوننيل هاري هوسكينز المبعوث الشخصي للرئيس روزفلت في يوليو ١٩٤٣ م أنه لا يوافق على اقتراحه باستقبال حايم وايزمان بصفة خاصة لأنه أرسل شخصاً أوروبياً معروفاً (يقصد فيليبي) "يكلفني أن أترك مسألة فلسطين وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها ويسلم إلى عشرين مليون جنيه مقابل ذلك، وأن يكون المبلغ مكفوفاً من طرف فخامة الرئيس روزفلت نفسه، فهل من جرأة أو نداء أكبر من هذه؟ وهل من جريمة يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف، ويجعل فخامة الرئيس كفيلاً لمثل هذا العمل الوضع؟

أنظر ذلك في : أحاديث ومقابلات الملك التي جمعها محي الدين القاسبي ص ١٧٢.

(١٨) بيتر مانسفيلد ص ٧٢.

(١٩) يوميات أكرم زعيتر، بيروت ١٩٨١ م ص ٣٠٢.

(٢٠) خير الدين الزركلي، الوجيز، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

(٢١) يروى د. أمين رويحة في رسالة لأكرم زعيتر بتاريخ ١٩٣٦/٢/١ م أنه سأل الشيخ يوسف ياسين عن أنه رغم اهتمام الملك الكبير بالقضية الفلسطينية، فإنه لا يظهر ذلك، ففسر له ذلك بأن الملك يخشى الفشل أمام الرأي العام إذا لم يكثر الانجليز لمطالباته، ولذلك يفضل أن تبقى مساعي صامته".

يوميات أكرم زعيتر، الحكومة الوطنية الفلسطينية ٣٠ - ١٩٣٩ م، بيروت، ١٩٧٩ م.

(٢٢) د. عادل غنيم مرجع سابق، ص ٤١٥.

(٢٣) Sheikh Rustum Ali, Saudi Arabia and Oil Diplomacy, U.S.A, 1976, p.68.

(٢٤) محيي الدين القاسبي، المصحف والسياف، ص ١٩٢ - ١٩٧ نقلًا عن أمين سعيد.

(٢٥) نص الرسالة في الزركلي، ص ٢٦٣.

(٢٦) النص في الزركلي الوجيز الثانية، ص ٢٦٤.

(٢٧) ترجم رمضان لاوند ص ٥٠٠ وما بعدها وأنظر دافيد هوارث ص ٢٠٥ وما بعدها.



- (٢٨) ميشوا، مرجع سابق، ص ٥٠٢ - ٥٠٣.
- (٢٩) المرجع سابق، ص ٥٠٤.
- (٣٠) الزركلي - الوجيز - ص ٢٧١.
- (٣١) النص في أمين سعيد، ص ٢٣١.
- (٣٢) النص في المرجع السابق، ص ٢٤٨.
- (٣٣) أمين سعيد، ص ٢٤١.
- (٣٤) الزركلي - الوجيز - ص ٢٧٤ - ٢٧٦.
- (٣٥) يقول تشرشل في مذكراته أنه أعجب بعبد العزيز لاختلافه للانجليز. ولكن الدراسات تجمع على أن عبد العزيز لم يكن يخلص إلا للإسلام ومصالح المسلمين والعرب، David Mawarh, The Desert King,
- (٣٦) نص الرسائل في الوثائق الفلسطينية لاثي نشرتها الجامعة العربية، ص ٤٦٥ - ٤٦٦.
- (٣٧) نص الرد في المرجع السابق، ص ٤٦٧ - ٤٧٠ باللغة العربية وفي ص ٤٧١ - ٤٧٤ باللغة الانجليزية.
- (٣٨) نصوص هذه الرسائل في الزركلي - الوجيز - ص ٢٨١ وما بعدها.
- (٣٩) دافيد هوارث، ص ٢٠٧.
- (٤٠) أمين سعيد، ص ٣٥٧.
- (٤١) أحمد فراج طابع، صفحات مطوية عن فلسطين - القاهرة - ص ٤٢.
- (٤٢) نص البيان في أمين سعيد، ص ٣٥٨.
- (٤٣) شيخ رستم علي، مرجع سابق، ص ٦٩.
- (٤٤) نص الرسالة في الزركلي - الوجيز، ص ٢٨٢.
- (٤٥) H. St. John Philby, Saudi Arabia, Beirut 1968, pp. 348-349. راجع
- (٤٦) من خطاب الملك عبد العزيز في موسم الحج عام ١٣٦٥ هـ/ نوفمبر ١٩٤٦، محيي الدين القاسبي ص ١٣٦.
- (٤٧) راجع على سبيل المثال حديث الملك مع أعضاء لجنة التحقيق الأمريكية البريطانية في الرياض في ٩ مارس ١٩٤٦ م في الزركلي - الوجيز، ص ٢٨٤.
- (٤٨) تشير اتفاقية الهدنة بين الأردن وإسرائيل في مادتها السادسة إلى أن القوات الأردنية تحل محل القوات العراقية في مواقعها، وأن الحكومة العراقية فوضت الوفد الأردني للتفاوض مع اليهود نيابة عن القوات العراقية.
- راجع أيضاً في ظروف هذا الاحتلال، مذكرات عبد الله التل، كارتة فلسطين، القاهرة ٢٩٥٩ م.
- (٤٩) راجع مقال د. عبد الله الأشعل بجريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٠ يونيو ١٩٨١ م، ودراسته حول نفس الموضوع بمجلة السياسة الدولية، القاهرة، عدد يوليو ١٩٨١ م.

# أظن سر فهد شك حكاية زمانك

للأستاذ / أحمد عبد السلام البعالي

كانت كلمة جلالة الملك فهد التي  
أشاد فيها بالعلم والعلماء، والأدب  
والأدباء، ورجا الحاضرين أن  
يُعرفوه، لا بـ "صاحب الجلالة"  
ولا بـ "الملك" بل "بخادم  
الحرمين"، ذات مفعول سحري نفاذ،  
ودخول مباشر إلى القلوب.

كان من حسن حظي أن  
ادعى إلى الحفل الأول  
لجائزة الدولة التقديرية في الآداب  
لعام ١٩٨٢م. وكان الحفل المهيّب  
الضخم الذي سلم فيه جلالة الملك  
فهد الجوائز للفائزين تجربة فريدة  
لجميع الحاضرين تركت أثراً عميقاً  
وباقياً في نفوسهم جميعاً.



بالبلادة، والتخلف، وقصر النظر، والعجز حتى عن توحيد كلمته للدفاع عن نفسه، وبأنه لا يملك عقلاً علمياً يؤهله للعيش في القرن العشرين !

### ● عكاظ عصري ●

ولو لم يكن لهذه الالتفاتة الكريمة من جلالة الملك فهد، وسمو الأمير فيصل بن فهد، الرئيس العام لرعاية الشباب، من اثر إلا إيقاظ هذا الشعور بالاعتزاز، والفخر، والنخوة العربية المفترى عليها لكفى.

إن هذا الجمع الهائل من رجال العلم في مكان واحد، وفي وقت واحد، ما كان ليذهب دون أن يترك أثراً .. كان تَجْمُعُهُمْ أشبه ما يكون " بسوق عكاظ " عصرية لم تَقَمْ بالعراء، أو تحت الخيام، ولكن في أفخم الفنادق، وأضخم القاعات، وأحدث الاندية الأدبية .. وكان تعرف بعضهم على بعض، شخصياً، يتم على موائد الطعام، أو في قاعات الفنادق، أو داخل الطائرات ..

ولم يكن التعارف والتعرف يجري بين أدباء بلد عربي وآخر فقط، بل كان

كان الحاضرون جميعاً يشعرون بأنهم هم المكرمون في شخصيات " السباعي " و " الجاسر " و " ابن خميس " الذين كان جلالة الملك فهد يسلمهم جوائزهم، وفي كلماته، وعلى وجهه السمج، علائم الاعتراف العميق بجميلهم على المملكة والعالم العربي.

وأعترف، وبكثير من الخجل، أنني لم أكن أعرف، إلا القليل، عن هؤلاء الثلاثة الكبار الذين افنوا حياتهم في خدمة الفكر. بل إن أحدهم وصل إلى منصة التكريم مدفوعاً على كرسي دارج ...

وأثناء تلك الزيارة فقط، استطعت أن أطلع على بعض أعمالهم، وسير حياتهم العامرة بالكفاح والمنجزات، فأدركت مبلغ الخسارة التي تتكبدها الأمة العربية من جراء انقطاع التواصل بين أطرافها، وعدد الكنوز الفكرية، والعلمية، والأدبية التي تعمل في صمت دون أن تسعدنا فرصة كهذه لاكتشافها، ووضعها على قائمة مفاخرنا في زمن أصبح العربي فيه متهما

كانوا مصريين، وذلك بحكم أن ( مصر )  
بلد النكتة الأصلية منذ عهد الفراعنة ..  
إلا أننا فوجئنا بأكبر الجالسين سناً،  
وكان أديباً مصرياً كبير السن والحجم،  
فتوجهت عيون الجميع إليه منتظرين  
تبرير الاعتراض، فقال :

" في الواقع، أظرف شعراء  
العربية في هذا القرن، كان بلا منازع،  
هو الشاعر المغربي المراكشي الراحل  
( محمد بن ابراهيم ) شاعر  
الحمراء .. "

وكنيت أول من فوجيء بهذا  
التصريح، فلم أكن أعرف أن سمعة  
(ابن ابراهيم) وصلت إلى (مصر)،  
وتركت هذا الصدى كله. كنت أعرف  
عن طريق ما يتناقله أهل (مراكش) من  
طرائف عن زيارته الأدبية التاريخية إلى  
(مصر) في الثلاثينات، من مثل أن  
السيدة (أم كلثوم) أرادت مداعبته مرة،  
فقالت له : " رأيت وجهك في اللطائف  
المصورة " - وهي مجلة كانت تصدر  
آنذاك - فرد عليها في الحال : " وأنا  
رأيت اللطائف المصورة في وجهك " .  
وحكايته مع أهل مجلس من

يتم كذلك بين أدباء البلد الواحد الذين  
لم يسبق لهم أن جالسوا بعضهم  
البعض، أو تعاشرُوا لمدة كافية تتيح  
للواد أخذ صورة جيدة عن الآخر ..  
وأعترف هنا، مرة أخرى، أنني جالست  
( الدكتور المهدي بن عبود ) والاستاذ  
( عبد العزيز بن عبد الله )، وهما من  
بلدي، في ( المملكة العربية السعودية )،  
أطول مما جالستهما في (المغرب) وعدنا  
من المملكة، ونحن أشد قرابة، وأوثق  
مودة ..

#### ● حتى على الأموات ●

ولم يتح للماضرين التعرف على  
الأدباء الأحياء فقط، بل تجاوزوه إلى  
بعض الأموات، وقد كان من حسن  
حظي شخصياً، أن سمعت لأول مرة  
أشعاراً للشاعر المغربي الراحل،  
( محمد بن ابراهيم ) شاعر الحمراء ..

جمعتني الصدقة في قاعة ( فندق  
البحر الأحمر ) بجدة بجماعة من  
الأدباء فجري الحديث عن الفكاهة في  
الشعر العربي الحديث فكان الاجماع  
على أن أظرف الشعراء في هذا الفن

وليعطيه صورة مشوهة عن مصر  
والمصريين وكان اسمه (مفضل).

قال الأديب الكبير :

" أول ما سمعته من (شاعر  
الحمراء)، هو هذه الأبيات التي عبر  
فيها عن ضيقه بسرعة كلام الرجل  
وفراغ ما يقوله :-

(مفضل)	استعجل	
في	الحكم	والكلام
يقول	في	دقيقة
ما	قلته	في عام
كانما	يعيش	في
ضيق	وفي	زحام
لكن	ما	يقوله
اقوى	من	الاهوام
كانما	كلامه	
لا	نفخ	على الانام
تعجبوا	فجسه	
زمر	بلا	لجام
كقربة	منفوخة	
نداس	بلاقدام	

وانطبعت ابتسامة استحسان  
واستزادة على وجوه الحاضرين،  
فشجعه ذلك على الاستمرار قال :

" وبعد مأدبة عشاء أجبره الموظف  
على حضورها في بيته، خرج الشاعر  
مغتاظاً من سخر الرجل، وأنشدني :

الظرفاء ترك فيه عباءته السوداء -  
السلهام المغربي - وقام للوضوء،  
فرسم أحدهم عليها وجه حمار  
بالبشائر. وحين عاد شاعر الحمراء،  
ورأى ذلك، والجميع ينتظرون رد  
فعله، سال ببراءة : " من مسح  
وجهه في هذه العباءة ؟ "

وكنيت أعتقد، مما وصل إني من  
شعر (ابن ابراهيم) أنه شعر مهلهل  
تقليدي، لا يستحق الاهتمام ...  
وأرهفت سمعي، وفتحت مسجلتي  
استعداداً للاستفادة والاستمتاع.

وأخذ الأديب الحافظ يحكي عن  
نواذر (ابن ابراهيم)، وينشدنا من  
أشعاره من الذاكرة أبياتاً ورباعيات  
وقصائد قصيرة في غاية الظرف ورقة  
الحس الفكاهي، وكان الشعر الذي  
يذكره يضحك له، وكأنه سمعه  
للحظة يذكر أبياتاً في التشنيع  
والتنكيت على موظف من أصل  
أجنبي، جاهل فارغ ثقيل الدم، سريع  
الكلام، يخلط العربية بالتركية  
والفرنسية، فرضته على الشاعر  
ظروف زيارته (لمصر) في ذلك العهد  
ليتجسس عليه لحساب الانجليز

أراد أن يحظى بمفضل بما  
يرفع رأسه أمام العلما  
فجمع الناس على مآذبة  
وصار يفخر بما تعلموا  
فقرر المجتمعون أنه  
أثقل خلق الله ظلاً ودماً

واستدرك قائلاً :

" ليس كل ما قاله الشاعر المراكشي  
في المتجسس عليه هجوا مباشراً ....  
ولم يكن يهجو لمجرد الهجو الصادر عن  
كراهية تشفي، بل كان هجاؤه ذكياً،  
هدفه النكتة والفكاهة، والرغبة في  
الاضحاك والإمتاع .. انظروا كيف ينزل  
في هذه الأبيات، بالرجل، بالتدرج إلى  
حضيض الجهل :

(مفضل) طلبوا منه أن يخط مقالة ..

فلم يجبههم، فقالوا :  
" بالله اكتب رسالة "  
فلم يجبههم فقالوا :  
" اقرا علينا حوالة "  
وحين لم يدركوا :  
" بُئَانُ ! لا أباله "  
وعندها عينوه  
استاذ كرسي الجهالة "

وعلا ضحك الجماعة هذه المرة،  
وأقبلوا عليه، فقال :  
" كان شاعر الحمراء يستطيع

احتمال كل شيء الا ثقل الدم، وتفاهة  
العقل فكان أغلب ما قاله في مرافقه  
ينصب على هذه الأوصاف ... مثلاً :

أتى محلل دم (مفضلاً)  
فشكه بالحقن المصاص  
فانكسر الحقن في عروقه  
فهدمه أثقل من الرصاص  
وانظروا إلى هذه الصورة  
الكاريكاتورية العجيبة في وصف ثقل  
ظله :

" لو أن ظله على  
رأس مصارع سقط "  
لسحق الرأس فظله  
" كوابور الزلط "  
وعلت القهقهات .. فقال الرجل  
السمين وبطنه يهتز طرباً :

"لم تسمعوا شيئاً بعد ! انتبهوا إلى  
الحبكة القصصية الحوارية في هذه  
الأبيات الخمسة :

وجدته منبطحاً  
بباب بعض الأبنية  
فقلت : " ما تفعل ؟ " قبا  
ل : " خدمتي هذي هيه "  
فقلت : " ما هي ؟ " فقا  
ل : " أن أكون زربية "  
يمسح في الداخلو -  
ن للمكان الأضحية  
قلت : " هنيئاً قد وجد "  
ت " الحرفة المواتية "

وبعد عودة الهدوء استأنف :

" أرايتم كيف أن مقاطيعه تكون وحدة متكاملة متماسكة، ولا تقوم على وحدة البيت. بل على وحدة الكل، ولا يمكن الوصول فيها إلى بيت القصيد إلا بقراءتها كاملة .. فالنكتة تأتي في البيت الأخير، مثلا :

مفضل، بالرغم من خواجه وجهه ينفع من سواء فكم من الأولاد في حارته تعلموا الصفح على قفاه

وانتظر حتى تمر العاصفة، وأضاف :

" ولكنني لا أعتقد أن العرب في جميع عصورها جاءت بمثل هذه الصورة الرائعة في وصف رجل فارغ .. ولابد أن أذكر هنا أن "مفضل" هذا كان يلبس نظارة .. قال (ابن ابراهيم) :

وحين غاب مرة وصفه بانه وخلفها وفي نفس هذا المعنى قال :

وانصتوا لراسه قسمعوا صفارة فراغها مغارة تنم عن كانها

وحين كان يشبهه بحيوان بليد فقد كان قصده الأول والأخير اصطياد النكتة في التشبيه، لا الإهانة والتحقير مثل قوله :

قال : " اسمه " مفضل " وفضله " كبير ... " قلت : " على من فضلوها - " إليها " الخبير ؟ " قال : " على حميرهم .. فاحتجت الحمير "

" وكما في هذا البيت اليتيم ظننت الحمار بليدا، فلما عرفت 'مفضلا' غيرت رأيي " وعن سرعته في الكلام يقول في نفس الخط " :

عجبت لسرعته في الكلام وما ليس يفهم من ثرثرة الى ان عرفت من العلماء واهل الحجى انه حشرة !

وأخذ السعال، وأحمر وجهه وهو يضحك حي أشفقنا عليه - وما كاد يسترجع أنفاسه، حتى أخذ يستكتنا ليقول :

" هذه آخر واحدة .. وقد قالها في أواخر أيام زيارته حين بلغت روحه التراقي ضيقا بسخف المرافق :

" وقد عبر عن ضيقه بهذا النوع من  
الشعر بقوله " :

أخرجني (مفضل)  
عن عاداتي المفضلة

قد كنت أهجو النابيين من عتاة الجهلة  
مثل (أبي جهل) وجيش المشركين السفلة  
فصرت أهجو تافها  
نكرة لا وزن له

وحضر وقت العشاء، فوقف الأديب  
الكبير، وقال :

" لن أذهب قبل أنشدكم أهجي ما  
قالته العرب في العصر الحديث، وأقسي  
ما سمعته - كمصري - تجري الفكاهة  
والخفة في دم شعبه :

لو قطرة من دمه  
سالت في ماء (النيل)  
لنقلت دماء أهـ  
لـ (مصر) ألف جيل !

وهما للشاعر ( محمد بن  
إبراهيم ) ....

ولم يرق أحد من ذلك المجلس دون  
أن يسلم بأن ( محمد بن إبراهيم )،  
شاعر الحمراء، كان أظرف شعراء  
زمانه ..!

ويوم عجن جسمه  
لكي يصير بشرا  
لم يجدوا في السوق ملـ  
حا يشتري أو سكرأ  
فجاء لا طعم له ..  
كقطعة من .....

وتوقف، فطلبت منه الجماعة اتمام  
البيت، ولكنه رفض ضاحكاً وهو يمسخ  
عينيه : " كلكم شعراء، فكمّلوا من  
رؤوسكم " .

وفعلأً أتم البيت أحد الحاضرين ....  
وبعد عودة الوقار الى المجلس عقب  
الأديب الكبير :

" بقي الكثير مما لا يسمح المقام ولا  
يتسع المجال لذكره .. فهناك قصائد  
جميلة للشاعر (ابن إبراهيم) في الغزل،  
والتصوف، والحكمة، والوصف،  
والاخوانيات ... ولكن موضوع حديثنا  
كان الفكاهة في الأدب والشعر.

" وقد احتفظت لشاعر الحمراء بهذه  
الأشعار علما مني أنه لم يكن يسجلها  
استهتاراً منه بها - كان ينظمها في  
طريقه إلى للتنفيس عن ضيقه أولاً،  
ولإشراكي في محنته وتسليتي، لما لمسه  
في من ولع بالشعر الفكاهي واستعداد  
لتذوقه .



# مع أدب الرحلات

للاستاذ عبد الله حمد الحقييل

لذا فإن أدب الرحلات أدب شهبي  
لذيذ بما يقصه من ذكريات وأخبار  
ومعلومات عن أحوال الأمم وما يتميز  
به من عادات وتقاليد.. ولقد كان  
أسلافنا يهتمون به ويحرصون عليه  
ويدونون ذكرياتهم وانطباعاتهم  
ورحلاتهم ويقصون ما يحدث لهم من  
مشاهدات ومشقات وضياح وما  
يعترضهم من قطاع الطرق، وكثيراً ما  
وقعوا في قبضتهم.. فقد كانت الأسفار  
قديماً مشقة وعناء ونصباً وكان

يحرص كثير من  
الرحالة الذين تتاح  
لهم الظروف على التجول في الأرض  
لمشاهدة البلدان والآثار والمعالم  
والسهول والجبال والأنهار والبحار  
والطرائف والأحداث والعمران  
واللغات والعادات والتقاليد والثقافة  
والعلم والمعرفة بحيث يصفون  
مشاهداتهم ومعلوماتهم عن خبرة  
ودراية.. فلا يخزنونها لأنفسهم فقط  
ويضنون بها على القراء..



السفر من بلد إلى بلد يستغرق أياماً وشهوراً بل أعواماً.. حيث كانت المواصلات هي الإبل والدواب والسفن الشراعية التي تمر عبر البحار وتسيرها الرياح وتتعرض للعواصف والرياح والأرضاء..

وقد استأثر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديماً وحديثاً وعني به اعلام بارزون عبر اطيوار التاريخ فتركوا لنا منه ثروة تعتبر من أهم روافد الثقافة على اختلاف مناهج الرّحل من اجناس العالم..

لقد كانت الرحلات فيما مضى عملاً شاقاً وأسلوباً مضمناً كما يقول احدهم:

نشق الفيافي فدفا بعد فدفا  
جبلاً وأوعاراً وأرضاً وطية  
ورحم الله أسلافنا الذين سلكوا  
فجاج الأرض وجابوا الأمصار وركبوا  
متن البحر وصارعوا هياجه وتحملوا  
اضطرابه وواجهوا أعاصيره وتكبدوا  
العنت والإرهاق في جوب القفار والسير  
في الفيافي والمفاوز.. من أمثال ابن جبير

وابن بطوطة والسيرافي وياقوت الحموي والهمداني والبكري والمسعودي والأصمعي والأصفهاني والزمخشري وابن وهب القرشي وابن فضلان.. ولقد كان لإخواننا المغاربة نشاط كبير في هذا الميدان؛ فلهم كتب كثيرة ولم يطبع إلا القليل منها وما تزال موجودة في خزائن دور المخطوطات. وخلال زيارتي لبعض المكتبات في فاس والرباط رأيت الكثير مخطوطاً، وبعضها مصور على شريط (ميكروفيلم).

وهكذا فإن لأدب الرحلات شأنًا كبيراً. ولقد حفل تراثنا العربي الإسلامي بنماذج عظيمة، وترك أسلافنا ثروة كبيرة تعتبر من أهم روافد الثقافة والتاريخ والأدب. وإذا كانت الرحلات بالأمس ممارسة شاقة فإن الرحلات في هذا العصر أصبحت ممتعة بفضل تطور وسائل المواصلات، والرحلات بطبيعتها سبيل من سبيل المعرفة ومعين ثر للفائدة والإطلاع والمشاهدة ولذا نرى البعض يحرص على الاستفادة منها كما قال أبو تمام:

كان به شوقاً إلى كل جانب  
من الأرض أو ضغناً على كل جانب

ولكم آثار هذا البيت اهتمام الدكتور  
طه حسين حيث قال لا أعرف بيتاً  
تتسع آفاقه وتبعد أماده ويجمع الأرض  
كلها في كلمات معدودة مثل هذا البيت.

واستجابة لرغبة أخي رئيس التحرير  
فإنه يسعدني أن أقدم جانباً من هذه  
الرحلة التي قمت بها إلى اليمن.

منذ مدة والنفس تحدثني بزيارة  
اليمن والوقوف على معالمها وأخبارها  
وأثارها.. ولكم قرأت الكثير من كتابات  
المؤرخين اليمنيين ممن لهم باع في  
التاريخ تاليفاً وتحقيقاً ودراسات ولقد  
تتبعت كتابات مؤرخ اليمن المعروف أبو  
محمد الحسن بن أحمد الهمداني  
صاحب الاكليل وصفة جزيرة العرب  
الذي تبعه واعتمده الكثير من المؤرخين  
والمحققين من قدامى ومعاصرين وكذا  
صاحب معجم البلدان «ياقوت بن  
عبد الله الحموي.. وغيرهم فقد أحاطوا  
بأوصاف تلك البلاد وتاريخها ومعالمها  
وأثارها وما يتعلق بأوصافها وآدابها  
وشعرائها. وقد سميت بالخضراء كما  
يقول الهمداني لكثرة أشجارها وزروعها  
وشمارها، ولقد كانت حفاوة العلماء  
والمؤرخين والباحثين كبيرة في هذا المجال

(١) مردأ قول الشاعر:

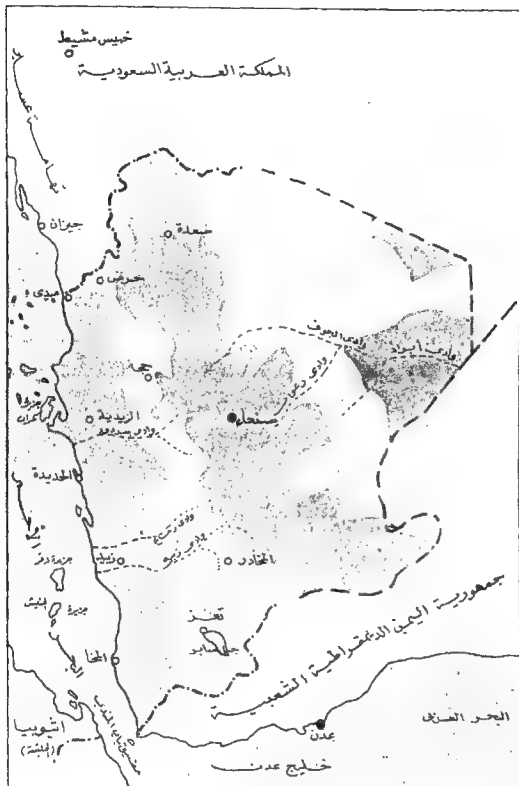
إذا مضى علم منها بدا علم ..

كل ذلك شدني إلى الوقوف على تلك  
المعالم فتطلعت إلى الفرصة المناسبة  
للقيام برحلة إلى تلك الربوع.. فصادف  
أن تلقيت دعوة كريمة من مدير جامعة  
صنعاء ورئيس مركز البحوث  
والدراسات اليمني بالحضور للمشاركة  
في أعمال الدورة الثامنة للمراكز  
والهيئات العلمية المهتمة بدراسات  
الخليج العربي والجزيرة العربية  
فتوجهت يوم الجمعة الموافق  
١٧/١٠/١٤٠٥هـ على متن إحدى  
طائرات البوينج، وقد أقلعت بنا الطائرة  
من الرياض في رحلة استمرت زهاء  
ثلاث ساعات حيث مررنا بمدينة تعز  
ولقد كنت أشاهد من عال جبال  
السروات ثم جبال اليمن الشامخة<sup>(١)</sup>  
حتى وصلنا إلى صنعاء المدينة  
التاريخية والتي كتب عنها المؤرخون  
كثيراً، فهي من أقدم المدن، نعم ها هي  
صنعاء والتي قال فيها أبو محمد  
الحسن الهمداني:

أرض تخبرها سام وأوطنها  
واسي غمدان فيها بعدما احتفرا  
أم السعيون فلا عين تقدمها  
ولا علا حجر من قبله حجرا

وقال أيضاً أحمد الراداعي وما أكثر ما

وإن مضى علم منه بدا علم



« خريطة الجمهورية العربية اليمنية »

قال الشعراء ولعله يؤرخ هنا لها:

صنعاء ذات الدور والأطام  
والقدم القدم ذي الأقدام  
والعز عن ذي السطوة الغشام  
است بعلم لابن نوح سام  
يعلم رب ملك علام  
إذا رادها سام بلا توهم  
ورادها من قبل ألفي عام  
ما بين سفحي نغم النقام  
وبين عيبان العبير السام  
فاسها في سالف الأيام

ويقول الهمداني:

ما زال سام يرود الأرض مطلباً  
للطيب خير بقاع الأرض بينها  
حتى تبوا غمدانا وشيدها  
عشرين سقفاً يناغي النجم عليها

فلقد كانت معشوقة الشعراء وما  
أكثر ما قرأنا من أشعار رقيقة يتغنون  
فيها بقصائد مفعمة بالحنين والشوق  
لهذه المدينة وكنت أتلث يمنية ويسرة في  
ربوع هذه المدينة، وأنا في طريقي إلى  
فندق «سبأ» فأرى فيها تاريخ الحياة  
لأمم عديدة تذكرت خلالها عرش بلقيس  
وسد مأرب وسبأ وحمير ومعين والتابعة  
وسيف بن ذي يزن ... الخ

وحضارة مأرب ومدينتها. وهي

حضارة رواها القرآن الكريم في سورة

سبأ وأطلق عليها المؤرخون اسم أرض  
(الجننتين) ..

مدينة «مأرب» هي العاصمة  
التاريخية لليمن، وتقع على بعد  
١٧٠ كيلاً شرق العاصمة صنعاء  
وتربطها بالعاصمة طريق مرصوفة ..

وهي مدينة مشهورة عاشت  
حضارات دول غابرة هي دول معين  
وسبأ وحمير، وبها آثار تلك الحضارات  
من منشآت ومعابد مثل معبد الشمس،  
وطرق وسدود لا تزال أطلالها شاهدة.  
وقد حظيت هذه المدينة الأثرية -  
وخصوصاً منذ مطلع هذا القرن -  
باهتمام الباحثين وعلماء الآثار العرب  
والأجانب، كما شدت إليها السواح من  
كثير من بلدان العالم، وكتبت عنها عدة  
مؤلفات وأبحاث، كما حظيت اللغة  
اليمنية القديمة وأبجديتها التي توجد  
نصوص منها منحوتة على الصخور  
والكهوف والجيال في مدينة مأرب وما  
جاورها باهتمام كثير من الدارسين  
اليمنيين الذين أخرجوا عدداً من هذه  
النصوص التي تسمى (خط المسند)

وقاموا بترجمة مفرداتها التي لا يزال  
البعض منها ينطق حتى اليوم ضمن  
بعض اللهجات اليمنية..

وفي اليمن معالم تاريخية كقصر  
غمدان الشهير ومسجد الصحابي  
الجليل معاذ بن جبل وجامع صنعاء  
والهمداني والزبيدي وعمرو بن معد  
يكرب وغير ذلك مما هو موضع اهتمام  
الباحث والمؤرخ والأديب.  
وتذكرت الرحالة المعروف أمين الريحاني  
وهو يدخل صنعاء مبهوراً بزخمة  
التاريخ وجلال الزمن. حقاً إن الحديث  
عن هذه البلاد وما فيها له نكهة تاريخية  
تستهوي القاريء والمؤرخ والرحالة بل  
وعلماء التاريخ والأثار.

إن صنعاء مدينة محاطة بالجبال  
تمتد شرقاً وغرباً كأنها وهي كلها بيضاء  
سلسلة من التلال في سهل مخضر جميل  
وعن شمالها وجنوبها هضاب وأكام  
وأودية.. وهكذا نزلنا في صنعاء مردداً  
قول الإمام الشافعي رحمه الله الذي  
سار سير الأمثال:

«لا بد من صنعاء وإن طال السفر».

وقول الشاعر:

يا حبذا أنت يا صنعاء من بلد  
وحبذا وأديك الظاهر والظلع

وما أكثر ما بكى شعراء اليمن بين يديها  
ومن ذلك قول أحدهم:

إنني إلى صنعاء يحملني  
وجه النهار وترحل الأصل  
فمتى تظللني ماذنها  
ويضيء من احضانها الجبل  
الموت يا صنعاء مقترباً  
لا الدمع يدنيني ولا القبل

لقد اطلعت خلال الزيارة على الكثير  
من المعالم والآثار التاريخية حيث  
تمكنت من التجول بين عدد من المدن  
والقرى .. ولقد قمت بزيارة لجامع  
صنعاء الكبير والذي بناه إبان بن سعيد  
وقيل أيوب بن يحيى في السنة السادسة  
 للهجرة وقد بنى بأحجار كبيرة ضخمة  
متقنة النحت به زخارف ونقوش وسقفه  
تحفة من تحف الفن الإسلامي النادرة  
ويحيط بالسقف من جميع جنباته حزام  
خشبي محفور عليه آيات من القرآن  
الكريم بالكتابة الكوفية.

وفي هذا الجامع مكتبة ضخمة  
تحتوي على مجموعة كثيرة من

ثم النمط العثماني وكل صنعاا القديمة  
مازالا تحفظ بكل هذا التنوع مع  
ملاحظة الزخرفة وتعدد الطوابق.

حقاً إن صنعاا لمدينة قديمة يقال  
إنها أول مدينة عمرت بعد الطوفان  
وسميت باسم بانيتها سام بن نوح. ولكم  
حفلت كتب التاريخ والأدب بأخبارها.  
وهناك عدد جم من الشعراء والمؤرخين  
والأدياء عنا بوصفها وآثارها ومعالمها  
ونقوشها وأنسابها وتاريخها وأخبارها.

#### دار الكتب والمخطوطات:

قمت والصديق الدكتور عبد الله  
الغنيم عميد كلية الآداب بجامعة  
الكويت ورئيس تحرير مجلة دراسات  
الخليج والجزيرة العربية بزيارة لهذه  
الدار الحافلة بخزائن المخطوطات وقد  
استقبلنا رئيسها القاضي اسماعيل بن  
علي الأكرع وهو من المحققين والمشتغلين  
بكتب التراث وله اهتمام وخبرة  
بالمخطوطات والتقينا عنده بكل من مدير  
المتحف الأستاذ زيد بن علي عنان  
وبعض الأخوة العلماء فكان الحديث  
عن الكتب والمخطوطات والوثائق ودور  
مراكز البحوث والمخطوطات في نشر ذلك

المخطوطات والمصاحف المكتوبة على  
الرق بالخط الكوفي والحجاري على  
مختلف الأحجام. وقمت بزيارة لدار  
الكتب والمخطوطات المجاورة للجامع  
حيث استقبلنا الأخ عبده حسين صلاح  
حيث قام يشرح لنا المعدات الفنية  
لترميم المخطوطات وتجليدها وتصويرها  
وفرز كل نوع على حدة.. ثم دخلنا قاعة  
معرض المخطوطات الحافلة بشتى  
المخطوطات المكتوبة بالخط الكوفي  
والحجاري والنسخى. وكذا بعض  
النقوش وحروف المسند.

والواقع أن الجامع يزخر بثروة كبيرة  
من المخطوطات في شتى العلوم  
والمعارف. ومن جامع صنعاا خرجنا  
نتجول في وسط المدينة القديمة  
ومشاهدة بيوتها وآثارها فنزلنا قصر  
غمدان ومسجد صلاح الدين وغرفة  
القليس وسوق الملح وغير ذلك من  
أحيائها القديمة وحواربها وتراثها  
المعماري والأثري وأبوابها العشرة. أما  
مبانيها فهي تضم أنماطاً من  
المباني أولاً المياني العربية والتي كانت  
شائعة قبل الإسلام ثم النمط الإسلامي  
الذي انتشر وشاع بعد ظهور الإسلام

الملحق التعليمي السعودي ولقد سررت بما يقدمه المكتب من خدمات جليلة حيث أن هناك بعثة تعليمية سعودية كبيرة تقوم بالتدريس في مختلف المناطق. وحكومتنا الجليلة تأتي في مقدمة الأمم بذلاً وعطاء حيث بناء المدارس والمستشفيات والطرق والمساجد.. ثم خرجت من مكتب الملحق التعليمي بعد أن زودني بمجموعة من صحف بلادنا..

### زيارة مدينة تعز:

وفي الصباح الباكر ذهبنا إلى مدينة تعز وانطلقت بنا السيارة شطرها وكان الطريق مائتين وخمسة وستين كيلاً جنوب العاصمة ومررنا بمناطق خضراء وجبال مجللة بالجمال والخضرة وسهول تغطيها المزارع ومررنا بعشرات البلدان والقرى كذمار، والتي سبق أن تعرضت لكارثة الزلزال حيث شاهدنا آثاره وكذا اب ويريم وغيرها من القرى والبلدان وهي أجمل مناطق هذه البلاد، ولقد صعدنا جبلاً شامخة فارعة فكنا نرتفع تارة ونهبط أخرى إنها لقمم شامخة خطيرة كجبل سمارة الشهير وكان

وأهمية الحفاظ على التراث ودور العلماء والباحثين.. وجهود البعض من المستشرقين في هذا المجال وأهمية تسهيل الحصول على المخطوطات للباحث والاستفادة منها بأسهل الطرق.. ولقد أمضينا وقتاً ممتعاً انغمسنا خلاله في أغوار التاريخ والتراث والعلم. حقاً إن واجب جامعاتنا ومراكز البحوث الاهتمام بالتراث وتحقيق المخطوطات كما أن الكثير من المخطوطات مهدد بالضياع ما لم نبادر إلى صيانتها وتقييمه وحفظه خاصة ما كتب منه على الرقوق والجلود كما أن الاهتمام بالوثائق ناحية مهمة باعتبارها مصادر مهمة في البحث والدراسة.

### زيارة السفارة السعودية:

قمت بزيارة لسفارتنا وقد وجدت من سعادة السفير الأستاذ علي القفدي كل حفاوة وتقدير ولقد حرص/أكرمه الله على إكرامي فدعاني للغداء والصح ولكني اعتذرت فقال لي لا بد من ذلك فقبلت دعوته على الغداء حيث دعا الأخوة السعوديين فكان لقاء أخوياً ودياً وفي أثناء وجودي هناك رغبت في زيارة مكتب



الهمداني:

فمن كان ذا جهل بايام حمير  
واثارهم في الأرض فليات ناعط  
يجد عمدا تعلقو الفنا مرمرية  
وكبرسي رخام حولها وبلاط  
ملاحقها لا ينفذ الماء بينها  
ومبهوفة مثل الفراح خرائط  
ترى كل تمثال عليها وصورة  
سباعاً ووحشاً في الجبال وبساط  
وفي قصر صروح يقول الشاعر:

ابونا الذي كانت بصروح داره  
وفي جبل النعمان عز تمكنا  
ونحن ورثنا عن خولان ذي الندى  
مائر عز مثلها لم يدم لنا  
وقبل أن نعود للعاصمة لاحت لنا  
قصورها فتذكرت قول الشاعر:

إذا طلعتا جبال السود لاح لنا  
من أرض صنعاء معطاف ومرتبغ  
يا حبذا أنت يا صنعاء من بلد  
وحبذا وأديك الظهر والضلغ

وطلبت من مرافقي أن نعرج  
لمشاهدة هذين الوادين ثم عدنا إلى  
الفندق بعد رحلة حافلة بالأدب  
والتراث والمعرفة والآثار والمشى  
والبرد وهطول المطر واستغرقت في  
نوم عميق حتى الفجر حيث  
الاستعداد للسفر مردداً قول القائل:

نزلنا هاهنا ثم ارتحلنا  
فديناننا نزول وارتحال

مرافقي الأخ محمد المعلمي يشرح لي  
أسماء هذه الأماكن والجبال والوديان  
وكان السائق ماهراً حاذقاً بالطريق  
فعندما رأني مكتئباً من وعورة الطريق  
قال لي لا تخف فقد ترددت مع هذا  
الطريق عدة سنوات ومازلت أتردد بين  
جنباته فهو شيء سهل فقلت زادك الله  
نشاطاً وقوة ومهارة فعليك بالرفق ففي  
الثاني السلامة وفي العجلة الندامة.  
ولقد تعودت على صعود واجتياز مناطق  
جبلية أصعب منها.

ثم لاحت لنا تعز المدينة الخضراء  
يحتضنها الجبل الأشم «صبر» وهي  
مدينة جميلة تقع على الربوات المتناثرة  
هنا وهناك تغريك خضرتها وجبالها  
وجمال مبانيها. وقد زينا أسواقها  
القديمة وجامعها وحصونها القديمة  
وجبالها الجميلة وقمت بزيارة للمتحف  
الوطني.

ثم غادرناها إلى بعض القرى  
والأرياف حتى عدنا إلى العاصمة  
بعد أن مررنا بالعديد من قصور  
اليمن ومعابقتها الكثيرة والأثرية  
وهي غاية في فن العمارة والنقش ومن  
القصور التاريخية التي لا زالت باقية  
قصر غمدان وصروح وناعط وفيه يقول

○○○○

# المواكب السلطانية ورسوم الإحلام في الدولة الحفصية

د. صالح محمد فياض أبو ديك

ملخص

يتضمن هذا البحث اشارة موجزة عن رسوم الملك عند المرابطين ثم الموحيدين، وينتقل بالحديث إلى المواكب السلطانية، ورسوم الملك في الدولة الحفصية، مشيراً إلى رسوم الملك، مع بيان أهمية الأعلام، وألوانها، مميزاً بين أنواعها ودلالات كل نوع، كما يتحدث عن لباس الأمير، وما يميزه عن غيره من الأمراء المجاورين له، بوضع التاج على رأسه تشبيهاً بملوك الفرنجة، مع الاشارة إلى التأنق باللباس واختياره للنادار منه، عكس غيره من سلاطين الدول المجاورة له كالمرينيين وبنى الأحمر وهذا دال على ماكان عليه السلاطين من رفاهية العيش.



ونوه البحث بالحراسة المشددة التي يتخذها السلطان عند خروجه للصلاة، أو السفر، أو التتزه، قصد الحيلة والحذر، فقد زادت في هذه الآونة حركة الاغتيالات وبخاصة في غرناطة المجاورة لهم.

كما أشارت هذه المواكب إلى الأبهة السلطانية التي كانت في الدولة الحفصية بينما اتسمت بالبساطة عند جيرانهم المرينيين في بداية عهدهم، وفي الدولة الغرناطية لم تظهر بعض مظاهرها إلا في سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م.

وذيل البحث بقائمة تحمل أسماء السلاطين، وسني التولية، والعزل أو الوفاء لكل سلطان.

إذا نظرنا إلى مواكب وأعلام الدولتين السابقتين للدولة الحفصية، وجدنا أن الرسوم والمواكب لم تكن ذات بال عند أربابها، ولعل هذا راجع إلى ما اتسمت به هاتان الدولتان من بساطة في الحكم، والميل للتقشف، خاصة الدولة المرابطية بالإضافة إلى الحروب التي شغلتهن عن ذلك سواء في الداخل أو الخارج.

فقد عمد المرابطون جاهدين على توحيد المغرب الكبير تحت رايتهم، وبذلوا قصارى جهدهم في تحقيق هذه الرغبة، كما بذلها من بعدهم الموحدون لكن انجازاتهم كانت أقل من طموحاتهم، يضاف لذلك حروبهم المستمرة مع الفرنجة بالأندلس بهدف انقاذها مما هي فيه من فتن داخلية، ورد هجمات الأسبان عنها، والملاحظ أن ألوان الأعلام بين الدول المغربية الموحدية والحفصية والمرينية قد تماثلت عدا الدولة المرابطية التي اتخذت السواد شعاراً لها سواء في أعلامها أو لباسها الرسمي تادياً مع حضرة الخلافة العباسية ببغداد، حيث أرسل الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين<sup>(١)</sup> إلى الخليفة العباسي عبد الله القائم بأمر الله وقدأ لهذا الغرض، وكان على رأسه عبد الله بن محمد العربي المعافري الأشبيلي وولده القاضي أبو بكر، ونتج عن مقابلة الوفد للخليفة أن عقد للأمير يوسف بن تاشفين على إمارة المغرب<sup>(٢)</sup>، وبعد وصول العقد، اصدر مرسوماً لجميع ولاته طالبهم فيه بأن ينعتوه بلقب ( أمير المسلمين وناصر الدين ) وأن يدعوا له به على منابر ولاياتهم.

وكان قد بنى مدينة مراكش سنة ٤٥٤ هـ ١٠٦٢ م واتخذها عاصمة الملكة، ونقش اسمه على السكة، وسك الدينار المرابطي المدور الشكل، وكتب على أحد وجهيه ( لا اله إلا الله محمد رسول الله ) وتحت ذلك ( أمير المسلمين يوسف بن تاشفين )<sup>(٣)</sup> ونقش في مداره ( ومن يبتغ غير الإسلام ديناً، فلن يُقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين )، وفي هذا المدار - أيضاً تاريخ الضرب وموضوع السك.

وكتب على الوجه الثاني ( الامام عبد الله أمير المؤمنين العباسي ) وأخذ يرسل مراسلاته للخليفة ولغيره باسم ( أمير المسلمين وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين )، كما اثبت اسمه على ما ينسج من الكساء والفرش والبنود والأعلام.

أما الموحدون، فكان شعار الرسمي لدولتهم سواء في الأعلام أو اللباس، البياض وإلى جانبه اللون الأخضر، إلا أن البياض هو الغالب على لباسهم خاصة القضاة والفقهاء الذين كانوا يعرفون به<sup>(٤)</sup>.

وكان من أهم هذه الأعلام العلم الأبيض الذي كتب على أحد وجهيه « الواحد الله، محمد رسول الله، المهدي خليفة الله » وكتب على الوجه الثاني : ( وما من إله إلا الله، وما توفيقي إلا بالله، وأفوض أمري إلى الله )<sup>(٥)</sup> وأصدر عبد المؤمن<sup>(٦)</sup> الدينار الموحدى، المربع الشكل ونقش اسمه على السكة واتخذ حاضرتة مراكش.

### رسوم الملك عند الحفصيين

كان شعار الملك عند بني حفص، العلم المسمى ( بالمنصور )<sup>(٧)</sup> وهو لواء<sup>(٨)</sup> أبيض ويسمى أحياناً بالعلم الأبيض<sup>(٩)</sup>، حيث يحمل في المواكب الرسمية ومعه سبعة أعلام يتوسطها وإلى جانبه علم أحمر، وأصفر، وأخضر، أما بقية الأعلام فإن ابن قویی<sup>(١٠)</sup> ناقل الخبر لم يتحقق من ترتيبها.

أما أعلام القبائل التي تسير مع الخليفة، فكل قبيلة علم تعرف به حسبما عليه من كتابة تميزه عن غيره، وجميع الأعلام مكتوب عليها عبارة «الشهادتان».

أما لباس الأمير<sup>(١١)</sup> فقد تميز عن لباس الأمراء المجاورين له، بوضع التاج<sup>(١٢)</sup> على رأسه تعظيماً وتفخيماً فوق عمامة كبيرة مصنوعة من الصوف، مفرطة بالكبر يتحنك<sup>(١٣)</sup> بطرفها السلطان ولها عذبة صغيرة<sup>(١٤)</sup>.

وقد يتعمم بعمامة تماثلها بالحجم، ولكنها تختلف بالصنع، حيث تصنع من الكتان - والحرير إلى جانب الصوف، ولا يتعمم من رجال دولته أحد، حيث يرسل عذبة صغيرة منها نحو أذنه اليسرى، وهي مخصصة به وبأقاربه، وله جلباب يلبسه مصنوع من قمماش يسمى السفاري منسوج بخيوط من الحرير ومن القطن، أو من الحرير الخالص.

أما ملابسه، فهي مصنوعة من الخَزَدَات اللون الأخضر الضارب للسواد، ويسمى عندهم بتسميات متعددة منها، الجوزي، والغيار، والنقطي. ويستخرج عادة من البحر بالغرب من صفاقس<sup>(١٥)</sup>، ويسمى في بلاد مصر والشام بوبر السمك وتعتبر هذه الثياب من أفخر ثيابه لندرته وجودتها<sup>(١٦)</sup>. وقد يلبس إلى جانبها الثياب الصوفية ذات الألوان الجميلة، وعلى الأخص المختم<sup>(١٧)</sup> منها، المصنوع من خيوط الصوف والحرير معاً، حيث ينتهي كل ثوب بكمين طويلين ضيقين عند الزندين، ولا تشد ثيابه إلا في الحرب، حيث يتحزم ويلبس الأقبية وله طليسان من الصوف متقن الصنع، يرتديه دون أن يضعه على رأسه، ولا يلبس الخف، ولا أحد من أشياخه أو جنده إلا في أيام السفر والحرب.

### وفي موكب خروجه لصلاة الجمعة

يروى لنا ابن سعيد<sup>(١٨)</sup>، أن من عاداته أن لا يجتمع في هذا اليوم بأحد، بل يخرج عند اقتراب الأذان من قصره، يشق رحبته مابين خواصه وحراسه من المصاليك

والأترار، وعندما يشاهدونه قادماً ينادون بصوت واحد وينداء عال ( سلام عليكم )، بحيث يسمعه من كان بالمسجد الجامع المزمع إقامة الصلاة فيه، يتقدمه وزير الجند يسير في ساباط<sup>(١٩)</sup> يتصل بالجامع، حيث يفتح وزير الجند الباب السلطاني المذهب، الذي يخرج منه السلطان وحده حيث يكون في استقباله جماعة من أعيان الدولة يقفون عند قدومه ولا يقوم سواهم من المصلين وليس له مقصورة مخصصة للصلاة بعكس سلاطين بني الأحمر الذين اتخذوا مقصورة خاصة<sup>(٢٠)</sup> بهم عند الصلاة، وبعد الصلاة يجلس في قبة كبيرة معدة له في صدر الرحبة، حيث يحضر عنده أقاربه للسلام عليه، ثم ينصرفون ويدخل قصره.

### وفي ركوبه لصلاة العيدين أو السفر

كان من عادته أن يركب، وعن يمينه فارس وعن يساره فارس من أكابر أشيائه العشرة، ويسير إلى جانبه رجلان مقلدين بسيفين، أحدهما ممسك بركابه الأيمن والثاني ممسك بركابه الأيسر ويليهما جماعة يمشون خلفهما من أكابر دولته : مثل الثلاثة أصحاب الرأي والعشرة الذين يلونهم ومن يجري مجراهم من أعيان الجند، وتسمى هذه الجماعة عندهم ( ايربان ) حيث يحفون به، وهم متمنطقون بأسيا فهم وبأيديهم العكاكيز، وربما كان معهم قاضي الجماعة المسمى في المشرق بقاضي القضاة، وأمام هؤلاء الجماعة أعداد كبيرة من أقارب السلطان - الموحدين - متمنطقين بالسيوف أيضاً، ومعهم الهراوات يسمون بالمشائين، وأمام هؤلاء الجماعة عبيد سود يقال لهم ( جفاة ) بأيديهم حراب في رؤوسها رايات مصنوعة من الحرير، يلبسون جباً بياضاً، وهم مقلدون بالسيوف وأمام هؤلاء قوم يسمون ( بعبيد المخزن )، وهم عوام البلد وأهل الأسواق وبأيديهم الدرق<sup>(٢١)</sup> والسيوف ومعهم العلم الأبيض المسمى ( بالعلم المنصور )<sup>(٢٢)</sup>

ومن عادة الخليفة إذا حضر من سفر صلى أول صلاة جمعة بعد عودته بالجامع

الاعظم في الحضرة على غير عادته من صلوات أيام الجمع التي يصلّيها بمسجد قصبته<sup>(٢٣)</sup>، حيث يقوم ناظر المسجد بتجهيز مقصورة بالبسط والحصر الجديدة، وحين يدخل موعد الصلاة يحضر سجادة السلطان المصنوعة من السعف الجيد، فتقرش بمكان جلوسه للصلاة، ثم يحضر بأبهة زائدة وبين يديه ولي عهده وجماعة أخرى من إخوته، ومن حولهم الناس يسلمون بالسلطنة، وكلما مرّ على جماعة رفعوا أصواتهم بالعبارة المعهودة ( سلام عليك، نصرك الله )<sup>(٢٤)</sup>.

وعند خروجه لصلاة العيد أو الرغبة في السفر، ينادى المندى في الناس ليلة العيد أو عند سفره، فيخرج أهل كل صناعة، حيث يجتمعون بظاهر البلد لاستقباله أو توديعه ويصحبه صاحب العلامة، وفي نفس الوقت أمير علم يسير خلفه راكباً وتتبعه أعلام القبائل كل قبيلة لها علم خاص بها، ومن ورائهم الأعلام والطبول والبيوقات وخلفهم محركو الساقة<sup>(٢٥)</sup> الذين هم بمثابة النقباء وبأيديهم العصي ويرتّبون العساكر، وخلف هؤلاء العساكر فارس على يمين السلطان، والمشاة يمشون ثم يركبون ويحيط بالسلطان جماعة يقرعون حزباً من القرآن الكريم وبعد انتهائهم من قراءته يقف السلطان ويجهز بالدعاء، ووزير الجند يؤمن على دعائه، ويؤمن الناس من ورائه، ويسير السلطان سراً حثيثاً والناس من ورائه<sup>(٢٦)</sup>، فإن كانوا في أرض واسعة كان سيرهم مرتباً، وإن ضاق بهم الطريق ساروا كيفما شاءوا بسبب ضيق المكان، لكن الجند والناس لا يتقدمون على السلطان في سيرهم فإذا قرب السلطان من منزله، وقف ووقف معه الناس، ودعا وأمّنوا جميعاً على دعائه، وإن كان في صلاة العيد سلك طريقاً وعاد من أخرى<sup>(٢٧)</sup>.

### وفي خروجه للتنزه

يصف صاحب المسالك<sup>(٢٨)</sup> خروجه ومعه مائتا فارس من الشبان المعروفين بالصبيان ويبقى وزراؤه<sup>(٢٩)</sup> الثلاثة في مقر عمله، يقومون بمراقبة أعماله وإطلاعه عليها بعد عودته، ليبدى رايه فيها.

أما إن أراد الذهاب إلى بستانه، انتقل إليه في رفاق محبوب عن اعين الناس بالجدران، ممتداً من قصره ومنتهيا بالبستان (٣٠).

بيان مفصل لامراء بني حفص

اسم الخليفة	سنة التولية	سنة العزل او الوفاة
١ - ابوزكريا يحيى الأول	٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م	ت ٦٤٧ هـ / ١٢٧٦ م
٢ - ابو عبد الله محمد الأول ( المستنصر بالله )	٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م	ت ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م
٣ - ابوزكريا ابراهيم الأول	٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م	عزل ٦٧٨ هـ / ١٢٨٣ م
٤ - ابواسحاق ابراهيم الأول	٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م	ت ٦٧٢ هـ / ١٢٨٣ م
٥ - أحمد بن مرزوق ابي عمارة ( الداعي )	٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م	ت ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م
٦ - ابو حفص ( الأول ) المستنصر	٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م	ت ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م
٧ - ابوزكريا يحيى المنتخب	٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م	ت ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م
لاحياء دين الله، انفرد بحكم قسنطينة	٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م	ت ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م
٨ - ابو عبد الله ( ابو عسيبة ) محمد الثاني	٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م	ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م
٩ - ابو البقاء، خالد الناصر الأول	٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م	
حكم بباجية ثم انفرد بالحكم		
١٠ - ابوبكر الأول الشهيد، انفرد بحكم بجاية	٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م	ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م
١١ - ابو البقاء الأول ( الناصر )	٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م	
١٢ - ابوبكر الثاني المتوكل حكم قسنطينة وبجاية		
١٣ - ابويحيى زكريا اللحياني	٧١١ هـ / ١٣١١ م	عزل ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م
١٤ - ابو خربة ( محمد الثالث )	٧١٧ هـ / ١٣١٧ م	عزل ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م
١٥ - الأمير الشهيد ابويحيى	٧١٨ هـ / ١٣١٨ م	ت ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م
ابوبكر الثاني بن زكريا		



اسم الخليفة	سنة التولية	سنة العزل او الوفاة
١٦ - ابو حفص عمر ( الثاني )	٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م	ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م
١٧ - ابو العباس، الفضل بن ابي يحيى بن ابي بكر، اميربونة، ثم انفراد، بالحكم	٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م	ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م
١٨ - ابو زيد عبد الرحمن، حكم قسنطينة	٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م	
١٩ - ابو عبد الله محمد المنصور انفرد في الحكم ببجاية	٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م	
٢٠ - ابو اسحاق، ابراهيم بن ابي يحيى بن ابي بكر	٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م	ت ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م
٢١ - ابو عبد الله، محمد المنصور بن ابي يحيى ( حكم بجاية )	٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م	ت ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م
٢٢ - ابو البقاء خالد، ابن ابي اسحاق ابن ابي يحيى	٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م	ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م
٢٣ - ابو العباس احمد ( الثاني ) بن ابي عبد الله بن ابي يحيى	٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م	ت ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م
٢٤ - ابو فارس عبد العزيز بن ابي العباس	٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م	ت ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م
٢٥ - ابو عبد الله محمد ( الرابع ) المنتصر	٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م	ت ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م
٢٦ - ابو عمر عثمان	٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م	ت ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م
٢٧ - ابو زكريا يحيى الثالث	٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م	ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م
٢٨ - ابو عبد الله محمد الخامس	٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م	ت ٩٣٣ هـ / ١٥٢٦ م
٢٩ - الحسن بن محمد الحفصي	٩٣٣ هـ / ١٥٢٦ م	ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م
٣٠ - ابو العباس احمد بن الحسن	٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م	ت ٩٨٠ هـ / ١٥٣٥ م
٣١ - محمد بن الحسن الحفصي	٩٨١ هـ / ١٥٧٣ م <sup>(٣١)</sup>	

## الهواش والتعليقات

- (١) هو يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن واركوت اللمتوني، حارب القبائل المغراوية واليفرنية وغيرها من القبائل الزناتية، وتمكن من احتلال مدينة فاس، وتوجه بعدها إلى بلاد غمارة وأخضع الكثير من احوازها ووصل إلى طنجة التي كان فيها يومذاك الحاجب سكون البرغواطي مولى بني حمود في الاندلس، راجع القلقشندي، ابو العباس أحمد بن علي، المتوفى سنة ٨٢١ هـ صبح الاعشى في كتابه صناعة الانشا، ج ٢ ص ٢٢ السيلوي أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا في دول المغرب الأقصى ج ٢ ص ٢٢.
- (٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ١٠ ص ٣٢ ومابعدا.
- (٣) محمود، حسن أحمد، قيام دولة المرابطين، ص ٣٥٤، نقلًا عن Lavotz.
- (٤) الملاحظ أن هذا اللون من اللباس، كان بمثابة حصانة لمن يلبسه، يكسبه اجلالا وهيبه، ويحميه من اعتداء المعتدين ونقمته، فقد حدث في القرن التاسع للهجرة إبّان الغزو البرتغالي على المغرب، أن تهادنت جماعة من المغاربة مع المستعمر وتزلفوا له، فقام العامة بالثورة عليهم، وقتلوا عددا منهم إلا القاضي ابا نعيم، لم يجرؤ أحد على إهانته بسبب لباسه الأبيض الذي أنقذه من هذا المأزق، راجع، الجزنائي، علي (جني زهرة الأس في بناء مدينة الفاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ص ٦٢ .
- (٥) صبح الاعشى، ج ٦ ص ٥١ - ٥٥.
- (٦) هو عبد المؤمن بن علي الكومي من قبيلة كومية البترية الزناتية، والتي اتخذت من الجبل المطل على هنيين بالقرب من تلمسان موطناً لها. بويح بالخلافة في ربيع الأول سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م بجامع تيمثل من جبال دزن المراكشية، استطاع أن يقضي على المرابطين ويستخلص المهدي والبلاد الساحلية من النصارى الذين استولوا عليها، راجع، صبح الاعشى ج ٥ ص ١٩١، السلاوي، الاستقصا ج ٢ ص ١٠١.
- (٧) سمي لدى المرينيين بسعد الدولة، أو العلم المنصور، راجع، (رحلة البلوي نسخة خاصة) المنوني، مجلة البحث العلمي عدد ٤ و ٥ ص ٢٥٥ - ٢٥٦.
- (٨) اللوام في العادة غير الراهية، فاللوا ما يعقد في طرف الرمح، ويلوى عليه، والراهية ما تعقد فيه وتترك حتى تصفقها الرياح، واللواء علامة لحمل الأمير يدور معه حيث دار والراهية يتولاها صاحب الحرب. راجع، الكفاني، الترتيب الادارية ج ١ ص ٣١٧ - ٣١٨.
- (٩) روى الترمذي عن ابن عباس قال، كانت راية رسول الله سوداء ولواؤه أبيض فهل يكون لهذا السبب اتخذ الحفصيين والمرينيين ومن سبقهم من الموحدين لون البياض شعاراً لهم، لأننا نرى أن سلاطين بني الأحمر بقرناطة قد خالفوهم، فاتخذوا اللون الأحمر شعاراً لهم وأصبح لوناً مميزاً لهم في قصورهم وقيابهم وخيامهم حتى الورق الذي يكتبون عليه ظواهرهم ورسائلهم السلطانية، وكذلك الحال اتخذوه في زيهم، فنرى أن السلطان محمد السادس الملقب ( البرمخو ) كان يرتدي تنورة حمراء. عندما أمر بدمر القاسي بقتله في طامة ( Talada ) من ظاهر اشبيلية سنة ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ م. راجع، المقرئ شهاب

الدين أحمد بن محمد التلمساني من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨ ص ١٨٤ - ١٨٥، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ج ٢ ص ١٦٤، ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ٣ ص ٢٧٩، ابن الخطيب لسان الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد السلماني ديوان الصيب والجهام والماضي الكهام تحقيق - محمد شريف قاهر ص ٤٠٧.

(١٠) هو أبو عبد الله زكي الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف شهر بابن القويح الجعفري التونسي، ولد بتونس في رمضان سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م، قرأ النحو على ابن زيتون، والأصول على محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس، ارتحل إلى المشرق فزار الشام، وتسمع ممن بدمشق من العلماء والفقهاء كآب القواس، وأبي الفضل بن عساكر، ودرس بالناصرة وقرأ الطب بالبيمارستان، وهناك التقى بابن فضل العمري ( مؤلف مسالك الأبيصار ) الناقل عنه كتابه، ثم رحل إلى مصر وغيرها من الأقطار، راجع، العمري بن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى الدمشقي، وصف إفريقية والمغرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة، مقتطف من كتاب مسالك الأبيصار في ممالك الأنصار، تحقيق - حسن حسني - عبد الوهاب، ص ١١

(١١) هو الأمير أبو زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص، وهو أول سلاطين بني حفص الذي أعلن الاستقلال عن الدولة الموحدية ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ هـ.

(١٢) لقد أبطل سلاطين بني حفص، لبسه زمن السلطان اللحياني سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م، لأن لبسه مخالف للشريعة الإسلامية أما سلاطين بني مرين، فلم يلبسوه قط وكذلك سلاطين بني الأحمر الذين رفضوا لبسه، فكان السلطان محمد الأول، يسير حاسر الرأس، راجع الحجوي محمد المهدي، حياة الوزان وأثاره، عوائد القصر ص ٩١ - ٩٨، ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد السلماني لللمحة البدرية بالدولة النصرية، ص ٧٤

(١٣) ورد في كتاب القرائب الإدارية، ص ٣١٨ - ٣١٩، عن التحنك قوله : ( وصار العلماء يتميزون بالتحنك، قال القرآني، لأن التحنك، هو اللثام بالعمائم تحت الحنك، والتحنك من شعار العلماء

(١٤) راجع، صبح الاعشى، ج ٥ ص ١٤٣، وما بعدها.

(١٥) يغوص الغواصون في البحر فيخرجون كسائم شبيهة باليصل في أعناقهم زبورة، تنشر في الشمس فتفتت كسائمها عن وبر، يمشط ويؤخذ صفوه، ويغزل، يعمل منه طمعة لقيام الحرير عليه وينسج منه ثياب مختمة وغير مختمة ويبلغ ثمن الثوب مائتي دينار بقيمة النقد يومذاك، راجع المسالك، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، ص ٢١.

(١٦) يبدو أن السلطان محمد الأول الغرناطي الملقب بالشيخ لشدة ورعه، لم يكن متأنقا كما هو الحال عند سلاطين بني حفص، حيث كان يلبس الثياب الخشنة والنعال البسيطة، وشابهه في ذلك، السلطان محمد الخامس الذي كان يسير مع حاشيته في ملابس متواضعة عارى الرأس، مشمراً عن ساعديه

أحياناً يتجول في الشوارع معاصرين الناس إليه لكثرة تواضعه، راجع المقرئ، نفع الطيب جـ ١ ص ٤٧.

(١٧) راجع، صبح الاعشى، جـ ٥ ص ١٤١، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى الدمشقي، وصفى إفريقية والمغرب والاندلس، أواسط القرن الثامن للهجرة ص ٢٣، (مقتطف) نشر وتعليق عبد الوهاب حسن حسني.

(١٨) هو نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد، الأديب المؤرخ الرحالة الاندلسي الشهير من ذرية عمار بن ياسر الصحابي، ولد في غرناطة سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م، درس في أشبيلية ورحل إلى المغرب وأقام في تونس على عهد الأمير المستنصر بالله الأول، ونال منزلة عنده، ثم رحل إلى مصر والشام والعراق وتجول في الأناق، وحظي برعاية حسنة من أمراء وعلماء هذه الاقطار، دون مشاهدته من مؤلفات عديدة، فقد أغلبها، ثم رجع إلى تونس وعاش في كنف أمرائها الحفصيين إلى أن مات سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م، ويفن في مقبرة الزلاج بتونس، من أشهر مؤلفاته كتاب (المغرب في حلي المغرب)، في خمسة عشر مجلداً توجد نسخة منه بخط المؤلف في المكتبة السلطانية بمصر، راجع، مسالك الأبصار، وصف إفريقية، ص ٧، ١١ نشر حسني عبد الوهاب.

(١٩) الملاحظ أن الحرس الحفصي كان شديد التيقظ في حراسة هذا المكان خاصة أثناء مرور السلطان بسهولة اغتياله، فقد اغتيل السلطان أبو الوليد اسماعيل الغرناطي ووزيره يسير بين يديه راجع ابن الخطيب، أعمال الاعلام، فيمن بويق قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تحقيق أحمد مختار محمد ابراهيم الكتاني ص ٢٩٥.

(٢٠) راجع، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن الحسين الحضرمي التونسي، المقدمة جـ ٢ ص ٢٦٩، تحقيق عبد الواحد واقي.

(٢١) المصنوعة من جلد حيوان اللحم المتواجد في الصحراء المغربية والذي يمتاز بمقاومته وقد استخدمه المرابطون في تصنيع أدواتهم الحربية، راجع، ابراهيم - حركات، النظام - السياسي والحربي في عهد المرابطين، ص ٢٠٣.

(٢٢) راجع، صبح الاعشى، جـ ٥ ص ١٤٦.

(٢٣) يرجع السبب في ذلك خوفاً من الاغتيال، فقد اغتيل السلطان يوسف الأول الغرناطي أثناء السجدة الأخيرة من صلاة عيد الفطر أول شوال عام ٧٥٥ هـ / ١٩ تشرين أول ١٣٤٥ م، راجع ابن الخطيب، للمحة البدرية ص ٩٧.

(٢٤) راجع الباسط عبد الخليل، في رحلته في القرن الخامس عشر الميلادي ص ٣١، ٣٢.

(٢٥) حدث هذا عند سلطين بني الاحمر وعلى وجه التحديد سنة ٧٥٥ هـ / ٣٤٥ م حيث كان يرافق الموكب السلطاني حرس خاص يسمى بالساقفة ترافقه الطبول والبنود، راجع ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، جـ ٢ ص ٣.

(٢٦) صبح الاعشى جـ ٥ ص ١٤٥.

(٢٧) صبح الاعشى جـ ٥ ص ١٤٧.

(٢٨) هو احمد بن يحيى بن فضل الله بن المجلي بن دعجان بن نصر القرشي العدوي الدمشقي الشافعي شهاب الدين ابو العباس، ولد سنة ٧٠٠ هـ وولي سنة ٧٤٩ (١٣٠٠ - ١٣٤٨ ) اديب، ناظم، ناثر، مؤرخ دمشقي المولد تولى القضاء في دمشق وتوفي بها يوم عرفة من مؤلفاته، مسالك الابصار في معالك الامصار تزيد عن عشرين مجلدا، فواصل السمر في فضائل آل عمر، في أربع مجلدات ومن مؤلفاته أيضاً دمع الباكى ويقظة الساهي، عرف التعريف بالمصطلح الشريف، رتب المكاتبات وصباغة المشتاق في المادائح النبوية، راجع معجم المؤلفين جـ ٢ ص ٢٠٤.

(٢٩) وزير الجند، ووزير الاشغال وصاحب العلامة.

(٣٠) صبح الاعشى، جـ ٥ ص ١٤٧

(٣١) راجع، ابن منقذ، ابو العباس أحمد بن الحسين بن علي بن الخطيب القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي، عبد المجيد التركي، الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، الجيلالي عبد الرحمن تاريخ الجزائر جزءان، حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس.

## ● المصادر والمراجع ●

- ١ - الجزنائي، علي  
\* جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور الرباط سنة ١٩٦٧.
- ٢ - جيلالي - عبد الرحمن.  
\* تاريخ الجزائر العام جزءان. الجزائر ١٩٥٢ م
- ٣ - الحجوي، محمد المهدي.

- ٤ - حياة الوزان الفاسي، واثاره، الرباط ١٩٣٥.
- ٥ - ابن الخطيب ( لسان الدين، أبو عبد الله بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، الملقب بذي الوزارتين ).
- ٦ - أعمال الاعلام، فيمن يبيع قبل الاحتلام، من ملوك الاسلام، تحقيق د. أحمد مختار العبادي والأستاذ / محمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، المغرب، سنة ١٩٦٤ م.
- ٧ - مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس. تحقيق أحمد مختار العبادي، الاسكندرية ١٩٥٨ م.
- ٨ - اللوحة البديرية بالدولة النصرية، بيروت ١٩٧٨ م.
- ٩ - ديوان الصيب والجهام، والماضي الكهام، تحقيق محمد شريف قاهر، ط ١ - الجزائر ١٩٧٣ م.
- ١٠ - ابن خلدون ( عبد الرحمن محمد بن الحسين الحضرمي التونسي )
- ١١ - المقدمة، ج ١، ٢، تحقيق، عبد الواحد وافي، القاهرة ١٩٥٨ م، ١٩٦٥ م.
- ١٢ - تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب، تحقيق البارون رسلان، الجزائر ١٢٦٧ هـ / ١٨٥١ م.
- ١٣ - الزركشي : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم.
- ١٤ - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق، محمد ماضور تونس سنة ١٩٦٦ م.
- ١٥ - السلاوي ( أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ).
- ١٦ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. ج ٢، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٥٤ م.
- ١٧ - عبد الوهاب - حسن حسني.
- ١٨ - خلاصة تاريخ تونس، تونس ١٩٦٨.
- ١٩ - مجمل تاريخ الأدب التونسي، تونس ١٩٦٥.
- ٢٠ - العبادي، أحمد مختار.
- ٢١ - ( دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية، ١٩٦٨ م.
- ٢٢ - ابن فضل الله العمري ( شهاب الدين، أحمد بن يحيى الدمشقي )
- ٢٣ - وصف افريقية والمغرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة، مقطف من كتاب ( مسالك الابصار في ممالك الأمصار ). تحقيق، حسن حسني عبد الوهاب، تونس ( بدون تاريخ ).
- ٢٤ - ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد
- ٢٥ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، نشر كولان، بروكسسال، هولندا ١٩٣٠ - ١٩٤٨ م
- ٢٦ - الكتاني ( أبو الفاخر محمد الحسني الكتاني ).

- \* التراتيب الإدارية، والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت علي تأسيس المدينة المنورة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، جزء أن الرباط ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م.
- ١٥ - القلقشندي ( أبو العباس أحمد بن علي المتوفي سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م ).
- \* صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٥، ج ٦، القاهرة بدون تاريخ.
- ١٦ - ابن قنفذ ( أبو العباس أحمد بن الحسين بن علي بن الخطيب القسنطيني )
- \* الفارسيه في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي، عبد المجيد تركي، تونس ١٩٦٨ .
- ١٧ - المقرئ ( شهاب الدين، أحمد بن محمد التلمسي ) .
- \* ازهار الرياض في أخبار القاضي عياض ٣ أجزاء القاهرة، ١٩٣٩ م، ١٩٤٠ م، ١٩٤٢ م، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ١، ج ٨، بيروت، ١٩٦٨ .
- ١٨ - محمود - حسن أحمد .
- \* قيام دولة المرابطين، القاهرة بدون تاريخ.
- ١٩ - المنوفي - محمد .
- \* مجلة البحث العلمي عدد ٤ ، ٥ السن (١) الرباط ١٩٦٥ .
- ٢٠ - Brunschvig, R. Deuxrecits de Voyage Ineditesen Afrique dunord auxsieole Absit  
Kalil, Paris,  
Laberbrieoriental Sous Le hafside 2 Tomes ( Paris, 1917 )

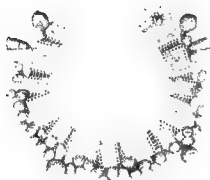
○ ○ ○

«أتمنى كل خير وسعادة لفلسطين لأنها بلد عربي وفيها ثالث الحرمين الشريفين وفيها المسجد الذي قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيه «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى» ففلسطين بلاد العرب، والذي أتمناه أن يجمع الله كلمة العرب على الاتفاق بينهم ليسلموا من شرور أنفسهم وتسلم نيتهم ويحفظوا أنفسهم من الخطأ والأذى، فالعرب يتخاذلهم آذوا أنفسهم أكثر مما آذاهم الأجنبي».

الملك عبدالعزيز

# الوظائف الاقتصادية والاجتماعية

## للحلي



## الاسلامية

د. سعد محمود الجادر

لا امان له، اما الاولاد فإنهم يتفرقون كل في فلكه. كما تظل المرأة في خوف ازلي من الترمل في حالة موت زوجها أو هجرها أو اقترانه بأخرى فتبقى وحيدة مع أطفالها. بالإضافة إلى تجنب مخاطر الإبقاء على العملة الورقية مخزونة في المساكن والمصارف وهي معرضة لانخفاض قيمتها. وعليه فالمعاند النفيسة والأحجار الثمينة تكون غطاء مادياً

التزين والتجمل هو الأساس المبدئي لاقتناء الحلي والمصوغات كما أنه ميل إنساني تفرضه عوامل عديدة منها الحاجة إلى تأمين الاستقرار النفسي وضمان المستقبل، حيث تشعر المرأة بشكل خاص بالأمان بما تحرزه من مصاغ. إذ أن صروف الدهر متقلبة وغوائل الزمن غدارة، وكذلك أمزجة الرجال: فالرجل عند المرأة مخلوق





مضموناً. كما أن الذهب والفضة مقياس مهم للثروة وموازنة البضاعة وقاعدة متينة للحياة الاقتصادية منذ عصور ما قبل التاريخ.

فالإقبال على حيازة الذهب والفضة سبباً وحلياً عادة أزلية ناجمة عن الثقة العالية بهذه المعادن عبر العصور، حيث لا تتأثر بالعوامل الطبيعية، ولا ضريبة عليها. كما أنه أفضل ما يورث للأبناء والأحفاد ويمكن تحويله إلى نقود سائلة في أي وقت من الأوقات. ولأزال بعض الأثرياء يضعون جزءاً من أموالهم في المصارف ويشتررون بالجزء الآخر المعادن النفيسة والأحجار الكريمة لموازنة ثروتهم وتجنباً لهبوط قيمة النقود أو تغييرها واستبدالها بشكل فجائي.

وإذا كان الحكام والأثرياء يفضلون حيازة الأحجار الكريمة والشمينة انطلاقاً من معرفتهم بقيمتها وتقديرهم لجمالها وندرتها فإن عامة الناس تفضل ما تعرفه وتثق به وهو المعادن النفيسة، التي تحمل دمغة يتعذر غشها وتزويرها إذ يظهر من تجربة محدودية ومتوسطي الدخل في اقتناء الأحجار بأسعار عالية

أنهم لم يستطيعوا في أوقات الشدة بيعها حتى بنفس أسعار الشراء. حيث يتلاعب التجار والمغرضون بأسعار بعض الأحجار الكريمة كالماس، فيبثون لها الدعاية الزائفة ويقيمون المزادات لعرضها وتشجيع الاستثمار فيها، وما أن يستثمر الأهالي أموالهم بشرائها



● مزهرية باكستانية ●



#### ● صحن من باكستان ●

والآن وحين يتعاظم شعور الناس بضعف الأمن وتتوارد حوادث السرقة يلجأ الكثير إلى تخزين مصاغهم في صناديق البنوك.

ونتيجة لضعف أو انعدام أنظمة الضمان الاجتماعي في العالم الإسلامي تحل المعادن النفسية مكان هذا الضمان بأشكال متعددة: ففي البلدان التي تمثل الطبقة الوسطى فئة مهمة في المجتمع يتطلع سكانها إلى اقتناء السيارات والأدوات الكهربائية والأثاث والتمتع بحياة جيدة... فإنهم يبيعون مقتنياتهم من الذهب والفضة لشراء

حتى يعلن عن تدني أسعارها، ناهيك عن إغراق الأسواق بالملاس الصناعي والأحجار المزورة وعرضها على أنها حقيقية. وكان لادخار المصاغ دور مهم في حفظ نماذجهِ عبر التاريخ الإسلامي سواء كمسكوكات يعثر على كتوزها المطمورة أو على شكل حلي ومواد زينة.

حيث أن إنقاذ وإخفاء الثروات عادة عرفتْها الحضارات منذ أقدم العصور، فأول ما ينقذه الناس في أوقات الشدة والخطر هو ما خف وزنه وغلا ثمنه وسهل نقله من نقود وحلي. إذ يحترز الموسرون والأثرياء ضد سرقة ممتلكاتهم من مصاغ ومصنوعات ونقود من الذهب والفضة. وقديماً كانت الحلي تحفظ في صناديق خاصة أو توضع داخل مخابىء مستترة داخل البيت لا يعرفها إلا صاحبها، فبعضهم يخفيها تحت رأسه كل ليلة. وآخر يصنع لثروته صندوقاً متيناً ذا نظام أقفال معقد، كقاصات اليوم، ويخزنها فيه يستخدم ما يحتاجه بين أونة وأخرى. وآخرون يدفنون ثرواتهم في جرار تحت الأرض بعيداً عن الأنظار، ولازال ذور الحظوظ من عامة الناس ومنقبو الآثار يعثرون على بعضها هنا وهناك بين وقت وآخر.

احتياجاتهم. أما في البلدان ذات الحكم الدكتاتوري فإن أفضل ما يفعله الناس هو شراء المعادن النفيسة وإخفائها وذلك لعدم ثقتهم بسياسة الدولة النقدية التي ربما تستبدل في يوم واحد كل العملات أو تسيطر عليها. وفي بعض بلدان البترول الغنية يقتني الناس المعادن النفيسة كما يلجأ الموظفون في نهاية كل شهر إلى صرف جزء كبير من مرتباتهم لاقتناء الذهب...

ويمثل المصاغ في المجتمعات الريفية بنك العائلة وثروتها وصندوق توفيرها، مفتاحه عند الرجل الذي يعرف مقدار مدخراته، وهو الذي يبيع ويشترى ويبادل ويغير الموسوعة، ربما لأن المرأة لا تتعامل مع الرجل خارج العائلة. أو لأن الزوج هو الذي يمول هذه العمليات. كما أن لمزاج المرأة دوراً مهماً بهذا الصدد: فإذا كان المهم بالنسبة لها أن توجد المال لشراء ما يعجبها من حي دون أن تفكر بارتفاع ثمنها، فإن الرجل يتربص فرصة هبوط الأسعار يفتنمها في سبيل التجارة أو شراء بعض الحلي لنساء داره. وترتبط أسعار ومدخرات الحلي بمواسم الحصاد، فترتفع

الأسعار ويزداد الرصيد المخزون من المصاغ لدى العائلة في الموسم الجيد. إذ يشتري الفلاح قطعاً جديدة من الفضة. ففي مصر مثلاً يبدأ موسم جني القطن في أكتوبر. فإن كان جيداً ارتفع سعر المعدن النفيس واشتد الطلب عليه، وإن كان سيئاً زاد العرض وحصل العكس. وكذلك الحال بالنسبة إلى محصول الفول السوداني في أفريقيا. وكان بعض صاغة دمشق ينتقلون إلى القرى بعد الموسم الجيد لحصاد القمح لبيع الحلي إلى نساء الفلاحين. كما تتحول قيمة الحلي في حالات القحط والجفاف إلى مواد غذائية واستهلاكية تعين العائلة على الثبات والعيش والعمل بانتظار موسم أفضل. ويذكر أن هجوم الجراد على المغرب في ربيع الأول من عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م أتى على المزروعات والمحاصيل مما نجم عنه قحط شديد وارتفاع أسعار المواد الغذائية فاضطر الأهالي إلى بيع أثاثهم ومصاغهم بأثمان بخسة لشراء احتياجاتهم من البضائع. وهذا أحد العوامل التي أدت إلى اضمحلال التراث الصياغي الريفي ونماذجه القديمة في الأقاليم الإسلامية وتدني

الفضة والذهب واحد ولكن مردوده في الذهب أعلى بكثير.

يعتمد رواج المصاغ من المعادن النفيسة على مستوى المعيشة ودرجة تحضر الشعوب وقيمها وتقاليدها. فكلما ازدهر اقتصاد الدولة وكثر أغنيائها شاع استعمال المواد النادرة والسلع النفيسة ومنها الحلي الذهبية. وما إن تتدهور الأحوال الاقتصادية التي تصبحها تغيرات هامة في المجتمع حتى يتبعها استخدام مواد أرخص ومنها الفضة. ويلاحظ بشكل عام أن متوسطي الدخل في الأقاليم الإسلامية هم أكثر فئات المجتمع الذين يتزينون بالحلي من الذهب أولاً والفضة ثانياً.

وفي بعض المجتمعات الأفريقية الرعوية تقاس الثروة الحيوانية بالماشية، والزراعة بالأرض. فالبقرة أو الحصان تساوي عدداً محدداً من الأطواق النحاسية أو الفضية أو الذهبية التي توضع في عنق المرأة أو حول ذراعها أو تغطي ساقها.

ومن الأعراف القبلية لدى العرب هو اقتداء القتيل بالمال أو المصوغات من المعادن النفيسة.

مستواه التقني والفني. والعائلة الفلاحية التي تباع مصاغها لهذا السبب أو ذاك في الأسواق الاعتيادية والموسمية وإلى دلالي الفضة، تحصل على مبالغ مهمة بالنسبة إلى دخول المزارعين والرعاة وصغار الباعة. ويظهر لهم بأن الأسعار التي يبيعون بها الحلي تتضمن أرباحاً ناجمة عن الفارق الكبير بين ثمن الشراء قبل عقود وسنوات وبين سعرها الحالي. غير أنهم لن يستطيعوا تعويض ما يباع بمصاغ آخر مكافئ في المستقبل إذا ما حصلوا على المال في مواسم الحصاد الجيدة وذلك بسبب ارتفاع أثمان الشراء نتيجة زيادة أسعار المعادن النفيسة والمواد الأولية المصاحبة لصياغتها وتساعد تكاليف المعيشة وأجرة اليد العاملة التي تتضاعف مع مرور الزمن.

وهذا ينعكس على الصاغة الذين يعانون من انحسار الطلب المحلي على المصاغ. فيضطرون هذا أو غيره من العوامل إلى البحث عن سبل أخرى للرزق منها تغيير مهنهم وتحول بعضهم إلى صياغة الذهب انطلاقاً من أن الجهد المبذول في صياغة

تقدم في المناسبات سواء في إطار العائلة، من الأب والأم إلى الإبنة أو من الزوج إلى الزوجة، دليلاً على اعتزازهم بها وحبهم لها. أم خارج العائلة، من الحبيب إلى حبيبته. ونفس الشيء بالنسبة إلى الهدايا المتعارف على تقديمها بين الأقارب والأصدقاء في الأفراح كالولادة والختان، والمناسبات الدينية، إذ تحصل الفتاة المغربية على سوار أو قرط أو خاتم في ليلة ٢٧ رمضان حين تبدأ أول صيام لها. وكذلك في اليوم السابع من عيد المولد النبوي الشريف. إضافة إلى ما تقتنيه المرأة مما يعجبها وتتلذذ بهائمه. وتكون الحلي حاضرة في مسيرة الزواج في وقت مبكر جداً... فحين تولد الفتاة يبدأ أهلها بتكوين رصيدها لها لينفعها للزواج والمستقبل، فما إن يعلم الأقارب والأصدقاء بالنبا السعيد حتى تنهل الهدايا على المولود الجديد. فمنهم من يفتح لها حساباً في المصرف، ومنهم من يشتري لها حلياً. وتفهم الفتاة هذه التحضيرات جيداً منذ صغرها. ويظل هذا الرصيد يكبر ويكبر مع الزمن. ويزداد بشكل نوعي عند الخطوبة والزواج حين تتسلم الفتاة صداقها

وتمثل الحلي بالنسبة للتونسيات والموريتانيات مجالاً مهماً للتباهي كما هو الحال لدى الطوارق والبدو وغيرهم في المجتمعات الإسلامية. فيترزّن بعدة قطع منها في آن واحد يحملنها في حلهن وترجالهن. فالكرديات والسوسيات والصحراويات مولعات بحمل كميات كبيرة من الحلي، وكأنهن خزائن متحركة. وتظهر الحلي خلال حركاتهن من تحت الحجاب تارة ومن ثانياً الخمار تارة أخرى، خاصة بالنسبة للمسنات اللاتي يتمسكن بالتقاليد والتراث بقوة فيسرنّ عليه ولما لديهن من ذكريات ومناسبات لاقتناء وحوزة الحلي جعلتهن في نفس الوقت يدخرن كميات كبيرة منها. كما تنظر المرأة إلى مصاغها كواسطة للفت انتباه الرجل وجذبه لطلب يدها. وما يقوله المثل (قدمت بلباس) فإنه يشمل زينة الحلي كذلك، إذ بقدر ما تحمل المرأة حلياً كثيرة وجميلة وثمينة بقدر ما تستقبل جيداً ولوللوهلة الأولى.

تجمع العوائل مصوغاتها بالإرث. وتستخدم الحلي كهدايا بشكل واسع. فالفتاة تحمل حلية أمها التي أهدتها لها سلفاً... هذا بالإضافة إلى الهدايا التي

والاحتفالات. فبعض النساء يشعرن بالخجل وكأن لباسهن ناقصا بدون حلي جديدة ومتميزة. وتزين النساء بكل حليهن في مناسبات محددة مثل الزفاف وعيد الفطر وعيد الأضحى والولادة والختان.... بينما لا تزين المرأة المسلمة في جل الأقاليم الإسلامية في حالة الحداد على فقيد أو في شهر رمضان. وتزين أغلب النساء ببعض الحلي بشكل دائم مثل القرط وقلادة وزوج من الأساور.

وتعزز الطوارقيات مثلاً بما يهديه لهن أحبابهن من مصوغات. فلا يمكن شراؤها منهن رغم حاجتهن الملحة للمال. وترفض بعض المغربيات بيع حليهن لاعتزازهن به، لأن الحلية «صداقي» أو «هدية لا تباع» أو «زينة وزينة».. مقرونة بذكريات عاطفية حميمة. وإذا ضايقت بعضهن ظروف الحياة وتضطرها لبيع قطعة ما فإنها تطلب سعراً عالياً مقابل التخلي عنها، ولا شك فإن «الحدايد للشدايد».

وترفض الريفيات في العراق بيع خزامهن لأن الخزامة حق الكفن عند الموت. وفي بعض المجتمعات الإسلامية كما في النوبة وفزان

مصاغا وهدايا من أهل وأقارب وأصدقاء العائلتين المتصاهرتين. (فالشبكة) هي هدية العمر ورمز «وقيمة» العروس في نظر أهلها وتقدير الخطيب لخطيبته، ويتضخم الرصيد بعد الزواج حين تجر المرأة زوجها طوعاً أو قسراً إلى أسواق الذهب تختار وتقتني وهو يدفع ويتذكر عادة. فالمرأة لا تكل من تكرار طلبها للحلي خاصة بعد زياراتها للأهل والأصدقاء حيث تشاهد ما اشترته النساء وتتشبه بهن مهما كان وضعها الاقتصادي والمالي ضعيفاً. فالهم بالنسبة لها أن تشارك الأخريات الحديث عن الذهب وتباهى بما لديها من حلي. وتحب غالبية النساء الظهور بمظهر الأناقة والغنى في أن واحد. وتنعكس رغبة المرأة في الفخر والتباهي بثروة زوجها أمام المجتمع وخاصة النسائي، عن طريق لبس الذهب والماس والأحجار الثمينة في المدينة. أما في القرية فتتم هذه المباراة بحمل مجموعة كبيرة من الحلي الفضية التي تتسم بالضخامة وثقل الوزن. ولا غرابة أن نجد بعض النساء يستعرضن أحياناً حلي صديقاتهن وأقاربهن لإظهار الثراء والغنى في المناسبات الاجتماعية

بعض الجواهريين بدنة وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف دينار، فأخرجها إلى الرشيد لسماع غنائها، وسرعان ما عرف الخليفة حقيقة الأمر فبعث إلى أصحاب الحلي فأحضرهم واشترى الجواهر منهم ووهبه إلى الجارية.

ولا زالت عادة استئجار الحلي شائعة في عموم العالم الإسلامي. إذ يعلن الصاغة وياعة الفضة والذهب في دكاكينهم عن إيجار الحلي للأعراس وغيرها من المناسبات. ولكل موقع من الجسم حلية، ولكل حلية وزنها واسمها وسعر إيجارها مثبتة في «عقد كراء المجوهرات». وهذه طريقة عملية خاصة بالنسبة لذوي الدخل المتوسط والمحدود الذين لا يستطيعون شراء الحلي فيقومون باستئجارها للتزين بها لمدة يوم واحد، وذلك نظراً لظروفهن الاجتماعية.

### وقف الحلي:

لقد أسبغ الإسلام على مجتمعاته علاقات إنسانية نجم عنها عادات وتقاليد حميدة حتى أضحت أحياناً بمثابة الواجب الديني، حيث يساهم الحكام والموسرون المسلمون في التنمية الاقتصادية والاجتماعية عن طريق

وسوس يعتبر بيع الحلي الشخصية نوعاً من العيب أمام الأهل والأصدقاء.

إذ جرت العادة والتقاليد على اعتزاز المرأة بحليها والاحتفاظ به وتوارثه والتزين به في الاحتفالات والمناسبات والحياة اليومية.

### رهن الحلي وإيجارها :

وثمة ظاهرة أخرى تتمثل برهن الحلي الشخصية لدى الصاغة أو الأثرياء والتجار نتيجة العوز والحاجة وتفاذي الأزمات المالية، وتنتهي العملية بإرجاع النقود إلى التاجر وفك الرهن أو شراء التاجر للحلي المرهونة وإكمال دفع ثمنها لصاحبها. وقد كانت الحلي ترهن منذ غابر الأزمان، ولنا من التاريخ بعض الأمثلة التي استمرت ظاهرتها في مختلف العهود الإسلامية، فيذكر صاحب الأغاني عن جارية مطربة رائعة الجمال اسمها خنت كان لها خال فوق شفتها العليا ولذا عرفت بذات الخال. اشتراها الرشيد ثم وهبها إلى حمويه الوصيف، فاشتاق الرشيد يوماً لسماع غنائها، وأخبر حمويه بهذا الشوق، فاستعد الآخر لذلك واستأجر لها من

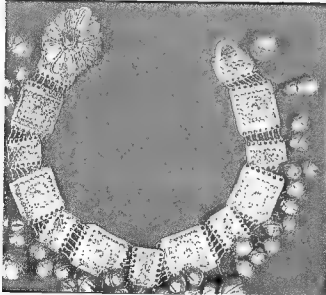
والقرى الإسلامية القديمة عادة إغارة  
العوائل الغنية عليهم إلى العرائس  
الفقيات ليلة الزفاف. ويستمر هذا  
التقليد حتى الآن في بعض المجتمعات  
الإسلامية مثل وادي ميزاب في الجزائر  
حين تتعاون مجموعة من الناس على  
توفير ما تقتضيه حفلات الزواج من  
تجهيز العروس اليتيمة أو الفقيرة  
باللباس والحلي وإقامة حفل العرس..

### الوظيفة الرمزية والسحرية:

ربما كان الإنسان القديم يتحلى  
بسن الذئب للدلالة على قتله، وبناب  
الفيل رمزاً لسيطرته وغلبته على  
الحيوانات القوية... فزينة الإنسان  
الأولى تعنى القوة والبأس، وقد  
تواصلت مسيرة الحلي مع تطور الإنسان

استغلال الموقوفات من أموال منقولة  
وغير منقولة في شؤون الخير والمعروف.  
وبواسطة نظام السوقف الطوعي تم  
تشبيد العديد من المنشآت الدينية  
والتعليمية والثقافية والصحية في جميع  
رحاب الإسلام. إضافة إلى الخدمات  
المتعددة الجوانب التي تنفذ باستخدام  
الأموال الموقوفة مثل مساعدة المسلمين  
المعوزين وإيواء الفقراء والمساكين  
وأطعامهم.... حتى بلغ الأمر ببعض  
الانتقاء كما في تونس، والمملكة المغربية  
إلى وقف الحلي، حيث يوقفون قطعاً من  
المصوغات تستخدم لتجهيز وتزيين  
الفقيات يوم زواجهن بدون مقابل، مما  
يرفع معنوياتهن ويجعلهن بمصافٍ  
غيرهن من العرائس فلا يصرجن أو  
يظهرن بمظهر العوز والفاقة في يوم مهم  
من أيام حياتهن. كما كانت في المدن

● حزام من السعودية ●



● طوق من افغانستان ●



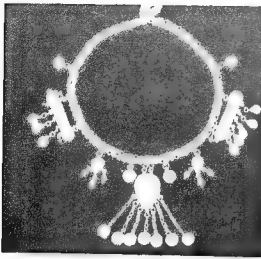




### ● مجموعة مكاحل عمانية ●

فيحمل اقليلاً، وأضحت الحلية إشارة للمركز كان يحمل الكاهن في المجتمع المسيحي، نطاقاً خاصاً وهذا بدوره ينعكس على زوجة كل منهم حيث تحمل هي الأخرى حلياً معينة تدل على مركزها مما لا تتزين به سواها من السيدات. كما صار للحلية وظيفة رمزية أخرى لتحديد ظاهرة معينة، كالحجل للدلالة على الزواج والطوق رمزاً لامتلاك عدد من الغنم.... ويتطور المجتمعات حضارياً وتساعد منتجاتها الثقافية والفنية صار للحلي قيمةً جمالية تتغير

وتكوينه للحضارات الأولى حيث تطور المصاغ نوعياً فصار منه طلاس وأحجية وتماثم سحرية للدفاع عن الإنسان ضد المخاطر والشرور، أو طلباً لحاجات إنسانية كالحب والخصوبة والولادة.... فتعددت النماذج والأشكال والعلامات المميزة. كما تنوعت وظائفها الاجتماعية، فصار قسم منها يقتصر حمله على الملوك أو الحاشية أو الجنود النخ.... ونجم عن ذلك تنوع في الحلية الواحدة، فبعض الملوك مثلاً يتزين بالتاج ويحمل الصولجان، أما القائد



● قلادة من العراق ●

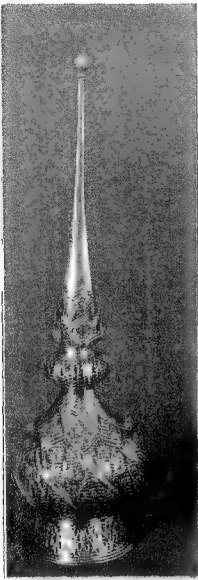
مترات. وتصنع كل قبيلة احتياجاتها الضرورية غالباً من مواد أولية محلية مثل المنازل والأثاث والألبسة والزرايب والصناديق والأواني والأوعية والسلاح وأدوات الزينة والمصاغ ومنهم من يتخصص بذلك كالحرفيين، ومنهم من يعمل خارج الأوقات اللازمة لمطلوبات البذر والحصاد وتنمية الثروة الحيوانية.

ويلاحظ أن هؤلاء الفنانين الموهوبين يجعلون من المواد الضرورية ذات الاستخدام اليومي سلعاً جميلة وذات طابع متميز يكسبها سمة العمل الفني الموسوم بلغة زخرفية موحدة تنقش مفرداتها على جميع المنتجات. فالعلاقات الجمالية التي تطبع البنية الاقتصادية والاجتماعية للقبيلة تجمع بدورها شمل الناس وتوفر لهم نوعاً من الطمأنينة المادية والروحية.

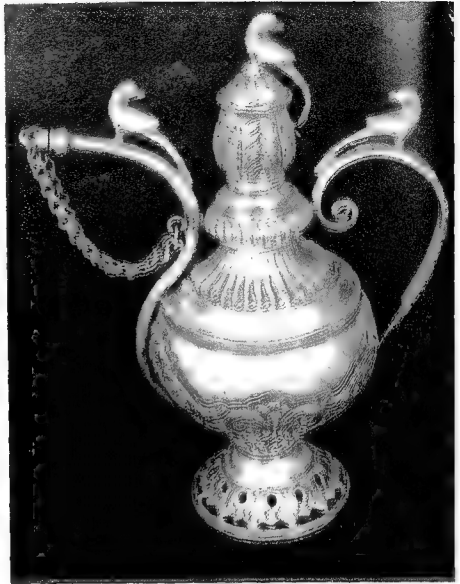
تبعاً للظروف والزمن والموضات، مما نجم عنه انفجار هائل في النماذج الصياغية حتى أضحى من المتعذر تحديد أصولها فضاعت نتيجة لذلك المعاني الحقيقية لرموز كثيرة أصيلة في الحلي.

### المصاغ علامة انتساب:

ان المناطق الريفية والمستوطنات القروية ظلت غنية تاريخياً بتراتها الثقافي الشفهي المتمثل بالفلكلور والعمل المتجسد بالصناعات والحرف اليدوية والفنون الزخرفية مثل الحلي. فيها تمّ الابتكار وعنها صدر الرمز المعبر عن قيم ومفاهيم خاصة والهادف إلى تحديد انتساب الجماعة وطبع القبيلة والقرية بطابع خاص من علائمه العناصر الزخرفية واللغة والمفردات الصياغية التي تحدد وتوجه إنتاج الحلي المحلية، وتميزها عن مصاغ الجماعات والقرى الأخرى التي قد لا تبعد عنها سوى بضعة كيلو



● قارورة عطر من الهند ●



● إبريق من الهند ●

الانتماء القبلي عبر نماذج الحلي. فهي بذلك بمثابة ضرورة اجتماعية وجزء من التقاليد التي لازالت قائمة في الأقاليم الإسلامية. إذ تحافظ المجموعات العرقية على تراثها الصياغي، رغم توسع علاقاتها مع العالم الخارجي. ويتكون مصاغ القبيلة من مجموعة محددة من قطع الحلي تحملها نساء القبيلة، بحيث إذا اجتمع حشد منهم في

تتمايز المفردات الصياغية أحياناً بهذه الدرجة أو تلك حتى بالنسبة لفروع القبيلة الواحدة كما لدى الطوارق. فلكل قبيلة أعرافها ونظمها المقننة. وللحلي مكانة خاصة ودور متميز تعتز به القبيلة كإحدى الواجهات الثقافية التي تعكس أصالتها وتفرّد شخصيتها وخصوصيتها فهي كالعلم الذي تعرف به الدول يسهل معرفة



● صندوق من الهند ●

الحلي التقليدية التي كانت تمد القبيلة بالمصاغ وتزود غيرها من القبائل خاصة أولئك الذين لا يوجد بينهم صاغة.

وتقسم المجتمعات التي لازالت تعتز بمصاغها بسمات أهمها كونها زراعية وجل منتسبها من الريفيين ذوي المستويات الاقتصادية المتدنية والفقيرة. والطارئ الجديد هو وقوعها تحت تأثيرات البيئة المعاصرة وتحولات العصر. وهو محيط قاس بالنسبة للمجتمعات التقليدية حيث تنسلخ عنها

حفل أو عرس فإنهن سيكونن مزينات بنفس أطقم الحلي. ولدى الموسرات منهن تتجمع نماذج كاملة من حلي القبيلة وكذلك يكون بحوزتهن أكثر من قطعة لنموذج واحد. ويلاحظ أن الثرية في القرية ربما يكون لها عدة أطقم من نفس النموذج. فهي تنتمي إلى هذه القبيلة فلا تخرج بذلك عن مصاغها. لكن ما تفعله هو أن تزيد على سبيل المثال من عرض السوار أو سمكه أو كمية الأساور التي تحملها. لذلك لدينا أساور متشابهة بدور واثنين وثلاثة، رفيعة ومتوسطة العرض وعريضة، خفيفة ومتوسطة الوزن وثقيلة.... وبذلك فقد لعب الوسط الريفي المعزول وتقاليدته المتميزة دوراً كبيراً في الحفاظ على الطابع القديم للمصاغ وتوازن نماذجه وزخارفه ونقوشه ورموزه.

هكذا كان في الماضي، وهكذا استمرت الأصول التاريخية حينما كانت المستوطنات محمية من التأثيرات الخارجية. أما الآن فقد اختلط الأمر حتى وصل إلى درجة يصعب معها أحياناً إعطاء تحديد دقيق لبعض القطع. كما اختفت مراكز عديدة لإنتاج

الفنية ولا غرابة في أن تبقى أسعار المصاغ المغربي القديم عالية بسبب إقبال البعض على استخدامه حتى الآن وخاصة النماذج الجيدة منه. وهذا عامل مهم في استمرار بعض نماذج التراث الصياغي بأشكاله وزخارفه القديمة مما يشجع الصاغة التقليديين ويحفزهم للمضي قدما في استحياء التراث الصياغي وتطويره على أسس معاصرة.

شرائع تزوب تدريجياً في مؤثرات المدن وأجوائها، بينما تبقى فئات أخرى تدافع عن أصالة نفسها بتقاليدها وأعرافها ومنها توارث الفنون الزخرفية ونماذجها وأشكالها إصراراً على تثبيت الانتساب والخصوصية والعلامة المميزة.

هذا إلى جانب بقاء هذه الفئات من المجتمع على مثلها الفنية والذوقية المنجذبة نحو هذه الأحاسيس

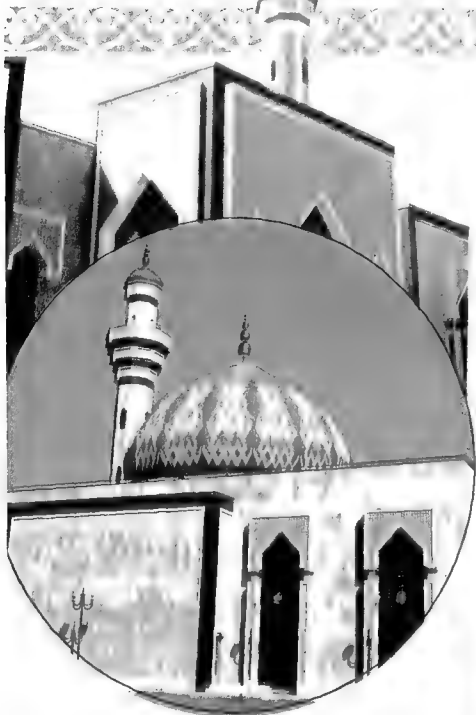


## المراجع

- أبو الفرج الاصفهاني  
الأغاني
- علي زين العابدين  
المصاغ الشعبي في مصر  
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م
- علي زين العابدين  
وظائف الحلي الشعبية ودورها في الحياة  
التراث الشعبي  
العدد ١٢ السنة الثامنة - ١٩٧٧م
- عبد الرحمن زكي  
الحلي في التاريخ والفن  
المكتبة الثقافية ١٩٦٥  
القاهرة ١٩٦٥
- فريدة بن ونيش  
الحلي في الجزائر  
الجزائر ١٩٧٦
- عبد الكريم الملا  
الملقات الشعبية  
التراث الشعبي  
العدد ٤ - ١٩٧٤م
- Saad Al-Jadir  
Arab and Islamic Silver  
Stacey International. London-1981.
- M.P. Saint Yves  
Amulettes et talismans; les amulettes et leur  
valeur magique Revue Antropologique,  
Janvier-mars 1930  
No 13. P. 177-196

## «من بحوث الأعداد القادمة»

- هجرة السكان إلى مدن جنوب غرب المملكة العربية السعودية .  
 د. عبدالرحمن صادق الشريف
- مع آخر رحالة أوربي يعبر الجزيرة العربية على ظهر بعير .  
 أ. السيد أحمد مرسي
- الأمير مودود بن التونتكين أتابك الموصل ودوره في  
 حركة الجهاد الإسلامي ..... د. عقاف سيد صبره
- كمال الدين بن يونس الموصل ٥٥١ - ٦٣٩هـ ..... أ. فاضل خليل إبراهيم
- تطور علم التاريخ الإسلامي حتى نهاية العصور الوسطى .  
 د. أحمد رمضان أحمد
- ذكريات من البادية ..... أ. روكس بن زائد العيزي
- جدوى الوزن والقافية في الصياغة الشعرية ..... د. السعيد عبدالله
- الجيش الإسلامي .. «نشأته .. وتطوره ..» ..... د. محمد ضيف الله بطاينة
- حاجتنا الماسة لتنسيق عمليات تحقيق مخطوطات  
 التراث العربي واختيار الرسائل الجامعية ..... د. سامي خماس الصقار
- مختصر شرح أمثلة «سيبويه» للجواليقي «عرض وتحليل» .  
 د. دفع الله عبدالله سليمان
- مفهوم العلم عند الإمام الغزالي ..... د. محمد فاروق النبهان
- وقفة بين يدي سيد الشهداء «الحسين بن علي» «شعر» ..... د. عاتكة الخزرجي
- الوجه الفلكي للمؤرخ «عثمان بن بشر» ..... أ. عبدالرحمن حمد السندي
- الحياة الاجتماعية في مدينة مراكش في عصر  
 المرابطين والموحدين ..... د. سليمان عبد الغني مالكي
- الكشف عن مدافن من خمسة آلاف عام في جنوب الظهران .  
 أ. عبدالعزيز النفيسة،  
 أ. عبدالله الهدلق
- جغرافية موقعه اليرموك ..... د. طه عثمان الفراء



مسجد صاحب السمو الملكي الأمير «محمد بن عبد العزيز» حفظة ا  
العليا - الرياض



**نيابة عن جلالة الملك:**

**سمو ولي العهد رعى احتفال**

**مؤسسة الملك فيصل الخيرية.**

نيابة عن جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز المقدي، رعى صاحب  
السمو الملكي الامير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد، ونائب رئيس  
مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني، مساء الاحد ٢٨ من شهر جمادي  
الآخرة ١٤٠٦هـ، الموافق ٩ مارس ١٩٨٦م، حفل توزيع جائزة الملك فيصل  
العالمية في مجالات خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي،  
والطب والعلوم، إلى جانب احتفالات المؤسسة الخاصة بمرور عشر سنوات على  
إنشائها، كما افتتح سموه قاعة الملك فيصل التذكارية، وتفقد مقتنيات الملك  
فيصل الخاصة.

هذا وقد فاز بجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م،





### ● جائزة خدمة الإسلام:

- ١ - الأستاذ / أحمد حسين ديدات ..... «من جنوب أفريقيا»
- ٢ - الدكتور / رجاء جارودي ..... «فرنسي»

### ● جائزة الدراسات الإسلامية:

- (١) ١.د. / عبدالعزيز عبد الكريم الدوري ..... «عراقي»

### ● جائزة الأدب العربي:

- ١ - الشيخ / محمد بهجة الأثري ..... «عراقي»

### ● جائزة الطب:

- ١ - د. / جيان فرانكو بوتاتزو ..... «إيطالي»
- ٢ - البروفيسور / ألبرت رينولدز ..... «سويسري»
- ٣ - البروفيسور / ليليو أورشي ..... «إيطالي»

### ● جائزة العلوم:

- د. / مايكل جون بيردج ..... «بريطاني»

وفي نهاية الحفل، عرض فيلم «مولد دولة» وهو باشعة الليزر ويتناول قيام الدولة السعودية وتطورها منذ عهد الملك عبدالعزيز «رحمه الله»، وحتى العهد الزاهر لصاحب الجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز «حفظه الله».





جلالة الملك فهد

افتتح المهرجان

## الوطني الثاني للتراث والثقافة

كان يوم الاربعاء ٢ رجب ١٤٠٦ هـ الموافق ١٢ مارس ١٩٨٦ م من  
اروع وامتع الايام التي ربطت الماضي الحافل بكل إشراقاته  
وموروثاته الرائعة، بالحاضر السعيد، وكان لقاء بين القيادة والمواطنين في  
«الجنادرية».



فلقد تفضل جلالة الملك «فهد بن عبدالعزيز» المفدى بافتتاح المهرجان  
الوطني الثاني للتراث والثقافة، الذي نظمه الحرس الوطني.

وقد سجل جلالة الملك المفدى كلمة في سجل الزيارات قال فيها:

● لقد سررت بما لاحظته في هذا الحفل الشعبي والمتبثق من تراثنا الوطني،  
وارجو أن نحافظ على هذه الأمور لكي يعيها أبناء هذه البلاد في المستقبل  
القريب والبعيد.

« جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى، وسمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد الأمين،  
وسمو الأمير محمد بن الحسن الثاني ولي عهد المغرب في حفل افتتاح المهرجان الثاني »





وكان في استقبال جلالته صاحب السمو الملكي الأمير «عبدالله بن عبدالعزيز»  
ولي العهد الأمين، ونائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني، وصاحب  
السمو الملكي الأمير «بدر بن عبدالعزيز» نائب رئيس الحرس الوطني، ورئيس اللجنة  
العليا للمهرجان الوطني للتراث والثقافة، وصاحب السمو الملكي الأمير «سلمان بن  
عبد العزيز» أمير منطقة الرياض، وصاحب السمو الملكي الأمير «فيصل بن فهد بن  
عبد العزيز» الرئيس العام لرعاية الشباب ونائب رئيس اللجنة العليا للمهرجان،  
وأصحاب السمو الملكي الأمراء والمعالى الوزراء وكبار المسؤولين.

وقد حضر الحفل صاحب السمو الملكي الأمير «محمد بن الحسن الثاني» ولي  
عهد المملكة المغربية الشقيقة، وسمو الشيخ «حمد بن عيسى آل خليفة» ولي عهد دولة  
البحرين الشقيقة، وعدد كبير من أصحاب السمو الملكي الأمراء وأصحاب الفضيلة  
العلماء والمشايخ والمعالى الوزراء، وأعضاء السلك الدبلوماسي المعتمدون لدى المملكة،  
وعدد من كبار الأدباء والفكرين من داخل المملكة وخارجها.

وبعد عدد من الكلمات والقصائد، بدأ سباق الهجن. ثم جرى عرض لأوجه  
التراث والعروضات؛ وبعدها تفضل جلالته وضيوفه الكرام بافتتاح القرية  
الشعبية التي تجسدت فيها العراقة والأصالة.

« من التراث الشعبي »

« لقطات من المهرجان »



## افتتاح أعمال الدورة السابعة والعشرين للمجلس التأسيسي للرابطة

وأن يتولى أهل العلم النصح والإرشاد لعامة المسلمين واتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه، وأن يوضحوا للمسلمين الحكم بكتاب الله، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأوضح أنه يجب أن يكون الداعية إلى الله على بينة من العلم والمعرفة، حتى يستطيع أن يكشف الشبهة، وأن يبين الحق، وحذر سماحته من مكائد أعداء الإسلام، الذين يثيرون الفتن وينشرون أفكارهم الهدامة، ومذاهبهم الإلحادية.

وقال سماحته إن المجلس التأسيسي للرابطة، قد مضى له أكثر من خمسة وعشرين عاماً، وأنه قد حقق في هذه الفترة الكثير من الدعوة إلى الله، وإصدار القرارات والتوصيات

افتتح سماحة الشيخ عبدالعزیز بن باز، رئيس المجلس التأسيسي للرابطة العالم الإسلامي والرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، صباح السبت الخامس من شهر رجب ١٤٠٦هـ - الموافق ١٥ مارس ١٩٨٦م أعمال الدورة السابعة والعشرين للمجلس التأسيسي للرابطة العالم الإسلامي، وذلك بمقر الرابطة بمبنى.

وقد بدأ حفل الافتتاح بتلاوة أي من الذكر الحكيم، ثم ألقى سماحة الشيخ ابن باز، كلمة أوصى فيها الجميع بتقوى الله، واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأكد على ضرورة تحكيم كتاب الله وسنة نبيه،





التي يرجى منها نفع العباد كما ألقى معالي الدكتور  
وإيضاح مشاكلهم، ودعوتهم إلى «عبدالله عمر نصيف» الأمين  
الحق وتحذيرهم من الانحلال في العام لرابطة العالم الإسلامي  
كل صوره وأشكاله. الكلمة التالية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء  
 والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين ومن  
اهتدى بهداهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، أما بعد:  
صاحب السماحة رئيس المجلس التأسيسي للرابطة  
أصحاب المعالي والفضيلة والسعادة أعضاء المجلس الأفاضل وضيوفنا الأكارم،  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:



يسرني ونحن نفتتح أعمال الدورة السابعة والعشرين للمجلس التأسيسي  
للرابطة أن أرحب بكم في مهبط الوحي ومنبع النور ومنطلق الدعوة الإسلامية  
ونشكر لكم تلبيتكم لدعوتنا رغم مشاغلكم وتحملكم مشاق السفر من أجل حضور  
هذه الدورة، سائلاً الله جل شأنه أن يتولانا جميعاً بتوقيقه وعونه حتى نحقق  
ما نصبوا إليه من نتائج طيبة تخدم قضايانا الإسلامية المصرية.

نجتمع اليوم أيها الأخوة الأعزاء والمسلمون يمرون - كما لا يخفى عليكم -  
بمرحلة تعتبر من أدق المراحل في تاريخهم، فهم على الرغم من كثرة عددهم البالغ  
قاربة ألف مليون نسمة وانتشارهم في جميع أنحاء المعمورة، يعيشون حالات من  
الضعف والتشتت بسبب بعدهم عن النهج القويم الذي ارتضاه لهم رب  
العالمين، حتى تكالبت عليهم قوى الشر والعدوان وسيطرت عليهم مذاهب شتى  
مخالفة للإسلام.

إن هذه الأوضاع المؤلمة للمسلمين قد شجعت أعداء الإسلام على التمادي في  
غيهم وإحكام قبضة الصهيونيين على القدس وفلسطين المحتلة واضطهاد سكانها،



ودفعت الشيوعيين لمواصلة استيلائهم على أفغانستان المسلمة وتقتيل ابنائها وتشريد الملايين منهم، وحملت أعداء الإسلام إلى اضطهاد الأقليات المسلمة في أنحاء شتى من العالم، وذلك كله لعدم وجود رادع يردعهم في غيهم ولعدم وجود قوة إسلامية موحدة تمنعهم من الظلم.

وأضافة إلى ما ذكر فإن ثمة قضايا أخرى يعاني منها المسلمون في هذا العصر مثل التخلّف الحضاري والثقافي والعلمي، وانتشار الفقر بين الكثير من مجتمعاتهم، وسقوط الملايين منهم ضحايا للمجاعة والكوارث الطبيعية وويلات الحروب والاضطهاد التي ألّت بالعديد من مناطق المسلمين في آسيا وأفريقيا، كل هذه القضايا أصبحت اليوم حجر عثرة في مسيرة المسلمين من أجل استعادة مجدهم وعزّتهم وسؤددهم.

والمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي الذي يضم نخبة من علماء المسلمين ومفكرهم وقادتهم ويمثل الشعوب الإسلامية التي تعاني ويلات هذه القضايا والمشاكل، وتعيش مآسيها، ولعقت ومازالت تعلق مرارتها، حرى به أن يكون في مقدمة الهيئات والتنظيمات الإسلامية التي تعني بها، وتبذل أقصى الجهد المستطاع من أجلها، وتوضح وجهة النظر الإسلامية فيها، وتقدم التوصيات والنصائح لقادة المسلمين ليسهموا في تجنيد الطاقات الهائلة التي تمتلكها الأمة الإسلامية اليوم وتوجيهها إلى الوجهة الصحيحة التي يتحقق من خلالها النصر والتأييد إن شاء الله.

#### ● جانب من أعضاء الرابطة





● أعضاء المجلس التأسيسي للرابطة

### أيها الأخوة أعضاء المجلس الأفاضل:

إن علينا في هذه الدورة وفي غيرها من الدورات اللاحقة بإذن الله بحث هذه القضايا من جميع جوانبها بحثاً متعمقاً ومستفيضاً، وإن استطعنا حتى الآن بفضل الله أن ننجز بعضاً من واجبتنا تجاهها فالطريق أمامنا مازال طويلاً، وسيظل محفوفاً بالصعوبات، وعلينا أن نتخطى كل ذلك بالعزم الأكيد والتمسك الصادق بأهداف

عقيدتنا السمحة وبالثقة الكاملة في الله جلّت قدرته وينصره المبين للمؤمنين مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقوله سبحانه ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ وقوله جل شأنه ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صدق الله العظيم.

ويسر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي أن تضع بين أيدي حضراتكم تقريراً مفصلاً يمثل نتاج جهود أمانتكم خلال العام المنصرم، ومتابعتها المتواصلة لتنفيذ القرارات والتوصيات التي أصدرتموها في الدورة (٢٦) لمجلسكم الموقر، إضافة إلى ما استجد في ساحة القضايا الإسلامية وجهود الأمانة العامة للرابطة في تبنيها والدفاع عنها، وما يعترض العمل الإسلامي من تحديات وتيارات فكرية هدامة تمثل تهديداً خطراً داهماً على كيانه ووجوده.

وبما أن الدورة السابقة لمجلسكم الموقر قد أوصت بأن يتم خلال هذه الدورة الحالية التركيز على موضوع (الدعوة والدعاة) فقد جرت الكتابة لكم في وقت مبكر كما هو معروف لكم، بهدف استطلاع ما لديكم من معطيات ومعلومات ومرئيات في هذا المضمار، فاستجبتكم مشكورين لطلب الأمانة العامة التي تلقت بحوثكم ودراساتكم القيمة في الوقت المناسب، وما هي ذى معروضة على مجلسكم الموقر.

أيها الأخوة في الله:

بمناسبة الحديث عن موضوع الدعوة والدعاة أود أن أسهم معكم بإلقاء الأضواء على أهم النقاط التي من المناسب التطرق إليها وإصدار تصورات المجلس وتوصياته فيها، في ضوء نتيجة التقويم والتحليل الموضوعي للأوضاع الراهنة للمسلمين وغيرهم، والجهود القائمة في مجال الدعوة، والتحديات والمشاكل التي تواجهها، والإمكانات المادية والمعنوية المتوفرة، وذلك بالاستفادة مما لديكم من علوم ومدارك واسعة في مختلف التخصصات، ومن تجارب - مباشرة لعملية الدعوة كل في موقعه. فإن أهم النقاط التي علينا بحثها وهي تمثل أبرز متطلبات الدعوة في هذا العصر إذا أريد لها النجاح والتوفيق بعون الله هي:

- ١ - تنظيم وتنشيط البحوث العلمية والدراسات الخاصة بالدعوة.
- ٢ - الاستفادة من الأساليب العلمية الكفيلة بإنجاح أي عمل ونشاط بعون الله بدءاً بتحديد الأهداف البعيدة والقريبة والتخطيط السليم والأداء المتقن والتقويم المستمر للنتائج أولاً بأول.
- ٣ - الاستفادة من إمكانات الهيئات والمنظمات القائمة بأعمال الدعوة ومساندتها مادياً ومعنوياً وتهيئة فرص التشاور وتنسيق الخطط والجهود فيما بينها.
- ٤ - بحث سبل توفير مصدر تمويل للدعوة سواء من التبرعات العينية والنقدية من الحكومات أو المؤسسات أو الشخصيات الإسلامية أو الاستثمارات أو الأوقاف أو تنشيط التطوع للدعوة.





- ٥ - تجنيد الطاقات البشرية القائمة بعملية الدعوة إلى الله تعالى سواء في نطاق العلماء والمفكرين المتخصصين أو غيرهم من مختلف طبقات الأمة الإسلامية. فإن تطوير أساليب تعليم وتدريب الدعاة عند تخرجهم من متطلبات الدعوة في العصر الحديث.
- ٦ - بحث سبل الاستفادة القصوى من وسائل الإعلام والتقنية الحديثة عامة في مجال الدعوة.
- ٧ - بحث سبل النهوض بالدعوة الإسلامية من خلال تنفيذ شتى الأنشطة والمشروعات في مختلف المجالات المتاحة.

### أيها الأخوة:

ختاماً لا يسعني سوى رفع الشكر لله تعالى ثم تقديمه لجلالة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ولسمو ولي عهده الأمين الأمير عبدالله بن عبدالعزيز على الجهود الموفقة في تقديم الدعم المادي والمعنوي الكامل لرابطة العالم الإسلامي ولختلف الهيئات الإسلامية في سائر أنحاء المعمورة خدمة للإسلام والمسلمين، فجزاهما الله وجميع أعوانهما عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ونسأل الله تعالى أن يتولانا جميعاً بدوام عنايته وعونه وإن يكلل مجلسكم الموقر بالتوفيق والنجاح في حمل الأمانة الملقاة على عاتقه امتثالاً لقول الحق تبارك وتعالى ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته....



- بعد ذلك، تم تشكيل اللجان المنبثقة عن المجلس وهي:
- (د) لجنة الصياغة.
- (هـ) لجنة الدعوة.
- (و) لجنة النظافة.
- (ز) اللجنة المالية.
- (١) اللجنة السياسية.
- (ب) اللجنة الفقهية.
- (ج) اللجنة العامة.

## «توصيات وقرارات هامة في نظام الدورة»

الإسلامي، والجامعة العربية، والدول المنضوية تحتها، ورابطة العالم الإسلامي، لبذل قصارى الجهد لإنهاء الصراع اللبناني، ووضع حد له، ودعم المقاومة الإسلامية، وإنقاذ المواطنين المسلمين من هيمنة العدو الإسرائيلي.

٥ - التأكيد على قادة المجاهدين الأفغان بالتمسك بوحدة صفوفهم، وتضامنهم حتى يتحقق النصر، والحث على تنبيه الحكومات العربية والإسلامية، إلى مخاطر إقامة علاقات دبلوماسية مع النظام الشيوعي العميل في «كابل»، أو مع «الاتحاد السوفيتي»، إلا بعد انسحاب القوات الشيوعية، وتمكين الشعب الأفغاني المسلم من ممارسة حريته الكاملة في وطنه وتقرير مصيره.

ودعا المجلس إلى بذل الجهود من أجل تقديم المساعدات

وبعد أن عقد المجلس خمس جلسات، بحث خلالها القضايا والموضوعات المدرجة في جدول الأعمال، اتخذ المجلس في ختام دورته القرارات والتوصيات التالية:

### ١ - قضية القدس وفلسطين:

قرر المجلس استمرار دعم الحملات الإعلامية، لمساندتها بكل الوسائل الممكنة بالتعاون مع الجهات الإسلامية.

٢ - ناشد المجلس الحكومات العربية والإسلامية، بعدم إلزام منظمة التحرير الفلسطينية بقبول القرارات التي لا تحقق رغبة الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

٣ - دعا إلى عقد دورات تدريبية للوعاظ والأئمة، لتقوية معلوماتهم، وتبني عدد من الأئمة والوعاظ في المناطق المحتلة.

٤ - ضرورة تحرك منظمة المؤتمر



٩ - وعن قضية المسلمين في «بلغاريا»، قرر المجلس مناشدة هيئة الأمم المتحدة، ولجنة حقوق الإنسان بالتدخل لوقف هذه الاعتداءات، وحث الحكومات الإسلامية على الاتصال بحكومة بلغاريا، لوقف هذه الممارسات.

١٠ - وبخصوص الأقليات الإسلامية في أوروبا الشرقية، فقد دعا المجلس حكومات الدول الإسلامية إلى الاهتمام بأمر المسلمين هناك، للحفاظ على من بقي منهم من الذويان، والعمل على منحهم حقوقهم المشروعة.

١١ - وعن المسلمين في «قطاني»، وتايلاند»، أوصى المجلس بتخصيص عدد من المنح الدراسية لأبناء المسلمين في تايلاند، ووضع برامج لإصلاح نظام التعليم في «قطاني» يتضمن التعليم الديني الإسلامي، على أساس صحيح، وتقديم الدعم المادي الممكن للمؤسسات التعليمية الإسلامية وللمساجد، وتزويد

الطبية والعينية والغذائية للمجاهدين والمهاجرين الأفغان، ودعم المؤسسات التعليمية المتعددة في أفغانستان، لتحسين أبنائهم من خطر الشيوعية.

٦ - أوصى المجلس بإرسال برقيتين باسم المجلس إلى كل من الرئيسين العراقي، والإيراني، يناشدهما وقف الحرب الدائرة بينهما.

٧ - ناشد المجلس الأطراف المعنية الاستجابة إلى قرار الأمم المتحدة، وسرعة إجراء المفاوضات لإحلال السلام في جزيرة «قبرص» بما يحقق المصالح المشروعة للطرفين ودعا المسلمين للتعاون مع القبارصة الأتراك.

٨ - وبخصوص التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا، أوصى المجلس بضرورة البوقوف إلى جانب أهل البلاد الأصليين، ودعم المسلمين هناك، كما أوصى بالاستمرار في دعم ومساعدة المراكز والجمعيات الإسلامية القائمة في جنوب أفريقيا.

المكتبات الإسلامية بالكتب  
الإسلامية النافعة.

١٢ - أكد المجلس على قرار الأمم  
المتحدة لعام ١٩٤٨م، لضمان  
توحيد شطري كشمير، ومطالب  
وزراء الهند بتنفيذ هذا القرار.

١٣ - أعرب المجلس عن ارتياحه  
للإجراء الذي اتخذه الحزب  
الحاكم في الهند، بإدخال  
تعديل في قانون الأحوال  
الشخصية يتفق مع تعاليم  
الشريعة، ويأمل المجلس أن  
ينال تعديل المشروع موافقة  
البرلمان الهندي.

١٤ - رأى المجلس تحديد مفهوم  
الدعوة وحكمها وموضوعاتها  
وأهدافها وصفات الداعية،  
والشروط المتوفرة فيه وإعداده  
وتحديد منهج الدعوة وأساليبها  
ووسائلها والإشراف والمتابعة  
لنشاط الدعوة والدعاة والدعم  
المادي والمعنوي لذلك.

١٥ - دعم صندوق الدعوة القائم  
بمقر الأمانة العامة للرابطة  
 لتمويل مشاريع الدعوة، وحث  
الأمانة العامة على مواصلة

إقامة الندوات والمؤتمرات  
والمشاركة في المناسبات التي  
تدعي إليها بما يحقق رسالتها  
وأهدافها في الدعوة إلى الله.

١٦ - التوسع في إقامة الدورات  
التدريبية للأئمة والدعاة القائمين  
بأعمال الدعوة في بلدانهم.

١٧ - وفي مجال التعاون والتنسيق  
بين الرابطة والجمعيات  
والمراكز الإسلامية في العالم،  
فقد حث المجلس على  
الاستمرار في دعم ومساندة تلك  
الهيئات لمواصلة مسيرتها  
الإسلامية لخدمة الإسلام  
والمسلمين في العالم.

١٨ - دعا المجلس الجامعات  
الإسلامية إلى فتح أبوابها أمام  
الشباب المسلم لالتحاق بها  
ومناشدة الحكومات الإسلامية  
عدم إرسال أبنائها إلى الجامعات  
غير الإسلامية إلا عند الضرورة  
القصوى.

١٩ - دعا المجلس إلى دعم مشروع  
الجامعة الإسلامية بإسلام  
أباد بباكستان، لاستكمال

وفي نهاية الجلسة، ألقى سماحة الشيخ ابن باز، كلمة أعرب فيها عن شكره للأعضاء المشاركين في هذه الدورة، وأوصاهم بتقوى الله والتمسك بتعاليم الدين الحنيف، وتبني قرارات المجلس في هذه الدورة.

ووجه الشكر لخادم الحرمين الشريفين، على دعمه المستمر للرابطة، ولكافة المؤسسات الإسلامية.

كما ألقى معالي الأمين العام للرابطة كلمة نوه فيها بالسياسة الحكيمة التي تنتهجها حكومة المملكة لإعلاء كلمة الله في الأرض، ودعم المؤسسات الإسلامية في العالم، وعلى رأسها رابطة العالم الإسلامي، وأشاد بما اتخذ من قرارات وتوصيات خلال هذه الدورة، مؤكداً على أن الأمانة العامة للرابطة ستتابع سعيها الجاد لتنفيذ القرارات والتوصيات وفق الإمكانيات المتاحة.

• • •

تنفيذ هذا المشروع الإسلامي.

٢٠ - حث المجلس الأمانة العامة على الاستمرار في نشاطها في مجال الاغاثة والأعمال الخيرية في بعض الدول الأفريقية والآسيوية للتخفيف من حدة الكوارث والمجاعة.

٢١ - أوصى المجلس بضرورة التنبيه على الشباب المسلم عبر وسائل الإعلام بمخاطر الانسياق وراء التقاليد التي تتنافى مع ديننا الحنيف، وتوعيتهم وتحذيرهم من أخطار المسكرات والمخدرات، وإبراز مساوئ السفر إلى البلاد غير الإسلامية، لقضاء العطلات الصيفية في البلاد التي تشيع فيها العادات السيئة والانحرافات الخلقية.

٢٢ - قرر المجلس مضاعفة الجهود في متابعة الفئات الضالة، وقطع دابرها من بلاد الإسلام ومتابعة الحملات الإعلامية ضد الإسلام والتصدي لها بالتعاون مع بقية الجهات الإسلامية المعنية.

# نيابة عن خادم الحرمين الشريفين: سمو الأمير ماجد بن عبدالعزيز يفتح الدورة التاسعة لمجلس مجمع الفقه الاسلامي



لمجلس المجمع الفقهي الإسلامي  
التابع لرابطة العالم الإسلامي بمبنى  
الرابطة بمبنى.

وقد بدأ حفل الافتتاح بأى من الذكر  
الحكيم ثم ألقى صاحب السمو الملكي  
الأمير ماجد بن عبدالعزيز كلمة صاحب  
الجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز المفدى،  
قال فيها:

نيابة عن خادم  
الحرمين الشريفين

جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز  
المفدى، افتتح صاحب السمو الملكي  
الأمير ماجد بن عبدالعزيز أمير منطقة  
مكة المكرمة، يوم السبت ١٢ من شهر  
رجب ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢ مارس  
١٩٨٦م، أعمال الدورة التاسعة

- الإسلام أقدر النظم التشريعية لإصلاح أمراض العالم.
- الإنسانية تعيش مصراً مادياً مظلماً يتنكر للدين والقيم والفضائل.
- المسلمون يتطلعون للاجتهاد بالرأى الجماعي لتفهم القرآن والسنة.

الحقائق في جميع الأمور.  
كما ألقى الأمين العام لرابطة العالم  
الإسلامي ونائب رئيس المجمع الفقهي  
معالي الدكتور عبدالله عمر نصيف كلمة  
قال فيها:

كما ألقى سماحة الشيخ ابن باز،  
رئيس مجلس المجمع الفقهي كلمة أشار  
فيها إلى الدور المطلوب من فقهاء  
المسلمين، لإيضاح الأمور واستبيان

- الفقه الإسلامي كليل بكل كافة قضايا المسلمين.
- علماء الإسلام يستمدون من الشريعة مناهج الإصلاح.



- السبت ١٣ جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٨٦ م، نيابة عن جلالة الملك المفدى، رعى صاحب السمو الملكي الأمير «سليمان بن عبدالعزيز» نائب أمير منطقة الرياض، افتتاح معرض الرياض بين الأمس واليوم، والذي أقيم على مركز المعارض بالرياض.
- السبت ٥ / ٧ / ١٤٠٦ هـ الموافق ١٥ / ٣ / ١٩٨٦ م، إلى ١١ / ٧ / ١٤٠٦ هـ الموافق ٢١ / ٣ / ١٩٨٦ م، عقد في تونس المؤتمر العلمى الثانى للدراسات العثمانية حول الحياة الاجتماعية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني.

وقد مثل الدارة في هذا المؤتمر الأستاذ عبد الله الحقييل الأمين العام للدارة، والأستاذ حمد العمرو مدير الوثائق بالدارة. وقد حضر هذا المؤتمر عدد كبير من المؤرخين والباحثين والعلماء من مختلف أنحاء العالم، ومن المتخصصين في حقل الدراسات العثمانية، وقد قام مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، في تونس، بتنظيم هذا المؤتمر بجهود موفقة.

- الإثنين ١٤ رجب ١٤٠٦ هـ الموافق ٢٤ مارس ١٩٨٦ م، احتفلت أمانة مدينة الرياض بمرور خمسين عاماً

ثم تجول سموه ومرافقوه داخل أرجاء المعرض وقد بدأت جولاتهم بزيارة لجناح جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز «رحمه الله»، وشاهدوا مقتنياته من ملابس وأدوات وأسلحة، ثم الجناح الخاص بالتراث الشعبي الذي يضم نماذج من الآثار والتراث الشعبي القديم، ونموذجاً لبيت الشعر ولبيت من البيوت القديمة، إضافة إلى جناح التطور التعليمي والعلمي والتكنولوجي وغيره من الأجنحة والمجسمات والمشاريع والفضاء... الخ.



لها أهميتها البارزة لموقعها عند ملتقى طرق شبه الجزيرة العربية. وقد دلت الدراسات التاريخية والأثرية بأنها على مكان مدينة حجر القديمة التي كانت مركز اليمامة، والتي وصفها الرحالة العرب بأنها كانت مدينة كبيرة واسعة الأرجاء، كثيرة المباني تحيط بها المزارع والحدائق، وتكثر بها المياه والعيون وكانت مركز التجارة في وسط صحراء الجزيرة العربية وملتقى التجارة بين شرق الجزيرة وغربها.

ثم أطلق اسم الرياض على المحلات القديمة من مدينة حجر «معكال» و«مقرن والعود» وغيرها وما حولها من الأرض الواسعة التي كانت في القديم بساتين وحدائق تتخلل مدينة حجر وتطوف بها، فعمرت، ثم صارت مجمعا للسيول إبان نزول الأمطار، تجود بمختلف النباتات في زمن الربيع، ولهذا صارت تسمى «الرياض».

على إنشائها في مسيرة خيرة في ظل القيادة الامنية المخلصة، التي يحمل لواءها جلالة الملك «فهد بن عبدالعزيز» المفدى، وسمو ولي عهده الامين، والمتابعة المستمرة من صاحب السمو الملكي الأمير «سلمان بن عبدالعزيز» أمير منطقة الرياض، ونائبه سمو الأمير «سليمان بن عبدالعزيز».

ومدينة الرياض وجدت نصيبها من الارتقاء والتطور والتي توفرت فيها كل مقومات النهضة الحديثة، فاتسعت أطرافها وامتدت مساحاتها خلال فترة قياسية، وتكاملت في كل أحيائها وجوانبها مرافق الحياة من طرق ومدارس وجسور أنفاق وعمران وكهرباء وماء وهاتف وغيرها....

والرياض جمع روضة، وتعنى الحدائق والبساتين، وهي عاصمة المملكة العربية السعودية، وكانت



مؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية، لتكون رافداً من روافد الخير والعلم والمعرفة ضمن ينابيع الخير والعطاء الذي ارتبط باسمه « رحمه الله ».

ثم تناول المجلس الموضوعات المطروحة عليه بجدول أعماله، والتي بينها البحوث والدراسات والمشاريع العلمية المطلوب إنجازها والكتب والبحوث المراد طباعتها، ثم ناقش علاقات الدارة والتزاماتها وإرتباطاتها بالهيئات العلمية في الداخل والخارج، وأهمية دعم مجلة « الدارة » لتحفظ دائماً بسمتها وجوهرها، وتكون في طليعة المجلات الوثائقية والتاريخية والثقافية ذات المستوى الرفيع والمنهج العلمي المتخصص.

● الثلاثاء ١٣/٨/١٤٠٦ هـ - الموافق ٢٢/٤/١٩٨٦ م، اجتمع مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز، برئاسة معالي الشيخ « حسن بن عبد الله آل الشيخ » وزير التعليم العالي، ورئيس مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز.

وفي مستهل الاجتماع توجه المجلس بالشكر والامتنان وجزيل العرفان لصاحب الجلالة الملك المعظم « فهد بن عبد العزيز » المبدى على تطف جلالته ورعايته واهتمامه بالدارة، والنهوض بها إلى المستوى اللائق باسم جلالته المغفور له الملك عبد العزيز « طيب الله ثراه »، حيث تطف جلالته فأعلن أمره الكريم بتحويل دارة الملك عبد العزيز إلى

● يتراس معالي الشيخ

حسن بن عبد الله آل الشيخ

اجتماع مجلس الإدارة.



● الأمين العام للدارة في اجتماع

مجلس الإدارة.





والمخطوطات والمكتبة.

وفي ختام جولة معاليه عبر عن إعجابه وشكره لما شاهده من مقتنيات وأثار تبرز دور ومكانة مؤسس هذه المملكة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز، ودور الدارة كمركز بحث متخصص في التاريخ والجغرافيا والتراث.

● الأحد ١٨ / ٨ / ١٤٠٦ هـ الموافق ٢٧ / ٤ / ١٩٨٦ م، معالي « روبرتودي ابريو سودارا » وزير خارجية البرازيل، والوفد المرافق له الذي حل ضيفاً على المملكة، قام بزيارة الدارة حيث شاهد قاعة الملك عبد العزيز التذكارية، والمركز الوطني للوثائق



هالي وزير خارجية البرازيل وبجانبه سعادة الأمين عام للدارة أثناء زيارته لقاعة الملك عبدالعزيز التذكارية.



## والتطبيقي، «والجانب النظري، والفكري».



### ● الأربعاء ٦ رمضان ١٤٠٦ هـ

الموافق ١٤ مايو ١٩٨٦م، ترأس صاحب السمو الملكي الأمير «سلطان بن عبدالعزيز» النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام، الاجتماع الأول للجنة المكلفة بوضع مشروع النظام الأساسي لمؤسسة «الملك عبد العزيز الإسلامية» التي أمر جلالة الملك «فهد بن عبدالعزيز» المفدى بإنشائها تقديرًا واعترافاً بدور جلالة «الملك عبدالعزيز» «رحمه الله» في خدمة الإسلام والمسلمين؛ وتم خلال الاجتماع مناقشة وضع مشروع نظام أساسي للمؤسسة يوضح أهدافها وأغراضها ومجالات عملها مواردها المالية وكيفية ممارسة نشاطها وما يتطلبه عملها من وسائل لتحقيق أغراضها. وقد تم اختيار صاحب السمو الملكي الأمير «سلطان بن عبدالعزيز» أميناً عاماً للجنة، كما تم تشكيل لجنة تحضيرية لوضع هذه الأهداف، ومن ثم عرضها على اللجنة الأساسية.

### ● السبت : ٢٠ ربيع الأول ١٤٠٧ هـ

الموافق ٢٢ / ١١ / ١٩٨٦ م إلى الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٤٠٧ هـ الموافق ٢٧ / ١١ / ١٩٨٦ م يقيم مركز الدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك إربد / الأردن، ندوة في الاقتصاد الإسلامي وستكون الندوة الأولى عن « مالية الدولة الإسلامية في صدر الإسلام » وموضوع الندوة سيعالج:

- ١ - الميزانية
- ٢ - بيت المال - نشأته وتطوره.
- ٣ - الواردات.
- ٤ - النفقات.
- ٥ - نظام الأراضي.
- ٦ - الدواوين المالية.
- ٧ - السياسة المالية للدولة في مجالات الصناعة والزراعة والتجارة.
- ٨ - وظائف الدولة الاقتصادية.

وسيشترك فيها العديد من الباحثين المتخصصين..

وللباحث إضافة موضوعات يراها تتعلق بموضوع الندوة، على أن تغطي الدراسة والبحوث في موضوع الندوة الجانب التاريخي « العمل



## الكعبة المشرفة في صور تاريخية





# FLAG PATTERNS AND THE SULTAN'S CORTEGE IN THE HAFSĪD STATE

Dr Muhammad Fayyādh Abu Diyāk

○○○

## Abstract

**The** paper provides a brief survey of the royal insignia used by the Almoravids (Murābiṭs) and Almohads (Muwahaḥids). The paper then concentrates on the royal corteges and insignia in the Hafsīd state. The various patterns and types of the Hafsīd ensigns and colors are differentiated, and explanations are provided on the significations of each.

The paper also discusses the ceremonial vestments of the Hafsīd sultan, and how they differed from the robes of the neighboring rulers. The Hafsīd ruler wore a crown similar to those of the European kings, and the fastidious elegance of his garments contrasted with the robes of the neighboring rulers, such as the Marīnids and the Banu al-Aḥmar.

The paper also points to the intensity of the cortege which accompanied the Hafsīd sultan to a mosque or during a stroll or campaign. The sultan precariously kept a large escort of mounted bodyguards in alertness against an assassination attempt which had become a real danger at those times, particularly in the nearby Granada. Nevertheless, the sultan's powerful cortege signified the pomp and splendor of the Hafsīd state, whereas the processions of the early Marīnīd rulers were marked by simplicity, and one encounters no evidence of ceremonial processions in the case of Granada until 755 H./1354 AD.

The paper also refers to the various coins minted in different Hafsīd cities. These coins are distinguished by the fineness of their form and the soundness of their weight. The expressions on each coin indicate the name of the reigning sultan and the town where it was minted.

An appendix is provided at the end of the paper to indicate the names of the Hafsīd sultans, the duration of their reigns, and the dates of their death or deposition.



Cover Picture:  
Conference  
Slogan

The writers' views do  
not necessarily reflect  
those of the magazine.

Articles are arranged technically regardless of the writer's prestige.

Annual  
Subscriptions :

- Saudi Arabia : 20 Riyals.
- Arab Countries : The equivalent of 4 issues price.
- Non-Arab Countries : US 6 \$.

Articles can not  
be returned to  
authors whether published or not.

● PRICE PER ISSUE ●

— Saudi Arabia	: 3 Riyals
— U. A. E.	: 4 Dirhums
— Qatar	: 4 Riyals
— Egypt	: 35 Piastres
— Morocco	: 5 Dirhams
— Tunisia	: 400 Milliemes
— Non-Arab Countries	: 1 U.S. \$

**Saudi Arabia** : Al-Greisy Distributing Est.,  
P.O. Box 1405, Riyadh, Tel.: 4022564.

**Abu-Dhaby** : P.O. Box 3778, Abu Dhaby,  
Tel.: 323011.

**Dhubai** : Dar-Al-Hikma Library.  
P.O. Box 2007, Tel.: 228552.

**Qatar** : Dar-Al-Thakafa.  
P.O. Box 323, Tel.: 413180.

**Bahrain** : Al-Hilal Distributing  
Est., Manama, P. O. Box 224, Tel.: 262026.

**Egypt** : Al-Ahram Distributing Est.,  
Al-Gataa Street, Cairo, Tel.: 755500.

**Tunisia** : The Tunisian Distributing  
Company 5, Nahg Kartaj.

**Morocco** : Al-Sharifia Distributing  
Company, P.O. Box 683, Casablanca, 05.



*EDITOR-IN-CHIEF*

**MOHAMMAD HUSSEIN ZEIDAN**



*EDITORIAL DIRECTOR*

**ABDULLAH HAMAD AL-HOQAIL**



*EDITORIAL BOARD*

**DR. MANSOUR IBRAHIM AL-HAZMI**

**ABDULLAH ABDUL-AZIZ BIN EDRIS**

**DR. ABDUL-RAHMAN AL-TAYYEB AL-ANSARI**

**DR. ABDULLAH AL-SALEH AL-UTHAYMIN**

**DR. MOHAMMAD AL-SULAYMAN AL-SUDAIS**



*EDITORIAL SECRETARY*

**MUSTAFA AMIN JAHIN**

All correspondence should be directed to the Editor-in-Chief. Tel.: 4417020

Editorial Director: Tel.: 4414681



General Supervisor :

*His Excellency Shaikh :*

**HASSAN BIN ABDULLAH AL-AL-SHAIKH**

*Minister of Higher Education & Head of the Board of  
Directors of King Abdul - Aziz Research Centre.*



Members of the Board :

- His Excellency Mr. Abdul Aziz Al-Refaey.
- H.E.Mr. Abdullah Bin Khamis.
- Dr. Ahmed M. Al-Dhubaih Deputy-Rector of King Saud University.
- H.E.Dr. Abdul Rahman Bin Saleh Al-Shebaili.
- \* Deputy Minister for Higher Education .
- H.E.Dr. Abdullah Al-Masri
- \* Assistant Deputy Minister for Cultural Affairs,  
Ministry of Education .
- H.E.Mr. Abdul Rahman Fahd Al-Rashid.
- \* Assistant Deputy Minister For Domestic Information.  
Ministry of Information .
- H.E.Mr. Muhammad Hussein Zeidan.
- H.E.Mr. Abdullah Hamad Al-ho Kall  
«Secretary General of King Abdul Aziz Research Centre».

Annual Subscriptions are to be directed to the Secretary General of-Addarah Tel.:4414681

Editorial Board: Tel.: 4412316 - 4412317





IN THE  
NAME OF ALLAH.  
THE MERCIFUL.  
THE BENEFICENT



An Academic Quarterly  
Issued by: King Abdul Aziz Research Centre

No. 1 • Y. 12 • Shawwal 1406 A.H. • June 1986 A.D.

**King Abdul Aziz  
Research Centre**

- Established by a Royal Decree No. M/ 45 dated 5/8/1392 A.H. as an autonomous body with independent juristic identity.
- Run by a Board of Directors vested with full authority to have its objectives materialized.

**Objectives:**

- To further studies pertaining to the history of the Kingdom, its geography, literature, intellectual and cultural heritage in particular as well as those of the Arab and Islamic world in general.
- Issue a cultural magazine carrying its name.

**ADDARAH.**

- In accordance with the Royal approval No. 5/12608 dated 20/5/1396 A.H. the Centre has become the home of the National Saudi Archives and Manuscripts.

*P. O. Box 2945 Riyadh 11461 Kingdom of Saudi Arabia*

Facsimile No.: 00/966/1/4417020



# مملكة البحرين العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم



## طابا الملك عبد العزيز

٢٩١٥ الرياض ١١٤٦١ هـ - ٤٤٢٣٢١٧  
رقم التأسيس ١٤٤٦٠٠٠

رجب شعبان رمضان شوال ذوالقعدة ذوالحجة

AL	1 <sup>st</sup>	2 <sup>nd</sup>	3 <sup>rd</sup>	4 <sup>th</sup>	5 <sup>th</sup>	6 <sup>th</sup>	7 <sup>th</sup>	8 <sup>th</sup>	9 <sup>th</sup>	10 <sup>th</sup>	11 <sup>th</sup>	12 <sup>th</sup>	13 <sup>th</sup>	14 <sup>th</sup>	15 <sup>th</sup>	16 <sup>th</sup>	17 <sup>th</sup>	18 <sup>th</sup>	19 <sup>th</sup>	20 <sup>th</sup>	21 <sup>th</sup>	22 <sup>th</sup>	23 <sup>th</sup>	24 <sup>th</sup>	25 <sup>th</sup>	26 <sup>th</sup>	27 <sup>th</sup>	28 <sup>th</sup>	29 <sup>th</sup>	30 <sup>th</sup>	
2 <sup>nd</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
3 <sup>rd</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
4 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
5 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
6 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
7 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
8 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
9 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
10 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
11 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
12 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
13 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
14 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
15 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
16 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
17 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
18 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
19 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
20 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
21 <sup>st</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
22 <sup>nd</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
23 <sup>rd</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
24 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
25 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
26 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
27 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
28 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
29 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
30 <sup>th</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
31 <sup>st</sup>	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31

محرم صفر ربيع الأول ربيع الآخر جمادى الأولى جمادى الآخرة

FR	JAN 1 <sup>st</sup>	DEC 31		NOV		OCT		SEP 30	
30	1							5	
31	2					4		3 6	
1	3					5		7 2	
2	4					6		8 3	
3	5					7		9 4	
4	6			2		8		10 5	
5	7	1 3		4 2		6 1		11 6	
6	8	2 4		5 3		7 2		12 7	
7	9	3 5		6 4		8 3		13 8	
8	10	4 6		7 5		9 4		14 9	
9	11	5 7		8 6		10 5		15 10	
10	12	6 8		9 7		11 6		16 11	
11	13	7 9		10 8		12 7		17 12	
12	14	8 10		11 9		13 8		18 1	
13	15	9 11		12 10		14 9		19 2	
14	16	10 12		13 11		15 10		20 3	
15	17	11 1		14 12		16 11		21 4	
16	18	12 2		15 1		17 12		22 5	
17	19	13 3		16 2		18 1		23 6	
18	20	14 4		17 3		19 2		24 7	
19	21	15 5		18 4		20 3		25 8	
20	22	16 6		19 5		21 4		26 9	
21	23	17 7		20 6		22 5		27 10	
22	24	18 8		21 7		23 6		28 11	
23	25	19 9		22 8		24 7		29 12	
24	26	20 10		23 9		25 8		30 1	
25	27	21 11		24 10		26 9		31 2	
26	28	22 12		25 11		27 10		1 3	
27	29	23 1		26 12		28 11		2 4	
28	30	24 2		27 1		29 12		3 5	
	31	25 3		28 2		30 1		4 6	
		26 4		29 3		31 2		5 7	
		27 5		30 4				6 8	
		28 6		31 5				7 9	
		29 7						8 10	

١٩٨٧/٨٦ ميلادية

86/1987 A.D.

١٤٠٧ هجرية

1407 H.D

محرم  
المطارة

انتخاب المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز عام ١٤٠٦ هـ، الذي أعلن فيه جلالة الملك «فهد بن عبد العزيز» الملقب، تحويل دارة الملك عبد العزيز إلى «مؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية».

اليوم الوطني للمملكة.

الإجازات الرسمية.



No. 1 • Y. 12 • Shawwal 1406 A.H. • June 1986 A.D.





مجلة فصلية محكمة  
تصدر عن دار الملك عبدالعزيز

○ المحرم ١٤٠٧ هـ  
سبتمبر ١٩٨٦ م

○ الأسبوع  
الثانية عشرة

○ العدد ○  
الثاني

قراءة الملك عبد العزيز

[illegible]

٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية

رقم الفاكسيميلى : ۰۰/۹۶۶/۱/۴۴۱۷۰۲۰

المشرف العام،

## معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ

وزير التعليم العالي، ورئيس مجلس إدارة دار الملك عبدالعزيز

○ ○ ○

### أعضاء مجلس إدارة دار الملك عبدالعزيز،

معالي الأستاذ	عبدالعزیز الرفاعي
سعادة الأستاذ	عبدالله بن خميس
سعادة الدكتور	عبدالرحمن بن صالح الثبيلي وكيل وزارة التعليم العالي
سعادة الدكتور	أحمد محمد الضبيبي وكيل جامعة الملك سعود
سعادة الدكتور	عبدالله المصري وكيل وزارة المعارف المساعد للشؤون الثقافية
سعادة الأستاذ	عبدالرحمن فهد الراشد وكيل وزارة الإعلام المساعد للإعلام الداخلي
سعادة الأستاذ	محمد حسين زندان
سعادة الأستاذ	عبدالله همد الحقييل الأمين العام للمدارة

الإدارة والتحرير

٤٤١٢٣١٦ - ٤٤١٢٣١٧

تمثل الاشتراكات باسم  
الأمين العام للمدارة

٤٤١٤٦٨١



رئيس التحرير

**محمد حسين زيدان**

...

مدير التحرير

**عبد الله محمد الحفيل**

...

هيات التحرير

**د. منصور إبراهيم الحازمي**

**عبد الله بن عبدالعزيز بن إدريس**

**د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري**

**د. عبدالله الصالح العتيبي**

**د. محمد التميمي السديس**

○ ○ ○

بكرتير التحرير، «الفني»

**مصطفى أمين جاهيم**

مدير التحرير

٤٤١٤٦٨١ ☎

رئيس التحرير

٤٤١٧٠٩٠ ☎

• آراء الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة •

#### \* الاشتراكات السنوية \*

- ٢٠ ريالاً للاشتراك السنوي داخل المملكة العربية السعودية .
- وفي البلاد العربية ما يعادل القيمة لأربعة أعداد في كل بلد .
- ٦ دولارات خارج البلاد العربية .

- ترتيب البحوث داخل العدد يخضع لأسباب فنية لاعلاقة لها بمكانة الكاتب ..
- لأثره البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر ..
- نرسل البحوث سريعاً إلى مكّمين ويتم نشرها بعد النظر في صلاحيتها للنشر .

#### توزيع المجلة

السعودية : ثلاثة ريالات - الإمارات العربية أربعة دراهم  
- قطر : أربعة ريالات - مصر ٣٥ قرشاً - المغرب خمسة دراهم - تونس ٤٠٠ مليم  
خارج البلاد العربية : دولار للمعد

- البحرين : مؤسسة الهلال للتوزيع  
ص.ب ٢٢٤ النامة - ت ٢٦٢٠٢٦
- مصر : مؤسسة الأهرام للتوزيع  
شارع الجلاء - القاهرة ت ٧٥٥٥٠٠
- تونس : الشركة التونسية للتوزيع  
• نجح قرطاج
- المغرب : الشركة الشريفة للتوزيع  
ص.ب ٦٨٣ الدار البيضاء •
- السعودية : مؤسسة الجريسي للتوزيع  
ص.ب ١٤٠٥ الرياض - ت ٤٠٢٢٥٦٤
- أبو ظبي : مكتبة المنهل  
ص.ب ٣٧٧٨ أبو ظبي - ت ٣٢٣٠١١
- دبي : مكتبة دار الحكمة  
ص.ب ٢٠٠٧ - ت ٢٢٨٥٥٢
- قطر : دار الثقافة  
ص.ب ٣٢٣ - ت ٤١٣١٨٠







• صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز وسمو الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا وقرينته في افتتاح معرض الرياض بين الأس واليوم في لندن .

## في هذا العدد

- ٦ ..... الافتتاحية
- ٨ ..... الرئيس التحرير
- ٨ ..... اليوم الوطني ومؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية
- ..... هجرة السكان إلى مدن جنوب غرب المملكة العربية السعودية
- ..... دوافعها وأثارها
- ..... الأدب العامي ومحاوِر الإهتمام به
- ..... الجيش الإسلامي، نشأته وتطوره.
- ..... حاجتنا الماسة لتنسيق عمليات تحقيق مخطوطات التراث العربي واختيار الرسائل الجامعية
- ..... الأمير مودود بن النونكتين أتاك الموصل ودوره في حركة الجهاد الإسلامي
- ..... ذكريات من البادية
- ..... صلاح الدين الأيوبي وموقفه من القوى المتنافسة في بلاد الشام
- ..... مع آخر رحالة أوروبي يعبر الجزيرة العربية على ظهر بعير
- ..... بلخصاً عن الإنجليزية.
- ..... الكشف عن مدافن من خمسة آلاف عام في جنوب الظهران
- ..... علوم .. وفنون ..
- ..... العلاقات السعودية الألمانية في عهد الملك عبدالعزيز
- ..... تلخيص وترجمة.
- ..... العلاقات السعودية الألمانية في عهد الملك عبدالعزيز
- ..... باللغة الإنجليزية.
- ..... ١٠٩ د. عفاف سيد صبره
- ..... ١٣٩ أ. دوكس بن زائد العزيمي
- ..... ١٥٩ د. عبدالكريم عبده حاتملة
- ..... ١٧٣ أ. السيد أحمد مرعي عباس
- ..... ١٩٣ أ. عبد العزيز فهد النفيسة
- ..... ١٩٣ أ. عبدالله سليمان الهدلق
- ..... ٢٠٣ أ. مصطفى أمين جافين
- ..... ٢١٧ أ. عبد السلام عبدالنعم
- ..... ٥ أ. د. فلعوت مابشر

## الافتتاحية ..

# الدائرة .. أول روافد مؤسس



وإذ أكتب عن مؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية فيني أشرف برؤية واضحة لهذه المؤسسة ، وما كان ذلك مني عن انتسابي إليها كأحد أبنائها ، وبالأحرى كأحد خادميها ، وإنما أكتب عنها عفواً في مجلس أمانة «دائرة الملك عبد العزيز» وكرئيس تحرير لمجلتها، لهذا لا أكتب من فراغ ، ولا عن تفرغ ، فدائرة الملك عبد العزيز ومجلتها نواة لمؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية ، أو هي بالأحرى الرافد الأول لها ، فمؤسسة الملك عبد العزيز جماعة ، جامعة ، تسترشد كل الروافد ، لاتفرق ولا تبدد ، بل هي تبني بالتطوير ، ولا تهدم بالتغيير ، فما من مؤسسة إلا وهي رافد بالإتساق والتنسيق ، وحتى الإرتفاق .

الجنادرية رافد ، والآثار ومعالم العمران في مشروع الرياض بين الأمس واليوم رافد ، فالعرض له يعطيه أنه من المؤسسة ولها وبها وعنها ، لأن الملك عبد العزيز كل ما في هذا الكيان الكبير هوله — وهوبه ، فالمؤسسة الجديدة إعراب عن الوفاء له. لأنه جاهد فإذا الكيان الكبير «المملكة العربية السعودية» هي بكل شيء ...



بقلم رئيس التحرير

## مؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية

وقبل أي شيء... وبأي شيء... مؤسسة الملك عبد العزيز .  
إن مجلة الدارة، ومجلسها وأمانتها، ماهي إلا النواة والرافد .  
من هنا أرجو أن تكون الدارة الأمانة والمجلة، قد أعدت نفسها لتكون عطاء  
للمؤسسة، لأنها من عطاء المؤسسة .  
كل شبر في هذه الأرض لا بد وأن تحته تاريخ، وفوق ترابه مجد، فكان عمل  
عبد العزيز، الإمام، السلطان، الملك، هو الذي قال للتاريخ: تكلم، وقال  
للمجد: ارفع رأسك .  
يرحم الله الملك عبد العزيز، أقوى سلاح في يديه، الأمن والأمانة في ظل  
كلمة التوحيد . ويحفظ الله جلالة الملك «فهد بن عبد العزيز» الذي يحافظ ويصون  
تراث الآباء والأجداد...

«محمد حسين زيدان»

# اليوم الوطني يرعى الله محمد بن عبد العزيز آل سعود

الأستاذ عبدالله حمد الحقييل



حينما تمر بنا ذكرى اليوم الوطني فإننا نتذكر فيه يوماً من أعز أيامنا سجله التاريخ بأحرف من نور على صفحاته الخالدة حيث جاء تنويحاً لعمل خالد عظيم قاده المؤسس البطل «عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود» رحمه الله ، ولم يكن طريقاً سهلاً ، ولكن بنصر الله وإرادته تحققت الوحدة عملاً وتطبيقاً وتعاوناً وإيماناً ، وكان الهدف إعلال كلمة الله ورفع راية الحق والقرآن الكريم ، لقد كان عمله رحمه الله انجازاً تاريخياً هائلاً . . كانت له الآثار الكبرى التي امتدت لمختلف أرجاء المملكة العريقة ، وكان النجاح والتوفيق والاستقرار والاصلاح والخير والازدهار واتبع في مساره الفكري والعملية شريعة الإسلام على مثال من الاخوة والعدالة والمساواة ، لقد برز الملك عبد العزيز في حقبة تاريخية مليئة بالظروف القاسية ولكن قوته وصبره ومؤهلاته القيادية ووعيه للتاريخ وشخصيته المتعددة الجوانب مكنته من القدرة على النجاح والاصلاح والوحدة . .

إن كل خصاله العبقريّة مكنته من إقامة دولته تحت راية القرآن ومنهج الإسلام الصحيح . .

وإن ذكرى اليوم الوطني هي انطلاقة خير وإشراقه نهضة وتطور . .

وإن الأمم لتسعد دائماً بأيامها الخالدة وتعي ما تحمله من وقائع وأحداث ، وتقوم بتحليلها وشرح أهدافها وأبعادها ، ومنذ أن توحدت هذه البلاد وهي تخطو بخطى واثقة نحو تحقيق أهدافها النبيلة ، وفي سعيها الخثيث في مضمار الحضارة وميدان الرقي .

وبفضل الله انتصرت المملكة على مختلف التحديات وحققت أعظم المنجزات الحضارية .

إننا ونحن نتذكر اليوم الذكرى الخامسة والخمسين للوحدة المباركة الميمونة التي قادها المؤسس في سبيل جمع شمل هذه الأمة وتوحيد كلمتها في حقبة تاريخية دقيقة . نذكر أن هذه الوحدة لم تكن معجزة بقدر ماهي موهبة وعطاء وإيمان . فقد كانت كلمة التوحيد ونعمة

التوفيق رمزاً عظيماً ونصراً كبيراً حيث رفرت كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» التي استقرت على مبدأ عظيم ودستور خالد هو القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولقد عمل رحمه الله على تركيز الإيمان وترسيخه في النفوس صافياً نقياً كما أوضحه نبي الهدى والرحمة كما عمل على تنقية العقيدة وسلامتها من الوثنية والشرك والانحراف. فلهذا الهدف النبيل كان العمل والتحرك حتى تحقق بفضل الله ما أراد من جمع المسلمين على كلمة التوحيد وإعلاء كلمة الله .

حقاً إن شخصية الملك عبد العزيز ومواهبه ومكوناته التاريخية تحتاج إلى دراسة عميقة وشرح واسع فما أكثر المنجزات التي تحتاج إلى دراسة متأنية وفهم لوقائع التاريخ وأحداثه، ولا ننسى في هذا المجال أن نشيد بدور المؤرخين والكتاب سواء من داخل البلاد أو خارجها الذين تضافرت جهودهم وأقلامهم على تناول تلك الجوانب وخدمتها احتراماً وتقديراً من جانبهم لمكانة الملك عبد العزيز وتاريخه وشخصيته ومنجزاته وخلقه وفضائله. . وذلك من خلال مؤلفات وبحوث عديدة» .

وإن الأمل الكبير في مؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية والتي سيكون لها شأن كبير، بإذن الله ، ثم بفضل جهود وتوجيهات جلالة الملك فهد حفظه الله، الذي تلطف فوضع اللجنة الأولى لبنائها الشامخ، وغرس النبتة المتفتحة لتنمو منها الشجرة المورقة، وتتفرع عنها الأفرع الباسقة، وتنضج الثمرة اليانعة وتكون قاعدة راسخة للعلم. ومركزاً مرموقاً للبحث والمعرفة والتأصيل العلمي والمنهجي نحو سيرة الملك عبد العزيز وتاريخ المملكة، وتكون مركز إشعاع فكري وتراثي، ومعيناً ينهل منه الباحثون والمفكرون والمؤرخون لخدمة المعرفة والبحث التاريخي والعلمي دراسة وفقها واستنباطاً، وكذا جمع الوثائق وحفظ المخطوطات ونشر التراث وغير ذلك من الأهداف الضخمة والطموحات العديدة والأعمال الجليلة لخدمة العلم والمعرفة والإسلام والمسلمين وإعداد موسوعة جغرافية تاريخية ضخمة عن تاريخنا عبر عصوره المختلفة. وإقامة مؤتمرات وندوات وحلقات علمية، وعمل دورات دراسية لإعداد دعاة يخدمون الإسلام والمسلمين، وباحثين يخدمون التاريخ الوطني والإسلامي بصفة عامة. وإن هذه البلاد التي أكرمها الله برسالة الإسلام، ورفع راية القرآن، مصدر البطولات والعطاء والتاريخ والفصاحة والبيان والعبقريات لجديرة برفع أعلام العلم وإشادة صروح المعالي والمعرفة والتاريخ.

حقق الله الآمال ووفق الجميع لما يحبه ويرضاه

دراسة استكشافية في مدني جنزير وخراب

في اكنة المدينتي السحرية

## دوافعها وآثارها

د. عبد الرحمن صادق الشريف

### ملخص البحث :-



خارج المملكة فامتدت مساحتها وتضاعف عدد سكانها في غضون ١٦ عاماً.

وقد أدى استمرار هذه الظاهرة إلى ظهور مشاكل عديدة داخل المدن، وإلى تناقص سكان ريف وبادية المنطقة وما يتبع ذلك من تدهور في انتاج المواد الغذائية. ولا يوقف هذا التدهور سوى تطوير المناطق الريفية بإيجاد فرص أعمال جديدة؛ كتطوير الموارد المائية والانتاج الزراعي، وإنشاء مزارع لتنمية الثروة الحيوانية والداجنة، وتحويل بعض الجهات إلى مصافي بإنشاء القرى السياحية والطرق ونشر الخدمات المختلفة. ويتم ذلك من خلال تخطيط اقليمي شامل يعيد التوازن إلى سكان مدن وقرى هذه المنطقة.

بدأت المملكة مرحلة التطور الاقتصادي حينما توفرت فرص العمل في مناطق التحديث، فجذبت الشباب من الأقاليم النائية والريفية مثل اقليم جنوب غرب المملكة مما أدى إلى تضائل زيادة سكان تلك الأقاليم. ولكن حينما شرعت هذه المناطق في اقامة المشاريع الحكومية والمرافق العامة والخدمات المختلفة والتي تركزت في مدنها تزايدت فيها فرص العمل وتحولت إلى مراكز جذب وطرده للسكان في آن واحد، فكان سكان المنطقة يجتمعون في المدن لاستئناف هجرتهم إلى مدن المملكة الكبرى. فجذبت المهاجرين من منطقتها ومن المناطق الأخرى ومن

## مقدمة :-



ان قدم استيطان اقليم جنوب غرب المملكة العربية السعودية يعني حدوث دورات عديدة من تبدل السكان وتوازنهم مع الموارد، أو اعادة توزيعهم في الاقليم. غير ان الظروف القديمة بدأت تتغير منذ نحو نصف قرن. بحيث اختفت الحروب والغزوات وتوقفت المجاعات وتم الاستقرار بتبعيةها للحكم المركزي بعد تأسيس المملكة، وأخذت المنطقة سبيلها إلى الازدهار والتحديث. غير ان حركة السكان لم ولن تتوقف، ولكن دوافع حركتهم قد تغيرت وأسباب اعادة توزيعهم قد اختلفت بحيث تطورت أساليب استغلال الإنسان للموارد، وتغيرت التقنية وأساليب الإنتاج كما تغيرت الروابط الاجتماعية والثقافية. وبعبارة أخرى فإن حركة السكان اتخذت مظاهر جديدة تناسب والتطورات الجديدة.

## أهداف البحث :-

يهدف هذا البحث إلى دراسة ملامح التغير الناتج عن هجرة السكان من مدن جنوب غرب المملكة العربية السعودية وإليها، وهي مدن صغيرة أو متوسطة الحجم. وستعتمد في هذه الدراسة - ويحذر - بالإضافة إلى بيانات احصاء سكان المملكة لسنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) على دراسات الشركات الاستشارية التي استعانت بها الدولة في أمور تخطيط منطقة الدراسة<sup>(١)</sup>. وقد أجرى كل منهم مسحاً عينياً بنسبة ٥٪ للمناطق المناطة دراستها بهم. ويعود الحذر إلى صعوبة الاعتماد على هذه المصادر بسبب تعددها واختلاف الأسس التي اعتمد كل منهم عليها واختلاف أوقات إجرائها.

## تمهيد :-

نالت جغرافية المدن نصيباً لا بأس به من الدراسات الحديثة في المملكة العربية السعودية، غير أن بعض التغيرات المرتبطة بحركة التمدن لم تنل بعد ماتستحقه من بحث، مثل تلك

التغيرات التي تتعلق بمواقع الاستقرار الصغيرة. ولاننكر أن تغير مواقع السكان ظاهرة قديمة ولو اختلفت دوافعها في الزمان والمكان. إذ خرج العرب - على سبيل المثال - وكما روى النسابون من اليمن على شكل موجات متتابعة، وتحولوا على حالة البداوة إلى أن استقرت جماعات منهم حول موارد المياه. ومن أقدم القبائل العربية التي استقرت لاستنبات الأرض جماعة من الأزد سلكوا ابتداء من اليمن الطريق الجبلي باتجاه الشمال والشمال الغربي، فسكنوا الجبال والوديان وآثروا الانعزال فيها وزراعتها.

كانت القبائل القوية تسود في المناطق الزراعية حينما تحكم سيطرتها على المناطق المجاورة، وكانت سيطرتهم تدوم إذا حققت التوازن بين عدد السكان والموارد الغذائية المتاحة، فكانت الجماعة تزدهر ويزداد عدد سكانها في السنوات الحيرة، وتضعف وتتضعف إذا تعرضت لتقلبات مناخية أو لكوارث طارئة وينتهي الأمر - بالضرورة - بالتخلص من الزيادة السكانية بالطريقة المألوفة<sup>(٢)</sup>:

ومع أن الهجرة كعملية نزوح سكانية مستمرة كانت شائعة، فإن الحروب والنوابط الطبيعية وما ينتج عنها من مجاعات أو إبادة حقائق تاريخية. ولذلك كان التحصن في القرى والمدن، والانتقام وحوادث الثأر حقائق تاريخية أيضاً، ينتج عن كل منها حركات ارادية أو قسرية للسكان. ومن ناحية أخرى فإن ازدهار خط التجارة البري أو اضمحلاله أو تغير موقعه وتبدل أهمية الأسواق، أو تقوض الزعامات المحلية، أو حصول تدخل أجنبي، كسيطرة العثمانيين، كل ذلك وما يتبعه من جذب أو طرد للسكان كان يسبب حركات معينة لهم.

#### منطقة جنوب غرب المملكة :-

نقصد بجنوب غرب المملكة - خدمه لأغراض هذا البحث - المنطقة الواقعة بجوار البحر الأحمر فيما بين خط الحدود السعودية اليمنية جنوباً وحتى نهاية حدود إمارة الباحة شمالاً أي بين



خطي عرض ١٦°٢٢ ش، ٢٠°٤٠ ش وتشمل أقاليم نهامه وجبال السروات والهضاب التي تليها شرقاً (شكل ١) وتبلغ مساحتها حسب هذا التحديد نحو ١٣٥٠٠٠ كم<sup>٢</sup> أي ٦٪ من مساحة المملكة.

تتكون هذه المنطقة الواسعة من أربع وحدات إدارية (إمارات) هي: جيزان وعسير والباحة ونجران باستثناء الجزء الشرقي من الإمارة الأخيرة لوقوعه في إقليم الصحاري الداخلية، وجزءاً من إمارة مكة المكرمة يضم منطقتي البيرك والقنفذة.

يعيش في منطقته جنوب غرب المملكة نحو ٢١٪ من مجمل سكانها إذ بلغوا ١,٤٥٠,٠٠٠ في سنة ١٩٧٤م توزعوا في ٩٤٢٥ قرية ومدينة أي ٦١٪ من مجمل عدد القرى والمدن في المملكة.

وتشير هذه الأرقام أنه تم توزيع السكان فيها بشكل يفضل توزيعه في المناطق الأخرى وارتفعت فيها الكثافة السكانية، (١١ نسمة/كم<sup>٢</sup> سنة ١٩٧٤م بالقياس إلى ٣/كم<sup>٢</sup> في المملكة) ويعود السبب في ذلك إلى ظروفها المناخية، والتي انعكست في تفاوت نسب العاملين في مجالات الإنتاج إذ يعمل معظم السكان في الإنتاج الزراعي أو الحيواني في الريف وفي البادية حيث يمثل في هذه المنطقة دون سواها تقريباً الريف الزراعي بمعناه الحقيقي، وقد شكل الريفيون حسب أرقام ذلك الإحصاء ٥٧٪ من المجموع وشكل البدو ٢٥٪ وسكن الباقون (أي ١٨٪) في المدن.

فالزراعة تتركز على السفوح العليا للجبال أو في أحواض الوديان. وتعتمد في معظم هذه المساحات إما على الأمطار مباشرة أو بطريقة غير مباشرة بأسلوب ري الخياض من الفيضان. وبذلك تسود فيها الزراعة التقليدية الضعيفة الإنتاجية والضيئلة العائد. ويتركز البدو في الغالب في أحواض الوديان الأخرى أي التي لا تتوفر فيها الشروط الملائمة للاستقرار الزراعي.

أما المدن فقد وجدت مبعثرة في وسط المناطق الريفية، وقد بلغ عددها نحو خمسين مدينة معظمها مدن صغيرة، ولا تزال تحتفظ بالمظاهر الريفية؛ إذ لم يتجاوز تقدير سكان كل من ٣٢ مدينة منها ثلاثة آلاف نسمة في سنة ١٤٠٢هـ. وذلك لأن الدولة تعتبر كل مركز إمارة فرعية مدينة مهما كان عدد سكانها. وفيما يلي جدول بتقدير سكان المدن التسع الأولى في المنطقة فيما بين سنة ١٣٩٤ إلى سنة ١٤٠٢هـ:

### جدول رقم ١٥

تقدير سكان مدن جنوب غرب المملكة (المدن التي يزيد سكانها عن ١٠٠٠٠ نسمة سنة ١٤٠٢هـ).

الرقم	المدينة	١٣٩٤هـ	١٣٩٨هـ	١٤٠٢هـ	معدل الزيادة النوية %	نسبة السعوديين سنة ١٤٠٢
١	خيس مشيط	٤٨١٩٧	٥٥٣٢٠	٦٦٣٤٩	% ٤٠,٦	% ٩١,٩
٢	أبها	٣٠٣٥٤	٣٨٦٣٠	٤٧١٣٤	% ٥,١	% ٧١,٥
٣	جيزان	٣٢٧٩٢	٣٧٧٧٥	٤٣٥١٦	% ٣,٦	% ٨٤,٤
٤	نجران	٢٩٦٠٠	٣٤٨٩٥	٤١١١٤	% ٤,٢	% ٧٥,٣
٥	الباحة	١٥٣٠٠	١٩٦٦٣	٢٥٤١٣	% ٦,٥	% ٨٨,٤
٦	صبا	١٣٤٦٢	١٦٠٥٣	١٩١٤٤	% ٤,٥	% ٩٠,٠
٧	بيشة	١٠٦٧٨	١٣٥٨٢	١٧٢٧٧	% ٦,٢	% ٨٥,٨
٨	أبو عريش	١٢٢٧٢	١٤٣٥٧	١٦٧٩٥	% ٤,٠	% ٩١,٥
٩	بلجرشي	٧٠٥٢	٨٥٧٢	١٠٤١٩	% ٥,٠	% ٩١,٨
	المجموع	١٩٩٨٠٧	٢٣٨٨٤٧	٢٨٧١٦١	% ٤,٤	% ٨١,١

المصدر: اعتمد في وضع أرقام هذا الجدول على تقارير الشركات المشار إليها وعلى إحصاء السكان لعام ١٣٩٤هـ.

يتضح من تحليل بيانات هذا الجدول الحقائق التالية :-

بلغ مجموع سكان أكبر تسع مدن في المنطقة نحو ٢٠٠,٠٠٠ نسمة، ولكن بلغ مجموع سكان جميع مدن المنطقة في سنة ١٣٩٤هـ ٢٦١١١٤ نسمة أي ما نسبته (١٨ ٪) من مجموع سكانها. وللمقارنة بلغت نسبة سكان مدن المملكة وقتئذ ٣٨ ٪ . ومع أن هذه المدن تعرضت لتغير سريع فيما بعد مما جعل تقدير سكانها يرتفع إلى نحو ٤٠٠٠٠٠ نسمة في سنة ١٤٠٢هـ ونسبتهم ترتفع إلى ٢٣ ٪ ، وجعل مدنها المهمة تمثل مراكز جذب قوية من داخل المملكة وخارجها (أنظر شكل ١) إلا أنها لم تضم سوى ١٧ ٪ من مجموع سكان المنطقة لأن حركة التمدن لم تبلغ فيها بعد ما بلغت في مناطق المملكة الأخرى. ومع ذلك فإن هذه الأرقام تشير إلى تنوع دوافع حركة السكان باتجاه المدن أو منها وإلى تباين نتائج تلك الحركات.

الدوافع الجديدة لهجرة السكان من مدن جنوب غرب المملكة وإليها :-

تشهد المملكة العربية السعودية تحولاً اقتصادياً كبيراً، من مظاهره تنمية موارد الدولة ومضاعفة امكانياتها على الصرف دون أن تكلف المواطنين بأي نصيب من تلك المصروفات، وصار بإمكانها تخصيص أرصدة كبيرة تصرف على أعمال التطوير والتحديث خاصة في البنية الأساسية والانشاءات الضخمة. وقد نتج عن ذلك حدوث حركات سكانية ذات نوع وكثافة وطبيعة مختلفة لما كان يحدث في الماضي. وقد اختلفت مظاهر الحركات حسب المراحل الإنمائية في المملكة ولذا يمكن أن نفرق بين مرحلتين هما:

المرحلة الأولى :-

وقد بدأت مع بداية عهد التطور الاقتصادي الحديث للمملكة العربية السعودية منذ نحو منتصف القرن العشرين، وكان من نتيجتها حدوث هجرة شبه منتظمة من مدن وقرى إقليم جنوب غرب المملكة إلى المناطق أو المدن التي سبقت غيرها في أولوية التطور مثل الرياض وجدة ومكة المكرمة ومناطق الإنتاج الحديث كمواقع الإنتاج البترولي ومراكز التجارة. وكان



الدافع الرئيسي لتلك الهجرة، انخفاض مستوى المعيشة في المنطقة بالقياس إلى مناطق التطوير التي توسعت فيها أسواق العمل، بالإضافة إلى أسباب أخرى اجتماعية وتعليمية وغيرها. وكانت هذه الهجرة تنتقي الشباب من الذكور بين سن ١٥ - ٣٠ سنة أكثر من غيرهم في الغالب. وهذا يفسر عدة حقائق :

١ - زاد سكان هذا الإقليم خلال هذه الفترة بنسبة تقل عن معدل زيادة السكان في المملكة ففي حين بلغ معدل الزيادة السنوية في المملكة خلال الفترة من ١٩٦٢ - ١٩٧٤ م نسبة ٦١ ٪ فقد بلغت ٥٥ ٪ في إمارة عسير، ٣٧ ٪ في إمارة الباحة و ٠٨ ٪ في إمارة جيزان. وقد حدث ذلك بالرغم من ارتفاع نسبة الزيادة الطبيعية. وهذا يشير بجلاء إلى فقدان الإقليم نسبة كبيرة من سكانه بسبب توجيههم إلى مناطق التنمية.

٢ - تقهقر الانتاج الزراعي الذي يعتمد على مياه الأمطار مباشرة وذلك في المرتفعات الجبلية أو في سهول تهامة. وقد تبين ذلك من تناقص مساحة الأرض الزراعية إذ قدرت تلك المساحة في سهول جيزان في سنة ١٩٦٨ م ١١٠٠٠٠٠ دونما (سوغريا ١٩٦٩م) وقد تراجعت إلى ٤٣٨٨٠٧ دونما في سنة ١٩٧٤/٧٣ م (وزارة الزراعة ١٩٧٧م). وقد درست مساحة الأرض الزراعية في عسير والباحة في السنة الأولى ب ٩١٧٥٠٠ دونما (إيطال كونسلت ١٩٦٩م) وتراجعت إلى ٥٨٣٨٠٩ دونما (بيانات وزارة الزراعة ١٩٧٧م الواردة في الكتاب الاحصائي السنوي). فقد شاعت ظاهرة المصاطب الدامرة في سفوح الجبال واتضحت، كما زادت الأراضي البور في سهول مناطق جيزان. وقد تناقصت الحاصلات الزراعية في هذه المناطق حتى أصبحت تعتمد على الاستيراد حتى في المنتوجات التي كانت لوقت قريب، تفيض عن حاجة السكان.

٣ - تقهقر البادية وتناقص عدد وقيمة الثروة الحيوانية التي يمتلكونها واتجاه نسبة كبيرة من البدو إلى الاستقرار في المدن خاصة ، واضطرار المنطقة إلى استيراد الحيوانات والمنتوجات

الحوانية، رغم أنها أغنى مناطق المملكة بهذه الثروة، وكان الفائض من منتوجاتها يجد سبيله إلى أسواق الحجاز. ومن مظاهر تحول البدو إلى سكن المدن وجود أكواخ الصفيح (الصنادق) في المدن وحتى في بعض القرى وجوار محطات الطرق الحديثة، لاشتغالهم في بعض النشاطات الجديدة والخدمات في الموطن الجديد.

٤ - تفهقر الإقليم عامة عن مسايرة الأقاليم الأخرى في مظاهر التحديث والتي يمكن أن نتخذ لتوضيح ذلك عدة مؤشرات: (أ) بالرغم من أن نصيب الإقليم من السكان يزيد عن ٢١ ٪ من سكان المملكة، فإن نصيب الأطفال المسجلين في المرحلة الابتدائية بلغوا في سنة ١٣٩٢/١٣٩١ هـ ٢٠ ٪ من أطفال المملكة المسجلين فيها. ولم تبلغ نسبة طلاب المرحلة الاعدادية سوى ١٢ ٪ من طلاب المملكة في تلك المرحلة، وبلغت نسبة طلاب المرحلة الثانوية ٥ ٪ فقط. وقد تدهورت النسبة لدى البنات إلى ٨، ٥، ٤ ٪ من طالبات المملكة في كل مرحلة من تلك المراحل (إيلاكوارهايم ١٣٩٣). (ب) وجد أن ٤٠٠٠٠ من أصل ٣٥٠٠٠٠ عامل في هذا الإقليم كانوا يبحثون (في ١٣٩١ هـ) عن دخول إضافية وأن ٧٠٠٠٠ عامل هاجروا إلى أقاليم أخرى (إيلاكوارهايم ١٣٩٣ هـ)، (ج) بلغت نسبة الأمية لمن يزيد عن سن ٤٠ في جيزان في أواسط العقد الماضي ٦٤ - ٨٠ ٪ بين الذكور، و ١٠٠ ٪ بين الإناث (كنزوتانج واورتك ١٣٩٨ هـ).

#### المرحلة الثانية :-

وقد بدأت منذ أوائل السبعينيات (الميلادية) حينما ارتفعت واردات الدولة ارتفاعات هائلة نتيجة لتزايد استثمار النفط ومضاعفة أسعاره، إذ زادت عائدات النفط في السعودية من ١,٢١٤,٠٠٨ ألف دولار سنة ١٩٧٠ إلى ١٠٢,٠٩٥,٢٠٤ ألف دولار سنة ١٩٨١ م. وصار بإمكان الدولة تخصيص مبالغ ضخمة للصرف في الأقاليم النائية على البنية الأساسية ومشاريع التنمية، فتوجهت هذه الأرصدة أول ما توجهت إلى بناء الطرق والإنشاءات الحكومية والمرافق العامة، والخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية ومشاريع البلدية أو

---

لإنشاء المطارات والموانئ. وقد تركزت هذه المشاريع بطبيعتها في المدن ومراكز الأقاليم ثم صارت ترحف إلى المدن الأصغر بالتدريج.

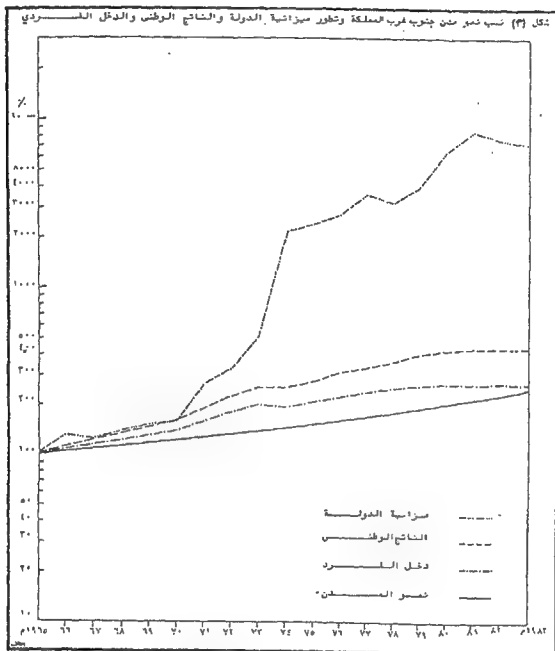
ولذلك يمكن القول أن دوافع الهجرة تعددت واختلطت ولم يعد التوازن الذي كان سائداً منذ قرون بين عدد السكان والموارد المتاحة قائماً. وقد تسبب هذا التعدد والاختلاط إلى تباين اتجاهات وأحجام حركات السكان وتعدد خصائصها والمشكلات التي تنجم عنها. ويمكن أن نجمل هذه الدوافع الجديدة فيما يلي :

١ - دوافع تتعلق بالمناطق الأخرى للمملكة. وهي في الواقع استمرار للدوافع التي ظهرت في المرحلة السابقة وكانت نتيجة لاستمرار توسع القاعدة الاقتصادية وتنوعها في البلاد، والتي اقتضت استمرار التوسع في المشاريع الانشائية وتضخم جهاز الوظائف الحكومية، وما يتبع ذلك من تطور التجارة ونهوض الخدمات التعليمية والثقافية والصحية والاجتماعية والخدمات الفردية والمهنية. وهذا يقتضي تزايد الطلب على الأيدي العاملة وتواجد أصحاب الأعمال والمصالح لاسيما في مراكز التنمية كالمدن الكبيرة، فاجتذبتها من الأقاليم النائية أو من خارج المملكة. فاستمرت مدن وريف منطقة جنوب غرب المملكة تتعرض لنزوح اعداد كبيرة من سكانها في نفس الوقت الذي بدأت تجتذب فيه أعداداً أخرى.

٢ - دوافع تتعلق بظروف مدن المنطقة حيث بدأت تتحول من مراكز صغيرة تقوم بوظيفة الأسواق الأسبوعية أو المحطات على طرق القوافل إلى مراكز جذب للقوى العاملة، لإقامة مشاريع التنمية والإنشاءات والاضطلاع بأعباء الادارة والتوجيه أو للمساهمة في توسيع الخدمات المتنامية. والشكل رقم ٢ يوضح علاقة نمو المدن بتطور الناتج الوطني وتزايد ميزانية الدولة ولكنه يتباطأ عنها.

لم يعد عدد سكان المدن ولا حجم القوى العاملة التي تتضمنها كافياً للقيام بأعباء

---



شكل (٢) نسب نمو مدن جنوب غرب المملكة وتطور ميزانية الدولة والنتائج الوطنية والدخل الفردي .



التحديث فيها فتحوّلت - شأن المدن الكبيرة - إلى بؤر لجذب المزيد من القوى العاملة. وقد جاءت من مصدرين الأول: من الريف حيث زادت هذه العوامل الرغبة لدى الأفراد لا سيما من الشباب في التوجه إلى المدن المجاورة خاصة وأن بعضها أو بعض أجزائها ذات طابع ريفي. فعملوا على تسويق بضائع ومنتجات الريف والبادية وتاجروا فيها يحتاج إليه البدو والريفيون من سلع، وقاموا بنشاط الخدمات التي تحتاج إليها تلك الفئات. وعمل بعضهم في المهن والصناعات الخفيفة أو في الوظائف التي لا تحتاج إلى تأهيل. ولذلك لم ينتج عن هذه الهجرة بطالة بمعناها الكامل ولكنها لم تلب تزايد الطلب على الأيدي العاملة في تلك المراكز.

المصدر الثاني: من المدن الأخرى أو من الخارج ذلك لأن الهجرة الريفية لا تملك قدرات وخبرات من نوع معين كالخبرات الإدارية أو خبرة العاملين في مجالات الصحة والتعليم والأعمال الفنية.

شهدت هذه المدن في المرحلة الثانية زيادة كبيرة في سكانها، ولو أن توقيت هذه الزيادة جاء متأخراً بعض السنين عن مثيلاتها في المدن الكبيرة في المملكة.

كما أن للتشريعات التي تتعلق بتنظيم القوى العاملة وخطط التنمية وتوزيع الاستثمارات والسياسات السكانية، وكذلك بعض الدوافع الترويجية والصحية والنفسية كل ذلك كان له أثر واضح في زيادة تدفق السكان إلى المدن بدرجات متفاوتة. (أنظر شكل ٣).

٣ - دوافع تتعلق بالظروف القاسية التي استمرت سائدة في الريف والبادية كمناطق طرد سكاني: كسيادة الأراضي الصخرية والتربة الفقيرة والموارد المائية الشحيحة والأمطار النادرة والأعشاب الهزيلة، وكذلك صغر الملكية الزراعية وتخلّف أساليب الانتاج في الزراعة وتربية الحيوان، وانخفاض الانتاج والانتاجية وتدنى الأجور وصعوبة التسويق وبطء عملية تطور النظم الاقتصادية الريفية، وتأخر وصول حركة التنمية وعدم توفر

وهناك العوامل الاجتماعية التي سببت عدم التوازن بين حجم الأسرة الكبيرة والموارد المادية المتاحة بحيث بلغ معدل حجم الأسرة في ريف منطقة عسير ٧,٢ فرد للأسرة الواحدة مقابل ٦,٢ فرد في كل من أبها وخميس مشيط في سنة ١٩٧٩م، (سكان بلان ١٩٨٠م)، وعدم التوازن بين الزيادة الطبيعية لسكان الريف ونسبة الأراضي الصالحة للزراعة، وبين طموحات الشباب في التقدم والرقى لعدم وجود مؤسسات التقدم في البادية والريف. كما ان لخصائص الأسرة وتركيبها والعلاقات الأسرية بين الأقارب أثر في كون الهجرة فردية وأنها تتناول الذكور دون الإناث في أغلب الأحيان.

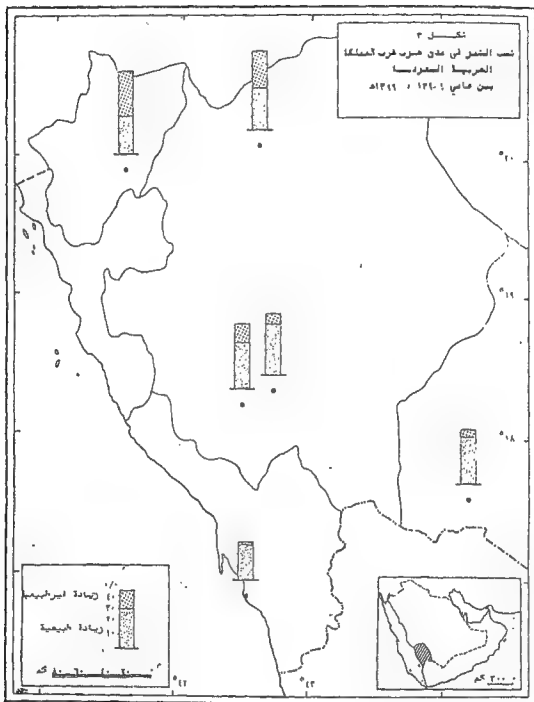
٤ - دوافع تتعلق بالوضع العام خاصة تطور النقل والمواصلات وما يتبع ذلك من سهولة الاتصال وحرية الانتقال أو الإقامة بعد العزلة الشديدة مما ساعد على مرونة الحركة والاستجابة لعوامل الجذب المتنامية وحتى من أماكن بعيدة.

لقد أدى تفاعل هذه العوامل وتباين أهميتها خلال مراحل التنمية إلى تباين كثافة حركة السكان واتجاهاتها من مدن المنطقة وإليها، وعمل على تنوع مصادر الهجرة وتوسعها. ومن الملاحظ أن الوافدين يميلون للإقامة داخل المدن. وزيادة على ذلك فإن الوافدين من الريف أو البادية يميلون للإقامة داخل الأحياء الفقيرة أو في الضواحي، وكان نزوحهم هذا سبباً في ظهور مساكن الأكواخ (الصنادق) التي صارت تشكل نسبة عالية في المدن؛ إذ بلغت نسبة سكان الأكواخ في خميس مشيط على سبيل المثال ٤٢ ٪ من مجموع سكان المدينة في سنة ١٩٧٩م (سكان بلان سويكو ١٩٧٩م)، وفي صامته ٥٠ ٪

(Serete/ CEG. 1969)

ويمكن أن نجمل مصادر واتجاهات الهجرة من وإلى مدن هذه المنطقة كما يلي :-

١ - من بادية وريف المنطقة إلى مدنها.



شكل (٣) نسب النمو في مدن جنوب غرب المملكة العربية السعودية بين عامي

١٣٩٠هـ - ١٣٩٩هـ.

- ٢ - من خارج المنطقة إلى مدنها.
- ٣ - من خارج المملكة إلى مدنها.
- ٤ - من مدن المنطقة إلى مدن أخرى وإلى خارج البلاد.
- ٥ - من مدن المنطقة إلى ريفها.

وقد اختلفت أهمية هذه الهجرات حسب دوافع كل منها وحسب مرحلة التنمية التي بلغتھا المدن التي تستقطب الهجرة. ولم تكن هذه الأهمية ثابتة مع الزمن ولو أنها مرتبطة بشكل محكم بالمرحلة الاقتصادية التي تمر بها البلاد عامة وبحجم المشاريع التي تتم بمناطق تلك المدن خاصة.

وقد أدت هذه الهجرات إلى زيادة سكان المدن على حساب سكان الريف والبادية كما أدت إلى استقطاب مهاجرين من مصادر أخرى. وقد أمكن تلخيص هذه المصادر ونسبها في خمس مدن من مدن المنطقة في الجدول التالي (الشكل ٤):

#### جدول رقم « ٢ »

نسب توزيع مصادر الهجرة إلى مدن المنطقة في سنة ١٣٩٨ هـ.

الرقم	المدينة	هجرة داخلية		هجرة خارجية	
		من المنطقة	من مناطق أخرى	من مناطق عربية	من مناطق أجنبية
١	خميس مشيط	%٤٧,٥	%١٦,٧	%٣٠,٧	%٥
٢	أبها	%٢٣	%٨	%٥٩	%٩,٥
٣	جيزان	%٥٤	%٢١	%٢١	%٤
٤	نجران	%٥٢	%٣٥	%١٢	%٢
٥	بيشة	%٤٤	%٤٠	%١٦	%٥

المصدر الذي اعتمد في وضع هذه الأرقام هو تقارير سكان بلات سريكو ١٩٧٩م.

لقد قدم نحو نصف المهاجرين الي أي مدينة (فما عدا - إلى أهما) من المنطقة المحيطة بها أي من ريفها، وذلك للقيام بأعمال كثيرة لا تحتاج إلى خبرة، أو لانتفاع ببعض النشاطات التي لا تتوفر في الريف كالطبابة والتعليم، مما أدى إلى تناقص عدد الريفيين والبدو في كثير من أنحاء المنطقة خلال المرحلة الثانية أيضاً. أما مدينة أهما فقد مثلت المركز الإداري الرئيسي فشهدت قيام كثير من المشاريع، فاستقطبت مهاجرين تتوفر فيهم مواصفات خاصة يندر توفرها في الريف، فارتفعت نسبة الوافدين من البلاد العربية والأجنبية إلى أكثر من مثلي النسبة في المدن الأخرى لكل من المصدرين (أنظر شكل ٤). ويلاحظ أن مدينة خميس مشيط تلي أهما في هذه الصنفات، وهي أكبر مدينة في المنطقة وتبعد عن أهما نحو ٣٠ كم في اتجاه الشرق.

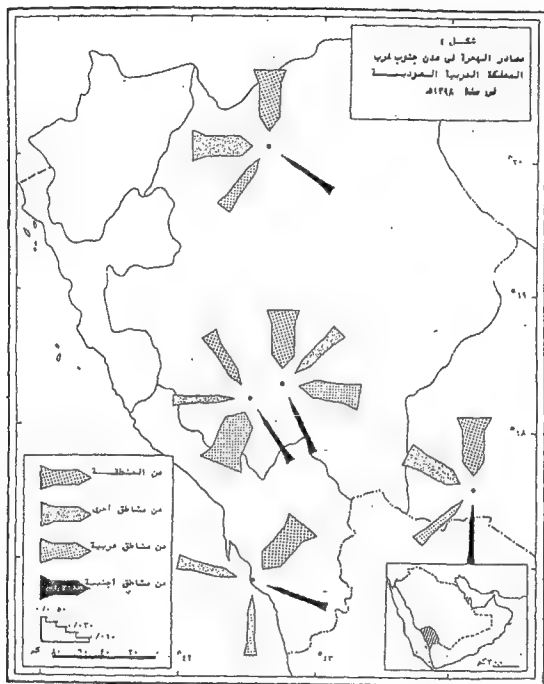
ومن ناحية أخرى فقد استقطبت هذه المدن نحو خمس مهاجرين من مناطق المملكة الأخرى، وهي في الغالب من المدن الكبيرة، وذلك للاسهام في بعض الأعمال الإدارية أو التعليمية أو الدفاع أو التجارة أو أعمال الانشاءات.

#### الآثار الناتجة عن الهجرة :-

يمكن اجمال المشكلات أو الآثار الناتجة عن الهجرة من مدن جنوب غرب المملكة وإليها في النقاط التالية :

١ - أدت هجرة البدو والريفيين للمدن إلى نقص في القوى البشرية العاملة في قطاع تربية الحيوان والزراعة، ومن نتائج ذلك ضعف مستوى استغلال الأرض بسبب نقص عنصر الشباب بين العاملين والاعتماد على الشيوخ والأطفال والنساء، وكذلك ارتفاع أجور العمال الزراعيين بقدر لا يتناسب مع الانتاجية، وبالتالي ترك كثير من المساحات الزراعية دون استثمار ومن مظاهرها المصاطب الدامرة على السفوح وبالقرب من القرى الزراعية.

٢ - ان نقص القوى العاملة في القطاع الزراعي اضطر بعض أصحاب الأراضي إلى استخدام عمال زراعيين بالأجرة. وقد أدى ذلك - نظراً لارتفاع الأجور - إلى رفع نسبة



شكل (٤) مصادر الهجرة في مدن جنوب غرب المملكة العربية السعودية في سنة ١٣٩٨هـ .

الطلب على الأيدي العاملة الأجنبية كما أدى إلى زيادة تكاليف الانتاج وإلى نقص في الأرباح الصافية من الحاصلات الزراعية.

٣ - أدى استمرار تدفق هجرة الريف والبادية إلى تغير نسب الأنماط الاجتماعية في إمارات الإقليم، وكان التغير باستمرار في صالح سكان المدن. فمن الدراسات العديدة عن المنطقة يمكن استنتاج أن النسب المثوية لهذه الأنماط تغيرت على النحو التالي :

السنة	سكان المدن	الريفيون	البدو
١٣٨٢ هـ	٪ ١٥	٪ ٦٠	٪ ٢٥
١٣٩٢ هـ	٪ ١٧,٥	٪ ٥٨	٪ ٢٤,٥
١٤٠٢ هـ	٪ ٢٤	٪ ٥٦	٪ ٢٠

٤ - ان تزايد ارتفاع مستوى المعيشة في المدن وزيادة قوى الجذب لعنصر الأيدي العاملة أدى إلى وجود تباين في مستوى الأجور في تلك المدن، كما أدى إلى وجود تفاوت في دخل الفئات العاملة في مختلف فروع الانتاج والخدمات.

٥ - أثار الانتقال السريع إلى المدن كثيراً من المشكلات التي لم تستطع المشاريع الحكومية أو الأهلية مقابلتها بما تستحق من حلول سريعة، لقصور أجهزة التخطيط والتنفيذ عن متابعة التطور السريع في تلك المدن، وأن من أبرز المشكلات التي ترتبت على غزو المدن السريع، مشكلات الاسكان والمواصلات والصحة العامة والتعليم ودور الرعاية الاجتماعية وحوادث المرور والحدائق العامة ومؤسسات الخدمة، وعدم التوافق فيما بين توفر الخدمات ودرجة الحاجة إليها. وقد أدى عدم التوافق هذا إلى ظهور البطالة المقنعة في بعض من الأحيان.

٦ - أدى تدفق الهجرة الريفية إلى زيادة العناية بالمدن على حساب تطور الريف والبادية وعدم العناية بسكانها وإهمال مصالحهما، مما أدى إلى تفاقم ضعف الإنتاج الزراعي، وتدهور الثروة الحيوانية، فازدادت الهوة الثقافية والاجتماعية بين سكان المدن والريف. ووجود مثل هذه الهوة له آثار سلبية على المجتمع.

٧ - ومن ناحية أخرى فإن خصائص المهاجرين من حيث الجنس والسن والمستوى التعليمي والمهني والحالة الاجتماعية تؤثر في المدينة تأثيراً تزايد أبعاده بازدياد نسبة الهجرة، وينتج عنها اختلاف استجابة الجماعات والأفراد في المدن للتطور الحديث ومستوى التعامل ووسائل التكنولوجيا. وهذا يعمق الفوارق بينهم وهم داخل المدينة الواحدة.

تستفيد البلاد من تدفق الوافدين لأنها بحاجة إليهم وإلى خبراتهم لاستغلال الموارد وللمساهمة في مشاريع التنمية، لأنهم يحملون معهم علومهم وأفكارهم وخبراتهم وتقاليدهم. ومع ذلك قد يصعب على هؤلاء التكيف بسرعة مع البيئة الاجتماعية الجديدة. ولذا فإن شعورهم بعدم الانتفاء وبأن وجودهم مؤقت، وضعف شعورهم بالمواطنة يخفض من طاقاتهم على العطاء وينقص قدر الاستفادة منهم.

### التخطيط لمواجهة مشكلات الهجرة :-

يهتم الجغرافيون غالباً بالإجابة على التساؤل عن أنواع هجرة السكان واتجاهاتها وذلك للوصول إلى وضع حلول للمشكلات الناتجة عنها. ولا تقتصر هذه الحلول على البرامج والمشروعات والإجراءات العلاجية الآنية، بل تشمل المشروعات الوقائية البعيدة المدى على المستويين المحلي والقومي. وهي جزء من التنمية التي تعتبر من المسائل الوطنية التي تشترك فيها الأجهزة العلمية والتكنولوجية والمؤسسات الحكومية والأهلية وحتى الدولية.

ان الهجرة هي سلوك بشري ينتج عن مجموعة قرارات معقدة عقلانية، وغير عقلانية،



واعية وغير واعية متأنية ومندفعة. ولذلك يجب أن تكون دراستها ضمن تحليل عمليات التطور والتحديث العامة. وأن ضبطها وترشيدها يجب أن يكون ضمن عملية إعادة بناء المكان الجغرافي (Reissman 1967)، فمن أهم الواجبات الآتية تدارك حالة الهجرة الريفية إلى المدن وذلك بإصلاح أحوال الريف والبادية والنهوض بمستوى سكانها.

لقد أدى تحسن المواصلات إلى إزالة العزلة عن الريف القريب وزاد الاهتمام به، مما سبب ظهور «رحلة العمل» اليومية بحيث سكن الريف من يعملون في المدن، كما سبب وجود هجرة معاكسة إلى حد ما، إلا أن هذا الاهتمام وتلك الهجرة المعاكسة لم يوصلا إلى المستوى الذي يعيد التوازن بين سكان الجانبين. وهذا يتطلب إيجاد تخطيط اقليمي شامل ينظر إلى كل من الريف والمدن كأجزاء في كل واحد يكمل أحدهما الآخر.

وهذا يقتضي وضع استراتيجية بعيدة المدى تضمن إعادة توازن السكان وتحد من حركة الهجرة، وذلك بتنمية العنصر البشري بتوسيع شبكة المدارس للجنسين، وفتح ونشر المعاهد الزراعية والمهنية والتجارية والصحية والفنية والمعاهد النسوية لتهيئة الخريجين للعمل في الخدمات التي تتطلب مهارات معينة، وتعمل على إعادة توزيع المشاريع الاثمانية، بحيث تغطي المدن والقرى مهما كان حجمها، ابتداء من توصيل شبكات الطرق إلى جميع المراكز البشرية، وكذلك شبكات الماء والكهرباء وإقامة المشاريع الزراعية والحيوانية والمشاريع المائية للري ولتزويد القرى والمدن بمياه الشرب حسب وبقدر الحاجة. وتعمل على تشجيع الصناعة وتوزيعها خاصة تلك المتعلقة بالاقتصاد المحلي ك معالجة المنتجات الزراعية أو الحيوانية والأملاح وتعليب الأسماك وصناعة الاسمنت والجير والصناعات الخفيفة، وأخيراً تعمل على نشر الخدمات بمختلف أنواعها ومستوياتها في أنحاء المنطقة حسب الحاجة إليها.



## الهوامش :

- (١) ومن أمثلتها: المستشار ايلكو هولندا (١٩٧٣م)، وفريق المستشار الياباني كنزوتاج وأورنك (١٩٧٥م). والمستشار سيريت سي ي ج (١٩٧٩م)، والمستشار سكان بلان سويكو (١٩٨٠م)، والاستشاري فيلانكو وأحمد حجار (١٩٨٤م).
- (٢) نسر نظرية «التوس حدوث التوازن في الماضي بين أعداد الناس والموارد المتاحة لهم، أي ببطء تزايد السكان عما تقتضيه الحسابات النظرية بكثرة الوفيات بسبب التوابط الطبيعية والأوبئة والحروب والهجرة.
- (٣) تضم الباحة مدينتي الباحة والظفير وإحدى وثلاثين قرية مجاورة.



## مراجع البحث

### ١ - المراجع العربية: -

- ١ - ايلكو ارنهايم هولندا (١٣٩٣هـ)؛ خطة التنمية الاقتصادية الاجتماعية للمنطقة الجنوبية الغربية بالمملكة ١٣٩٤/٩٣ - ١٤٠٠/٩٩ هـ .
- ٢ - حسن حمزة حجرة (١٣٩٣هـ)؛ امكانية التنمية الزراعية في المملكة العربية السعودية، مطابع المطوع بالدمام.
- ٣ - سكان بلان سويكو (١٩٧٩م)؛ مشروع رقم ٢٠٦، المخططات الرئيسية التنفيذية لمنطقة أبها، التقرير الفني من رقم ١ إلى ٩.
- ٤ - سيريت - المجموعة الاستشارية الهندسية (١٤٠٠هـ). مشروع رقم ٢٠٧ تخطيط وتنمية منطقة جيزان.

- ٥ - عبد الباسط اخْطِيب (١٩٧٤م)، سبع سنابل خضر (١٩٦٥ - ١٩٧٢). الرياض.
- ٦ - عبد الرحمن الشريف (١٩٨٤م)؛ جغرافية المملكة العربية السعودية الجزء الثاني - دار المريخ بالرياض.
- ٧ - عبد الاله أبو عياش واسحاق القطب (١٩٨٠م)؛ الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية، وكالة المطبوعات. الكويت.
- ٨ - فنبلانكو، أحمد الحجار (١٤٠٤هـ)؛ مشروع رقم ٢١٢، منطقة الباحة، مخطط التنمية الشامل، تقرير رقم ١، ٢، ٣، ٤، ٥.
- ٩ - كنز وتانج واورتلك (١٣٩٦هـ). مشروع دراسة تخطيط المنطقة الجنوبية. التقييم الأولي للوضع الحالي، نجران.
- ١٠ - كنز وتانج واورتلك (١٣٩٦هـ)؛ مشروع دراسة تخطيط المنطقة الجنوبية، الوضع الراهن المجلد ١، ٢ المنطقة الجنوبية؛ جيزان.
- ١١ - مؤسسة النقد العربي السعودي (١٩٨٣م)؛ التقرير السنوي لعام ١٤٠٢ (١٩٨٢م).
- ١٢ - وزارة البترول والثروة المعدنية؛ الادارة الاقتصادية؛ النشرة الاحصائية البترولية. أعداد دورية - آخرها العدد (١٣) سنة ١٩٨٢.
- ١٣ - وزارة التخطيط بالمملكة العربية السعودية؛ خطة التنمية الأولى (١٣٩٠ - ١٣٩٥هـ) خطة التنمية الثانية (١٣٩٦ - ١٤٠٠هـ)، خطة التنمية الثالثة (١٤٠٤١ - ١٤٠٥هـ).
- ١٤ - وزارة الزراعة والمياه، ادارة الدراسات الاقتصادية والاحصاء؛ نشرة الاحصاءات الزراعية الجارية (بالعينه)، لعام ١٩٨١/٨٠م.
- ١٥ - وزارة المالية والاقتصاد الوطني، مصلحة الاحصاءات العامة. الكتب الاحصائية السنوية حتى العدد ١٨ سنة ١٤٠٢هـ.
- ١٦ - وزارة المالية والاقتصاد الوطني، مصلحة الاحصاءات العامة. التعداد العام للسكان لعام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م). البيانات التفصيلية.

---

## ب - المراجع الأجنبية :-

- 1 - Italconsult (1969); Agricultural and Water Resources. Final Report. Agricultural Development Service for area II and III. Rome.
- 2 - Kenzo Tange & URTEC (1396H); Southern Region, Preliminary Master Plan.
- 3 - Leszek A. Kosinsk, R. Mansell Prothero (1975); People on the Move. Methuen and Co. Ltd., London.
- 4 - Ministry of Agricultural and Water (K.S.A.); Hydrology Division; Hydrological Information. 90 Issues till 1983.
- 5 - Reismann, L. (1967); The Metrics of Migration, pac. Viewp 8.211 - 212.
- 6 - Serete / CEG. (1979); Planning and Development of Jizan Region, project No. 207. (Several Reports).
- 7 - Socio Economic Survey of Sogreah (Consulting Engineers) (1969); Water and Agricultural Development Studies, Area IV. (Several Reports).





# الأدب العامي ومحاو الاهتمام به

د. مرزوق بن صنيان بن تيبك

منذ خمس سنوات ظهرت موجة من التوجه إلى اللغة العامية والاهتمام بأدبها وفنها وجمال تعابيرها، واتخذت هذه الموجة الصحافة المحلية ميداناً، طرح فيه الكثير من الكتاب والأدباء والمتأدين آراء حول انتشار العامية في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وتحدث كتاب الأدب الشعبي عن قيمة هذا الأدب وعن أهميته الفنية والتاريخية ودافعوا عن وجوده واستمراره معتمدين على نقاط تكوّن بجمل المحاور التي ردها عشاق الأدب العامي. ولأن قضية الاهتمام بالشعر العامي سيكون من نتائجها اهتمام بلغته العامية التي ينظم بها، ولأن ذلك لا محالة سيقود إلى الابتعاد عن الفصحى وأدبها وفكرها بما يمكن أن يصرف أنظار الناس إلى ما تجود به قرائع شعراء العامية. وأمام هذا الاحتمال قام محبو العامية بالدفاع عن وجهة نظرهم وردّوا على القائلين بخطر الأدب العامي على موروث الأمة الحضاري وثقافتها الفصحى. وجعلوا قضية الاهتمام بالعامية قضية قومية فخلعوا عليها الكثير من الوظائف التي لا تتحقق إلا للفصحى، وذكروا في سبيل دفاعهم عدداً من الأمور التي تستحق الدراسة لما لها من صلة بمسار الأدب العربي، ولما لها من آثار ونتائج لا يحسن السكوت عنها لما تحمل من مغالطات يجب توضيحها وبيان وجه الخطأ فيها.

وفي هذه الدراسة تتبع لآراء مشجعي الأدب العامي ومحاولة لجمع المقالات والدراسات التي طرقت الأدب الشعبي وتحدثت عن خصائصه ومزاياه واستعراض لمقدمات دواوين الشعر العامي التي زخرت بالثناء والتمجيد لأدب العامية، ومن خلال ذلك تبين أن الباحثين في

الأدب العامي يجمعون على عدد من الركائز جعلوها مبرراً لاهتمامهم بالعامية.

وقد كانت آراؤهم تدور على ثوب مرتكزات هي محور تبرير الاهتمام بهذا النوع من الأدب، استخلصت في هذا البحث من كم كبير من الكتابات لعدد كبير من الكتاب، وطرح في مصادر مختلفة من وسائل النشر.

وسوف يشار باختصار بعد كل ركيزة إلى عدد من المصادر ويترك استقصاء الإشارات التي تكررت في مناسبات مختلفة لكثرتها وتكرار معناها لأن إيرادها سيؤدي إلى تكرار عدد من المصادر والأقوال عند أكثر من كاتب.

ورغم وفرة المادة التي جمعت حول هذا الموضوع إلا أن الباحث رأي الاختصار، وجعل معالجة كل ركيزة رصدًا للآراء حولها قائماً على الاستقراء الكامل للثبوت من صدق الدعوى التي يدلي بها أنصار العامية أو عدم صدقها.

#### الركيزة الأولى :

نتقل بعد هذا العرض المختصر إلى مناقشة الركائز التي أوجلتنا الحديث عنها، ونبدأ بالركيزة الأولى التي جمعت الآراء الدارجة التي تطرح في وسائل الإعلام، وهي لماذا يقف الناس ضد الأدب العامي أو الشعبي، ولماذا لا يرحب الجميع به؟<sup>(١)</sup>.

بدأت هذه الآراء بالسؤال لماذا يقف الناس ضد الفكر العامي وصرحت فئة منهم بأنها لاتعرف السبب الذي يجعل الناس يقفون ضده ؟ وهي بسؤالها صادقة كل الصدق ؛ فهي لاتعرف السبب الذي جعل الناس يقفون ضد منهج الطرح الفكري للعامية في الوقت الحاضر. وهي لاتدرك وليس في قدرة بعضهم العلمية مايؤهلهم لمعرفة السبب الذي جعل الناس لا يرحبون بالعامية وثقافتها وأدبها. ومن حق هذه الفئة أن تجاب وتبسط لها الإجابة، حتى تستطيع إدراك معرفة السبب الذي يجعل الناس يعترضون على نشر الأفكار العامية في هذا الوقت في وسط الجزيرة وأطرافها. ومن حقهم أيضاً أن يخاطبوا بما يستطيعون فهمه عقلاً إذا كان ليس لهم حظ من العلم يدركون به هذا الاعتراض.

فالاعتراض على الفكر العامي والوقوف ضده لم يكن بدون مبررات لها وجاهايتها، لاسيما

إذا قبلنا ما يقرره مؤرخو الأدب العامي من أن العامية وأدبها كانا موجودين في الجزيرة منذ خمسة قرون<sup>(٢)</sup>، ولم يقف ضدهما أحد خلال تلك الفترة الطويلة التي عاشها مع الفصحى، ولا يستطيع المتسائلون أن يأتوا باسم واحد وقف ضد العامية في الجزيرة خلال الزمن الذي حددوه. أما اليوم فقد كثرت المعارضون لها، وكثر الذين يرون فيها خطراً على ثقافة الأمة الأصيلة، مما جعل رواد العامية والمعجبين بها يستكرون هذا الموقف. لكن ما السبب في الاعتراض على الأدب والفكر العاميين في هذا الوقت ولم يظهر في السابق؟ السبب هو ما جدد من جديد على منهج الطرح الفكري الذي غيّر وضع الأدب العامي، ونقله من طبيعته التي كانت له منذ كان في الجزيرة إلى وضع آخر وطبيعة أخرى لم تكن له من قبل. وهذا الجديد نُثِّل في محاولة قوية تهدف إلى استغلاله وتوظيفه فكراً مبرمجاً ومنهجاً متبعاً يرقى به إلى مستوى الاستعمال العام، ويفرضه ويفرض لغته وفكره على الأمة التي لاتنقر ثقافة غير الثقافة العربية ولا تعترف بفكر غير فكر الإسلام.

فاعترض الناس على الوظيفة التي أصبحت تناط به وأصبح يؤديها، وهي غير وظيفته الأصلية الأولى التي كانت له، فوظيفته الأولى هي أنه يحتل حيزاً في حياة الناس ويؤدي أغراضاً لاتؤدي بغيره ولم يكن يحمل فكراً وآراء تناقض الأسس الفكرية لتراث الأمة الأصل، وليس فيه مدخل لأهواء خارجية. والذين يتعاملون مع الأدب العامي في الماضي هم العاميون أنفسهم الذين لا يحسنون غير العامية ولا يعرفون أدباً سواها، حين كانت سبل التعليم محدودة وضرورة استعمال العامية قائمة، وللضرورة أحكامها.

أما اليوم فقد حل الأدب العامي فكراً، وبدأ العمل على نشر العامية، ودعا إلى الاهتمام بها وبأدبها علماء ومثقفون على جميع المستويات وهؤلاء لم تعد العامية ضرورة دافعة لهم لكي يختاروها طريقة تعبير. وهم لا يرضون أن يوصفوا بالعامية والأمية وأراؤهم التي تتدافع عن العامية آراء تحمل فكراً وتدعو إلى سبيل غير السبيل الذي تهيأت واستقرت عليه ثقافة أمة عمرها ألف وخمسمائة عام.

والكلام هنا لا يعني الشعراء المبدعين للشعر العامي، فهؤلاء حتى اليوم لا يحمل شعرهم أفكاراً ضارة، إنما يعني منظري الأدب العامي. والذين يقفون ضد الفكر العامي يعرفون أن

الاهتمام بالفكر الشعبي ضاري لا أصل له. ولديهم من علمهم واستقراهم وخبراتهم مبررات تجعل وقوفهم في أغلب الأحوال قائماً على أسس متينة، من معرفة خلفية الاهتمام بالتراث العامي، ومصادر هذه الخلفية وملابساتها والدوافع الأولى إليها. وهم يعلمون أيضاً أن استمرارها وإن لم تكن بواعثه هنا هي نفسها الدوافع الأولى التي كانت وراء بعثه في مصر وإنشأه. فهي ستؤدي في النهاية إلى النتائج التي تطلع الاستعمار إليها عندما أعلن مناصرته لحركة العامية<sup>(٣)</sup>. والمعارضون عليه يقرؤون مضامين الفكر العامي ويعرفون نقاط الارتكاز فيه ويلمسون الطرح المنظم والبعد به عن العنوية والانطلاق البريء الذي كان له فيما مضى حين لم يعترض أحد عليه.

### الركيزة الثانية :

يتحدث المحذون للفكر العامي ويدعون أن هناك أشياء شعبية محلية لا يمكن أداؤها باللغة العربية الفصحى، وليس في استطاعة عامة الناس الحديث بالفصحى بين عشية وضحاها. وأن نسبة المتعلمين من أبناء الأمة نسبة منخفضة<sup>(٤)</sup> وغير ذلك من الآراء والمبررات التي تثار في سبيل الدفاع عن مواقف وآراء بحبي العامية، وقد غطت الساحة الأدبية منذ خمس سنوات موجة من التبرير لاستعمال العامية تركز كلها على مثل هذه الآراء اللينة الضعيفة.

والرد على الآراء والدعاوى السابقة يحتاج إلى قراءة كل المصادر أو أغلبها التي تناولت قضية العامية منذ بدايتها في مصر حتى وقتنا الحاضر. ورغم أن ذلك فوق طاقة الفرد المحدودة ووقته الذي يشغله كثير من الاهتمامات الأخرى. إلا أن ذلك أيضاً لا يمنع من بذل الجهد وتتبّع الآراء. وقد قرأت ما استطعت الوصول إليه من الكتب والمصادر التي كتبت عن العامية أو أرخت لها. وتلك التي عارضتها وتصدت لها. وألمت بآراء الطرفين حول القضية، ورجعت إلى الكثير من المجلات والصحف والدوريات التي أشارت إليها المصادر والكتب ونقلت عنها لا في الجزيرة العربية فحسب بل في كل أجزاء الوطن العربي الكبير، الذي تعرض لخوض معركة الفصحى والعامية منذ قرن من الزمان. ولم أجد رأياً واحداً لا في صحيفة يومية ولا في مجلة ولا في دورية معروفة ولا في كتاب منشور، يقول بأنه يجب على الأمة العربية أن تتكلم باللغة العربية الفصحى في كل الحالات وأن تحول الحديث إلى الفصحى بين عشية وضحاها، وأن كل فرد فيها يجب ألا يخاطب زوجته وطفله إلا طبقاً لقواعد النحو العربي، ولا سمعت أن



هناك رأياً واحداً يقول إن الرقص والأكلات الشعبية والأغاني وصوت الطبل كل ذلك يجب أن يكون باللغة العربية الفصحى . حسبما ادعت الآراء الكثيرة التي أدلى بها المدافعون عن الفكر والثقافة العامية ونشرنا نماذج منها وأعرضنا عن الكثير.

وهذا ما يجعل المتتبع لأرائهم يتهم الاتجاه إلى العامية بأنه اتجاه فكري يثير قضايا لا وجود لها ويفترض افتراضات ويبنى على هذه القضايا والافتراضات وجهات نظر ثم يأخذ يدافع عن فرضياته ووجهات نظره وكأن الطرف الآخر هو صاحب هذه الآراء والفرضيات . والهدف من ذلك هو تضليل القراء والمتابعين وإيهامهم أن هناك من الناس من يطلب مثل تلك المطالب التعجيزية . لكي يكسب منظرو الفكر العامي تعاطف الرأي العام ويبرروا دفاعهم عن وجود العامية وانتشارها، مدعين أن هناك من يريد أن يفرض على الأميين الحديث بالفصحى وأن هناك من يطالب بتحويل «السامري» و«العرضة النجدية» إلى قصيدة عروضية<sup>(٥)</sup> . وقد عجزت رغم تنبعي لما دار حول قضية العامية في الجزيرة والخليج واهتمامي بما كتب عنها عن العثور على أي شيء يدل على أن هناك من دعا إلى إلغاء العامية الدارجة وفرض إحلال اللغة الفصحى محلها حتى وإن كانت هذه الدعوة مشروعة . فليس هناك من قال بوجوبها . وإذا كانت جهودي محدودة وإطلاعي ضيقاً فأني أطلب من الذين يدعون أن هناك من يطالبهم بهذه الأمور إرشادي إلى مصادرهم التي نقلوا عنها حتى تقوم الحجة على تطرف أنصار الفصحى وبعدهم عن الواقع الذي يعيشه الناس إذا طالبوا بذلك.

### الركيزة الثالثة :

أما الركيزة الثالثة فتقوم على ادعاء مفاده أن التراث الشعبي هو الذي يحدد هويتنا ويميز شخصيتنا، وإن لم نحافظ عليه فسنتحتاج إلى تقليد غريبنا . وأن أجدادنا وتاريخنا هو ما يحفظه لنا العامي وإن فيه جذورنا ومنابع أصالتنا<sup>(٦)</sup>.

وأزعم أنني تابعت بحرص شديد أكثر ما نشر عن العامية منذ ثلاث سنوات في الصحف ووجه خاص في صحافتنا المحلية وأكد أجزم أنه لم يخل حديث ينشر أو يذاع أو مقال يكتب إلا ويشير إلى معنى من هذه المعاني التي أجملت في الفقرة السابقة، ويكاد يجمع الناس الذين يدافعون عن العامية عليها رغم اختلاف مستوياتهم العلمية وتباين وجهات نظرهم . وقد

حاولت افتراض عدد من الأسباب جعلت الناس يجمعون على أن الأمة العربية في الجزيرة خاصة تتميز شخصيتها في العُمية وتكمن أبعادها وتاريخها بما يحفظ لها العامي من نفث الأُجبار منذ قرنين فوجدت أنه قد يكون من هذه الأسباب.

أولاً : عدم الدقة في استعمال كلمة «جذور»، وعدم فهم المدلول اللغوي لاصطلاح «منبع الثقافة» عند إطلاقها على الفكر العامي والثقافة العامة. وعدم التفريق بين معاني كلمات «المنبع» و«الرافد» و«الاضافة». واحتمال أن بعضهم يريد أن يقول إن التراث الشعبي رافد من روافد المعرفة. أو ماشابه ذلك، فخانتهم الدقة في التعبير عما يريدون، أو أنهم لا يعرفون الفرق بين المنبع والرافد فوقعوا في خطأ غير مقصود قادهم إليه جهلهم بهذه الكلمات.

ثانياً : اندماجهم بالحس العامي وتأثرهم تأثراً قوياً بتميز عامية وسط الجزيرة أو بعض أجزائها عن بقية العاميات في الوطن العربي كله.

ثالثاً : تأثير الماضي القريب أي منذ قرنين على حياة الناس وماجد فيه من تكوينات سياسية واجتماعية كادت تقطع الصلة بين حاضر الجزيرة وماضيها وتضع لها تاريخاً لا ينطلق من تاريخها العربي والإسلامي ولا يعتمد عليه.

رابعاً : جهل بعض أصحاب هذه الآراء بالدور التاريخي المستمر للعرب منذ الجاهلية إلى عصرنا الحاضر الذي لم يتحول ولم ينقطع وإن ضعف في بعض القرون وتذبذب في قرون أخرى.

خامساً : وربما كان قولهم ذلك أيضاً من قبيل التعميم الذي لا يقصد معناه، وإنما أمله الرغبة في الدفاع عن الموقف الذي يلتزم به المحبون للعامية.

كل ذلك تردد في نفسي وجال في تفكيري وأنا أقرأ أحكامهم وآراءهم، وكان من الممكن التماس الأعذار لهم لولا أن بعض من أدلى بدلوه وأطلق هذه العبارات لا يلمس لثله عذر، ولا يمكن أن يُعدَّ ممن يلقي الكلام جزافاً؛ لأن مركزه السياسي يفرض عليه التأني والدقة بما يقول ولأن موقعه الوظيفي يجعله ملماً بتاريخ الأمة الإسلامية العربية، ويعرف منابع الأصالة وجذور ثقافة الأمة التي انحدر هو منها، ولأن الرجل يلقي كلمة رسمية معدة سلفاً ومكتوبة لتلقى في مؤتمر يحضره بعض العلماء والأدباء وأساتذة الجامعات ورجال الفكر والأدب، وقد

خاطبهم بقوله :

(إن الحرص على رعاية التراث الشعبي لهذه المنطقة هو جزء من اهتمامنا الشامل بالفولكلور العربي، ومن رغبة أكيدة في البحث عن منابع أصالتنا والتعرف إلى جوانب إبداعات أجدادنا لدراستها وتحليلها ذخيرة لأجيالنا المقبلة، وقال إن هذا واجب وطني قومي تضطلع به النخبة المثقفة من أبنائنا الذين يعايشون التطور الاجتماعي والاقتصادي لعالمنا العربي ويحدوهم شعور أصيل في التثبث بالجذور الثقافية لأمتهم<sup>(٧)</sup>).

إذا كان هذا الحديث منسوباً لوزير إعلام عربي يعيش في الجزيرة العربية ويتحدث إلى العرب سكان الجزيرة العربية. فكيف يعلل تردده لهذه الجمل الخطيرة في معناها ومدلولها وماتلقه في روع الشباب من معاني وماتخلفه من آثار. وكيف يفترض أن هذا الوزير لا يميز ولا يفرق بين منابع أصالة أمته وجذورها الثقافية وبين ما جدّ في حياتها منذ مئة عام أو تزيد قليلاً. هل يساء الظن به ويقال إنه يعني مايقول، ويريد أن تكون جذورنا الثقافية و منابع أصالتنا وإبداعات أجدادنا هي ما حفظه لنا التراث العامي الذي يتحدث عنه في مؤتمره الشعبي ؟ أم أنه لا يفرق بين المنبع والأصل، وبين الحواشي والأطراف ؟ إنه ليس من السهل إتهامه هو وأمثاله بأنهم يريدون قطع صلتنا بماضي الأمة العربي ثم العربي الإسلامي الذي أشرق منذ خمسة عشر قرناً وسال من منابعه مع البعثة النبوية ليروي أرض الجزيرة والعالم، ثم أغدق واخضرّ في دولة بني أمية وآت ثماره الفكرية والثقافية في القرنين الثاني والثالث الهجريين وهضم ثقافات العالم القديم وحضاراته في القرنين الرابع والخامس حين أصبحت ثقافته عربية إسلامية يمدّها النبع الأصيل من القرآن وجذور التاريخ المشرق - واستمر في كل العصور ينقل القوة معه للعرب وغير العرب من المسلمين. وعندما تصرمت قوته قبل قرنين من الزمان نشأت على ركام تصرمه عامية ركيكة مبتذلة لا تعبر عن فكر ولا تمثل ديناً ولا تستوعب حضارة ولا تعتمد على تاريخ إلا تاريخ الفرقة والتناحر والمعارك العشائرية، وإذا شئنا أن نلتئم له عذراً ولكلامه محملاً حسناً فالاختلال الوحيد هو أنه قد وقع تحت تأثير الاتجاه العام إلى الفكر العامي فقال ما قال، وهو لا يعني مدلول هذه الجمل التي يرددها. وإنما انساق مع الشعور الذي يحسه بتميز عادات مجتمعه، وانفعل بمن حوله فقال ذلك ونسى أن يتذكر التاريخ، وأن يتمثل المعنى المحدد للجذور والأصالة والنبع، وانطلق يقول ماكتب له مروجو العامية من كلام

لايحتمل معنى ولا ينطق عن حقيقة ولايقول حقاً. وقد وجد أعداء الأمة العربية في اللغة العامية ضالّتهم عندما لقنوا أبناءها بأن فيها جذورهم الثقافية ومنع أصالتهم، وتميز شخصيتهم. وليس في العامية شيء يجعل هذا المكان في النفوس، وليس هناك جذور أو إنتماء غير الإنتماء إلى حضارة الأمة العربية منذ بداية عهدها الأول في الجزيرة حتى نزل القرآن الكريم بها. فكانت الأصالة وكانت الجذور وكان المنبع الخالد الذي تعجز العامية ويعجز العاميون عن زحزحته عن مكانه مهما أعجبوا بغيره من أنواع الثقافات والأفكار ولا بد من تبديد سحابة الاعجاب بأرائهم وأفكارهم وبيان وجه الحق، وخطأ مايرددون من أقوال جوفاء.

والرد على هؤلاء مهما كانت مقاصدهم هو رد واحد، وهو تعليمهم منبع الأصالة وجذور الثقافة والانتماء الكامل للمنبع الأول الذي وجد في دين الإسلام وفي القرآن وفي تاريخ الدولة العربية الإسلامية.

ولا يمكن أن نفترض أن المرددین لهذه العبارات قد اقتنعوا بأهمية الانتقال إلى العامية واتخاذها منبعاً جديداً وأصالة جديدة مالم نفترض أن الفكر الأصيل قد أعجزهم فبحثوا عن فكر وثقافة ضعيفة في مستوى قدرتهم وضعفهم حتى يستطيع الضعاف من البشر التعامل مع فكر وثقافة مثلهم في الضعف لاتعجزهم بضخامة موروثها الحضاري وفكرها الراقى الذي ربا وارتفع خلال القرون وأصبح مروجو العامية لا يستطيعون التعامل معه أو تسلق سموته وارتفاعه.

إن اطلاق منبع الأصالة والجذور التاريخية على أي حقبة من حقب التاريخ بعد القرن الأول للإسلام اطلاق لا يقره عربي صادق العروبة ولايعترف به مسلم صحيح الإيمان والإسلام. ولايقول به أحد ولا يقصد معناه الحقيقي إلا من كان يريد بأمة محمد ﷺ شراً وبالعرب عامة ارتداداً وانتكاساً.

ولا نستطيع ونحن نواجه هذا المفهوم والقول الخاطيء إلا أن نحمل مقاصد أبناء أمتنا الذين ينزلقون إلى هذا التعبير الخطير والفكر المضطرب على الغفلة وعدم الإدراك وعدم التنبيه لمقاصد الكلمات التي يتورط بها من لايعرف دلالة الألفاظ.

### الركيزة الرابعة :

الركيزة الرابعة من ركائز تفكيرهم تقول :

إن اللغة العربية التي نخاف عليها من طغيان العامة محفوظة في القرآن الكريم ولا خوف عليها، وقد تكفل بحفظها القرآن وإن لغة القرآن الكريم قد تكفل الخالق بصيانتها وحفظها بقوله تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».

واللغة العربية الفصحى باقية لم تشبها أية شائبة وقد ضمن الله لها الحفاظ من الضياع<sup>(٨)</sup>.

### فقه بُرد :

هذه الأقوال التي يرددها الطييون من محبي العامة فيما يكتبون ويذيعون على الناس فيها مغالطة أخرى وسوء فهم قاتل، فهم يعتمدون في أقوالهم، على أن اللغة العربية الفصحى محفوظة مصونة بالقرآن ويزعمون أنه لا خطر عليها مادام القرآن الخالد تكفل بهذا المعنى الذي يفهمون من نص القرآن. وقد ندب نفسه للفتوى في ذلك أكثر من يكتب عن الفكر العامي. والأدب العامي والثقافة العامة، وأجمعوا على القول بذلك. فمنهم من أورد جزءاً من الآية كما في النص الأول؛ ومنهم من أجمل الحديث وأشار إلى أن القرآن حافظ لها كما في الجملة المقبسة الثانية.

وفتاوى هؤلاء تذكرني بحديث لأهل البصرة مع برد أبي الشاعر بشار بن برد، فقد كان بشار غلاماً صغيراً يؤذى صبية الجيران وسالكي الطريق المارين بداره، فذهب الجيران إلى أبيه، وشكوا ما يلاقون من بداءة ابنه فرد عليهم بقوله: «ليس على الأعمى حرج» فقال المشتكون هان علينا أذى بشار مع فقه برد، فذهب كلامهم مثلاً.

وأصحاب الأفكار الإقليمية العامة الذي يتصدرون لتفسير القرآن ويدلون بمثل هذه الآراء والحجج يفهمون القرآن مثل فهم برد في حكم الأعمى، فهو لا يعنيه من الآية إلا ظاهر معناها الذي يحتاجه للدفاع عن سوء خلق ابنه. وهم كذلك لا يعرفون غير ظاهر معنى ما يرددون من قول ترووا معناه حتى يفهم الناس أن المعنى للآية التي يستشهدون بها هو ما فهمه كتبة العامة كما فهم برد معنى «ليس على الأعمى حرج».

ومفسرو الآية كلهم من عامة الناس الذين لوحث لأحدهم سهو في صلاته لذهب يستفتى العلما ولم يعتمد على علمه في كيفية الإنيان بالسهو، فضلاً عن ادعاء العلم بتفسير القرآن

وتوجيه نصوص الآيات توجيهاً خاطئاً لا يعتمد على أدن حد من العلم في تفسير القرآن ولم يدفع هؤلاء إلا تبرير مواقفهم وفهمهم الخاطئ الذي يظنونه صواباً.

لقد كان للقرآن ولآياته حرمة في نفوس المسلمين، وقد تخرج عن الخوض في تفسيره كبار الصحابة وعلماء المسلمين وكان الصحابي لا يفتي بتفسير آية أو يوجه معناها حتى يسمع في ذلك حديثاً أو يسلح نفسه بسلح العلم، وحتى يقرأ ويطلع ويعرف ما قيل في تفسير القرآن ثم لا يقول رأياً إلا ما يقوم عليه دليل. يروى عن أحد الصحابة قوله: ما كنا نتجاوز عشر آيات من القرآن حتى نعرف معناها، ومع ذلك كان الصحابة، بل كبار الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الأولون، لا يجرون على القول بالقرآن بغير علم، وقد وقف أبو بكر أمام ذلك وامتنع عن القول بتفسير القرآن بغير علم وقال كلمته المشهورة: أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم، وأعلن عمر بن الخطاب وهو يتلو آية على المنبر أنه لا يعرف معناها<sup>(٩)</sup>.

أما كتاب الفكر العامي وحداثة الإقليمية وأنصار العامية فلم يكن لديهم حتى مجرد التفكير فيما عسى أن يكون معنى الآية التي يستشهدون بها، قبل الإقدام عليها وصرف معناها لخدم دعواهم ويؤيد مواقفهم التي يدافعون عنها، ولم يخطر ببالهم أن يقرأوا تفسيراً من عشرات التفسيرات الموجودة في كل مكتبة ومسجد ولم يسألوا أهل الذكر كما أمروا بذلك. والسبب أنهم يعتقدون أن قولهم هو الصواب والحق، وأنه لا يوجد ما يناقض ما يذهبون إليه، حتى إن بعض من يدعي المعرفة أو من يظن فيه مثل ذلك شاركهم رأيهم الخاطئ.

لقد سمع مروجو الفكر العامي الناس يقولون: إن سبب خلود العربية هو نزول القرآن بها، ولم يكن أمامهم فسحة من الوقت تسمح بالنظر والتدبر فيما يتحدث الناس، ولم يحاولوا فهم المعنى المراد بحفظ القرآن للغة العربية الفصحى ولكنهم إنما سمعوا القول الذي يقول: إن أسباب خلودها واستمرارها هو نزول القرآن بها، إذ جعلها لغة دينية خالدة، ولم يعرفوا في أي سياق سيق هذا الكلام، وعلى أي مقدمات بنى هذا الاستنتاج فأخذوا من القرآن ما يوحى ظاهر معناه بما سمعوا من أفواه الناس دون علم ودون معرفة وبلا تريث ولا نظر.

إن الذين قالوا: إن القرآن حفظ اللغة وسبب خلودها وبقائها حتى يومنا، هذا هم الذين

درسوا تاريخ اللغات وعرفوه ووجدوا أن العربية الفصحى، قد استمرت وقويت وبقيت على مرّ العصور حية، الأمر الذي لم يجدوا مثله لأي لغة أخرى ويبحثوا عن سبب ذلك فوجدوا أن هناك تلازماً بين الدين واللغة العربية وأدركوا أن خلود القرآن واستمرار رسالته وفهمه مرتبط بقوة العربية الفصحى وفهمها فوقفوا ضد حركات العاميات وانتشارها وحاولوا وقف زحفها حتى تبقى الفصحى حافظة للقرآن ويبقى القرآن حافظاً لها مفهوماً بها يستعملها الناس في حياتهم وفيما بينهم، فيعلمون دينهم الذي نزل بها ويعلمون فكر العربية وأدبها وكل ما فيها، وهذا هو حفظ القرآن للغة وليس المعنى الذي يذهب إليه محبو العامية، وقد فهم المستعمرون هذا التلازم بين اللغة والدين وأنها الوحدة الكبرى الباقية للعرب، فحاولوا نشر العاميات للنفاذ من خلالها إلى ما يريدون.

إن الطفل والمرأة والأمي يتكلمون لغة القرآن ويعرفونها ويدركون جمال معناها. والركون إلى العامية نقلة بعيدة عن اللغة الفصحى وفي استمرار انتشار العامية والفكر العامي صرف للسان وصرف للفهم عن اللغة الحافظة للقرآن وهو عكس ما يذهب إليه مفكرو العامية. وترديدهم بأن القرآن حافظ للعربية ترديد لأراء قيلت بوجوب المحافظة على سلامة الفصحى وليس وجوب انتشار العامية والاعتماد على فكرها وأدبها وثقافتها وإهمال الفصحى اعتماداً على زعمهم أن الله تكفل بحفظها لأنها لغة القرآن.

وقلبهم للمعاني واحتجاجهم لما يذهبون إليه ليس دليلاً على عدم الفهم فحسب، لكنه قد يكون محاولة من الأذكاء منهم لإزالة الخوف من نفوس الناس الذي يحرصون على بقاء اللغة وبقاء الدين، فحاولوا إزالة هذا الخوف من النفوس وطمانوا الخائفين على القرآن زاعمين لهم أنه إذا كان مصدر خوفهم هو الحرص على بقاء القرآن صافياً مفهوماً فإن القرآن على حد تفسيرهم للأية محفوظ من عند الله، وعلى هذا الرأي والتفسير العلمي المتقن فلا معنى للاهتمام باللغة الفصحى ولا معنى للتردد عن استعمال العامية.

ومادام أصحاب الفكر الإقليمي والثقافة العامية ومراسلو الصحف الشعبية وكتابها قد أجمعوا في تفسيرهم على أن القرآن قد تكفل بحفظ اللغة وأن الله قد وعد بذلك في كتابه واستشهدوا بآية من القرآن وحددوها فإن الأمر يقتضي نقل آراء المفسرين الذين فات عليهم

هذا الفهم الجديد الذي فهمه العوام لمعنى القرآن . ولابد من وضع آراء المفسرين القدماء والمحدثين وعرضها أمام مفسري الفكر العامي ، لعلمهم يعرفون الحق ويعودون إليه . أو تتوم عليهم حجة الإعراض والقول بالقرآن بلا علم .

يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر) رد لإنكارهم واستهزائهم في قوله تعالى : (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) كذلك قال إنا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والثبات وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ﷺ وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظاً من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل ، بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها إنما استحفظها الربانيين والأخبار فاختلنوا فيها بينهم بغيا ، فكان التحريف ، ولم يكمل القرآن إلى غير حفظه . فإن قلت فحين كان قوله (إنا نحن نزلنا الذكر) ، رداً لإنكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قولهم (وإنا له لحافظون) قلت : قد جعل الله ذلك دليلاً على أنه منزل من عنده<sup>(١١)</sup> ، لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه ، وقيل الضمير (له) لرسول الله ﷺ كقوله (والله يعصمك من الناس)<sup>(١٢)</sup> .

أما الرازي فيقول في تفسير الآية المذكورة : قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . وفيه مسائل . ثم ذكر من المسائل مانحن بصدد الحديث عنه وهو معنى الحفظ للقرآن الذي أشار إليه مفسرو الآية وموجهوها إلى أغراضهم وأهوائهم ، يقول (إنا نحفظ ذلك الذكر من التحريف والزيادة والنقص) . ثم استطرد في تفسير حفظ القرآن وكيف يتم ذلك ، فقال : (فعجز الخلق عن الزيادة فيه أو النقصان عنه لأنهم لو زادوا فيه أو نقصوا عنه لتغير نظم القرآن فيظهر لكل العقلاء أن ذلك ليس من القرآن . . . وأعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير ، إما في الكثير منه أو في القليل ، وبقاء هذا الكتاب مصوناً عن جميع جهات التحريف مع أن دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات وأيضاً أخبر الله تعالى عن بقاءه محفوظاً عن التغيير والتحريف<sup>(١٣)</sup> .



أما سيد قطب في تفسيره في: «ظلال القرآن» فيقول عن معنى الآية التي يتخط كتاب وفقهاء الأدب الشعبي في معناها: (وقد أراد الله لهم خيراً مما يريدون بأنفسهم، فنزل بهم الذكر ينذرونه ويهدون به، وهو خير لهم من تنزيل الملائكة بالحق الأخير: (إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون).

فخير لهم أن يقبلوا عليه. فهو باق محفوظ لا يندثر ولا يتبدل، ولا يلتبس بالباطل ولا يمس التحريف وهو يقودهم إلى الحق برعاية الله وحفظه، إن كانوا يريدون الحق. . لأنه أراد بهم الخير فنزل لهم الذكر المحفوظ<sup>(١٣)</sup>.

إذن الحفظ الذي يحتاج به «الطيبون» من الناس في الآية يعني حفظ القرآن من الزيادة والنقص والتحريف، وقد صدق الله، فقد تم حفظ كتابه قرآناً بلى، أحصيت آياته فلا يستطيع أحد زيادة آية واحدة أو نقصها، وحفظت سورة فلا يمكن زيادة سورة واحدة فيه أو نقص ذلك، وأحصيت حروفه حرفاً فلا يمكن الطمع لأحد أن يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً. وهذا هو معنى الحفظ الذي فهمه فقهاء العامة ومفسروها فهماً آخر.

وليس هناك في نصوص القرآن ضمان بدوام اللغة العربية الفصحى واستمرارها حية يستعملها كافة الناس ويفهمها القطاع الكبير من المجتمع، إذا لاسمح الله أعرض عنها أهلها، وأحلت كل طائفة منهم لهجتها العامية محل لغتها العربية. وأسوق على ذلك مثلاً يعرفه كل من يبحث عن الحقيقة والمعرفة ويريد الصواب وينظر إلى الأشياء كما هي في طبيعتها، وليس كما يريدونها. إن اللغة العربية الفصحى لغة القرآن كانت هي اللغة التي تكتب بها علوم الدين ويقرأ بها القرآن ويتكلمها العلماء وعامة الناس، وكانت هي لغة الحياة والفكر والأدب والدين في جميع الممالك والدول الإسلامية الشرقية من إيران حتى سد الصين. وكانت الدول الإسلامية التي قامت في تلك الديار تتكلم العربية لغة رسمية - كما يصفها عندنا اليوم العوام. . وماكان لها مناس في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة. ولم يستعمل المسلمون في شئون الحياة غيرها لأنها لغة القرآن ولغة الأمة المسلمة، ولغة الوحدة التي تجمع كيان الأمة كلها.

وعندما شعرت تلك الأقاليم الإسلامية بالضعف والتفكك نشأ عندها شعور بقوميتها وإقليميتها مثل شعور هواة الفكر العامي والثقافة العامة بأقليتهم وقوميتهم، فاهتم المسلمون في تلك الدول بلهجاتهم المحلية. وزعموا أن اللغة الفصحى لغة القرآن واللغة الرسمية محفوظة ولاخطر عليها مثلاً يزعم أخواننا هواة العامة اليوم، وبدأت تظهر إلى الوجود فكرة مدح لغاتهم ولهجاتهم المحلية وربط قوميتهم بها وأصبح لكل قطر لغة محلية مع اللغة الرسمية واستمر الحال تدريجياً بعض الوقت حتى تأصلت في نفوسهم مكانة لهجاتهم المحلية ومالبت أن أصبحت تلك اللهجات لغات مستقلة لتلك الأمم والأقطار، وبدأ ذلك بظهور شعراء مبدعين باللهجات المحلية العامة مع اللغة العربية الفصحى فتوجهت الأقاليم الإسلامية إلى لهجاتها ولغاتها المحلية ومجدت شعر شعرائها الذي بدأ ينظم بتلك اللغات، وبدأ الاعتماد شيئاً فشيئاً عن لغة القرآن الحافظة له كما يزعم العوام، وقام الشعر والشعراء بدور جلي في تهيئة الفكر واللغة المحلية للانفصال والاستقلال عن العربية الفصحى ولم يمر قرنان حتى استقلت الأقاليم الشرقية بلغاتها المحلية وانتهت العربية من هناك إلى الأبد. ولم يحفظ القرآن اللغة العربية لهم في بلادهم عندما أهملوها، وأحلوا لغاتهم المحلية مكانها.

ونحن وإياهم في نظر الإسلام سواء، والقرآن لايميز بين عربي مسلم، ومسلم من غير العرب. ولو كان القرآن قد تكفل بحفظ اللغة العربية الفصحى للمسلمين حتى تبقى لغة لهم لحفظها للمسلمين في باكستان وإيران، وبنغلاديش، وتركيا وغيرها وكلها دول إسلامية وشعوب مسلمة، ماتت اللغة العربية عندها وانحصرت معرفتها في القلة من علماء تلك الأمم مثلاً هي حال اللاتينية عند المسيحيين، حتى وإن بقى القرآن متلوّاً وبقيت الدول إسلامية. أما إن كان لدى مفكري العامة رأي أو دليل بأن القرآن قد تكفل للعرب خاصة بحفظ لغتهم العربية الفصحى وضمان بقائها فليعلنوا ذلك ويأتوا يشهدائهم إن كانوا صادقين.

والدول التي مثلت بها واقع مشاهد محسوس أمام الأنظار ولا أظن مفكري العامة يستطيعون القول بأن هذه الدول تتكلم العربية وأن القرآن قد حفظ العربية لها. ونحن وتلك الشعوب في حكم القرآن سواء. فلماذا لم يحفظ القرآن العربية الفصحى لهم وهم مسلمون مثلنا عندما لم يحفظوها هم لأنفسهم؟ وكيف ضاعت العربية التي كانت لغة القرآن

ولغة الأمة عندهم على مدى خمسة قرون عندما أراد أهل تلك البلاد إحلال لهجاتهم محلها ؟ لقد كان دعاة الإقليمية والانفصال منهم يقولون مثلاً يقول العوام هنا : إن اللغة العربية لغة القرآن محفوظة به ولاخوف عليها، حتى غرروا بالطين الذين صدقوا نبوءاتهم فذهبت لغة القرآن وقامت لغات أعجمية مكانها ولم يستطيعوا العودة إلى الصواب .

إن الدفاع عن اللغة العربية ليس لأنها لغة القرآن فحسب، ولكن لأنها أيضاً لغة الأمة العربية في جميع أقطار الأرض ولأنها عنوان الوحدة التي تجمع هذه الأمة، ولأنها حوت موروث الأمة الفكري والحضاري منذ ألف وخمسمائة سنة، ولأنه لاتوجد عامية يمكن أن توحد العرب أو تجمع تاريخهم وأصالتهم غير العربية، ولأن الاهتمام بالفكر العامي والثقافة العامية سيشغل حيزاً من الأجدى شغله بما يطور الفصحى ويقربها إلى حياة الناس الخاصة والعامية ويجعلها إن لم تكن لغة الحديث اليومي في كل شيء لغة باقية مستمرة كما كانت من قبل يفهمها كل العرب على اختلاف لهجاتهم وتباين أوطانهم، وعلى اختلاف نصيهم من العلم والمعرفة.

والاهتمام بالعامية كما هو حاصل في الوقت الحاضر سيجعل اللغة العربية الفصحى والقرآن الكريم الذي يزعم أنصار الفكر العامي أنه يحفظها، سيجعلها لغة أخرى، هي وقرآنها، لا يفهمها عامة الناس ولا يتذوقون جمالها الفني ولا يدركون معانيها السامية، ثم تبعد شيئاً فشيئاً حتى تصبح لغة دين - وليست لغة حياة - يتعامل بها القلة من الناس مثلاً هو حال اللاتينية التي أصبحت لغة الكنيسة وليست اللغة الحية للأمم المسيحية ويصبح فهم العرب للقرآن كتفهم المسلمين من غير العرب له حيث يقرأونه دون أن يعرفوا معناه أو يتلذذوا بجماله الفني وبلاغته المؤثرة في الأبواب والساحرة للفؤاد عند من يدركها ويعرفها دون مترجم أو رجل دين يقف أمامهم يفسر لهم ما يقيمون به شعائرهم الدينية ثم تنتهي صلتهم القوية به في ذلك المكان مثل ما هو حاصل في البلاد الإسلامية كلها التي غلبت عليها لهجاتها المحلية فتركت لغة القرآن فبعدت عنه وانغلق فهمه عليها. وقد أردك ابن خلدون خطورة بعد اللسان عن استعمال الفصح من الكلام وقال: إن ذلك سبباً بانغلاق القرآن والحديث على المفهوم ووصف السمع بأنه أبو الملكات اللسانية<sup>(١٥)</sup>.

واستمرار لغة العرب ولغة القرآن. لغة دين ولغة حياة ولغة أمة توحد أجزاءها. رغم اختلافاتها السياسية والاجتماعية ورغم تعدد اتجاهاتها هو ما كان يحسدنا عليه أعداؤنا.

وقد تحدث أكثر من عالم أجنبي. وحاضر أكثر من مفكر عن معجزة اللغة العربية. وذكر الذين يهتمون بدراسة اللغة كششاط انساني استغرابهم لاستمرار اللغة العربية الفصحى في طريق الحياة حتى الآن وخروجها على القاعدة.

وقالوا : إن هذا ما لم يحدث لأي لغة من لغات الأمم. واستكثروا بقاءها وصمودها رغم ضعف أهلها وذهاب سلطانها منذ أمد بعيد. وقد حاول الغربيون الذين حتمت مصالحيهم عليهم التعامل مع الفكر العربي خلخلة بنيان اللغة وبعث الشك في قدرتها على الدوام والاستمرار القوي الذي يلبي حاجة الأمة حتى يدخلوا من أضعف نقاط الارتكاز في منعطف الفهم الذي يتمتع به عدد غير قليل من العرب ولله الحمد على كل حال.

#### الركيزة الخامسة :

من الحجج التي تعرض في تبرير استمرار العامية آراء تقول إن ٨٠٪ من سكان الجزيرة يفهمون العامية أدباً وفناً<sup>(١٦)</sup> وإن الأقبال على صفحاته في الصحف شيء لا مثيل له مما يدل على أن أغلب الناس يحبون الأدب العامي<sup>(١٧)</sup>. وإن التعبير العامي هو الوسيلة المتاحة للكثير من الناس<sup>(١٨)</sup>.

هذه الحجج نماذج حية تدل على استبداد الهوى وميل العاطفة عند أنصار الأفكار الإقليمية وأمثلة أخرى على المغالطة المكشوفة، لأن إيراد النسبة الكبيرة وهي ٨٠٪ لا يقوم على أساس صحيح وليس الغرض منه غير التهويل بشعبية العامية وكثرة عشاقها. وهي نسبة غير صحيحة للأسباب التالية :-

أولاً : الذين يشيرون إلى هذه النسبة لا يعرفون عدد سكان المملكة حتى يحددوا نسبة العوام منهم بهذا العدد ولم يقوموا بإحصاء رسمي ولم يعتمدوا على مصادر علمية تحدد الذين يفهمون العامية ويحبونها. ولم يشيروا إلى مصادرهم التي استقوا منها معلوماتهم.

ثانياً : الحديث عن نسبة ٨٠٪ أو أي نسبة كانت، حديث عن الشعر النبطي خاصة وليس

عن كل أنواع الفنون العامية من الشعر وغيره في مناطق المملكة كلها<sup>(١٩)</sup>. والشعر النبطي شعر إقليمي لا يفهمه إلا أبناء القبائل العربية وبعض حاضرة نجد. ونسبة هؤلاء إلى السكان لاتصل إلى هذا العدد على فرض أنهم جميعاً يفهمون الشعر النبطي، وليس الأمر كذلك ففي هؤلاء نسبة لا بأس بها لاتفهم الشعر العامي ولا تطرب له ولا تعرف معناه وقد سألت في بيت الدكتور سعد الصويان شابين من أساتذة جامعة الملك سعود أحدهما من منطقة القصيم والآخر من الباحة عن معنى بيتين من الشعر العامي «النبطي» ومعناها من الوضوح يمكن إذ إن مرسوعها خلق الكرم والمروءة واحترام الجار ومكانته عند العرب. فلم يعرفا مما أقول شيئاً حتى تدخل الدكتور سعد، وترجم لهما معنى البيتين العاميين ترجمة فورية. واحتج لقصر فهمها بأن ملكة الشعر وفهمه مختلفة لدى الناس حتى وإن كانوا يفهمون لغته التي قيل فيها فأتيت لهما بيتين من الشعر الفصيح يعينان نفس المعنى الذي عناه البيتان السابقان ففهما معناهما رغم أنهما لم يسمعا الشعر العربي أو العامي من قبل كما ذكرنا لي.

إذا النسبة مبالغ فيها إذا أريد بها السكان عامة وليست دقيقة، أما الإقبال عليه وعلى ما ينشر في الصفحات الشعبية، ممن يفهمه فهي حقيقة لأن الصفحات الشعبية أصبحت هي الوسيلة لكل من يريد أن يقول في العامية رأياً أو يعرف عنها شيئاً.

وإقبال نسبة كبيرة من الشباب المتعلم المثقف على صفحات الأدب العامي تجعل خطورتها متحققة للأسباب التالية :

أولاً : إغراقهم به لسهولة وقرب مأخذه عليهم. وكثرة الاعتناء بالعامية وبأدبها إن شعراً وإن نثراً تجعل الخوف على فكر الشباب وثقافته وادراً وتجعل الابتعاد به عن لغة دينه وأمه أمراً متحققاً، ولاسيما إذا وجدوا أن العامية مهياة لهم ووسائل الإبداع فيها ميسرة بل مشجعة مفضلة.

ثانياً : النسبة الكبيرة التي تقبل على العامية في الوقت الحاضر من الشباب الذين لا يعرفون العامية التي كانت منتشرة قبل عشرين عاماً وإقبالهم على العامية الآن وإتاحة أسباب تعلمها والاهتمام بها من وسائل الإعلام عامة، يصرفهم عن التعليم ويحول بينهم وبين صلتهم بالثقافة العربية والإسلامية ويحد من نشاطهم الفكري. مع أن ما يدعون من أفكار عامية في

الوقت الحاضر يعد متخلفاً عن العامية التي كانت قبل ثلاثين عاماً. وبناء شعرهم وموضوعاته وصوره وفنونه مختلفة ومتخلفة أيضاً.

### الرئيسة السادسة :

تقول: إن أغلب مفردات العامية والأدب العامي عربي فصيح ولا يمكن أن يكون فيه خطورة على اللغة العربية<sup>(٢٠)</sup>.

أما أن أغلب مفرداته عربية فصيحة سليمة المبني والمعنى فنحن لانتخلف مع أهل الرأي القائل بعربية أغلب مفردات اللهجات العامية في الجزيرة اليوم. وإن كانت نسبة لا بأس بها قد بعدت عن أصلها العربي الفصيح. والكثير من المفردات العربية الفصيحة التي بقيت على ألسنة العوام قد قلب معناها، واستعمالها اليوم ليس من الضرورة أن يكون هو ماكانت تستعمل فيه. وعلى أي حال فإن المفردات الفصيحة الباقية في العامية توجب علينا عند تحقق صحتها وفصاحتها، أن يستغل الحريصون على لسان الأمة الواحدة هذه الفصاحة، ثم يردون مفردات العامية إلى اللهجات القديمة ويقربونها إلى أصلها العربي مادام الأمر ممكناً ومادامت مفردات العامية صحيحة سليمة. بدل تغريب القليل من مفردات اللغة وجرحها إلى مهابط العامية والابتعاد بها شيئاً فشيئاً حتى تنطمس معالم الفصاحة فيها وتبعد القربي بينها وتوغل العامية بالانتقال التدريجي فتوضع لها الأسس والقواعد ويرسخ استعمالها في مفكر الأجيال وينشر أدبها ويكتب حتى تصبح لغة أخرى جديدة وبعيدة عن الأصل الذي نشأت عنه واستقلت منه.

مع أن أسباب انتشار العامية في الماضي هو - كما لا يختلف على ذلك كثير من الباحثين - نتيجة لندرة المتعلمين وقلة التعليم فيما مضى من فترات مرت بكل البلاد العربية، ولم يسلم منها أي بلد عربي. أما في وقتنا الحاضر فالأمية مدبرة لاشك في ذلك والثقافة مزدهرة والتعليم بطارد شبح الجهل في جميع البلاد العربية. والاهتمام بالعامية فكراً ولغة وقيمة اجتماعية يناقض الخداف الذي تسعى إليه الأمة العربية كلها، ويشير السؤال الذي لانجد له إجابة كافية وهو لماذا الاهتمام بالفكر العامي واللغة العامية مع وجود البديل ووجود الثقافة الفصحى وامكانية الرقي بها إلى مستوى أعلى؟.

لقد اهتم في الحاضر اللهجات العامية التي كانت قبل عشرين عاماً عاميات متباعدة، وكان

في ذلك الوقت لا يستطيع أهل إقليم من أقاليم الجزيرة فهم عامة الإقليم الآخر<sup>(٢١)</sup>.  
وأصبحت اللغة في ضيق الاتصال والتعامل والارتقاء إلى الفصاحة، وهذا الرقي التدريجي  
يجب أن يكون مشجعاً ودافعاً إلى الاستمرار في استعمال النصحى، وهجر اللهجات الدارجة  
واللكنات الإقليمية. ولم يبق إلا أن تقوم مؤسسات التعليم ووسائل الثقافة المساعدة الأخرى  
مثل التلغاف والصحف والمجلات بالابتعاد عن الابتذال اللغوي حتى تنشط اللغة العربية  
النصحى. ولو حدث ذلك فلن يكون هناك شك بأن فترة قصيرة جداً ستعيد للنصحى  
مكانتها في نفوس الناس وعلى ألسنتهم، وتعيد لها الثقة التي بدأت تفقدها. وستصبح العامة  
في حيزها الضيق وعلى ألسنة العوام الذين لا يعرفون غيرها وعندئذ تصبح لخطر منها ولا ضرر  
مر بقاتها حيث هي حتى وإن لم تمح من الوجود. بل إنها لن تمحى وستدوم وتبقى ويبقى من  
يتكلم بها ويقول الشعر والغناء والرقص بها ولا خطر في ذلك ولا ضرر منه بل هو أمر طبيعي  
ومقبول ولا ينكره أحد.

#### الركيزة السابعة:

الركيزة السابعة من الركائز التي برروا بها استعمال العامة واستمرارها، وضرورة الاهتمام  
بها تلخص في نقطة واحدة. هي أن الأدب العامي في الماضي حفظ لنا في الحاضر الكثير من  
الأحداث التي كانت في الجزيرة إبان عصور العامة.

وقالوا: إنه مصدر وحيد لتاريخ الجزيرة السياسي والاجتماعي، وليس هناك مصدر غيره  
يمكن أن ينقل لنا حقائق الأوضاع التي عاشها أجدادنا في ذلك التاريخ<sup>(٢٢)</sup>.

وعلى صحة القول بأخذ الشعر كشاهد يصور موقفاً من المواقف أو يصف حدثاً من الأحداث  
أو معركة من المعارك، إلا أن المؤرخين لا يعتبرون الشعر مصدراً أساسياً للتاريخ إذا كان وحيداً  
في نقل الخبر ولا يعتبرونه مصدراً للأحداث التي يرصدها التاريخ. يستوى في ذلك الشعر  
العربي الفصيح والشعر العامي، والشعر في أي لغة من لغات الأمم.

والسبب الذي جعل المؤرخين لا يعتمدون الشعر هو أن الشاعر وإن انفعل بالحدث  
التاريخي ووصفه في شعره وتحدث عنه وذكره إلا أنه يميل نقطتين أساسيتين يعتمد عليهما  
التاريخ كل الاعتماد هما الزمان والمكان. وإهمال هاتين النقطتين يفقدان الشعر الكثير من

قيمته التاريخية ويجعلانه قليل الفائدة للاعتماد عليه كمصدر وحيد للتاريخ مالم تتوفر أخبار وروايات أخرى تقرر الحادث الذي يصوره الشعر.

أما إذا توفرت الأخبار من مصادر تاريخية غير الشعر وصاحب تلك الأخبار شعر يشهد لها ويصفها ويصورها فإن بعض المؤرخين يوردون منه مواطن الشاهد حتى يحسم الصورة ويصف الانطباع الذي خلفه الحدث في نفوس الشعراء. ومن استعمل ذلك في تاريخه شيخ المؤرخين ابن جرير الطبري.

ولو تناول المتحدثون عن أهمية الشعر العامي «التاريخية» في الماضي جانباً آخر غير التاريخ وهو أن الشعر سجل ووصف مكارم الأخلاق وأشار إلى بعض الأسر والعوائل من أبناء الجزيرة العربية الذين كان لهم في ماضينا القريب أمجاد وأخلاق عرفت عنهم وسجلها الشعراء وذكروها بالكثير من قصائدهم. لو فعلوا ذلك لكانوا قد أصابوا كبّد الحقيقة، ووفقوا في استعمال دلالة الشعر في مكانها المناسب لأن بعض الأسر وشيوخ القبائل العربية الضاربة في غرب الجزيرة وشرقها وفي وسطها وشمالها وجنوبها، وفرسانها وأجوادها كان لهم في الماضي ذكر وفضل ومروءة وصفها الشعر العامي وسجلها الشعراء في تلك الفترة. ولانجد لها اليوم دليلاً في زحمة الادعاء والتبجح غير ما قال الشعراء العوام وما وصفوا.

وأبناء القبائل العربية وبعض سكان المنطقة الوسطى الذين يعرفون الشعر «النبطي» العامي يعرفون أكثر من شاهد يردده الرواة وتنقله الألسن يحسد القيم الاجتماعية الفاضلة التي عرفت عن الأمة العربية منذ القدم. وهي سجايا ورثها العربي بطبعه وجبل عليها وأداها بلغته العربية عندما كانت لغته مساعفة وطبعه مؤاتياً ولسانه طلقاً، وأداها بعاميته التي يحسن عندما بعدت به الحياة عن المنبع الصافي للغة التي كان يتحدثها آباؤه. وقد بقى له الخلق الكريم والجليلة التي جبل عليها، بقيا له في كلا الحالين، ولم تضعفهما الأحداث ولم يتزحزح عنها العربي إن فصيحاً وإن عامياً. ومن قيم العربي التي حافظ عليها وأبقاها حية في ضميره وعلى لسانه، الكرم، وسخاء النفس والبشاشة للضيف، وطارق الليل، وإطعام الجائع وإكرام الغريب، والدفاع عن المحارم، والغيرة على الحوزة، والتسامح في موضع التسامح، أو الانتقام عندما لا ينع شئ غيره.



أما القول بأن الشعر العامي هو المصدر الوحيد الذي نقل إلينا أحداث التاريخ الماضي التي حدثت في جزيرة العرب، ولا مصدر سواه، فهو قول أقل ما يجب أن يوصف به أنه إجمال وتعميم لا يستند شيء من الحقيقة العلمية. وكان الأجدر بمن يقول بهذا القول أو يعتقد هذا الاعتقاد أن يحدد مصدر التاريخ ويعرفه حتى يميز الباحث إن كان تعريفه ينطبق على الأدب العامي أو لا ينطبق عليه.

إن إطلاق القول بأن الشعر العربي هو مايعول عليه في دراسة أحوال سكان الجزيرة في مختلف النواحي أو أنه كل مايسجده الباحث فيفي أقوال وأراء ليس لها نصيب من الحقيقة ولا تعتمد إلا على حسن النية بفهم القارئ. ولو صدر هذا القول عن كاتب واحد لاعتبر زلة قلم أو عثرة لسان. أما وقد قال به أكثر من كاتب وتحدث عنه أكثر من متحدث، وتواطأت على القول به الأراء كلها<sup>(٢٣)</sup> التي تتحدث عن العامة، حتى كاد يصيح فنانة وأمرأ مسلماً به. فلا بد وال حال كذلك من دراسة حقيقة هذه الأقوال وبيان الخلل العلمي فيها وخطأ استعمالها، استعمالاً لا يسندنه إلا هوى النفس والضرب بعلم القارئ وعقل الباحث عرض الحائط.

الأمر الأول : هو أن أول نقطة تطرح للمناقشة هي قول القائلين بالرأي السابق حيث صمموا الحكم على الجزيرة العربية كلها ولم يستثوا منها موضعاً مع أن في الجزيرة مدناً وعواصم إسلامية لم تحببها شعلة العلم ونور الإيمان ولو لم يوجد من ذلك غير مكة المكرمة والمدينة المنورة ومن فيها من العلماء وأهل الذكر وحلقات الدرس لوجب على من يرسل القول بلا دليل التروى قبل إصدار الحكم. فالجزيرة لم ينقطع تاريخها كلها<sup>(٢٤)</sup>، ويكفي أن حُجاج الأمصار الإسلامية كانت تغد كل عام ويصحب قوافلها العلماء والمؤرخون وكتاب الرحلات الذين يصفون أحوالها ويصفون الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة التي تسلكها قوافل الحجاج من جهات الجزيرة الأربع ويصفون كل جزء من هذه الجزيرة وكل رحلة ومنزل، ثم يصفون الحياة في الحجاز وفي الطرق المؤدية إليه ومسالكها من نجد واليمن

وغيرهما. وسأشير إلى بعض الرحلات التي فصلت الحديث عن أحوال الجزيرة في القرون التي بدأت فيها العامة تنتشر وينظم فيها الشعر، وقد وصف كتابها حياة السكان وحرفهم وعددهم وطرق معيشتهم وتكوينهم السياسي وتركيبهم الاجتماعي والظروف التي تسود في كل عام وتحديث هذه الرحلات عن واقع الجزيرة وسجلت أخبارها، ومنها: —

١. رحلة القاصدين، ورغبة الزائرين — عبد الرحمن بن أبي القاسم النسائي، حج عام ١١٤١هـ.
٢. رحلة الوزير الاسحاقى — أبو محمد الشرقي الاسحاقى، حج عام ١١٤٣هـ.
٣. بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام — عبد المجيد بن علي الملقب بالزيادي، حج عام ١١٤٨هـ.
٤. رحلة إلى الحرمين — أحمد اللكوس الحفيكي، حج عام ١١٥٢هـ.
٥. الرحلة الحجازية — أبو مدين محمد بن الصغير الدرعي، حج عام ١١٥٢هـ.
٦. الرحلة الكبرى — محمد بن عبد السلام الناصري، حج عام ١١٩٦هـ.
٧. احراز المعلى والرقب في حج بيت الله الحرام — محمد بن عبد الوهاب بن عثمان، حج عام ١٢٠٠هـ<sup>(٢٥)</sup>.
٨. مرآة الحرمين إبراهيم رفعت — حج عام ١٣١٩هـ.

نورد هذه الرحلات مجرد تمثيل ونماذج لما كان يكتب كل عام عن الجزيرة وعن أهلها وقد اخترنا القرن الثاني عشر الهجري، وعرضنا ماكتب به وهو القرن الذي وصل إلينا به الشعر العامي، الذي يزعم الزاعمون أنه مصدر وحيد لتاريخ الجزيرة كما سبقت الإشارة. أما إذا افترضنا أنهم يعنون بالجزيرة وسطها «نجداً» ولم يقصدوا الجزيرة كلها عندما رددوا أقوالهم السابقة. فلا بد إذن على أساس هذا الفرض أن ينظر الباحث إلى وسط الجزيرة «نجد» ويعرف أحوالها، وبداية الشعر العامي الموثق الذي اعتمدوا عليه وعدّوه مصدراً وحيداً لتاريخ الجزيرة. وتاريخ الشعر العامي قد خدمه وتصدى لدراسه دراسة علمية تاريخية عدد كبير من الكتاب<sup>(٢٦)</sup> تواترت آراؤهم على أن الشعر العامي الذي عرف شعراؤه وحفظ شعرهم ونسب إليهم، بدأ في القرن الحادي عشر الهجري، ومنهم الأستاذ عبد الله بن خنيس الذي يقول في

بحثه الأدب الشعبي : (وأقدم من دُوَّتْ أشعارهم، راشد الخلاوي، وأبو حمزة العامري من أهل الأحساء . وقطن بن قطن من أهل عمن ورميزان وجبر بن سيار من أهل سدبر، في نجد، وقد عاش هؤلاء في القرنين العاشر والحادي عشر من الهجرة، وكانوا ينظمون الشعر النبطي على أوزان الشعر الفصيح وتفاعليه وبحوره ولايقعون الإعراب لفساد اللغة).

ورأى الأستاذ ابن خيس هو أقرب الأقوال إلى الصواب، ومعه أكثر الباحثين الذين حددوا بدايته في هذه الحدود . أما أبو عبد الرحمن بن عقيل وهو أحد الدارسين لتاريخ هذا الشعر فقد تلمس بداية الشعر العامي بلغة أهل نجد كما يسميه، فحاول مد الزمن أمام بدايته وجعل لها احتمالاً في القرن السابع الهجري مفترضاً افتراضاً بأن راشد الخلاوي – الذي يعتبر شعره غطاً خاصاً في بناء القصيدة العامية – من أهل ذلك القرن . ولم يلبث إلا قليلاً حتى افترض افتراضاً آخر أنه – أي راشد الخلاوي – ربما يكون من أعيان القرن الحادي عشر أو الثاني عشر الهجريين واضعاً لوجوده احتمالاً في كل قرن مَرَّ به من السابع حتى الثاني عشر .

واحتمال يدور في بحر ستة قرون جدير بباحث مفكر مجتهد مثل أبي عبد الرحمن رفضه والشك في صحة الاعتماد عليه . وتحديد زمن شخصية موجود في أيدينا أهم نتائجها وخصائصها وهو شعرها لا يمكن أن يدور الباحث بها هذه الدورة الطويلة في سلم الزمن بهذا البعد . والاختلاف فيه لا يجوز أن يتجاوز الباحث في تحديده قرن أو قرنين من الزمان . ولا يرضى بافترض ستة قرون لشخصية نحفظ جلّ مانسب لها من شعر ومانسب لها من علم فلك، باحث يود أن يؤخذ رأيه مأخذ الجد والقبول . والأجدر بأن يحاول تحديد أي القرنين الحادي عشر أو الثاني عشر الهجريين يمكن أن يكون هو عصر راشد . أو ينضم إلى الافتراض الذي تقاربت حوله آراء الباحثين في تاريخ العامية . وهما القرنان العاشر والحادي عشر، ويد الله مع الجماعة . ومادام الخلاوي مشكوكاً في شعره وعصره وفي شخصه أيضاً، فلا يمكن الاعتماد على المشكوك في وجوده أصلاً، ولا يمكن الاعتماد على شعره كمصدر للتاريخ، مع أن الباحثين لم يتفقوا على عصره ووجوده فضلاً عن الاستدلال بشعره .

أما أول ما حفظ من شعر عامي صحيح النسبة إلى شاعر بعينه عرف عصره ووثق ونسب

إليه نسبة صحيحة، فهو شعر حميدان الشوير. وشعره يمكن أن يعتمد على صحة نصه وتوثيقه ونسبته إليه وهو ذات معروفة. ومسبق ذلك من شعر عامي فلا يمكن أن يعتمد عليه: إما لأن قائله مجهول الذات<sup>(٢٧)</sup>، أو لعدم تحقيق نسبة الشعر المحفوظ إلى قائل معين<sup>(٢٨)</sup> أو أن زمن الشعر وزمن قائله لا يزالان مجهولين<sup>(٢٩)</sup> أو لأن النص نسب إلى عدة شعراء عاشوا في فترات تاريخية متفاوتة. مع ما يصاحب النص السائب والرواية الشفوية من حذف وتعديل وإضافة<sup>(٣٠)</sup>.

وحيدان الشوير كان معاصراً لظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ومنذ ظهور تلك الدعوة وحتى اليوم و«نجد» موضع اهتمام المؤرخين من أهلها ومن الأمصار الإسلامية. سواء تلك التي انضمت إلى الدعوة وأيدتها أو تلك التي وقفت منها موقف المعارضة. وحاولت تفنيد آراء الشيخ الإصلاحية التي نادى بها. ومع حركة الشيخ وقيام الدولة السعودية في مراحلها الأولى والثانية والثالثة، والمؤرخون من أهل نجد ومن العالم العربي والإسلامي يتابعون أحداث وسط الجزيرة وأطرافها وسجلون تاريخها يوماً بيوم وأشهر مؤرخي نجد بن بشر وتاريخه «عنوان المجد في تاريخ نجد» مطبوع بمحقق منشور ومنه نقل هذه الجملة التي تظهر منحى ابن بشر واهتمامه في كل صغيرة وكبيرة تحصل في الجزيرة «نجد» وفي غيرها وتؤرخ لأحداثها، وتنقل لنا كل المعلومات الموثقة المحققة التي توفر فيها عنصر الزمان والمكان، يقول: (ثم دخلت السنة العشرون بعد المائتين والألف وفي هذه السنة اشتد الغلاء والقحط على الناس في نجد ومايلها، وسقط كثير من أهل اليمن، ومات أكثر إبلهم وأغنابهم وفي آخرها في ذي القعدة بلغ البر ثلاثة أصع بالريال، وبلغ التمر سبع وزنات بالريال وبيع في ناحية الوشم والقصيم خمس وزنات بالريال، وأما مكة فالأمر فيها أعظم مما ذكرنا بسبب الحرب والحصار وقطع الميرة والسابلة عنها)<sup>(٣١)</sup>.

هذه أسطر معدودة من حوادث عام واحد حدثنا المؤرخ فيها عن كل شيء في نجد وأقاليمه وأحداث الجزيرة كلها، في الحجاز واليمن والشام والعراق ووصف القضايا الداخلية والخارجية وتحدث عن الحياة بعمامة وفصل كل ذلك في ثمان صفحات من تاريخه ولم يفته أن يجربنا بأسماع الطعام والمؤنة وكم ثمن الصاع وقيمة الوزن وعن موت الماشية وانجاس الغيث الشيء الذي لم يلتفت إليه أكثر المؤرخين في الماضي البعيد ولا في الحاضر ومع ذلك كله يقول محبو العامة: إن

الشعر العامي هو المرجع الوحيد لأحوال سكان الجزيرة ولا مرجع غيره. ويريدون من القاريء أن يصدق ذلك ويؤمن به ويعض على العامة بالتواجد وإلا ضاع تاريخه وضاع ماضيه. وقد لا يحتاج إلا إلى هذه الإشارة من مصدر واحد. ومن أراد مزيداً من المعلومات الدقيقة المفصلة عن تاريخ الجزيرة كله فليرجع إلى كتب المؤرخين من أهل نجد ومن غيرهم التي تشير إلى أسائها في هذه الصفحات حتى يتأكد إن كانت الجزيرة غفلاً إلا مما يسجل انعماء من أحداث أو كانت أحداثها التي واكبت انتشار العامة مسجلة مؤثرة محفوظة.

ولم يكن تاريخ ابن بشر الذي نقل منه النص السابق هو المصدر الوحيد الذي أرخ للأحداث في وسط الجزيرة في العصور التي انتشرت فيها العامة بل سبقه وجاء بعده عدد كبير من المؤرخين من أهل نجد خاصة، منهم على سبيل المثال لا الحصر :

- (١) أحمد بن بسام توفي عام ١٠٤٠هـ.
- (٢) أحمد بن محمد المنقور أرخ لنجد من عام ٩٤٥ - ١١٢٥هـ.
- (٣) ابن يوسف، أرخ لنجد حتى عام ١٠١١هـ.
- (٤) عبدالله بن عضيبي، أرخ بعض الحوادث وتوفي عام ١١٦٠هـ.
- (٥) حسين بن غنام أرخ لنجد وحوادثها وكتب عن تاريخ الدعوة الإصلاحية فيها حتى عام ١٢٢٥هـ.
- (٦) محمد بن بسام، كتب عن القبائل العربية وأنسائها في نجد عام ١٢٣٣هـ.
- (٧) محمد بن عمر بن حسن الفاخري، توفي عام ١٢٧٧هـ، وتاريخه محقق منشور.
- (٨) حمد بن لعبون أبو الشاعر العامي محمد بن العبون.
- (٩) عثمان بن سند، أرخ حوادث نجد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.
- (١٠) عثمان بن بشر الذي اطلع على أغلب ماسبقه من كتب المؤرخين وضمن تاريخه كل الحوادث التي ذكرها المؤرخون النجديون السابقون له مما جعل لتاريخه قيمة مهمة.
- (١١) راشد بن جريس، كتب تاريخاً عن نسب آل سعود، وتعرض لتاريخ نجد وقد ألف تاريخه عام ١٢٩٤هـ بناء على طلب الأمير عبدالله بن ثيان إبان ضعف الدولة السعودية الثانية واضمحلالها.

١٢) محمد بن عبدالله بن حميد توفي عام ١٢٩٥هـ ذكر تاريخ الخنابلة ومنهم أهل نجد.  
١٣) ضارى بن فهيد الرشيد أملى في عام ١٣٣٢هـ تاريخ القرن الثالث عشر الهجري في نجد.

١٤) ابراهيم بن صالح بن عيسى، توفي عام ١٣٤٣هـ له تاريخ (عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في القرن الثالث عشر والرابع عشر). [وقد بدأت من حيث انتهى ابن بشر حيث تكتمل سلسلة تاريخ نجد في العصور التي ذكر حبو العامية أن الشعر العامي هو المصدر الوحيد لتاريخه]<sup>(٣٢)</sup>.

١٥) مطلق بن صالح بن مطلق وله تاريخ (شذى الندى في تاريخ نجد) وشاركه ابنه في ذلك.

١٦) عبدالله بن محمد بن بسام، توفي عام ١٣٤٨هـ.

١٧) ابراهيم بن محمد القاضي عاش حتى عام ١٣٤١هـ.

١٨) ابراهيم بن ضويان توفي عام ١٣٥٣هـ.

١٩) سليمان بن صالح الدخيل، كتب أحداث نجد وتاريخها، وتوفي عام ١٣٦٤هـ.

٢٠) مقبل الذكير، أرخ لنجد منذ بداية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى عام ١٣٥٣هـ واعتمد على الوثائق والمعلومات الحديثة.

٢١) محمد بن مانع كتب عن أمراء عنيزة وكتب عن أعيانها توفي عام ١٣٨٥هـ.

٢٢) ابراهيم بن عبيد بدأ تاريخه عام ١٣٦٧هـ، وانتهى به عام ١٣٥٢هـ.

٢٣) سعود بن هذلول كتب عن تاريخ الأسرة السعودية منذ بدايتها حتى عام ١٣٧٣هـ<sup>(٣٣)</sup>.

أضف إلى ذلك جهود الرحالة الغربيين الذي جابوا الجزيرة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً أثناء القرون التي انتشر فيها الشعر العامي، وقد وصفوا الحياة فيها وتحدثوا عن أحوال سكانها وحياتهم السياسية والاجتماعية، وتحدثوا عن النظم القائمة فيها وعن الشخصيات ذات النفوذ المؤثر في وسط الجزيرة وأطرافها. ورحلاتهم مطبوعة موجودة محفوظة<sup>(٣٤)</sup> وليس غرض هذا البحث جمع النصوص والإشارة إليها ونقلها فلو حصل ذلك لاحتاج الباحث في هذا الموضوع إلى أجزاء متعددة. وكتب تاريخ نجد وجهود

مؤرخيها مشهورة يعرفها أقل الناس اهتماماً في تاريخ الجزيرة وليست الإشارة إليها إلا رداً على الأقوال التي تكرر في الصحف والمجلات والوسائل الإعلامية الأخرى فيقرؤها من لاصلة له ولا معرفة عنده بما كتب عن تاريخ الجزيرة، فيظن ذلك صحيحاً وهو ليس بصحيح.

الأمر الثاني : على فرض أن الشعر العامي هو المصدر الوحيد الذي يعتمد عليه الباحث، وعلى فرض أننا ألعينا كل ما نعرف وأن مؤرخي نجد الذين تحدثنا عنهم قبل قليل، لم يوجدوا وأن المنقور والفاخري وابن بشر وابن غنم لم يوجدوا ولم يكتبوا حرفاً واحداً في تاريخ الجزيرة. وأن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى لم يوجدوا في الجزيرة معاصرة للبداية الحقيقية للشعر العامي الذي سجلت فيه أحداث الجزيرة التاريخية كما زعموا. وأن دعوة الشيخ والدولة السعودية لم يكن لها علماء ومؤرخون ولم يكتب عنها شيء. ولم تتخذ الدول الإسلامية والعربية منها موقفاً سجلت فيه كل الأحداث في نجد، ولاسيما مايتعلق بقيام الدولة السعودية الأولى.

هب أن هذا كله لم يحدث حتى يصح رأيهم وحتى يكون الأدب العامي هو المرجع الوحيد لتاريخ الجزيرة ولا مرجع غيره. إذاً تكون قيمة الأدب العامي قيمة تاريخية ويكون الاهتمام به محدّد بزمان معين لا يتجاوزه إلى غيره. ومحبو العامة متفقون على ذلك ويرددون القول بأن تعلقهم به من أجل قيمته التاريخية ليس إلا.

ومادامت قيمة الأدب العامي قيمة تاريخية فقد مضت أهميته عندما كانت الجزيرة على رأيهم ليس فيها من يكتب تاريخها، وعلى هذا يكون تمسكهم به لقيمتها التاريخية. إذن تكون هذه المرحلة منتهية لانتهاء ماسجل فيها من الشعر الماضي ولا حاجة بهم إلى الجديد منه والذي ينشرونه اليوم ويدونونه ويدافعون عنه، وهو لا يسجل تاريخاً ولا يصور ماضياً. فلدينا الآن علماء ومؤرخون وكتاب يسجلون تاريخ حاضرنّا لحظة بلحظة، ولسنا بحاجة إلى العامة التي تنشر في الوقت الحاضر حتى تكون مرجعاً وحيداً لأحوال الجزيرة في القرن العشرين، وفي زمن التعليم وفي وجود سبع جامعات تنتشر في مناطق المملكة، وأخرى في بقية أجزاء الجزيرة.

ولا معنى للتوسع الآن في العامة فكراً وأدباً وتاريخاً، وليس ثمة ضرورة لعقد المؤتمرات وإقامة الندوات من أجلها حيث تهدر عليها الأموال التي يذهب أكثرها إلى أيدٍ أجنبية وجامعات غربية، وكل ما يقال ويعالج بهذه المؤتمرات والندوات هو حاضر العامة وليس ماضيها.

وهذا لا يحدث من أجل أن يكون مرجعاً يعتمد عليه الباحثون في تاريخنا في المستقبل.

والأهم من ذلك أن ما قبل في الماضي من الشعر العامي الذي يحتاج به مناصرو العامة قد أصبح محفوظاً مدوناً. أحصى كله وجمع من مظانه، ودُوِّن من مصادره الأساسية وحفظ في المكتبات العامة والخاصة وفي مراكز البحوث، وأصبح التحكم فيه مسوراً وسهلت دراسته دراسة علمية، وهي الاطلاع عليه ليستفيد منه الباحثون الذين يحتاجون إلى الرجوع إليه لدراسة فترة مضت من تاريخ الجزيرة، ويطلعون على ما فيه من أشياء قد يحتاجها الباحث.

وقد تم واكتمل ما قبل في الماضي من الأدب العامي ودُوِّن وانتهى تدوينه واحتوته كتب منشورة محفوظة ومخطوطات لدى الذين يهتمون به أو لدى الأسر التي مدحت به أو قاله بعض أفرادها وقد بلغت قيمة بعض مخطوطاته مئات الآلاف.

ولم يشذ من قديم الشعر العامي والأدب العامي إلا القليل عن بطون الكتب والمصادر والمراجع التالية (٣٥):

١. روضة الشعر، جمعت للشیخ سلیمان بن حمدان آل الخليفة.
٢. الشوارد، الجزء الثالث، جمع عبدالله بن محمد بن خمیس، دار الیامة ١٣٩٤هـ.
٣. شعر شلویح العطاوی لأبي عبدالرحمن بن عقيل في ١١/٨/١٣٩٤هـ.
٤. شعر النبط، صدر عن ديوانه شعر النبط بالكويت.
٥. الأنباط والشعر النبطي، لصادق محمد بخيت.
٦. شاعرات من البادية، عبدالله بن محمد بن رءاس.
٧. من آدابنا الشعبية، متديل بن محمد بن فهد.
٨. خيار مايلقط من شعر النبط، عبدالله الحاتم.



- الحلقة ٦١

٣٢. الأدب الشعبي في جزيرة العرب، عبدالله بن خميس.
٣٣. من أحاديث السمر، عبدالله بن خميس.
٣٤. حكم وأشعار ليس فيها شيء مستعار، محمد بن سليمان الفوزان.
٣٥. ديوان شعراء من الجزيرة العربية، محمد الهاجري جزءان.
٣٦. رياض الصيد، زايد بن سلطان آل نهيان.
٣٧. ديوان قاسم بن محمد آل ثاني وقصائد أخرى نبطية.
٣٨. شاعرات من البادية، عبدالله بن محمد بن رُدَّاس، مجلدان.
٣٩. مقارنة الشعر العربي الفصيح بالشعر النبطي المليح، عبدالله العلي الزامل.
٤٠. من الأدب الشعبي، عبدالله الزامل.
٤١. المجموعة البهية من الأشعار النبطية، عبد المحسن أبا بطين.
٤٢. التحفة الرشيدية من الأشعار النبطية، مسعود بن سند سيحان، ٤ مجلدات.
٤٣. من شيم العرب، فهد المارك، ٤ أجزاء.
٤٤. ديوان حميدان ومحسن وعيون الشعر النبطي، عبدالله الخاتم.
٤٥. أضواء النجوم في أشعار البقوم، حسين عائض.
٤٦. روائع من الشعر النبطي، عبدالله اللويحان، معظمه من شعره وفيه نواذر من الشعر القديم.

وفي مجلة العرب، ج ١١، ص ١٣٩ - ٨٨٣ مقالة نفيسة للدكتور العثيمين عن هذا الشعر ومصادر تاريخ نجد وفي ج ١، س ١، ص ٨ - ١٣ مقالة للشيخ ابن خميس عن هذا الشعر ومعالم الجزيرة.

قال أبو عبد الرحمن بن عقيـل :

وما لا يوجد في مكتبي من هذه القائمة وهو قليل استفدته من الأخ محمد الحمدان<sup>(٣٦)</sup>.  
وهناك بعض الكتب تحفل ببعض التف والمضات لاسيما كتب معاجم البلدان احدثية ابتداء بصحيح الأخبار لابن بلهيد، ثم أسرف الشيخ سعد الجنيدل في الاستشهاد بالشعر العامي. ومثل ذلك كتب التاريخ كتاريخ مـقبل الذكـير، وكتاب الزبير ليوسف حمد البسام

وقلب جزيرة العرب لغزاد حمزة ونبذة ضاري الفهيد.

وبعض كتب الرحلات ككتاب مارأيت وماسمعت للزركلي. وبعض كتب الأنساب كنسب حرب للبلاذري و قبيلة العوازم لعبد الرحمن العبيد والحويطات لعدنان عطار، وكنز الأنساب وجمع الآداب لحمد الخليل، والعريقات لفهد الربيعان، وبعض الدواوين كإتسمات الأيام لابن بلهيد وديوان مرشد البذالي ففيه مايفيد عن الشاعر سليمان بن شريم.

وبعض الكتب المؤلفة في موضوعات خاصة كرسالة الملك عبدالله بن الحسين عن الخيل الملحقه بكتاب الصافنات الجياد، وكتاب تحفة العقلاء في القهوة والثقلاء لعبد العزيز الأحيدب. وبعض كتب التراجم ككتاب عبد العزيز في التاريخ للحميل، والأمير عبد العزيز المساعد لحسن حسن سليمان، وكتاب الشيخ ابن بسام عن علماء نجد. وبعض كتب القصص والحكايات.

وهناك مجموعات لاتزال محفوظة منها مجموعة سليمان الصالح الدخيل بمكتبة الآثار العراقية، ودواوين جمعها محمد الحمد العمري وهي الآن مودعة بجامعة الرياض. ولدى الربيعي بعزيرة عدة دواوين وأشار بن خميس في ثبت مراجعة إلى مجموعات خطية وقد أعد فهد المبارك رحمه الله دراسة حافلة عن العوني لاتزال محفوظة ولدى الشيخ سعد الجنيديل مجموعات لم تطبع بعد. وديوان عبد الكريم الجويهد رحمه الله - مخطوط ضخمة انتقل إلى حوزة بعض الفضلاء ولدى الأستاذ محمد الطويل مجموع خطي عن شعر البواريد وأهل شقراء. والأستاذ عبد الرحمن بن عقيل المحمد يجمع ديواناً حافلاً يضم طائفة من أشعار أهل عنيزة، كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد العبودي في كتابه بلاد القصيم ١٦٤١/٤.

قال أبو عبد الرحمن: وقد علمت أن سمو الأمير عبدالله الفيصل يعد العدة لنشر هذا الشعر في عشرات الأسفار.

قال أبو عبد الرحمن هذا مايتعلق بالشعر العامي القديم، أما الشعر العامي الحديث فليس من منهج دراستي في هذه الأسفار<sup>(٣٨)</sup>.

هذه المصادر التي أوردتها وتحدث عنها أبو عبد الرحمن بن عقيل في كتابه تاريخ نجد في

عصور العامية أو ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد جمعت ما قيل عن الشعر في الجزيرة العربية في الماضي. وهذه المصادر إما منشورة محفوظة بين أيدي الباحثين أو محفوظة في مكتبات الجامعة، أو المكتبات الخاصة ومكانها معروف والعودة إليها سهلة في حالة البحث عن المعلومات التي يتضمنها الشعر العامي. وقد جمعت أდسم مادة من الأدب العامي في الجزيرة في الماضي وغطت كل أجزائها التي نأ فيها شعر العامية وهي محفوظة، وأكثرها منشور ومطبوع منه آلاف النسخ متشرة بين أيدي الباحثين.

وهناك عدد من مجموعات الشعر العامي لدى بعض المهتمين به غير ما أشار إليه أبو عبد الرحمن.

وعلى ضوء هذا الاهتمام الذي تمّ يكون ماضي الجزيرة الذي سجله الشعر العامي عندما كانت قطعة من سيريا أو جزءاً من سطح القمر حسبما يزعم محبو العامية محفوظ مدوّن. ولاخوف عليه من الضياع وليس هناك خطر ولاتفريط به إن شاء الله.

إذن الدعوى بأن اهتمامنا بالفكر العامي في الوقت الحاضر وتركيزنا على الثقافة العامية ومحاولة نشرها هو من أجل المحافظة على الماضي وحفظه دعوى لاحتيقة لها، لأن ما في الماضي سجل وحفظ. لكن لماذا الاستمرار والعطاء الجديد المتزايد من العامية الذي تحول إلى فكر منظم وتنظير لثقافة عامية معاصرة وليس من الماضي بشيء. وإنما هو تكريس لفهم الفكر والثقافة العاميين حتى أصبحت ثقافتنا وميزات حضارتنا هي الثقافة العامية. وأصبح الفكر العامي هو المفضل الذي يقرؤه الناس ويهتمون به ويعتنون بنشره وحفظه. ولم يكن فيهم واحد من المؤرخين الذين يبحثون عن حقائق التاريخ.

### الركيزة الثامنة :

تقول الركيزة الثامنة التي استخلصناها من مجمل الآراء المطروحة التي تدافع عن وجود العامية واستمرارها: إن الأدب العامي والشعر منه خاصة لا يختلف كثيراً عن الشعر الفصيح، وهو سائلة وفرع من فروع، وفي استطاعة الشاعر العامي أن يأتي بما يطابق الشعر الفصيح وزناً ومعنى إذا أراد<sup>(٣٩)</sup>.

الذين يدعون تشابه الشعر العامي والفصحى ويزعمون أن الاختلاف بينهما ليس اختلافاً كبيراً لم يحدوا أوجه الشبه ولا ضروب الاختلاف، حتى يستطيع الباحث مناقشة آرائهم أو يتفق معهم.

فإن كان المراد اللغة: فالاختلاف بلغة كل منها كبير وإن كان المراد طريقة النظم والإنشاء فلكل من هذين الفئتين أصول ونظم مختلفة. وكذلك البناء في كل منها والوزن والبحر والمفردات والقافية وطريقة الإنشاء مختلفة أيضاً بالرغم من أن للشعر العامي وزناً وقافية وللشعر العربي الفصحى وزناً وقافية. لكن التزام كل منها بوزن وقافية لا يحقق الشبه بينهما. والشعر الفارسي والشعر التركي ينظمان على أوزان الشعر العربي الفصحى إلى يومنا هذا ويصاغان في قالب الشعر العربي باللغة الفارسية واللغة التركية ولم يزعم أحد أن هذين الشعرين في لغتيهما الفارسية والتركية فرع من الأدب العربي أو سليلين له أو متطورين عنه مع أنها ينظمان على قوالب الشعر العربي وأشكاله<sup>(١٠)</sup>.

والشعر العامي له أوزان كثيرة منها ما قد يوافق وزناً من أوزان الشعر الفصحى ومنها ما لا يوافق شيئاً من ذلك. وأوزان الشعر العامي لازالت في علم الغيب لم تحدد ولم تعرف ولم تكتشف وإلى أن تعرف جميع أوزان الشعر العامي التي ينظم عليها يؤجل الحديث عن المشابهة التي تتحدث عنها الأقوال السابقة إن كان المراد بها الوزن والقافية.

أما الفارق الكبير المميز للشعر الفصحى عن العامي فهو اللغة. فقد فقدت لغة الشعر العامي خصلتين مهمتين من خصائص الشعر العربي الفصحى:

الأولى: الإعراب.. والثانية: التركيب..

فالإعراب هو أساس الشعر الفصحى وإذا أخلَّ الشاعر بإعراب كلمة واحدة في بيت الشعر الفصحى أفسده واحتاج إلى الاتيان بالكلمة معربة صحيحة حتى يستقيم شعره. والاستقط في عثرات وعجز يؤاخذ عليه ولا يعتبر الشعر في هذه الحال شعراً فصيحاً. أما العامي فقد أشار بعض الباحثين إلى وجوب الابتعاد به عن اللغة العربية الفصحى حتى يستقيم وزنه ومنهم الأستاذ عبدالله بن خنيس حيث يقول «لا تحاول وأنت تقرأ هذا الشعر أن تسلك جادة اللغة

الفصيحة، فتسلط العوامل على معمولاتها، وتحاول الرفع أو النصب أو الجر أو السكون بالعلامات الأصلية، أو الفرعية أو الحذف أو السكون أو تحاول أن تقول عن هذا الفعل إنه مثال أو عن الآخر إنه أجوف أو عن ثالث إنه ناقص أو مهموز أو وافي أو يائي الخ . . ولاعن هذا الاسم إنه مقصور أو منقوص أو مؤنث حقيقي أو معنوي ولاعن هذا الجمع أو هذه التثنية أنها صحيحان أو غير صحيحين. لا تحاول أن تقرأ الشعر وأنت مرتبط بشيء من هذا ولا أن تقول إذا جئت تقرأه لم هذا هكذا، أو ليس هذا بصحيح. فالشاعر النبطي يريد أن يخضع كل شيء من أجل استقامة وزن بيته وكفى»<sup>(٤١)</sup>.

ويقول في مكان آخر: (ينفرد هذا الشعر بخصائص تنأى به عن الشعر الفصيح ونظراً لأنه لم تقعد له قواعد ولم يوضع فيه دراسات يفهم على ضوءها وقد جانب كثيراً من قواعد اللغة العربية واصطلاحاتها: نحوية كانت، أم صرفية أم إملائية أم عروضية، لذا فإنه من العسير على الدارس لهذا الشعر وهو بعيد عن بيته ومحيطه أن يركز فهمه فيه أو يخرج منه بكبير فائدة، ما لم يؤده الأداء الصحيح بلهجته الخاصة به)<sup>(٤٢)</sup>.

أما نظم الجملة العربية الفصيحة فكلنا يعرف أنه يرد على وجوه أقلها أن يتألف من اسمين أو من فعل واسم أو من جملتين أو من فعل واسمين، أو فعل وثلاثة أسماء أو من فعل وأربعة أسماء . .

والمؤلف من اسمين له، أربع صور؛ لأن الاسمين إما مبتدأ وخبر نحو «زيد قائم» وإما مبتدأ وفاعل سُدَّ مسد الخبر نحو «أقائم الزيدان»، وإما مبتدأ ونائب فاعل سد مسد الخبر نحو «أمضروب زيد» وإما اسم فعل وفاعله نحو «هيهات العقيق» وإما مؤلف من فعل واسم وله صورتان، لأنه وإما أن يتكون من فعل وفاعل نحو «قام زيد» وإما من فعل ونائب فاعل نحو «قطع الفصن» وأما المؤلف من جملتين فله صورتان لأن الجملتين وإما جملتا القسم وجوابه نحو «أقسم بالله لأكرمك» وإما جملتا الشرط وجوابه نحو «إن تجتهد تنجح» والمؤلف من فعل واسمين له صورة واحدة وهي (كان) أو إحدى أخواتها مع اسمها وخبرها نحو قولك «كان الجو حاراً» وأصبح الجو بارداً»<sup>(٤٣)</sup> وهذا أقل ما يمكن أن يفيد معنى من المعاني في اللغة العربية الفصحى ويسمى كلاماً ولا يخرج الشعر الفصيح عن هذا النظم إلا في حالة الضرورة.



ومقومات لغوية غير خصائص ومقومات أصله وانحداره من أصل العربية لا يقلل من خطورته عليها وعلى أديها وابتعاده عنها سيجعله منافساً خماً ثم لا يلبث أن يحل هو ولغته محل اللغة الفصحى . ودارسو اللغات وعلماء تاريخها يعرفون أن كل مجموعة لغات قائمة اليوم رغم اختلافها وتباينها في الوقت الحاضر فإنها تعود في أصلها إلى لغات أقدم منها وتعتبر فروعاً متطورة . عن أصل واحد ويجمعون كل عدد منها وينسبونها إلى مجموعة لغوية واحدة، ويعرفون أن كل لغة مع مرور الزمن يصيبها التحلل والانفكاك فتتطور فروعها حتى يصبح كل فرع لغة قائمة لاصلة لها بأخواتها الأخر التي كانت تشركها في أصلها الأول . حتى تصبح اللغات ذات الأورمة الواحدة لغات منفصل بعضها عن بعض لا يربطها إلا الجذور، وصيغ التراكيب التي يستدل بها الباحثون على صلة القربى بينها . مثال ذلك مايقولون عن اللغة الفصحى ، حيث يجمعون على أنها فروع من فصيلة كبيرة يطلق عليها فصيلة «اللغات السامية» . . . كما يقول الدكتور رمضان عبد النواب «تنقسم اللغات السامية عموماً إلى شرقية وغربية، كما تنقسم السامية الغربية إلى غربية شمالية وغربية جنوبية . أما السامية الشرقية فهي الأكادية بفرعيها البابلية والآشورية . . وأما السامية الغربية الشمالية فتتقسم إلى اللغتين : الكنعانية والآرامية أما الأولى فتتقسم إلى الكنعانية الشمالية والكنعانية الجنوبية ومن الكنعانية الجنوبية اللغة العبرية واللغة المرامية والأفنيقية . . ونصل إلى القسم الغربي الجنوبي من اللغات السامية ويضم لغتين هما العربية، والحبشية، أما العربية فتتقسم إلى قسمين هما : اللغة العربية الجنوبية، واللغة العربية الشمالية . . أما الأولى فهي ما تعرف عند اللغويين العرب باللغة الحميرية وموطنها اليمن وجنوبي الجزيرة العربية وتنقسم إلى لهجتين السبئية والمعينية . . أما العربية الشمالية فهي لغة وسط الجزيرة وشمالها، وهي التي تسمى في عرفنا اللغة العربية الفصحى»<sup>(٤٦)</sup> .

ومثل هذه الصلة يقال عن اللغات الأوربية وعن اللغات الهندية الإيرانية والقراية بين اللغات المذكورة وتفرع بعضها عن بعض<sup>(٤٧)</sup> لم يمنع أن تصبح كل منها لغة يستغلق فهمها على غير أهلها .

ومابالنا نذهب بعيداً في تاريخ اللغات ونحن نعرف ماهو أقرب زمناً وأصدق تمثيلاً . فاللغات الأوربية الحية مثل الأسبانية والفرنسية والإيطالية الحديثة كلها كانت قبل أقل من



أربعة قرون لغة واحدة هي اللاتينية ففرغت وأصبحت لغات مستقلة.

وتشجع العاميات في الوطن العربي وتفضيلها في بعض الأحوال ونشرها والحديث عن ميزاتها وفضائلها وتقريبها للناس سيعد بها عن أصلها ويجعلها في نهاية المطاف ومع مرور الوقت إلى لغات مستقلة تنفصل وتبعد عن أصلها العربي وأما اللغة ويستغنى بالعامية عن غيرها وقد راود هذا الاحتمال - احتمال انفصال اللهجات العامية العربية اليوم إلى لغات مستقلة لا يفهم من يتكلم واحدة منها للهجات الأخرى - كبار الفكرين العرب والأدباء وأهل العلم بتطور اللغات ومنهم الدكتور طه حسين الذي استشهد العوام بشأنه على أدب العامية في الجزيرة، يقول طه حسين: (فلنحذر من أن نشجع الكتابة باللهجات العامية فيمعن كل قطر في لهجته وتمعن هذه اللهجات في التباعد والتنافر ويأتي يوم يحتاج فيه المصري إلى أن يترجم لهجته إلى كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين، ويحتاج أهل سورية ولبنان والعراق إلى مثل ما يحتاج إليه المصريون كما يترجم الفرنسيون عن الإيطاليين والاسبانيين)<sup>(٤٨)</sup>.

وقد تحقق ما حذر منه في اللغة غير المكتوبة في لهجات الجزيرة وهي إقليم واحد يربط أهلها روابط تاريخية واحدة وجغرافية واحدة وليس بينهم فاصل جغرافي أو عرقي أو غير ذلك، وهذا الأستاذ عبدالله بن خميس يقرر حقيقة الاختلاف بين العاميات الدارجة في الجزيرة العربية فيقول إن المتكلمين بلهجة خاصة لبعض أطراف الجزيرة العربية كانوا لا يعرفون اللهجات الأخرى التي كانت تستعمل في الجزيرة نفسها ولا يفهم أهل هذه اللهجات إلا بالإشارة وفحوى القول. هذا إذا كان الحديث كما يقول الكاتب. عن الأمور المشتركة. أما إذا كان عن خصائص كل لهجة عامية فلا سبيل إلى معرفة ذلك<sup>(٤٩)</sup>.

وعلى حد وصف الكاتب فلو كانت تلك اللهجات العامية التي أشار إلى بعدها عن بعضها وهي لأهل الجزيرة العربية. لو كانت مكتوبة ومكتوب أدبها وفنها وشعرها ونثرها لكانت الجزيرة اليوم كأروبا الغربية تتكلم عدة لغات رسمية يجمعها أصل واحد ولا يفهم الناس بها إلا بالإشارة وفحوى القول كما ذكر في حال العاميات في الجزيرة العربية في الماضي. أما الحاضر فلا نجد صعوبة في فهم أي متحدث بأية لهجة من لهجات العالم العربي وماذا إلا

بنصل العلم والوسائل الحديثة التي حطمت السدود أمام اللغة العربية الفصحى وخففت من الانغلاق الذي كان سائداً من قبل.



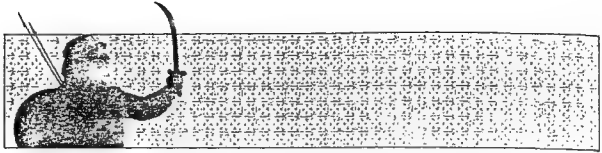
### الخواشي والتعليقات:

- (١) جريدة الجزيرة، عدد ٤٧٦٨ في ١٤٠٦/٣/٤هـ.
- جريدة الجزيرة، عدد ٤٧٨٢ في ١٤٠٦/١٢/١٨هـ.
- جريدة الرياض، عدد ٩٩٢ في ١٤٠٥/٢/٢٥هـ.
- (٢) مقدمة ديوان التميمي، عبدالله بن علي بن صفيّة، شرح أبي عبد الرحمن بن عقيل، الجزء الثاني عام ١٣٩١هـ.
- (٣) جريدة الرياض، عدد ٩٩٢ في ١٤٠٥/٢/٢٥هـ.
- جريدة الرياض، عدد ٨٧٤ في ١٤٠٤/١٠/٢٥هـ.
- (٤) أدب التميمي، شعر أم رحل،  
ترجم علي وجبة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. الصفحات ٦٥، ٧١، ٩٥، ٩٨. الخ.
- والجزيرة، عدد ٤٤٤١ في ١٤٠٥/٣/٣هـ.
- (٥) جريدة الجزيرة، عدد ٤٤٤١ في ١٤٠٥/٣/٣هـ.
- جريدة الرياض، عدد ٩٩٢ في ١٤٠٥/٢/٢٥هـ.
- (٦) الأدب التميمي، شعر أم زحل، ص ٩٨-١٠٤.
- وجريدة الجزيرة، عدد ٤٣٤٨، في ١٤٠٤/١١/٢٧هـ.
- جريدة الجزيرة، عدد ٤٣٤١ في ١٤٠٤/١١/٢٠هـ.
- جريدة الرياض، عدد ٥٨٧٤ في ١٤٠٤/١١/٢٥هـ.
- جريدة الرياض، عدد ٤٤٤١ في ١٤٠٥/٣/٣هـ.
- مجلة الدوحة، ديسمبر عام ١٩٨٤م.
- (٧) مجلة الدوحة، عدد ديسمبر عام ١٩٨٤م.
- (٨) الشعر التميمي، شعر أم زجل، ص ١٠٣، ١١٥، ٢٤١.
- جريدة الرياض، عدد ٩٩٢ في ١٤٠٥/٢/٢٥هـ.
- جريدة الرياض، عدد ٦٣٥٢ في ١٤٠٦/٣/١هـ.
- جريدة الجزيرة، عدد ٤٤٤١ في ١٤٠٥/٣/٣هـ.
- وغير ذلك عدد كثير من المقالات التي نشرت في الصحافة المحلية.
- (٩) وكان سعيد بن المسيب إذا سئل عن معنى آية من القرآن الكريم يقول: لا أقول بالقرآن شيئاً، محرّجاً من الاقدام على تفسير شيء منه بغير معناه وخوفاً من الوقوع في الزلل.
- انظر عن ذلك تفسير الطبري، الجزء الأول، صفحة ٨٥، تحقيق الشيخ محمود عماد شاكر.
- (١٠) يعني دليلاً تقوم به الحجة على صدق النبوة.
- (١١) تفسير الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، وعبون الأقاويل في وجوه التأويل.
- جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت بدون تاريخ.
- (١٢) التفسير الكبير للنفخ الرازي، تحقيق عبدالرحمن محمد، المطبعة البهية المصرية، تاريخ ١٣٥٧هـ.
- (١٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار احياء الكتب العربية، بدون تاريخ الطبعة الأولى.
- (١٤) جريدة الرياض، عدد ٥٧١٠ في ١٤٠٤/٥/٩هـ.

- (١٥) المقدمة، مقدمة ابن خلدون، نشر بيروت، بدون تاريخ.
- (١٦) الشعر الشعبي، شعر أم زجل؟ ص ٩٥.
- (١٧) الشعر الشعبي، شعر أم زجل؟، ص ١٥١.
- وجريدة الندوة، عدد ٧٤٤١ في ١٦/١١/١٤٠٣هـ.
- (١٨) جريدة الرياض، عدد ٥٩٩٢ في ٢٥/٢/١٤٠٥هـ.
- (١٩) الشعر الشعبي، شعر أم زجل، ص ١١٢.
- (٢٠) الشعر الشعبي شعر أم زجل؟، ص ٧٦.
- مقدمة ديوان النبط، جمع خالد الفرج.
- جريدة الجزيرة، عدد ٣٩٧٨ في ١٢/١١/١٤٠٣هـ.
- وجريدة الجزيرة، عدد ٤٣٧١ في ٢١/١٢/١٤٠٤هـ.
- جريدة الندوة، عدد ٧٤٤١ في ١٦/١١/١٤٠٣هـ.
- جريدة الجزيرة، عدد ٤٤٥٣ في ١٥/٣/١٤٠٥هـ.
- (٢١) الأدب الشعبي في جزيرة العرب. عبدالله بن محمد بن محبس، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، مطابع الفرزدق، الرياض.
- (٢٢) مقدمة شاعرات من البادية، عبدالله بن محمد بن رقاد، دار اليمامة للنشر، بدون تاريخ.
- الشعر النبطي، مصدراً لتاريخ نجد، الدكتور عبدالله بن صالح بن عثيمين، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الأول، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ منشورات جامعة الرياض، (الملك سعود حالياً).
- مقدمة ديوان الشعبي، عبدالله بن علي بن صفيه، طبعة عام ١٣٩١هـ.
- جريدة الرياض، عدد ٥٩٩٢ في ٢٥/٢/١٤٠٥هـ.
- جريدة الجزيرة، عدد ٤٤١٤ في ٥/٢/١٤٠٥هـ.
- جريدة الرياض، عدد ٦٣٥٢ في ١/٣/١٤٠٦هـ.
- الشعر الشعبي، شعر أم زجل، الصفحات ٤٢، ٦٦، ٩٣، ٩٦، ١٣٨، ١٨٥.
- ولا أستطيع حصر كل الأقوال التي تزعم أن الشعر العامي مصدر لتاريخ حرية عربية وهي مبشوة في الدواوين العامة والمغالات والمؤلفات والدراسات التي تناول موضوع الشعر العامي.
- (٢٣) معدا الدكتور عبدالله بن صالح بن عثيمين الذي حاول أن يبرز من خلال الفوق وتعميمه، اطر الشعر الشعبي مصدراً لتاريخ نجد، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الأول، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- (٢٤) احتجاز اليمن من الجزيرة العربية وتاريخها متصل لم ينقطع ولم يمس.
- (٢٥) بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية، عبد الكريم كريمة.
- مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، منشورات جامعة الرياض، عام ١٣٩٩هـ.
- (٢٦) سبم خالد الفرج في مقدمة مجموعة ديوان النبط، وعبدالله بن محمد بن محبس في كتابه لأدب الشعبي في جزيرة العرب، وراشد الخلاوي وأبو عبد الرحمن بن عقيل في كتابه نجد في عصر النعامة في الشعر الشعبي منحة أهل نجد، وعبدالله أحمد حاتم في كتابه خيبر مايلتقط من شعر النبط، والدكتور عبدالله بن صالح عثيمين في مقدمة شطرت في مصادر ترويح الجزيرة العربية بعنوان «الشعر النبطي مصدراً لتاريخ نجد».
- (٢٧) مثل شعر راشد الخلاوي.
- (٢٨) مثل شعر بني هلال.
- (٢٩) «أيات الأول» لشعر النبطي العامي.
- (٣٠) نظراً مثلاً، اعترف أبو عبد الرحمن بن عقيل بتعديل وزن بعض الأبيات في بعض النسخة في كتابه ديوان الشعر العامي منحة أهل نجد، صفحة ٩٢، مع أنه عالم باحث وصاحب منهج، فربما لم يلاحظ عن أمانة النقل وحرمة النص.

شبه

- (٣١) عنوان محمد في تزيح حد.  
عشاق بن عبد الله بن بشر.  
تحقيق عبدالرحمن بن عبدالمطلب آل الشيخ. منشورات دار الملك عبد العزيز - الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- (٣٢) مابن القوسين المتقوس من كلامي وليس من كلام الشيخ حمد الجاسر.
- (٣٣) مؤرخو نجد من أهلها ثلاث مقالات، ربيع الأول والثاني، وجاد الأولى، عام ١٣٩١هـ.  
مجلة العرب، م ١ السنة الخامسة، عام ١٣٩١هـ.
- (٣٤) مهم ولي، W. ALLEN زار نجدًا ووصفها، والحريف PALGRAVE حاض الجزيرة وخصرعة وسطها بحدا، دول DOUGHTY زار نجدًا وتحول مع القبائل العربية ووصف حياتها، ولنفرد WILFRID تحول في نجد ووصف حياة العرب وعاداتهم وتقاليدهم، وهوبر HUBER زار حائل وتبها والتقصيم ومثله BARON NOLDE وموزل والمليدي بلانت. هؤلاء جميعًا تحدثوا عن وسط الجزيرة، وأرخوا في رحلاتهم لمشاهداتهم وذكروا أمراء الجزيرة ووصفوا الحياة العامة. وكنو عن الأوضاع السياسية فيها إبان عصور نشاط الثعامة.
- أنظر: الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين، مصادر تاريخ الجزيرة العربية الذي مضت الإشارة إليه فيما سبق.  
وأنظر: نشأة إمارة آل رشيد، حيث استعان المؤلف بالمعلومات التي أوردها الرحالة الغربيون عن نجد واتخذها مصدراً للمعلومات التاريخية عن الجزيرة في تلك الفترة. نشأة إمارة آل رشيد، الدكتور عبدالله بن صالح بن عيسى - منشورات جامعة الرياض، ط ١، عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- (٣٥) الشعر العامي بلهجة أهل نجد، أبو عبد الرحمن بن عقيل.
- (٣٦) لم يذكر أبو عبد الرحمن بن عقيل مؤلفه.
- (٣٧) زرت مكتبة الأستاذ محمد الحمدان واطلعت على مائتيه من دواوين الشعر العامي وبمجموعاته.
- (٣٨) ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد، ص ٣٣.
- (٣٩) الشعر الشعبي: شعر أم زجل، ص ٤٠، ٤٢، ٥٧، ٦٧، ٧٦، ١٦٧، مقدمة شاعرات من البادية، عبدالله بن رذاس.  
مقدمة مايكتظ، خالد الحاتم،  
الأدب الشعبي في جزيرة العرب، ص ٢٥، عبدالله بن خيس.  
(٤٠) الأدب الشعبي في جزيرة العرب، ص ٨٦، عبدالله بن خيس.  
(٤١) الأدب الشعبي في جزيرة العرب، ص ٨٢.  
(٤٢) الأدب الشعبي في جزيرة العرب، ص ٨١.  
(٤٣) أوضاع المسالك إلى اللقية ابن مالك، لابن هشام، ج ١، ص ١١  
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.  
(٤٤) مقدمة ديوان النبط، جمع خالد الفرج.  
(٤٥) مقدمة ديوان النبط، جمع خالد الفرج.  
(٤٦) فصول في فقه اللغة العربية، الدكتور رمضان عبد التواب، دار الحايي القاهرة ١٩٧٣م.  
(٤٧) فقه اللغات السامية  
الدكتور كارل بروكلمان،  
ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) تاريخ ١٣٩٧ - ١٩٧٧م.  
(٤٨) الشعر الشعبي، شعر أم زجل؟ ص ٢٤٦.  
(٤٩) الأدب الشعبي في جزيرة العرب، ص ٨١.



# الجيش الاسلامي

## نشأته وتطوره

د. / محمد ضيف الله بطاينة

### ملخص البحث :



نزلت آية الاذن بالقتال في ظروف بيعة العقبة الثانية، وصار القتال من بعد ذلك فرضاً مكتوباً على المسلمين، ولكن لم ينبثق عن ذلك مؤسسة «الجيش» بمفهوم الجيش النظامي وما يتطلبه من رواتب وأسلحة وغير ذلك، وظل المسلمون في عهد الرسول ﷺ وعهد أبي بكر، إذ استنفروا نفرؤا، وإذا وضعت الحرب أوزارها رجعوا إلى مألوف حياتهم، فلما كان عام ٢٠هـ، أمر عمر بن الخطاب باتخاذ ديوان الجند، وصار الجيش منذ ذلك الحين، مؤسسة ذات كيان وشخصية واضحة تعتمد في تمويلها على الدولة.

اهتم ولاية المسلمين بأمور هذه المؤسسة، وعملوا - على تفاوت بينهم - على تطويرها في مجال الإنفاق، والرواتب، والتسلح، وإعداد مايلزم من القوة، وأساليب القتال، والعروض العسكرية، وفتح باب التجنيد للعناصر القوية على اختلاف أجناسها، والاهتمام بأسر الجند في حياة عوائلهم وبعد وفاتهم.

وقد حرص ولاية الأمر وبخاصة في الأيام الأولى من قيام دولة الإسلام على إبقاء نيات الجند معقودة على اعلاء كلمة الله، والجهاد في سبيله، والابتعاد عن الاضرار بالناس، والالتزام بالإسلام والامثال به قيادة وجنداً، مما أكسب الجيش الوحدة في الصف، والإخلاص في النية، والصدق في الجهاد، والتغلب على الأعداء.

ولكن الجيش لم يلبث أن انغمس في الحروب الأهلية، ثم اقترب من حى السياسة، وصارت له في فترة ثالثة اليد الطولى في تولية الخلفاء وعزهم، وتوجيه سياسة الدولة، فازتكت مؤسساتها السياسية والإدارية، وتقطعت الدولة أجزاء ودويلات متنافسة حيناً ومتحاربة حيناً آخر، مما شجع الأعداء ومكنهم من احتلال أجزاء كثيرة من ديار المسلمين.

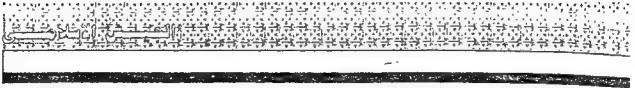
## نشوء الجيش

يطلق لفظ الجيش على الجند، كما يطلق على جماعة الناس في الحرب، أو السائرين إلى حرب، أو غيرها<sup>(١)</sup>، وقد بدأت مؤسسة الجيش مثل غيرها من مؤسسات الدولة الإسلامية بداية متواضعة، ثم نمت حتى بلغت مرحلة متقدمة في جميع جوانبها.

ففي الفترة المكية، لم يقم المسلمون بعمل عسكري ضد من خالفهم من قريش أو من غيرهم فضلاً عن إنشاء تنظيم عسكري فيها، وخلت حياة المسلمين في هذه الفترة من جميع مظاهر العنف المادي حتى هاجروا إلى المدينة.

وفي بيعة العقبة الثانية، تناولت الاتفاقية مسألة حماية الرسول ومنعه من الأعداء، وذكرت الاتفاقية أن نقيب أهل المدينة بذلوا للرسول ما أراد من الحماية والمنعة، وبإيعونه على حرب الأحمر والأسود<sup>(٢)</sup>، ونزلت في هذه الظروف آية الاذن بالقتال، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ يُظَلِّمُوا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج آية ٣٩. وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة نظم فيها اتفاقية لحماية المدينة، أشرك فيها إلى جانب المسلمين من المهاجرين والأنصار جماعة اليهود، وجعل عليهم مع المسلمين النصر على من دهم المدينة<sup>(٣)</sup>، وبعد أن كان الأنصار حسب بيعة العقبة الثانية ملزمين بحماية الرسول ومنعه من الأعداء فحسب، صار منذ معركة بدر، واجب الجهاد دفاعاً وهجوماً حظاً مشتركاً بين جميع المسلمين مهاجرين وأنصاراً<sup>(٤)</sup>، ثم صار فرضاً مكتوباً عليهم وعلى المسلمين من بعدهم مطلقاً.

وقد تناول الشيباني وابن تيمية وغيرها قضية القتال بين المسلمين وأعدائهم ومراحلهم ومشروعيته، فقالوا<sup>(٥)</sup>: أمر الرسول في الابتداء بتبليغ الرسالة والإعراض عن المشركين قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ الحجر آية ٩٤. ثم أمر الرسول بالمجادلة بالاحسن، قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل آية ١٢٥، ثم أذن للرسول بالقتال، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ يُظَلِّمُوا...﴾ الحج آية ٣٩. ثم أمروا بقتال الأعداء إن كانت البداية منهم، قال تعالى:



﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ البقرة آية ١٩٠. وقال تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾ البقرة آية ١٩٤. ثم أمروا بالقتال بشرط انسلاخ الأشهر الحرم، قال تعالى: ﴿فإذا انسلاخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين﴾ التوبة آية ٥. ثم أمروا بالقتال مطلقاً، قال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله، واعلموا أن الله سميع عليم﴾ البقرة آية ٢٤٤. وقال الشافعي بخصوص فرض القتال على المسلمين: لما مضت لرسول الله ﷺ مدة من هجرته أنعم الله فيها على جماعة باتباعه حدث لهم بها مع عون الله قوة بالعدد لم تكن مثلها، ففرض الله تعالى عليهم الجهاد بعد أن كان إباحة لا فرضاً، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَعَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ البقرة آية ٢١٦. إلا أنه لم ينبثق عن ذلك مؤسسة عسكرية، ولم يؤد الحال إلى ظهور مؤسسة الجيش بمفهوم «الجيش النظامي» وما يتطلبه من رواتب، وملابس، ومأكّل، ووسائل نقل، وأسلحة وغيرها، وظل الجيش في عهد الرسول ﷺ يتكون نظرياً من جميع المسلمين، وكانوا إذا استنفروا نفروا، وإذا وضعت الحرب أوزارها رجعوا إلى مألوف حياتهم. واستمر الحال في عهد أبي بكر، فلما كان عهد عمر بن الخطاب وكثرت الأموال، قام عمر بتأسيس ديوان الجند عام ١٥هـ (٦)، وقيل عام ٢٠هـ (٧)، وجعل للجند رواتب مخصصة، وإعاشة مفروضة لأولادهم (٨)، وحظر عليهم مزاولة الأعمال الأخرى، ومنذ ذلك الوقت، صار الجيش مؤسسة ذات كيانه وشخصية مستقلة، تعتمد في تمويلها على الدولة.

### قيادة الجيش:

كان الخليفة بحكم ولايته العامة قائداً للجيش، ولكن خلفاء لم يكونوا يقومون بهذه المهمة إلا نادراً، وكانوا ينيبون عنهم من كانوا يتحرّون فيهم الرأي والشجاعة والنجدة والبرّ والامانة والاستقامة، وغيرها من الصفات اللازمة للقيادة العسكرية.

فلما خرج أبو بكر بالمسلمين إلى حرب القبائل التي اجتمعت في ذي القصة، قال المسلمون: نشدك الله يا خليفة رسول الله ألا تعرّض نفسك. فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلاً، فإن أصيب أمّرت آخر (٩).

وفي حروب العراق. وفي ظروف حرب القادسية، نادى عمر الصلاة جامعة، وأخبر الناس  
أخيراً فقال العامة: سر، وسر بنا معك. ثم بعث عمر إلى أهل الرأي وإلى وجوه أصحاب النبي  
بخطبة واعلام العرب فقتل: احضروني الرأي فإنني سائر. فاجتمعوا جميعاً. وأجمع جمعهم على أن  
يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، ويقيم ويرميهم بالجنود. وفي ذلك ما يغيظ العدو،  
وقال عبد الرحمن بن عوف: بأبي وأمي، اجعل عجزها بي وأقم، وابعث جنداً، فقد رأيت  
قضاء الله لك في جنودك قبل وبعد، فإنه إن هزم جيشك ليس كهزيمتك، وإنك إن تقتل أو  
تهزم في آنف الأمر خشيت ألا يكبر المسلمون وألا يشهدوا أن لا إله إلا الله<sup>(١١)</sup>.

وعلى ذلك سار اخلفاء، وكانوا يقيمون ويبعثون جيوش يؤثرون عليها الأمراء ويمدونهم  
بالعساكر، وكان خروجهم على رأس الجيوش قليلاً، ولا يحدث إلا لأمر عظيم. فقد قاد علي  
ابن أبي طالب الجيش في حروب الجمل وصفين، وقاد عبد الملك الجيش في حربه مع مصعب  
ابن الزبير، وقاد مروان بن محمد الجيش في حربه مع الخوارج والعباسيين، وقاد الرشيد الجيش  
لحرب رافع بن الليث، وقاد المعتصم الجيش لحرب الروم. وعندما أمر عمر بن الخطاب أبا  
عبيد بن مسعود على الجيش في حرب العراق، قال له يوصيه: فإنها الحرب، والحرب لا  
يصلحها إلا الرجل المكيث - الرزين الذي لا يعجل -، وقال في عدم تأمير سليط بن قيس  
على الجيش: إنه لم يمتعي من أن أوامر سليطاً إلا سرعته إلى الحرب، وفي التسرع إلى  
الحرب... ولكن الحرب لا يصلحها إلا المكيث<sup>(١٢)</sup>.

أما في الولايات فكانت قيادة الجيش تعود إلى الولاة، أو من كانوا ينيبونهم عنهم، ولم تكن  
على أية حال، أخبار الجيوش تغيب عن الخليفة، وكانت توافيه باستمرار منذ أن تخرج إلى  
ساحة القتال، وحتى تعود القافلة إلى قواعدها.

### اهتمام الدولة بالجيش:

كان اهتمام الدولة وولاة الأمر بالجيش كبيراً، وكان يدور في الغالب حول عدد أفراد الجيش  
ورواتبهم، وأمور معاشهم، وجهازهم في الحرب، ونظامهم في القتال، وسيرتهم في الناس قبل





## القتال وفي أثناء القتال وبعده.

ومنذ أن اتخذت الدولة ديوان الجند، صارت تسجل أسماء المقاتلة وترتيبهم فيه على قدر النسب المتصل بالرسول ﷺ، وكانت تذكر حيث يلزم، اسم الجندي وسنه وقده وصفة وجهه ووصف ما يتميز به عن غيره، وأما العطاء فقد راعت عند تقديره في أول الأمر القربى من الرسول ﷺ، والسابقة في الإسلام وحسن الأثر في الدين، ولما انقضى أهل السوابق راعت في تقدير العطاء التقدم في الشجاعة والبلاء في الجهد، كما راعت عدد من يعولهم الجندي من أفراد العائلة والماليك، وراعت عدد ما يرتبط من الخيل والظهر، وراعت البلد الذي يحله من حيث الغلاء والرخص وكان إذا حدث بالجندي زمانة — علة مستديمة، مرض عضال — أبطت الدولة — وحيث تسمح ظروفها المالية على راتبه، وأما إذا قتل، أو مات فإن راتبه يصير من حق ورثته، ويظل راتب عائلته قائماً تقبضه من ديوان الجند، أو تحال نفقتها على ديوان العشر والصدقة، وذلك حسب الأوضاع المالية للدولة.

وقد تحدث الماوردي عن ترتيب الجند في ديوان الجند، فذكر نوعين أحدهما الترتيب العام الذي يتناول ترتيب القبائل والأجناس قبيلة بعد قبيلة، وجنساً بعد جنس، وفي هذا الترتيب العام، يتبدى بقرىش الأقرب فالأقرب إلى الرسول ﷺ حتى تستوعب جميع قرىش، ثم يليهم من مضر، ثم بمن يليهم من ربيعة، ثم بمن يليهم من قحطان، حتى يستوعب جميع العرب، ثم بمن يليهم من غيرهم حسب أنسابهم، أو أجناسهم، أو بلدانهم، ويرتبون في الديوان حسب السابقة في الإسلام، وإن لم تكن لهم سابقة، ترتبوا حسب القرب من ولي الأمر، أو حسب السبق إلى طاعته. وثانيهما الترتيب الخاص الذي يتناول ترتيب الجنود الواحد بعد الواحد. وفيه يراعى إلى جانب القرابة من الرسول ﷺ، السابقة في الإسلام، والأثر في الدين، والشجاعة، وفي حال تساوي هذه الأسس، يصار إلى رأي ولي الأمر واجتهاده<sup>(١١)</sup>.

### فئات الجيش :

كان الجيش بعد إنشاء ديوان الجند يضم في حروبه وغزواته الجند النظاميين، الذين يتقاضون لقاء الجندية رواتب معلومة من الدولة، ويضم المتطوعة. والمتطوعة فريقان، فريق

كان يأخذ من الدولة مبلغاً من مال المنفعة في كل مرة كان يخرج فيها للقتال، وفريق كان يخرج للقتال متطوعاً بنفسه وماله<sup>(١٣)</sup>، وشواهد الواردة بخصوص الجيش في المصادر التاريخية تشير إلى فترات أخرى كانت تشترك في القتال، منها أبناء المقاتلة الذين أدركوا، وموالي المقاتلة، ومماليكهم، وعبيدهم<sup>(١٤)</sup>، إضافة إلى النساء اللواتي كن حتى فترة متأخرة من عهد بني أمية يصحبن الجيش برفقة أزواجهن وأولادهن يشجعنهم على القتال، ويداوين الجرحى، وقد يقاتلن على نحو ما جرى في معركة اليرموك إذ امتشقن السيوف يقاتلن بها الأعداء حين دخلوا العسكر عليهم<sup>(١٥)</sup>.

ومع أن المسلمين كانوا يشكلون مصدر إمداد الجيش بالجنود والمقاتلين، وعليهم كتب القتال، فإن ولاية الأمر ابتداء بالرسول ﷺ، كانوا يستعينون بغير المسلمين عند الحاجة في القتال، فقد استعان الرسول ﷺ في غزوة خيبر بعدد من يهود بني قينقاع كانوا أشداء، واستعان في غزوة حنين بصفوان بن أمية وهو مشرك<sup>(١٦)</sup>.

وكتب عمر بن الخطاب عام ١٧هـ إلى سعد بن أبي وقاص قائد الجيوش الإسلامية في العراق، أن يستعينوا بمن احتاجوا إليه من الأساورة، ويرفعوا عنهم الجزية ففعلوا. واشترك أقباط مصر مع المسلمين في غزوة ذات الصواري عام ٣١هـ أو عام ٣٤هـ<sup>(١٧)</sup>، ونصت بعض عهود الأمان واتفاقيات الصلح مع أهل البلاد المفتوحة على أن يتفروا مع المسلمين، ويشتركوا معهم في قتال الأعداء، لقاء إسقاط الجزية عنهم، أو مقابل أجر مقدر لهم، فنص الأمان الذي أعطى لأهل تفلّيس على أن ينصر أهل تفلّيس المسلمين على الأعداء ونص أمان أهل شهر براز وسكان أرمينية والأرمن أن عليهم ومن حولهم فدخل معهم أن يتفروا كل غارة على أن توضع الجزية عنهم أجباب إلى ذلك، وأما إذا تعرض المسلمون للخطر فللمسلمين أن يحشروهم للقتال معهم، ويكون اشتراكهم في القتال عوضاً من الجزية المفروضة عليهم<sup>(١٨)</sup>، وسار قتيبة ابن مسلم الباهلي عام ٩٣هـ نحو سمرقند بأهل خوارزم وبخاري حتى قال له صاحب سمرقند: إنما نقاتلني بلخوتي وأهل بيتي من العجم. ولما غزا قتيبة عام ٩٤هـ بلاد الشاش وفرغانة فرض على أهل بخاري وكسأ ونصفاً وخوارزم عشرين ألف مقاتل فساروا معه إلى

السغد<sup>(١٩)</sup>، وعقد الشافعي في كتابه «الأم» فضلاً بعنوان «الاستعانة بأهل الذمة على قتال العدو» انتهى فيه إلى القول ان لا بأس أن يستعان بهم في القتال على الأعداء ويعطوا أجرهم<sup>(٢٠)</sup>.

وكان إذا أسلموا، بمعنى الإيمان والولاء للفكر والنظام والانتفاء للحضارة، زالت الأوضاع السابقة المتعلقة بهم قبل إسلامهم، وصارت الحال الجديدة سبباً لإجراء الأخوة والمساواة بين الجميع، مما يشير إلى اتجاه حضاري متسامح وودي. فقد نص الأمان الذي كتبه حبيب بن مسلمة لأهل تفليس من بلاد أرمينية على: — . . . . . فإن أسلمتم وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، فإخواننا في الدين وموالينا<sup>(٢١)</sup>.

#### أعداد الجيش :

بدأت أعداد الجيش متواضعة لا تتجاوز المئات في بداية قيام الدولة الإسلامية، ثم صارت تكبر وتزداد بازدياد الداخلين في الإسلام، فبلغ العدد في غزوة حنين عام ٨هـ اثني عشر ألفاً<sup>(٢٢)</sup> وكان عدد الجيش في معركة اليرموك في بلاد الشام يصل في بعض الروايات إلى ستة وأربعين ألفاً<sup>(٢٣)</sup> وغزا يزيد بن المهلب عام ٩٨هـ جرجان وطبرستان في مائة ألف مقاتل من أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل خراسان وأهل الري، سوى الموالي والماليك والمتطوعة<sup>(٢٤)</sup>، وسار هارون الرشيد عام ١٦٥هـ في خلافة أبيه محمد المهدي في الصائفة إلى بلاد الروم في خمسة وتسعين ألفاً وسبعائة وثلاث وتسعين رجلاً<sup>(٢٥)</sup>، على أن هذه الأرقام الواردة في هذه الشواهد لا تمثل مجموع أعداد الجيش بكامله، وإنما يدل بعضها على ضخامة الحملة العسكرية وأهمية أغراضها من جهة وإلى وفرة أعداد المقاتلين من جهة أخرى، فقد كان الجيش موزعاً بين الشام ومصر وأفريقية والأندلس والعراق وخراسان والثغور الإسلامية المختلفة، وعلى سبيل المثال كان ديوان الجند في مصر يضم في زمان معاوية بن أبي سفيان أربعين ألفاً<sup>(٢٦)</sup>، وكان عدد المقاتلين المرابطين من أهل البصرة بخراسان في عهد بني أمية وأواخر القرن الهجري الأول أربعة وخمسين ألفاً<sup>(٢٧)</sup>، وعندما ترك مروان عام ١٢٧هـ مكانه في ثغور أرمينيا واذربيجان والجزيرة مخالفاً على الخليفة يزيد بن الوليد، خلف ابنه في الثغور

بأربعين ألفاً وسار في ثمانين ألفاً، والتقى عند حمص بسليمان بن هاشم مرسلاً من جانب الخليفة يزيد في عشرين ومائة ألف<sup>(٢٨)</sup>، وعندما التقى مروان عام ١٣٢هـ بجيوش العباسيين في معركة الزاب كان عسكره عشرين ومائة ألف<sup>(٢٩)</sup>.

والشواهد السابقة للأعداد المشتركة في الحملات العسكرية المختلفة، تساعد على تكوين صورة أولية عند إجراء حساب كلي لمجموع الجيش، كما تساعد بنوعها النظامية والمتطوعة، ورغم بعض الحالات التي تدين بعض أفراد الجند النظامية بالتقاعس عن القتال والتدمير، وإرسال البديل حيناً، وحشر الجند طوعاً وكرهاً، وبذل الأموال لهم وإفاضتها عليهم، وإسقاط الأسماء من ديوان الجند حيناً آخر<sup>(٣٠)</sup>، تساعد مع ذلك على بيان مدى احترام الجندية والاعتزاز بشرفها والإيمان برسالتها وبخاصة في العهود الإسلامية الأولى. وما يجدر ذكره، أن الأوضاع المالية والاتجاهات السياسية، كانت تؤثر في أعداد الجند، وفي اختيارهم أحياناً<sup>(٣١)</sup>.

#### عناصر الجيش وأجناسهم :

كانت الأعداد التي تشكل منها الجيش ابتداءً، تنتمي في الغالب إلى العنصر العربي، فلما انطلقت حركة الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية في عهد الراشدين واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، صارت بعض العناصر المختلفة من أهل البلاد المفتوحة تشارك في الجيش، وكانت إذا أسلمت تسجل غالباً في ديوان الجند وتصرف لها الرواتب، فقد انفصل، على سبيل المثال، أربعة آلاف جندي عن رستم في معركة القادسية وانضموا إلى المسلمين وأسلموا، ففرض لهم المسلمون في العطاء ألفاً لكل واحد منهم، وهم الذين كان يطلق عليهم «حراء ديلم»<sup>(٣٢)</sup>.

وانضم سياه أحد قادة يزدجرد في عدد كبير من الأساورة إلى المسلمين عام ١٧هـ، وأسلموا، فكتب أبو موسى الأشعري فيهم إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه عمر: أن ألحقهم على قدر البلاء في أفضل العطاء وأكثر شيء أخذه أحد من العرب، ففرض لمائة منهم في ألفين، ولسته منهم في ألفين وخمسة. فقال الشاعر.



ولما رأى الفاروق حسن بلائهم . وكان بما يأتي من الأمر أبصرا  
فَسَنَ لَهُمُ الْفَيْنَ فَرَضًا وَقَدْ رَأَى : ثَلَاثُمِائِينَ فَرَضَ عَكَ وَحَمِيرًا (٣٣)

وتشير المصادر التاريخية إلى هذه العناصر بأسماء مثل الفرس، والحمراء، والأساورة،  
والسبابة، والزط، والبخارية، والأترك، والبربر وغيرهم (٣٤).

ومنذ العهد العباسي أخذت أعداد هذه العناصر تزداد كثافة لأسباب تتصل بمجد الدعوة  
العباسية، وظروف قيام دولتهم وتخوفهم على سلطانهم من جهة، ثم ضعف دولتهم وذهاب  
سقوطها وقيام الإمارات المستقلة من جهة أخرى. فقد كثرت العناصر الخراسانية في الجيش منذ  
قيام الدولة العباسية، وحاول المعتصم لذلك أن يوازن بين العناصر المختلفة في الجيش  
وبخاصة الخراسانية، فاستقدم الأتراك وأكثر منهم، ثم اصطنع قوماً من أهل الخوف بمصر  
وساهم المغاربة، وجمع خلقاً من سمرقند وأشروسنه وفغانه وساهم الفراغة فكانوا من  
أصحابه وبقوا بعده (٣٥)، وعندما أخذت الإمارات المستقلة في الظهور، وبخاصة منذ منتصف  
القرن الثالث الهجري، أقبل حكام هذه الإمارات يَكُونُونَ جيوشاً خاصة بهم، وكانوا  
يستقدمون بعض الأعداد اللازمة لها من البلدان المختلفة، يستخدمونهم في الجيش مقابل  
المال، ويتعززون بهم، ويعتمدون عليهم في حفظ سلطانهم وتوسيع إماراتهم.

#### تمويل الجيش وتمويله :

كان الجيش قبل تأسيس ديوان الجند، يعتمد في تمويله وتجهيزه على ما يعده الأفراد من  
عده، إضافة إلى ما كانوا يقدمون من نفقة وصدقة يتطوعون بها للإنفاق على من كانت الحاجة  
تقصر بهم عن النفقة وتتعدهم عن الخروج إلى القتال، وكان الأفراد يتدبرون المال مما كان بين  
أيديهم من زراعة، أو تجارة، أو إبل، أو ماشية، أو حظهم من الغنائم، وكان يعتمد من جهة  
أخرى على ما تقدمه الدولة من سلاح وخيل كانت تشتريها من حظها من خمس الغنائم وما  
تأخذه من أهل الذمة على سبيل الجزية، وما كان يصرف من أموال الزكاة في هذا السبيل (٣٦)

وبعد تأسيس ديوان الجند، صار الجند يصرفون قسماً من رواتبهم في تجهيز أنفسهم وإعداد ما يلزمهم في السفر والقتال، وورد على سبيل المثال، أن كثير بن شهاب الحارثي الذي عينه والي الكوفة المغيرة بن شعبة الثقفي على الري ودستى وقزوين في خلافة عمر بن الخطاب، كان إذا غزا أخذ كل امرئ من معه بترس، ودرع، وبيضة، ومسلّة، وخمس إبر، وخيوط كتان، وبمخصف ومقراض ومخلّة<sup>(٣٧)</sup>، وكان الرجل من الجند يحتاج عندما طالت خطوط القتال، على نحو ما جرى في غزوة تبوك، إلى بعيرين: بعير يركبه وبعير يحمل ماء وزاده<sup>(٣٨)</sup>، وعندما صارت خطوط القتال تمتد إلى ما وراء العراق وما وراء خراسان وغيرها من المناطق الجبلية والوعرة، صار الجند يستخدمون إضافة إلى الإبل، البغال في حمل أمتعتهم وموادهم<sup>(٣٩)</sup>، ولذلك كان القادة يتخيرون فصول الخصب والدفاء من السنة تخففاً من حمل الزاد والمثونة، وتحلّصاً من متاعب البرد والحاجة إلى الإدفاء<sup>(٤٠)</sup>، وكانت الجيوش تخرج أول الأمر من مدينة الرسول ﷺ، فلما فتحت العراق والشام ومصر أمر عمر بن الخطاب بتمصير الأمصار واتخاذ المدن لإقامة الجند فيها، وصارت الجيوش تنطلق هذه المرة من الكوفة والبصرة والفسطاط وأمثالها من مدن العسكر في هذه البلاد، ولما فتحت خراسان وأفريقية، أخذت الجيوش وبخاصة في عهد بني أمية تنطلق من مرو في خراسان، ومن القيروان في أفريقية وغيرها من المراكز العسكرية الأقرب نحو مبادين القتال، وكانت الطرق التي تسلكها الجيوش في الغالب هي طرق التجارة لما قد يتوفر في هذه الطرق من الخدمات، وبخاصة الماء الذي كانوا ينزلون عليه، فيستقون ويملاؤن القرب لحاجتهم منه في الطريق. وكان الجيش في منازل على الطريق يتخذ الخيام<sup>(٤١)</sup> للراحة، ويعجن ونخبز، وكان يأكل في طريقه من الثمار التي يمر بها، فقد ذكر الصنعاني أنهم كانوا يرخصون للجيش في الطعام والعلف من الغنيمة بأرض العدو، وقيل للحسن البصري: ما كنتم تصيبون في الطريق، قال: التبن، والخطب، وقيل له: الرجل يمر بالثمار قال: يأكل ولا يحمل<sup>(٤٢)</sup>، حتى إذا بلغ الجيش غايته، صار يعتمد إضافة إلى مامعه من المثونة على ما يحصل عليه من طريق الغارات والحرب<sup>(٤٣)</sup>، وكان الجيش يأكل مما يغنم، فيصيب الطعام بأنواعه، ويذبح البقر والغنم لأغراض الأكل للحاجة الماسة إلى ذلك، وعدم استطاعته على استصحاب الكفاية منه معه من دياره<sup>(٤٤)</sup>، وإذا طال به المقام كان يزرع

ويؤكد... إلا أن سياسة الدولة كانت تقوم أساساً على أن لا تجنّم الجيوش في ساحات القتال، وأن لا تترك لفترة طويلة بعيدة عن أوطانها وأهلها، وإذا وقع ذلك، كان استثناء، وكان سبباً إلى السخط والفتنة، ومما جاء في خطبة الخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك: «..... ولا أجركم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم»<sup>(٤٦)</sup>.

وإلى جانب قيام الجند بتجهيز أنفسهم، كانت مساهمة الدولة في الإنفاق وإعداد القوة كبيرة، فقد ورد عن عمر بن الخطاب، أنه كان يحمل في كل عام على أربعين ألفاً من الظهر<sup>(٤٧)</sup>، وأنه جعل ثلاثين ألف بعير وثلاثمائة فرس ووسم في أفخاذهم حبيس في سبيل الله<sup>(٤٨)</sup>، وبلغ مقدار ما أنفق الحجاج على الجيش الذي سيّره بقيادة ابن الأشعث إلى سجستان ألفي ألف سوى أعطيات الجند حتى دعي الجيش بجيش الطواويس<sup>(٤٩)</sup>، وبلغت نفقات الجيش الذي قاده هارون الرشيد في خلافة أبيه محمد المهدي إلى غزو الروم مائة ألف دينار وأربعة وتسعين ألفاً وأربعمائة وخمسين ديناراً ومن الورق أحداً وعشرين ألفاً وأربعمائة ألف وأربعة عشر ألفاً وثمانمائة درهم<sup>(٥٠)</sup>، وهي نفقات تشير إلى مركز الدولة الكبرى الذي كانت تحتله الدولة الإسلامية آنذاك في العالم.

#### وظيفة الجيش ومهامه :

كان القتال المهنة الطبيعية للجيش، وبعد كل منها ظلالاً للآخر، ولم تستطع البشرية حتى يومنا الحاضر أن تستغني عن القتال في علاقاتها، ونلّه ابن خلدون أمراً طبيعياً لا تخلو عنه أمة ولا جيل، ورده إلى إرادة انتقام بعض البشر من بعض غيرة ومنافسة أو عدواناً أو غضباً للملك والحكم أو غضباً لله ولدينه<sup>(٥١)</sup>، وبتعبير آخر صراع من أجل السيادة وضمانها، وجلب المصالح وحمايتها، ونشر المبادئ والأفكار وسيطرتها، وبخصوص القتال في الإسلام، فإن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حددت بواعثه ودواعيه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أُولَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ﴾ الحجرات آية ١٥. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ

تُنَجِّيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠-١١﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعِلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة آية ٢٤٤ . وقال ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابها على الله» (٥٢) .

وفي بحث قمت به وجدت لفظ القتال يرد في خمس وثلاثين آية موزعة بين إحدى عشرة سورة وفي خمسة وسبعين حديثاً، وتفيد جميعها أن القتال قد شرع ليكون في سبيل الله ولتكون كلمة الله هي العليا» (٥٣) .

وقد روى أن رسول الله ﷺ بعث إلى ملوك ورؤساء وأمراء البلاد المجاورة كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام، ومما جاء في كتابه إلى أمبراطور الروم: «إني أدعوك إلى الإسلام، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، فإن لم تدخل في الإسلام... فلا تحل بين الفلاحين والإسلام أن يدخلوا فيه» (٥٤) .

وكان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش، أو سرية، أو صاء في خاصة نفسه بتقوى الله ويمن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغلبوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال - أو خلل - فأيتهم أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم: ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا، فإن لهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المسلمين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفنيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلمهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم» (٥٥) .





فلما توفي الرسول ﷺ، وجه أبو بكر الجيوش لقتال الخارجين على وحدة الأمة ممن أسلمتهم المصادر التاريخية بالمرتدين، وكتب إليهم مع أمراء الجيوش كتباً جاء فيها: ... راني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعو إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكف، وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك... ولا يقبل من أحد إلا الإسلام فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله<sup>(٥٦)</sup>.

ولما فرغ أبو بكر من حروب الردة سبى الجيوش خارج الجزيرة ليفتح البلاد المجاورة وكانت وصيته إلى أمراء الجيوش، أن لا يغلوا، ولا يغلروا، ولا يمثّلوا ولا يقتلوا وليداً، ولا يقتلوا امرأة، وأن لا يقاتلوا الا من قاتلهم، وأن يدعوا الناس إلى إحدى ثلاث خصال، فأتيهن أجابوا إليها قبل منهم: الإسلام أو الجزية أو القتال<sup>(٥٧)</sup>.

كان المسلمون يعرضون هذه الخصال على الخصوم عن طريق من كان يحسن التحدث بلسان الخصوم ممن يرافق الجيش.

وكان كثير من العرب يتقنون لغات أهل البلاد المجاورة من الفرس، والروم، والأحباش، وكانوا استفادوا الحديث بلغات هذه الأقوام عن طريق المجاورة والمخالطة والتجارة، وذكر الطبري على سبيل المثال أن خالد بن الوليد كتب إلى الفرس يدعوهم إلى الإسلام أو الذمة والجزية أو القتال وبعث كتاباً من كتبه مع رجل من أهل الحيرة، وكتاباً آخر مع رسول صلوبا، وأن المسلمين اتخذوا في معركة القادسية هلالاً الهجري ترجاناً<sup>(٥٨)</sup>.

وإضافة لما سبق، فإن الخلفاء وبخاصة في العهد الراشدي كانوا حريصين على بقاء نيات الأمراء ونيات جيوشهم معقودة على إعلاء كلمة الله في سبيله، وكانوا يرون تأخر الجيوش في الفتح وإبطاء نزول النصر عليهم إشارة على تغير النيات وتعلقهم بالمنافع المادية، تلك المنافع التي عبروا عنها باسم «الدنيا» وحذروهم منها.

قال أبو بكر: الا أنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن لا

نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به، هي التجارة التي دل عليها، ونجى بها من الخزي وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة، وكتب إلى خالد بن الوليد وعياض بن غنم أمراء جيش العراق: وآثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعاً لكم، ولا تؤثروا الدنيا فتسلبوها<sup>(٥٩)</sup>.

وكتب عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص: أما بعد، فتعاهد قلبك، وحادث جنودك بالموعظة والنية والحسبة، ومن غفل فليحدثها، والصبر الصبر، فإن العون يأتي من الله على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة<sup>(٦٠)</sup>.

ولما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر، كتب إلى عمرو بن العاص: أما بعد فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، إنكم تقاتلونهم منذ ستين وما ذلك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نيائهم وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر، وأعلمت أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف إلا أن يكونوا غيرهم فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم، ورغبهم في الصبر والنية، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس ومر الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فإنها ساعة تنزل الرحمة ووقت الإجابة وليعج الناس إلى الله ويسألوه النصر على عدوهم... وأمر عمرو الناس أن يتطهروا، ويصلّوا ركعتين، ثم يرغبوا إلى الله، ويسألوه النصر، ففعلوا، ففتح الله عليهم<sup>(٦١)</sup>، وكان من السنة التي سنّها الرسول ﷺ بعد معركة بدر، أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء، وهي سورة الأنفال، وسار المسلمون من بعد ذلك على هذه السنة<sup>(٦٢)</sup>.

كانت المنافع المادية في سياسة الدولة تالية على الأسباب، وهي في الغالب، نتيجة لازمة للفتوحات وثمرات مترتبة عليها، ولكن بعض الإشارات الواردة من عهد بني أمية تدل على امتزاج الأسباب والنتائج عند الدولة في حركة الفتح أحياناً، وأن بعض الولاة اتخذ حجم الغنائم المرتقبة وسيلة لإقناع ولاة الأمر بتوجيه الجيوش إلى ساحات القتال أو عدم توجيهها، فضلاً عن اتخاذ مقادير الغنائم مادة للإعلام والأخبار ابتغاء المباهاة والتفاخر في الإنجازات،

قيل إن الحجاج بن يوسف كتب إلى يزيد بن المهلب: أن اغز خوارزم، فكتب إليه يزيد، أيها الأمير، انها قليلة السلب، شديدة الكلب<sup>(٦٣)</sup>.

وكتب يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك: أما بعد، فإن الله، قد فتح لأمر المؤمنين فتحاً عظيماً، وصنع للمسلمين أحسن الصنع، فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان، وقد أعيا ذلك سابور ذا الاكتاف وكسرى بن قباد، وكسرى بن هرمز، وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومن بعدهما من خلفاء الله، حتى فتح الله ذلك لأمر المؤمنين، كرامة من الله له، وزيادة في نعمه عليه. وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفىء والغنيمة ستة آلاف ألف، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله.

ولما طالب عمر بن عبد العزيز يزيد بالمبلغ قال يزيد: «... وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس»<sup>(٦٤)</sup>.

#### النتائج المترتبة على موقف البلاد من الخصال المعروضة عليهم:

كان إذا أسلم أهل البلاد عند عرض الخصال الثلاث المذكورة سابقاً عليهم وقبل أن يقع القتال، صار لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وأما إذا رضوا الصلح واعتقدوا الذمة والعهد، فإن المعاهدات المعقودة تصبح أساس العلاقة والمطالبة بين الجانبين، فكان عمر بن الخطاب على سبيل المثال، حريصاً على أن يتم الجيش عهده ومواريقه لأهل العهود والمواثيق، ولما كان من المعقول أن يتعرض أهل البلاد لبعض تعديات الجند من غير إرادة من القادة والأمراء، فإن عمر بن الخطاب أوصى الأمراء أن يبرأوا من هذه الحالات في العهود التي يعطونها حتى لا ينسبوا إلى غدر أو خيانة، قال عمر: إذا عاهدتم قوماً فابروا إليهم من معرفة الجيوش<sup>(٦٥)</sup>، (ومعرفة الجيوش هو الأذى الذي تلحقه الجيوش بدون علم وإذن الأمير).

ولما كان المسلمون بالجالية وفيهم عمر بن الخطاب، أتاه رجل من أهل الذمة وأخبره أن الناس قد أسرعوا في عنبه، فخرج عمر حتى لقي رجلاً من أصحابه يحمل ترساً عليه عنب

فقال عمر: وأنت أيضاً؟ فقال: يا أمير المؤمنين أصابتنا مجاعة فانصرف عمر، فأمر لصاحب الكرم بقيمة عنبه<sup>(٦٦)</sup>، أما إذا وقعت الحرب بين الجانبين، فإن العدوان والفساد وقتل النساء والصبيان والعسفاء - المستخدمون - والوصفاء - المالك - ورجال الدين وغيرهم ممن لم يقاتل كانت أمواله محذورة، وكانت وصايا الرسول ﷺ ووصايا الخلفاء إلى الجيوش، أن يتمسكوا بالتقوى والصلاح ويتعدوا عن الفساد، قال ﷺ، انهوا جيوشكم عن الفساد، فإنه ماغلّ جيش قط إلا سلط الله عليهم الرّجلة، وانهوا جيوشكم عن الزنا، فإنه ما زنا جيش قط إلا سلط الله عليهم الموتان<sup>(٦٧)</sup>، فإذا انجلت الحرب، وأحرز المسلمون النصر، صار الأسرى إلى القتل، أو الفداء، أو المن، والعفو عنهم، أو الاسترقاق<sup>(٦٨)</sup>، وأما سكان البلاد، فكانوا يتركون على ماكانوا عليه من قبل، لقاء ضريبة أطلق عليها الجزية، أوخراج الرأس، وضريبة على الأموال أطلق عليها الخراج<sup>(٦٩)</sup>، وبالمقابل كانت الدولة تتولى حماية مواطنيها من أي اعتداء داخلي، أو خارجي، وتقوم برعايتهم، سواء أكانوا من أهل الملة، أم كانوا من أهل الذمة والعهد.

فقد جاء في وصية عمر بن الخطاب: أوصى الخليفة من بعدى بكذا أو كذا. وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ خيراً: أن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم، . . . وإذا وقع أهل الذمة والعهد في الأسر صار على الدولة أن تفديهم وتستغفهم من الأسر وكانت تدفع فداءهم من بيت المال<sup>(٧٠)</sup>.

وذكر الماوردي أن من واجبات الخليفة، أن يحصن الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بغرة يتسكعون فيها محرمًا، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دماً<sup>(٧١)</sup>.

#### دور الجيش في صيانة البلاد من الفتن الداخلية :

وإضافة إلى قيام الجيش بجهاد الأعداء، وقاتل الجيوش التي كانت تنف في طريق امتداد الإسلام ونشره بين الناس من أهل البلاد المجاورة، كان الجيش - منذ الخلاف على عثمان بن عفان، والخلاف بين علي بن أبي طالب ومعارضيه - يباشر القتال في الساحات الداخلية،

وبخوض غمار الحروب الأهلية، وقد كانت المنافسة على السلطان، والخروج على الحكام والولاة من الأسباب التي أدت إلى استمرار هذه الحروب الداخلية في عهد بني أمية وعهد بني العباس وعمود غيرهم من حكام المسلمين، وجعلت مهمة الجيش أكثر صعوبة وتعقيداً، واقتضت أن تشمل مسئولية الجيش حماية الساحة الداخلية مثلما تشمل حماية الأطراف والحدود الخارجية، وقد أدى ذلك إلى اقتراب الجيش من حمى السياسة لما صارت تصيه مباشرة آثاره، وشجعه ذلك على التدخل أحياناً وبالتدريج في شئون الخلافة والحكم، فقد ثار على سبيل المثال، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالجيش على الحجاج ثم تعدها إلى الخليفة عبد الملك، وثار يزيد ابن المهلب على الخليفة يزيد بن عبد الملك، وتحرك مروان بن محمد بالجيش نحو دمشق واستولى على الخلافة، ثم تحرك بنو العباس بمن انضم إليهم من الجيش واجتمع إليهم من الأنصار ضد بني أمية وأخذوا الخلافة منهم، وإن بدا أن تدخل الجيش في شئون الدولة في العهد العباسي الأول كان بسيطاً نسبياً، فإن تدخله في العهد التالية كان واضحاً وقوياً ولا حاجة إلى تكرار ما نوهنا عنه من قبل بخصوص سيطرة الجيش على مؤسسة الخلافة وتحكمه بالخلفاء. وخلاصته أن الجيش تحول إلى مؤسسة تدير دفة السياسة، وهو وإن كان بطبيعته من مؤسسات الدولة السياسية، فإن الفارق أن الجيش صار القابض على مقاليد السياسة والمسيطر على مؤسسات الدولة المختلفة، الأمر الذي جعل التنافس على السلطان يسير دوماً في طريق العنف المادي، مما أدى إلى ضخامة الخسائر المادية والبشرية، إضافة إلى قيام الكيانات المستقلة وإضعاف قوة الدولة أمام أعدائها، وقد هزت هذه الحال التي انحدرت إليها الجيوش محمود بن سبكتكين، فقام عام ٣٩٢هـ بغزو الهند ليكون ذلك كفارة لما كان منه من قتال المسلمين<sup>(٧٢)</sup>.

#### أساليب القتال وأسلحة الجيش :

كان الجيش أول الأمر قد اتبع نظام الصف في القتال<sup>(٧٣)</sup>، ثم اقتضت الضرورة المتعلقة بزيادة العدد، وتنوع الأسلحة، وتقدم نظام الحرب، وفن القتال اتباع نظام حربي آخر عرف بنظام التعبئة<sup>(٧٤)</sup>، وقيل إن مروان بن محمد الذي كان قائداً عسكرياً للجيوش في جبهة أرمينيا وأذربيجان قبل أن يكون خليفة، هو الذي اتبع هذا النظام، وأبطل منذ ذلك الوقت نظام

الصف<sup>(٧٥)</sup>، وإلى جانب هذه الأنظمة التي كان يتبعها الجيش في القتال، كان الجيش يتألف من وحدات، وذكر المسعودي بعضها قال، ان الجند ما بين الثلاثة نفر إلى الخمس مائة يطلق عليهم سرايا، وهي التي تخرج بالليل. وإذا كانت تخرج بالنهار فهي السوارب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ سورة الرعد آية ١٠، وما زاد على الخمس مائة إلى دون الثمان مائة يطلق عليهم المناسر، وأما الجيش فأقله ثمان مائة إلى دون الثمان مائة، وإذا كان ما بين ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ فهو الخشخاش، وإذا بلغ ٤٠٠٠ فهو الجيش الجحفل، وإذا بلغ ١٢٠٠٠ فهو الجيش الجرار أو الخميس، وإذا افترق الجيش بعد خروجه، فدون ٤٠ يدعى جرائد، ومن ٤٠ - ٣٠٠ مقاب، ومن ٣٠٠ - ٥٠٠ جمرات، والكتيبة ما جمع فلم ينتشر، والعشرة فمن دونهم كان يطلق عليهم الحاضرة<sup>(٧٦)</sup>.

وذكر الطبري أن خالد بن الوليد قسم الجيش في اليرموك إلى كراديس، وجعل على كل كردوس رأساً، ووزعها ما بين الميسرة والميمنة والقلب<sup>(٧٧)</sup>، وكانت وحدات الجيش تتمايز بالرايات، وكان لكل منها قائد، وتسمى بأسماء تدل على فعالها وصبرها في قتال الأعداء، مثل: كتيبة الأهوال، وكتيبة الخرساء<sup>(٧٨)</sup>، وكانت تتمايز أحياناً بالأسلحة، وما يذكر في هذا المجال، أن عدة الجيش وأسلحته كانت تضم الإبل والبغال للركوب وحمل الأمتعة والمواد، وتضم الخيل للقتال.

وقد حض الإسلام على إعداد العدة ورباط الخيل في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ سورة الأنفال آية ٦٠. وروى عن الرسول ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه، وريته، وروته، وبوله، في ميزانه يوم القيامة» صحيح البخاري باب فضل الجهاد. وحض الرسول على اتخاذ السهام فقال: «ان الله يدخل ثلاثة نفر الجنة بسهم واحد، صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي ومنبله»، وقال الرسول ﷺ في قوله تعالى: «وَأَعِدُوا لَهُمْ.. ألا إن القوة الرمي..» يذكرها ثلاثاً «صحيح مسلم باب حكم الفيء». ولذلك كان هذا من أسباب الاهتمام بإعداد عدة الجيش وتسليحه على مستوى الدولة والأفراد، وقد روى عن ابراهيم النخعي وعامر الشعبي



وغيرهما أنهم كانوا يجسّون خيلاً وسلاحاً في سبيل الله<sup>(٧٩)</sup>.

وقد بلغت العناية باخيل، بهذا السبب، درجة كبيرة، فحفظت أنسابها وأعطيت الأسماء والألقاب مثل: الخطّار، والأشقر، والأبلق، والذائد، والفرقد، وذو الريش<sup>(٨٠)</sup>، وكان - ظ صاحبها من الغنائم مثلي حظ الراجل وأحياناً يصل إلى ثلاثة أمثال حظ الراجل<sup>(٨١)</sup>، حملت أسلحة الجيش الدروع والحراّب والقي والسهام والسيوف للرجالة، كما استخدموا الطبرزيّات - آلة تشبه الفأس - والتروس والخوذ، والضبور<sup>(٨٢)</sup>، والدبابات، والمنجنيقات، واستعملوا النفط أو النار الاغريقية<sup>(٨٣)</sup>، ولا ريب أن جميع هذه الأسلحة، كانت تخضع للتطوير، والتهدّيب حتى تكون فعاليتها أحسن، وفائدتها أكبر، وكان الجيش نفسه يؤخذ بالتدريبات، وكان عرض الجيش واحداً من أساليب العناية به، ورفع مستوى فعاليته القتالية. فقد اتخذ المسلمون في مصر فضاء كانوا يدرّبون فيه خيولهم، جعلوه مابين نهر النيل وحتى منطقة نزولهم وسكناهم<sup>(٨٤)</sup>.

وذكر الطبري أن أبا جعفر المنصور عرض جنده في السلاح والخيّل على عينه في مجلس اتخذته على شط دجلة، وأمر أهل بيته، وقربائه، وصحابته يومئذ بلبس السلاح، وخرج وهو لابس درعاً وقلنسوة تحت البيضة سوداء لا طئة مضربة<sup>(٨٥)</sup>.

ومن المناسب أن نذكر في هذا المجال أن الفتوحات التي حققتها الجيوش الإسلامية، والسرعة التي تمت فيها هذه الفتوحات، كانت مدعاة للاستغراب والتساؤل، وقد عزا بعض المؤرخين انتصارات الجيش الإسلامي وسرعة فتوحاته إلى عاملين هما: أولاً أحوال البلاد المفتوحة قبل الفتح الإسلامي، وثانياً أحوال المسلمين الفاتحين.

أما بخصوص أحوال البلاد المفتوحة، فقالوا إن بعض هذه البلاد كان يتبع لفارس، وكان الآخر يتبع لبزنطة، وكلتا الدولتين كانتا في غاية الضعف، فالحروب التي نشبت بين الدولتين وتكاليقها الباهظة، والطواعين والأوبئة الفتاكة التي حصدت الأعداد الكثيرة من شعوبها، والخلافات الدينية التي فصمت عرى الوحدة بين الناس من شعوب الدولتين، وبينهم وبين

حكامهم من الفرس والبيزنطيين، جعلت الدولتين عاجزتين مادياً، واجتماعياً، عن اتخاذ التدابير الكافية لصد الجيوش الإسلامية من جهة، ويسرت مهمة الفاتحين من جهة أخرى.

أما بخصوص الفاتحين، فقالوا إنهم كانوا شعباً يمتلئ حمية ونشاطاً، وأمدهم الإسلام بحماسة قوية، وهياهم لخوض القتال بنفوس تسخر من الموت وتحقر الحياة، وأنهم أحسنوا استخدام الأسلحة، واختيار الأساليب القتالية التي تلائم طبيعة البلاد التي فتحوها، وقالوا إن مما ساعدهم أيضاً أن من كان بهذه البلاد من بني جنسهم انضموا إلى صفوفهم وحاربوا معهم جيوش الفرس والبيزنطيين<sup>(٨٦)</sup>.

وبما لاشك فيه أن القدر الجائر من هذه الأقوال ينفع عند تقدير أو حساب العوامل التي ساعدت على تحقيق الغلب والنصر للمسلمين.

ويبحث ابن خلدون قضية النصر والغلب، فرد أسبابها في الأكثر إلى عوامل مجتمعة من أمور ظاهرة: تتمثل في الجيوش ووفورها، وكمال الأسلحة واستجادتها، وكثرة الشجعان، وفنون الحرب وخططها، وصدق القتال، وما يجري مجرى ذلك، وإلى أمور خفية: أطلق عليهم اسم «البخت والاتفاق»، وعزا إليها الدور الأكبر في الغلب والنصر، وهي إما أن تكون من خدع البشر وحيلهم في الإرجاف والتشجيع التي يقع بها التخاذل وما إلى ذلك من الشهرة والصيت، وأما أن تكون أموراً سواية تلقى في القلوب، فيستولي الرعب عليهم، فتختل مراكزهم، وتقع الهزيمة والخذلان<sup>(٨٧)</sup>.

وبما ينفع في هذا المقام، أن نذكر - الحافاً بما ورد - أن العنصر الجديد الذي دخل الحياة العربية كان هو الإسلام، وقد تحقق في ظله أن ولاة الأمر من حملة الإسلام ورسله، قدموا مثلاً رائعاً للقيادة التي تسهر تحرس الأمة حين تنام، وتجوع حين تجوع الرعية، وتلبس الخشن من الثياب، وقد يرفل بعض الناس بالنعيم الرقيق منها، وتأكّل الجفاف الغليظ من الأكل وقد ينعم الأفراد بالطرى اللذيذ منه، وتزهّد الزهد كله في الذهب والفضة وحتى في تاج كسرى وسواريه، وتستظل في بيوت لا تفضل عن بيوت الآخرين، وقد تكون بيوت غيرهم أفضل منها، ولم تسابق أحداً إلى اكتساب المنافع واصطياد اللذات والشهوات، بل كانت عن ذلك في



شغل. ولم يزل هذا الخلق دأب هذه القيادة حتى سرت هذه الروح في نفوس من يليها من القادة والجنود، فاطمأنت به القلوب وخلصت النيات، وغمرت الثقة النفوس، وصار الولاء للنظام والجماعة، وتوارى من القوم من به فساد أو استر عليه، وأصاب الجيش من ذلك خيراً عميماً فغداً عصبية واحدة، يقاتل جيوشاً ذات عصبية متعددة، ومتنازعة، فصغرت أمامه، وهانت رغم أعدادها الكثيرة، ولما أخذ هذا الحال يتغير، وصار الخلف واقعاً بين الأمة وبين الأمة وولاة الأمر، وانتشرت الأهواء والميول، وتعددت العصبية، وتنوعت الأغراض، وضعف الولاء للنظام والجماعة، تراجعت قدرة الجيوش الإسلامية عما كانت عليه من قبل، وتناوبت النصر والخزيمة مع الأعداء.



#### الهوامش:

- (١) انظر مادة «جيش» في تاج العروس ولسان العرب.
- (٢) ابن هشام/ السيرة النبوية ج ١ ص ٢٨٢.
- (٣) ابن هشام/ السيرة النبوية ج ٢ ص ١٤٩.
- (٤) محمد بطاينة/ الجيش وتمويله في صدر الإسلام، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، المجلد الثامن العدد الثاني عام ١٩٨١ ص ٥٣-٥٨.
- (٥) الشافعي/ كتاب الأم ج ٤ ص ٨٥ كتاب الخزينة - أصل فرض الجهاد. الشيباني/ شرح السير الكبير ج ١ ص ١٨٨.
- ابن تيمية/ السياسة الشرعية ص ١١٨ وما بعده فصل جهاد الكفار الحضري/ تاريخ الأمم الإسلامية ج ١ ص ٩٣.
- (٦) أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٦٣.
- (٧) ابن خلدون/ المقدمة ص ١٨٣.
- (٨) أبو عبيد القاسم بن سلام/ الأموال ص ٣٤٣.
- (٩) أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٤٧.
- (١٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٨١.
- (١١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٤٥.
- (١٢) الماوردي/ الأحكام السلطانية ص ٢٠٤-٢٠٥.
- (١٣) أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٨ ص ١١٦.
- (١٤) انظر: أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٥ ص ٧٤، ج ٦ ص ٥٣٢.
- (١٥) أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٧١، ج ٦ ص ٤٤٣.

- الشافعي / الأم ج ٤ ص ٨٨.
- (١٦) الشافعي / كتاب الأم ج ٤ ص ١٧٧.
- (١٧) أبو جعفر الطبري / تاريخ الطبري ج ٤ ص ٤٩.
- (١٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٥٧، ١٦٢ - ١٦٣، ٢٩١.
- (١٩) المصدر نفسه ج ٦ ص ٤٧٣، ٤٨٣.
- (٢٠) الشافعي / كتاب الأم ج ٤ كتاب الجزية فصل والاستمانة بأهل الذمة على قتال العدو ص ١٧٧.
- (٢١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٦١.
- (٢٢) ابن هشام / السيرة النبوية ج ٤ ص ٨٣.
- (٢٣) أبو جعفر الطبري / تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٩٤ - ٣٩٥.
- (٢٤) المصدر نفسه ج ٦ ص ٥٣٢.
- (٢٥) المصدر نفسه ج ٨ ص ١٥٢.
- (٢٦) ابن عبد الحكم / فتوح مصر ص ١٠٢.
- (٢٧) أبو جعفر الطبري / تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥١٢.
- (٢٨) المصدر نفسه ج ٧ ص ٣٠١ - ٣٠٠.
- (٢٩) المصدر نفسه ج ٧ ص ٤٣٧.
- (٣٠) نجد، اعتماداً على الإشارات الواردة في تاريخ الطبري / إن أكثر هذه الحالات وقوعاً كانت في أثناء الحروب الأهلية ومنها تقاعس بعض الناس عن الخروج مع علي بن أبي طالب في حربه مع معاوية، وتقاعسهم عن الخروج مع المهلب بن أبي صفرة في حربه مع الحوارج في أثناء ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق.
- أنظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ٧٩، ج ٦ ص ٢٠٥ - ٢١٠.
- وورد أن الوليد بن عبد الملك ضرب بعتاً على أهل المدينة عام ٨٨ هـ كان عدده الفين، فخرج ألف وخمسة مائة وتجماعل خبيثة فلم يخرجوا أي دفعوا ماله بدل خروجهم إلى القتال، وفي عام ١٠٦ في أثناء ولاية أسد ابن عبدالله القسري، طلب أسد من ثوبة بن أبي أسيد أن يخلف الجنود بالطلاق فلا يتخلف أحد عن مغزاه، ولا يدخل بديلاً.
- أنظر: تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٣٤، ج ٧ ص ٣٥.
- ويقول الماوردي: ... وإذا أراد بعض الجيش اخراج نفسه من الديوان جار مع الاستثناء عنه ولم يجز مع الحاجة إليه، ألا يكون معذوراً، وإذا جرد الجيش لقتال فامتنعوا وهم أكفاه من حاربهم سقطت أرزاقهم، مما يشير إلى استمرار وقوع هذه الحالات.
- الماوردي / الأحكام السلطانية ص ٢٠٦.
- (٣١) أنظر: اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٩٠ - ٢٩١.
- (٣٢) البلاذري / فتوح البلدان ج ٢ ص ٣٤٤.
- (٣٣) أبو جعفر الطبري / تاريخ الطبري ج ٤ ص ٩٠ - ٩١.
- (٣٤) الخمراء: تسمى العرب المعجم الخمراء، وانضم منهم يوم القادسية أربعة آلاف إلى المسلمين فأنزلهم المسلمون حيث أرادوا، وجعلوا عليهم نقياً منهم يسمى ديلم قليل حراء ديلم.
- السيابة: قيل أن أصلهم من الهند، وكانوا جنوداً في الجيش الفارسي ثم دخلوا مع المسلمين.
- الزط: قيل أن أصلهم من السند، وكانوا من جنود الفرس ثم انضموا إلى المسلمين.
- الأساورة: منهم أساورة البصرة، وأساورة كانوا يقيمون قرب بحر قزوين فلما غشيه المسلمون دخلوا مع المسلمين على



مادخل عليه أسطورة البصرة وسكوا النكوة  
البحارية. أنراك من بحاري قيل أن عدده كان ألفين يبيدون الرمي والشاب أحضرهم عبدالله بن زياد وأسكنهم  
البصرة

- أنظر: تاريخ الطبري ج ٤ ص ٩١. ج ٥ ص ٢٩٧، ٢٩٨، ج ٨ ص ١١٧.  
البلاذري/ فتح البلدان ج ٢ ص ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٩٥.  
صالح العمي: النشاطات الاجتماعية والإقتصادية في البصرة ص ٨٣-٨٧.  
(٣٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٣٦.  
(٣٦) محمد مطايع/ أخيش وثوبله (بحث) نشر في مجلة «دراسات» المرمم الإنسابية/ الجامعة الأردنية، المجلد الثامن - كانون  
الأول، العدد الثاني لعام ١٩٨١، ص ٦٦-٦٧.  
(٣٧) البلاذري/ فتح البلدان ج ٢ ص ٣٩٠.  
(٣٨) القرطبي/ تفسير القرطبي. أنظر تفسير آية ٥٣ من سورة ثنوة  
(٣٩) أنظر: ابن الأثير/ الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٣٨.  
(٤٠) أنظر: أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٣٢.  
(٤١) المصدر نفسه ج ٧ ص ٣٤.  
(٤٢) الصنعاني/ المصنف ج ٥ ص ١٧٩-١٨١.  
(٤٣) أنظر: البلاذري/ فتح البلدان ج ٢ ص ٣٠١، ٣٠٢، ٣١٢، ٣١٤.  
أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٨٥.  
(٤٤) الشيباني/ شرح السير الكبير ج ٣ ص ١٠١٧-١٠٢١ ومواقع أخرى متفرقة، ج ٤ ص ١١٨١.  
(٤٥) أنظر: أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٦ ص ٣٣٥، ٥٣٠.  
(٤٦) أنظر: المصدر نفسه، ج ٤ ص ٢٤٦، ج ٦ ص ٣٣٦، ج ٧ ص ٢٦٩.  
(٤٧) أبو عبيد/ الأموال ص ٤١٩.  
(٤٨) الشيباني/ شرح السير الكبير ج ٤ ص ٢٠٨٥.  
(٤٩) أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٦ ص ٣٢٩.  
(٥٠) المصدر نفسه ج ٨ ص ١٥٢.  
(٥١) ابن خلدون/ المقدمة ص ٢٠٢-٢٠٣.  
(٥٢) أنظر: أبو عبيد/ الأموال ص ٢٧.  
(٥٣) أنظر: محمد بطايع/ الفتح الإسلامي، بحث نشر في مجلة العرب ج ٣، ٤ من ١٣ عام ١٣٩٨هـ دار الحياة للبحث والنشر  
- الرياض، ص ٢٢٥-٢٤٩،  
(٥٤) أبو عبيد/ الأموال ص ٣٢-٣٤.  
(٥٥) المصدر نفسه ص ٣٤-٨٣٥.  
(٥٦) أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٥١.  
(٥٧) الواقدي/ فتح الشام مخطوط - استنبول - إياصوفيا رقم ٣٣٢٩.  
(٥٨) أنظر: الطبري/ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٦٩-٣٧٠، ٤٨٩.  
(٥٩) أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٣٧٠، ٣٩٠.  
(٦٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٩١.



- (٦١) ابن عبد الحكم/ فتوح مصر ص ٧٩.
- (٦٢) أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٩٧.
- (٦٣) أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٦ ص ٣٩٦.
- (٦٤) المصدر نفسه/ ج ٦ ص ٥٤٤، ٥٥٧.
- (٦٥) أبو عبيد/ الأموال ص ٢٢٢.
- (٦٦) أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٩٠.
- (٦٧) أبو عبيد/ الأموال ص ٢٢١ - ٢٢٢.
- (٦٨) أبو عبيد/ الأموال ص ٥١.
- (٦٩) الماوردي/ الأحكام السلطانية ص ٤١.
- (٧٠) أبو عبيد/ الأموال ص ١٥٧ - ٢٠٩.
- (٧١) الماوردي/ الأحكام السلطانية ص ٥٠.
- (٧٢) أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٤٤، ٤٤٥.
- (٧٣) أبو عبيد/ الأموال ص ١٨٧ - ١٨٨.
- (٧٤) الماوردي/ الأحكام السلطانية ص ١٦.
- (٧٥) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٢١٣.
- (٧٦) يقول ابن خلدون أن العرب كانوا انما يعرفون الكر والفر، ولكن روح الجهاد عند المسلمين. ورغبتهم فيه ثم قتلهم مع الأعداء الذين كانوا يقاتلون زحفاً جعل المسلمين يتبعون أسلوب الصف وجاء في التنزيل: «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص» أنظر: مقدمة ابن خلدون ص ٢٠٣ - ٢٠٥.
- (٧٧) يقوم نظام التعبئة على أساس تقسيم الجيش إلى مقدمة وقلب وميمنة وميسرة وساقة. أنظر: مقدمة ابن خلدون ص ٢٠٣ - ٢٠٤.
- (٧٨) ابن خلدون/ مقدمة ابن خلدون ص ٢٠٥.
- (٧٩) المسعودي/ التنبيه والإشراف ص ٢٧٠ - ٢٧١.
- (٨٠) أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٩٦ - ٣٩٧.
- (٨١) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٠.
- (٨٢) أنظر تفسير القرطبي من قوله تعالى: واعدوا لهم ما استطعتم.
- (٨٣) ابن تيمية/ السياسة الشرعية ص ١٠.
- (٨٤) ابن عبد الحكم/ فتوح مصر ص ١٤٤ - ١٤٥.
- (٨٥) أبو يوسف/ الخراج ص ١٨ - ٢٣، باب قسمة الغنائم.
- (٨٦) الضبر كالدبابة يصنع من الخشب الغطر بالجلد، ويكمن فيه الجنود بعد تقريبه من الحصن يتقون نل العدو استعداداً للهجوم على الحصن.
- (٨٧) أنظر كلود كاهن/ تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ص ١٦٦ - ١٦٧.
- (٨٨) ابن عبد الحكم/ فتوح مصر ص ١٣٢.
- (٨٩) أبو جعفر الطبري/ تاريخ الطبري ج ٨ ص ٥٢.
- (٩٠) أنظر على سبيل المثال: قتيب حن/ تاريخ العرب مطول ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٥.
- (٩١) ابن خلدون/ المقدمة ص ٢٠٧ - ٢٠٨.



# حاجتنا الماسة لتنسيق عمليات تحقيق مخطوطات التراث العربي واختيار الرسائل الجامعية

د. سامي خماس الصقار

الإنسان في الماضي من علوم وآداب وفنون، وهي بحق مفخرة من مفاخر الأمة العربية التي قل نظيرها لدى أي أمة من أمم العالم، بل يمكننا القول - بكل اطمئنان - ان ما من أمة على وجه الأرض ملكت مثل هذه الثروة الضخمة من التراث !!

ولا حاجة بي إلى القول إن أمة بهذا الغنى الفكري والأدبي من حقها أن تتبوأ المكانة السامية التي تستحقها، بل هي - ولا شك - موضع حسد أمم العالم التي لم يكن لها في التاريخ نصيب، وبالتالي فليس لديها مانقدهم للإنسانية، ولا مايدكرها بالماضي ويقيدها إليه !! ولذا فقد دأبت الأمم على جمع تراثها وحفظه وصيانه باعتباره اللبنة الأولى في بناء صرح نهضتها الجديدة. وإننا لو تتبعنا بدايات النهضة الأوربية الحديثة، لوجدنا جذورها قد نبتت في حركة إحياء التراث الكلاسيكي القائم على جمع مخطوطات اليونان والرومان وبعثها إلى عالم الوجود

من حق الأمة العربية أن تفخر بين أمم الأرض بأموور كثيرة يأتي في مقدمتها أن الله سبحانه وتعالى - قد خصها بالرسالة المحمدية التي جعلها آخر رسالات السماء، وهو أمر تنفرد به دون غيرها من الأمم. وإلى جانب ذلك فمن حقها أن تفخر بالإنجازات التي حققتها في مختلف العلوم والفنون والآداب، وبما قدمته للعالم من علماء وأدباء أناروا طريق الإنسانية قروناً عديدة. ومن حسن حظنا وحظ العالم، أن العلماء المسلمين قد أودعوا نتاج أفكارهم في كتب قيمة وموسوعات ضخمة، سلم قسط لا يستهان به منها من الضياع، رغم عوادي الزمن وقسوة الظروف. وقد تمثل هذا في التراث المخطوط الموزع في مختلف أنحاء العالم وتضمنه خزائن الكتب العامة والمكتبات الخاصة، وهو تراث ضخم يقدره البعض بثلاثة ملايين مخطوطة<sup>(١)</sup> تتناول كل ما عرفه



والآن، وبعد هذه المقدمة الموجزة، دعونا نلقي نظرة سريعة على المشاكل المتعلقة بهذا الموضوع، مع محاولة إيجاد بعض الحلول لها :

#### أولاً: تحقيق التراث ونشره :

لا أريد في هذه المقالة أن أتصدى لعمليات جمع التراث وحفظه وصيانه وفهرسته، عني الرغم من الأهمية البالغة لتلك العمليات، والسبب أن هناك أجهزة كثيرة قائمة - والحمد لله - بهذه المهام، وتأتي في مقدمتها دور الكتب الوطنية والجامعات والمجامع العلمية والمتاحف وكثير من المؤسسات الثقافية والأفراد، وإن كان الأمر يتطلب مضاعفة الجهود لإنجاز تلك العمليات بأقرب وقت ممكن خشية تعرض المخطوطات إلى التلف والضياع إذا ما بقيت مبعثرة في أيدي من لا يقدر قيمتها ويعرف حقها !! أقول إنني في هذه المقالة لا أريد التصدي لهذه الأمور، وإنما أقتصر على ناحية واحدة تتعلق بتحقيق التراث ونشره، بالنظر لما لاحظته من فوضى تعرضت لها أعمال التحقيق فأتت بدورها لبعثرة الجهود وإضاعة الأموال !!

إن التراث مهما كان غنياً فإنه يبقى عديم الفائدة إذا ظل قابلاً في الخزائن، حتى ولو

تكون الأساس الذي تبنى عليه النهضة لأوروبية الجديدة، وهذا هو دأب كل أمة تريد النهوض. وهكذا فإن الترابط بين نهضة الأمة وبعث تراثها ترابط وثيق. ولأرب أن أمتنا العربية لا تختلف بحال من الأحوال - بالنسبة لهذا الأمر - عن غيرها من الأمم، بل هي أشد ارتباطاً بتراثها، إذ هو مصدر غناها والطابع الذي يمنحها شخصيتها المتميزة. ومن هنا جاءت أهمية التراث بالنسبة لنا، وبالتالي نشأت الضرورة لجمعه وحفظه وصيانه ونشره. ولقد أدرك الدكتور صلاح الدين المنجد المدير السابق لمعهد المخطوطات العربية عندما أكد على ضرورة بذل العناية اللازمة لمعرفة ما يحق وما يطبع من مخطوطات التراث، فالعملان ينبغي أن يسيرا معاً خدمة لتراثنا وتيسيراً على العلماء والباحثين في الرجوع إلى ما بقي من مخطوطات أو مظاهر منها مطبوعاً لأن الرجوع إلى التراث هو السبيل الوحيد لمعرفة أنفسنا وماضينا، وهو السبيل الأوضح لإنتاج دراسات أصيلة فيها جدة وعمق. ولقد آن لنا أن نبعد في دراستنا حول ماضينا وتاريخنا، عن السطحية والنقل، وأن نعتمد على المصادر الأولى»<sup>(٢)</sup>.

وكثيراً ما يظهر التحقيقان أو التحقيقات في بلد واحد وفي آن واحد أو في أوقات متقاربة !! وقد سبق أن رأينا كيف أن كتاب «المغرب في حلي المغرب» لابن سعيد الأندلسي الذي حقق عام ١٩٥٥ في كل من مصر والسودان، وكتاب «الجهان في تشبيهات القرآن» لابن نايقا البغدادي، قد حقق في عام ١٩٦٨ في كل من العراق والكويت في وقت واحد !! وهناك «كتاب المحن» لأبي العرب التميمي الذي حققه الدكتور يحيى الجبوري (من العراق) ونشرته دار الغرب الإسلامي في بيروت في سنة ١٩٨٣، وإلى جانبه تحقيق الدكتور عمر العقيلي (من السعودية) الذي نشرته دار العلوم في الرياض في سنة ١٩٨٤ !!

والحق إنه لمؤسف جداً أن يتكرر هذا الأمر، فيحظى كتاب واحد بالتحقيق أكثر من مرة وتبقى عشرات الألوف (بل مئات الألوف) من المخطوطات العربية مكدسة في الخزائن دون أن يمسه إنسان !! وكم كان حرياً بنا أن نوجد الوسيلة التي من شأنها أن تجنبنا تكرار هذه الظاهرة المؤسفة التي صرنا نلمسها باستمرار، إذ تحمل إلينا «نشرة أخبار التراث العربي» التي يصدرها معهد المخطوطات العربية مثل هذه الأنباء على

بلغت العناية بحفظه وصيانته أعلى الدرجات. وأقصى ما يمكن الانتفاع به هو أن يرجع إليه بعض الأفراد ممن عرفوا أماكن وجوده، ولديهم الصبر والقدرة على قراءة الخطوط القديمة وما يعترها من نواقص وشوائب تجعل قراءتها أشبه بفك الطلاسم !! ولذا نشأت الحاجة إلى التحقيق لاستكمال تلك النواقص وإزالة تلك الشوائب، لكي تصبح الخطوط مفهومة سهلة القراءة. ولكن التحقيق بحد ذاته غير كاف، إذ لابد من إيصال الكتب المحققة إلى أيدي القراء من أيسر سبيل، وهنا يأتي الدور الذي تلعبه دور النشر. ولذلك فإن التحقيق والنشر توأمان لا يفصلان، يكمل أحدهما الآخر. والحق أن عملية التحقيق والنشر في البلاد العربية قائمة على قدم وساق، وإن المطابع تقذف إلى الأسواق بأعداد كبيرة جداً من كتب التراث في كل يوم. فالمؤسسات الرسمية ودور النشر، بل والأفراد أيضاً، كل قائم بقسطه في هذا المجال، إلا أن المؤسف حقاً أن أعمال التحقيق في بلادنا لازالت يعوزها التنظيم والتنسيق، ولازلنا نرى كتاباً واحداً يتم تحقيقه من قبل شخصين أو أكثر دون أن يدري أحدهم بما يفعله الآخرون !!

الدوام. وثلاثا بظن القارئ الكريم أنني أبالغ في وصف هذه الظاهرة الخطيرة، فإني أنقل إليه ماورد في العددين ١٨، ١٩ من «نشرة أخبار التراث العربي» آفة الذكر الصادرين في أواسط عام ١٩٨٥م، من أمثلة صارخة ليقف بنفسه على مدى ما وصلت إليه الفوضى في هذا المجال :

١- نشر الدكتور محمد رضوان الداية «ديوان يحيى بن حكم الغزالي» في دمشق في سنة ١٩٨٢م، في حين أن الدكتور حكمت على الألوسي سبق له ذلك، ونشر الديوان في بغداد في عام ١٩٧١م، كما أن الأستاذ محمد صالح البنداق نشره في بيروت في عام ١٩٧٩م.

٢- يقوم الأستاذ محمد عبد الجليل (من المغرب) بتحقيق كتاب «محاسن المجالس» لابن العريف الذي سبق للمستشرق الأسباني بلاسيوس أن حققه ونشره في سنة ١٩٧٥م، وتبعه نهاد الخياط في سنة ١٩٨٠م. كما أن المستشرق الأمريكي وليم إليوت، نشر هذا الكتاب مع ترجمته الانكليزية في بريطانيا بالتعاون مع الدكتور عدنان خالد (من العراق) في سنة ١٩٨٠م نفسها.

٣- يقوم الأستاذ محمد بن ناصر العجمي

بتحقيق كتاب «الأوائل» للحافظ ابن أبي عاصم، في حين أن هذا الكتاب حققه الدكتور عبدالله الجبوري (من العراق) ونشره المكتب الإسلامي في بيروت. وقد علقت «نشرة أخبار التراث العربي» على ذلك بقولها<sup>(٣)</sup>، أن تحقيق الدكتور الجبوري ممتاز وعلى مستوى عال والكتاب غير محتاج إلى إعادة تحقيق!! وأضافت النشرة قائلة: «أن الأستاذ العجمي قد نشر عدداً من الكتب سبق أن حققت تحقيقاً علمياً جيداً ونشرت قبل نشره لها بسنوات، وقد أشرنا إلى ذلك في أكثر من عدد من نشرة أخبار التراث العربي»<sup>(٤)</sup>.

٤- أنهى الأستاذ محي الدين مستو بالمدينة المنورة تحقيق كتاب «رياض الصالحين» للإمام النووي، علماً بأن الكتاب سبق تحقيقه ونشره في القاهرة في سنة ١٩٨٣. وقد علقت على ذلك نشرة أخبار التراث العربي<sup>(٥)</sup> قائلة بأن الكتاب قد صدر في أكثر من طبعة في دمشق وبيروت. كما أن الأستاذ محي الدين نفسه يعمل على تحقيق كتاب «الاذكار» للنووي نفسه، بينما سبق وحقق هذا الكتاب الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، ونشر في بيروت في عام ١٩٧١، كذلك سبق ونشر هذا الكتاب بمصر عدة مرات.



الكتاب مرتين، الأولى في القاهرة في سنة ١٩٨٢م بتحقيق حمزة الشرقي، والثانية في دمشق بتحقيق عبدالله الناصر، ونشر في سنة ١٩٨٤م.

١٠- تعمل الأستاذة كلستان محمد سعيد في جامعة غرناطة بتحقيق «الترجمة الكبرى» لأبي القاسم الزباني كجزء من رسالة الدكتوراه، في حين سبق وحقق الكتاب من قبل الأستاذ عبد الكريم الفيلاي ونشر في الرباط في عام ١٩٦٧م.

١١- أنهت الدكتورة دورنيا كرافولسكي من ألمانيا الغربية بتحقيق القسم الجغرافي من كتاب «مسالك الأبصار» لأبي فضل الله العمري، وبأشرت في طباعته، في حين شكلت لجنة في دار الكتب المصرية لتحقيق الكتاب، كما أن جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض تعمل على جمع نسخته تمهيداً لتحقيقه ونشره!!

١٢- يعمل عادل الشيخ حسين من العراق في تحقيق كتاب «الملاحه في علم الفلاحه» لعبد الغني النابلسي، بينما سبق وصدر الكتاب المذكور في أكثر من طبعة، وكان آخرها في بيروت في سنة ١٩٧٩م<sup>(٦)</sup>.

١٣- صدر عن المركز الحضاري في الكويت كتاب «المطالب العالية» للرازي

٥- يعمل الدكتور بير محمد حسن من باكستان في تحقيق كتاب «الباب الزاخر» للحسن الصاغاني، وكان المجمع العلمي العراقي ووزارة الثقافة العراقية قد قاما بنشر الكتاب بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين.

٦- انتهى الدكتور صبيح التميمي وكامل شهوان من العراق، من تحقيق كتاب «المسائل البصريات» لأبي علي الفارسي، في حين يعمل الدكتور علي المنصوري من العراق أيضاً في تحقيق الكتاب المذكور، بل وإن طالباً في جامعة دمشق يعمل على تحقيقه كجزء من رسالة الماجستير.

٧- أنهى الدكتور علي المنصوري (من العراق) تحقيق كتاب «العضدبات» لأبي علي الفارسي، بينما يعمل طالب في جامعة دمشق على تحقيقه كجزء من رسالة الماجستير.

٨- أنهى الدكتور يحيى الجبوري (من العراق) تحقيق كتاب «الفاضل في أدب الكامل»، بينما سبق للأستاذ يوسف مسكوني من العراق أيضاً، أن حقق الكتاب نفسه وطبعه في بغداد في سنة ١٩٧٢م.

٩- أنهى الدكتور علي زوين (من العراق) تحقيق كتاب «الفرق بين الحروف الخمسة» لابن السيد البطليوسي، بينما سبق ونشر

بتحقيق الدكتور أحمد الشاف، في حين سبق  
وكان تحقيق هذا الكتاب كجزء من رسالة  
للدكتوراه التي قدمها أحمد الشريف إلى  
الجامعة الأزهرية في سنة ١٩٧٣م.  
١٤- أنهى الدكتور رضوان السيد من  
لبنان، تحقيق «مختصر تاريخ دمشق» لابن  
منظور، وباشر في طباعته في ١٥ مجلداً، في  
حين أن احدى دور النشر في دمشق قد  
أصدرت سبعة أجزاء منه، وهي مواظبة على  
اصدار بقية الأجزاء.

١٥- صدر كتاب «الكنى والأسماء» للإمام  
مسلم في المدينة المنورة بتحقيق الدكتور  
عبدالرحيم القشقرى في عام ١٩٨٤م، في  
حين صدر الكتاب في السنة نفسها في دمشق  
بتحقيق الأستاذ مطاع الطرايشي.

١٦- أوثك الدكتور حسين خربوش من  
الأردن، على إنهاء تحقيق كتاب «قلائد  
العقيان» لابن خاقان، بينما سبق وحقق هذا  
الكتاب من قبل الأستاذ محمد العناني، ونشر  
في تونس في سنة ١٩٦٦م.

١٧- صدر في بيروت في عام ١٩٨٥م  
كتاب «أيها الولد» للإمام الغزالي بتحقيق  
الشيخ علي محيي الدين القره داغي، في  
حين سبق وصدر هذا الكتاب في ستة  
١٩٨٤م ببغداد، بتحقيق جميل ابراهيم

حبيب.

هذه نماذج قليلة من كثير، أردت أن  
أبرهن من خلالها على مدى الفوضى التي  
بلغتها عملية التحقيق والنشر للتراث  
العربي، حتى أصبح الكتاب يحقق وينشر في  
بلد واحد مرتين دون أن يدري أحد  
المحققين بما يفعله الآخر. وسبب ذلك  
واضح وضوح الشمس، وهو غياب التنسيق  
والتنظيم، مما ترك المجال واسعاً لكي تسود  
الفوضى وتتبعثر الجهود.

ولقد تشكى قبلي الدكتور صلاح الدين  
المنجد<sup>(٧)</sup> من إهمال تسجيل النتاج الفكري  
المطبوع سواء كان ما ألفه المعاصرون أو  
خلفه القدامى. وعلى الرغم من اصدار  
مجلس جامعة الدول العربية قراراً قبل أكثر  
من عشر سنوات بإنشاء مركز لتسجيل  
المطبوعات في البلاد العربية، فإن هذا المركز  
لم يظهر إلى حيز الوجود. وإننا وإن كنا نقدر  
الجهود التي بذلت في اعداد «معجم سركريس  
للمطبوعات العربية»، فإنه جهد فردي  
مضى عليه زمن طويل يزيد على نصف قرن  
ومثله كتاب «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع»  
للمستشرق الأمريكي (فان دايك)، كما  
نقدر جهود «معهد المخطوطات العربية»  
الذي أسلفنا ذكره، وجهود القائمين على

«مجلة معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان في القاهرة» التي اعتادت على التنويه بما يصدر في مصر وحدها من مخطوطات مطبوعة، ومثلها السجل الثقافي الذي تصدره وزارة التربية ووزارة الإرشاد المصريان، وفيه تنويه بالمخطوطات المطبوعة، فإن ذلك خاص بمصر وحدها. ومع ذلك فإن هذا السجل لا يصل إلى أيدي العلماء والباحثين لصعوبة الحصول عليه بسبب الاجراءات الإدارية المعقدة في اقتنائه<sup>(٨)</sup>. أما المخطوطات العربية التي تنشر في البلاد الأجنبية، فمعرفتها أكثر صعوبة من تلك التي تنشر في البلاد العربية، والسبب أن دور النشر هناك متناثرة في عدد كبير من الأقطار والحصول على كشف منشوراتها ليس متيسراً دائماً. ثم إن المجالات الاستشرافية التي تنشر أخبار التراث ليست كلها معروفة لدى الباحثين العرب، بل إن بعضها تنشر بلغات ليست مألوفة كثيراً لدى أولئك الباحثين، ولا سيما المهتمين بالتراث منهم خاصة، مما حال دون إمكان استفادتهم منها.

وفي ظني أن معالجة المشكلة هي في غاية السهولة إذا ما استلزمنا بتقليد بسيط جداً، هو ألا يقدم المحققون على تحقيق أي مخطوط

قبل الاستفسار من معهد المخطوطات العربية (ومقره في الكويت)، وهو من مؤسسات جامعة الدول العربية التي تمثل جميع الأقطار العربية، أقول ينبغي على كل من يرغب في تحقيق مخطوطة ما، أن يستفسر من هذا المعهد عما إذا كان هناك أحد قد سبقه إلى تحقيقها، أو هو بصدد تحقيقها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه من واجب كل من يقوم بتحقيق مخطوطة من المخطوطات، أن يادر بإبلاغ ذلك إلى المعهد ليتولى بدوره نشر النبا في النشرة آنفة الذكر. وعلى دور النشر أن تقوم بعمل مماثل تجنباً لازدواجية الأعمال، ومنعاً لبعثرة الجهود وتبذير الأموال، وخدمة للتراث الذي ينتظر المحققين. فبدلاً من إضاعة الجهد والمال في تحقيق مخطوطة واحدة مرتين أو أكثر، بوسعنا أن نخصص ذلك الجهد والمال لتحقيق مخطوطتين أو أكثر!! ولكن هذا لا يعني صرف النظر عن إنشاء مركز تسجيل المطبوعات الذي سيق وقرره مجلس جامعة الدول العربية إنشاءه، بل على العكس، فإن إنشاء هذا المركز ينبغي الاسراع فيه وتعزيز صلاحياته ودعمه بما يحتاج من موظفين متخصصين وتزويده بالأجهزة والمعدات، ولاسيما أجهزة

الحاسب الآلي، ليتسنى له أداء مهمته على أحسن وجه، وليس هذا على همه الغياري بعزيم! كما انني لا أدعو إلى منع إعادة تحقيق مخطوطات الكتب التي سبق وحققت إذا ما استجدت أمور تستدعي إعادة التحقيق، كأن تكشف مخطوطات جديدة لتلك الكتب هي أكثر صحة وكمالاً، أو أن تكون النسخة المكتشفة هي نسخة المؤلف أو أكثر قرباً إليها.

#### ثانياً: الرسائل الجامعية :

والآن، فلنتقل إلى موضوع آخر لا يقل أهمية عن موضوع إحياء التراث، بل إن الصلة بين الموضوعين وثيقة كما سرى - إن شاء الله - وأعني به ازدواجية العمل في أعداد الرسائل الجامعية (الاطروحات) بشكل يشبه إلى حد بعيد مارأيانا بالنسبة لتحقيق المخطوطات، فالأخبار تطلع علينا من حين لآخر عن قيام الباحثين بأعداد رسائل وأطروحات عن موضوعات سبق طرقها والكتابة عنها. وهكذا تحظى موضوعات قليلة باهتمام الباحثين في حين تبقى موضوعات مهمة أخرى مهملة لا يمسها أحد!! والحق أن تاريخنا سواء الإسلامي منه أو القديم أو الحديث، لا يزال في أغلب نواحيه بحاجة لمن يدرسه دراسة

علمية متأنية قائمة على تطبيق مناهج البحث وقواعد مصطلح التاريخ، إن المجال فيه واسع لمن يريد أن يختار، سواء أكان ذلك في النواحي السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، أو أي جانب من الجوانب الحضارية. ولذلك فليس هناك ما يضطر إلى التهالك على موضوعات محدودة نعيد بحثها بدون مبرر، ونكرر الكلام فيها بدون سبب وجيه، ونهمل جوانب مهمة من تاريخنا لم تمسها يد إنسان، فتبقى يلغها الغموض ويفرقها الظلام!!

وهنا أيضاً أخشى أن يتهمني القاريء بالمبالغة، ولذلك سوف ألتأ مرة أخرى إلى إيراد الأمثلة، لكي أبرهن على أن المشكلة قائمة فعلاً، بل وإنها تستشري - كلما افتتحت أقسام جديدة للدراسات العليا في الجامعات العربية - إن لم نبادر إلى وضع حد لها. وسوف أكتفي هنا بالرجوع إلى «نشرة أخبار التراث العربي» التي تتناول عادة أخبار الرسائل الجامعية التي لها علاقة بالتراث فقط. ولذا فإن ظاهرة التكرار التي نتحدث عنها هنا، تتعلق بالرسائل الجامعية ذات العلاقة بالتراث دون غيره من الموضوعات. وفيما يأتي نماذج منها :

١ - سجل الطالب أحمد أبو الطيب تحقيق

أحمد اسماعيل إلى الجامعة الأردنية في عام ١٩٨٠م، هي الآن موضوع رسالة للماجستير سجلها الطالب راشد بن سعد القين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

٦- تحقيق كتاب «شرح قواعد الاعراب» للكافيجي هو موضوع رسالتين للماجستير يتم اعدادهما في كل من الجامعة المستنصرية ببغداد وجامعة دمشق في آن واحد!!

٧- تحقيق مخطوطة كتاب «أنباء الجليل المؤيد مراد خان بيناء بيت الوهاب الجواد» لمحمد بن علان الصديقي، كأن موضوع رسالة للماجستير يوشك الطالب خالد عزام الخالدي على تقديمها إلى كلية الآداب بجامعة الملك سعود، في حين أن طالباً هو عبدالله بن سليمان اللهيبي قد سجل تحقيق المخطوطة نفسها رسالة للماجستير في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة!! وهكذا نجد هنا أيضاً مثلاً آخر على الفوضى، فنرى رسائل كثيرة تسجلها جامعاتنا دون النظر إلى سبق تسجيلها في جامعات أخرى، أو أنها تكلف طلابها بتحقيق بعض المخطوطات كجزء من اطروحاتهم دون أن تنبه إلى أن تلك المخطوطات قد سبق تحقيقها. وهكذا تضع

كتاب «السحر والشعر» تأليف لسان الدين ابن الخطيب، لنيل دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس بالرباط، بينما سبق وكان تحقيق هذا الكتاب رسالة للماجستير قدمها السيد عمار ابراهيم قدور إلى جامعة عين شمس في سنة ١٩٧٥م.

٢- كتاب «المسائل البصريات» لأبي علي الفارسي الذي أنهت تحقيقه في آن واحد جامعتان منفصلتان في العراق، كان تحقيقه في الوقت نفسه موضوع رسالة ماجستير لأحد طلاب جامعة دمشق هو السيد محسن خرابة.

٣- كتاب «العصديات» لأبي علي الفارسي الذي أنهى تحقيقه أحد أساتذة جامعة بغداد، كان تحقيقه أيضاً موضوع رسالة ماجستير لأحد طلبة جامعة دمشق هو السيد شيخ الراشد.

٤- كتاب «الترجمة الكبرى» لأبي قاسم الزباني الذي سبق وقام الأستاذ عبد الكريم الفيلاي بتحقيقه ونشره في الرباط في عام ١٩٦٧م، تعمل على تحقيقه إحدى طالبات جامعة غرناطة كرسالة للدكتوراه، هي كلستان محمد سعيد.

٥- كانت «دراسة شعراء بني يشكر» موضوع رسالة للماجستير التي قدمها محمود

ليس شاملاً، حيث أن الجامعات العربية غير ملزمة بإرسال مثل هذه المعلومات إلى المعهد. ولذلك اقتصر الأمر على الجامعات التي تتعاون مع المعهد، وهي قليلة جداً. وعليه فإن من الضروري استصدار قرار من مجلس وزراء التربية والتعليم في الدول العربية، يلزم الجامعات بإبلاغ المعهد بعناوين الأطروحات التي تسجل فيها ليتسنى له نشرها أولاً بأول، وبذلك توفر على طلبتنا مؤونة التورط في تحقيق غخطوطات سبق تحقيقها، أو في تكرار دراسة موضوع سبقت دراسته.

٢ - إصدار التعليقات إلى معاهد الدراسات العليا في الجامعات العربية، بضرورة الإتصال بالمؤسسة المذكورة في الفقرة السابقة، عندما يتقدم إليها طلاب الدراسات العليا لتسجيل عناوين أطروحاتهم، للتحقق من عدم وجود التكرار، إذ يخشى أن يكون الموضوع قد سجل ولم يصل خبره إلى تلك المعاهد بسبب عدم وصول النشرة ذات العلاقة إلى أيدي المسؤولين.

٣ - تكليف الجامعات العربية بإصدار دليل سنوي - إن أمكن - يتضمن قوائم الأطروحات التي سجلت فيها. وفي الحقيقة

اجتهود وتبقى عشرات الأثوف من المخطوطات قابعة في رفوفها لانتها يد انسان !! كما تبقى الأوف الموضوعات التي تستحق البحث والدراسة ولا يتصدى لها أحد من الطلاب فيتخذها موضوعاً لرسالته الجامعية، بينما يقبل الكثيرون منهم على إعادة دراسة موضوعات سبقت دراستها، بل واستندت، أو يكررون تحقيق غخطوطات سبق وأن حققت !! وعلاج هذه المشكلة سهل يسير، يمكن تلخيصه بما هو آت :

١ - تكليف مؤسسة عربية ذات صفة دولية كمنظمة التربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية، أو اتحاد الجامعات العربية، بإصدار نشرة شهرية تنشر فيها عناوين الأطروحات والرسائل الجامعية التي تسجل في جامعات الدول العربية، مع محاولة الحصول على عناوين الرسائل التي تسجل في الجامعات الأجنبية مالمها علاقة بالتراث العربي والدراسات العربية على الأقل. والحق أن «معهد المخطوطات العربية» قائم بهذا الواجب تطوعاً، إذ يتناول في نشرته التي تصدر مرة كل شهرين، عناوين الأطروحات التي تسجل في الجامعات العربية، إلا أن ماينشر فيها

أنها موجودة، وربما أخذت طريقها إلى التفاقم إذا لم تدارك أمرها من البداية. والذي حملني على تناول هذه المسألة هو ملسته شخصياً عندما قمت بدراسة كتاب «وصف إفريقيا» للحسن الوزان المسمى «ليو الافريقي» المتوفي حوالي سنة ١٥٥٠م<sup>(١٠)</sup>، فوجدت أن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض قد قامت بترجمة هذا الكتاب ونشره في سنة ١٩٧٩م بمناسبة انعقاد المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول في تلك السنة، وهو كتاب ضخيم يقع في ٦٧٥ صفحة، تمت ترجمته من اللغة الفرنسية المنقولة بدورها عن اللغة الإيطالية التي صنف بها الوزان كتابه هذا عندما كان مقيماً في كنف الفاتيكان. ولكن هذا الكتاب مالبث أن ترجم في المغرب مرة أخرى، ويبدو أن من ترجمه هناك لم يصل إلى علمه وجود ترجمة عربية منشورة !!

وحصل شيء مماثل بالنسبة لرحلة ناصر خسرو والمسماة «سفرنامه» التي سبق للدكتور يحيى الحشاش أن ترجمها إلى العربية منذ مدة طويلة، وقد طبعت عدة مرات، وآخرها طبعة سنة ١٩٧٠، ألا أن الدكتور أحمد خالد البدي الأستاذ في جامعة الملك سعود قد قام بترجمتها مرة أخرى، وقامت

فإن بعض الجامعات تصدر مثل هذا الدليل، إلا أنها لاتصدره بانتظام مما يضعف الفائدة المرجوة منه. ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن الدكتور محمد عبد الحميد عيسى من جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، يعكف الآن على إعداد دليل للأطروحات الجامعية التي تتعلق بالدراسات الأندلسية المغربية<sup>(٩)</sup>، وقد وجه نداء إلى الباحثين والمتخصصين في تلك الدراسات - ولاسيما في بلاد المغرب - لموافاته بما لديهم من معلومات عن تلك الأطروحات فسي أن يلقي نداؤه الإستجابة التي يستحقها ليسنى له أداء مهمته. كما نأمل أن يكون الدكتور عيسى قدوة لباحثين آخرين يتصدرون لصنع دليل للأطروحات التي تتناول حقولاً أخرى غير الدراسات الأندلسية والمغربية، وبذلك يساهمون مساهمة مشكورة في إزالة الفوضى التي يعاني منها طلبة الدراسات العليا عند اختيار موضوعات أطروحاتهم.

### ثالثاً: الترجمة :

ومما له علاقة بموضوع مقالنا هذا، تكرار ترجمة بعض الكتب المؤلفة بلغات أجنبية، لا شك أن المشكلة هنا ليست كبيرة كذلك التي شهدناها في تحقيق المخطوطات، أو في اختيار الموضوع للأطروحات الجامعية، إلا

غيرهم في إضاعة وقته وماله في تكرار الترجمة بدون مبرر. ومن الطبيعي فإنه يتوجب على كل من يزعم ترجمة كتاب ما أن يبلغ عزمه هذا إلى الجهة الثقافية المشار إليها آنفاً، لتشر ذلك النبا على الملأ في الوقت المناسب.

هذه بعض الملاحظات التي عنت لي. وقد رأيت من واجبي تسجيلها ونشرها، لعلها تجد آذاناً صاغية من جانب المعنيين بموضوع التراث العربي والدراسات الجامعية وأمور الترجمة. وإنني لا أزعم بأن مقترحاتي المتواضعة هذه ستكون كفيلة بالقضاء على القوضى والازدواجية، ولكنها ربما كانت حافزاً لغيري على الإدلاء بدلوهم في هذا الموضوع وتقديم مقترحات أخرى من شأنها معالجة الوضع وتدارك ما فاتني ذكره من علاج، والله الموفق.

### الهوامش:

- (١) د. صلاح الدين الشاذلي: معجم المعطوفات للطريقة، بيروت ١٩٧٨، ج ١ ص ٧.
- (٢) للسيد الرجح السابق، ص ٧.
- (٣) العدد ١٨ من الشرع، ص ٨.
- (٤) الرجح السابق، في التوفيق سنة ١٩.
- (٥) الرجح السابق، ص ١٩.
- (٦) الرجح السابق، ص ٣١.
- (٧) للسيد الرجح السابق ج ١ ص ٥-٦ كذا أن الدكتور أحمد ضياء المصري له شكوى مماثلة، حيث دعا إلى ضرورة تسهيل المطالعات في هذا المجال، وذلك في كتابه «الفتاوى والمعارف» المطبوع في قطر ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص ٨٣-٨٤.
- (٨) السيد الرجح السابق، ص ٦.
- (٩) أنظر: نشرة التراث العربي، العدد ٩ لشهر أيار وحريران ١٩٨٥م، ص ١٤.
- (١٠) نشرت الدراسة في مجلة كلية الآداب بجامعة قسنطينة - المجلد ٨ لسنة ١٩٨١ ص ١٣٩-١٤٨.

الجامعة المذكورة بنشرها في سنة ١٩٨٣م. ولايفوتنا في هذه المناسبة ذكر كتاب «العربية - دراسات في اللغة واللهجات والأساليب» تأليف المستشرق الألماني «يوهان فك Johan Fock» الذي نقله من اللغة الألمانية إلى العربية قبل حوالي ٤٠ عاماً الدكتور عبد الحليم النجار وراجعته الدكتوران أحمد أمين ومحمد يوسف موسى، ونشر في القاهرة آنذاك. ثم صدر هذا الكتاب مؤخراً بعنوانه المشار إليه آنفاً بترجمته بحرف، ولكن ترجمته جاءت في هذه المرة منسوبة إلى الدكتور رمضان عبد التواب. وقد أثار ذلك موجة من النقد نقلت جانباً منها جريدة «الرياض» في عددها ٥٩٨٤ الصادر يوم ١٧/٢/١٤٠٥هـ الموافق ١٠/١١/١٩٨٤م، فقد اتهم الدكتور عبد التواب بالسطو على ترجمة الدكتور النجار، وما إلى ذلك مما هو خارج عن نطاق هذا المقال. لكن الذي يهمني هنا هو تكرار ترجمة كتاب واحد مرتين.

وعلى أي حال، فإن من المستحب، إن لم يكن من الواجب، أن تتولى إحدى الجهات الثقافية العربية ذات الصلة الدولية أمر الاعلان عن الكتب التي ترجمت وتلك التي يتصدى لترجمتها الباحثون، لئلا يتورط



# الأمير مودود بن التونتكين أتابك الموصل ودوره في حركة الجهاد الإسلامي

د. / عفاف سيد صبره

حظيت حركة الجهاد الإسلامي ضد الغزاة الصليبيين، باهتمام المؤرخين المسلمين الذين سطوروا عنها صفحات مجيدة، وأرخوا لشخصيات هامة برزت وتألقت فيها، كان من أبرزهم أفراد البيتين الزنكي والأيوبي.



وكذلك أرخوا لسلطين المالك الذين كان لهم شرف الإسهام في حركة الجهاد الإسلامي ضد هؤلاء الغزاة.

وقد أخذت على عاتقي أن أبرز للقارئ المسلم شخصيات كثيرة وفئات لعبت دوراً كبيراً في هذا المجال. لكنها لم تحظ بالاهتمام بل مر عليها المؤرخون مرور الكرام. وقد ألقت كتاباً يعرض لبعض هذه الفئات<sup>(١)</sup>.

واليوم أقدم للقارئ الكريم شخصية إسلامية لعبت دوراً قيادياً كبيراً في حركة الجهاد الإسلامي. والشخصية التي عكفت على دراستها وبيان دورها الذي لعبته وما سببته للصليبيين من عجز ووهن، والتي ظهرت على مسرح الأحداث في السنوات من ٥٠٠هـ/١١٠٦م إلى ٥٠٧هـ/١١١٣م هي شخصية مودود ابن التونتكين - أتابك الموصل

والذي كان لمقدمه إلى بلاد الشام أثر كبير. بل كان مقدمه نقطة تحول في تاريخ حركة الإفاقة الإسلامية لما ترتب عليه من تطلع مودود لمهاجرة الصليبيين بالشام ذاتها، وإلى تفكيره في عزل الصليبيين بالشام عن الصليبيين الذين كانوا بإمارة الرها.

لقد كان وصول مودود إلى السلطة في الموصل في تلك الآونة بداية خير لتبلور حركة جبهاد الإسلامي التي وضع مودود لبناتها الأولى ثم أكملها بعده عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود، ووصلت إلى ذروتها على عهد صلاح الدين الأيوبي، أي أن مودوداً كان مهداً لصلاح الدين<sup>(٣)</sup>.

ويحق لنا قبل أن ندخل في تفاصيل الدور الذي لعبه الأمير مودود أتاك الموصلي أن نعرف به.

الحقيقة أن معظم كتب التراجم الإسلامية قد أغفلت تحقيق شخصية مودود، فأصله غير معروف، إلا أنه من الأتراك، حتى أن تاريخ مولده لم يحقق أيضاً، وهناك أقوال ذكرها بعض المؤرخين حول نسبه، فبعضهم يرجع أنه أحد أخوة السلطان محمد السلجوقي (٤٩٨هـ/١١٠٢م - ٥١٢هـ/١١١٨م)<sup>(٣)</sup>، وبعضهم يرجع أنه ابن أخ قوام الدولة كربوقا حاكم الموصل (٤٩٠ - ٤٩٦هـ/ ١٠٩٦ - ١١٠٢م)<sup>(٤)</sup>، ولكنها لم يقم أدلة على أقوالها، أما ابن الأثير وأبو الفدا فيشيران إليه تحت اسم مودود بن التونتكين أو التونتاش، وكلاهما غير معروف<sup>(٥)</sup>.

#### الموصل قبيل ظهور مودود :

ولعل الدور الذي لعبه موقع مدينة الموصل في هذه المرحلة، يعتبر ذا أهمية كبيرة أيضاً ؛ لأنها تقع في شمال العراق فهي بذلك مفتاح إلى إمارة الرها، وكان على الشخصية التي تتقلد حكمها أن تتحمل تبعه الجهاد الإسلامي.

كانت أتابكية<sup>(٦)</sup> الموصل في بداية الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي أتابكية مستقلة، يعين حاكمها من قبل السلطان السلجوقي، وكان عليه تبعه القيام بالحرب المقدسة

ضد الصليبيين إلى جانب اضطلاعهم بمهمة القضاء على حركات التمرد والعصيان، التي تقوم بها قبائل التركمان في أعالي دجلة وفي الولايات الشامية<sup>(٧)</sup>.

وقد كلف أتابك الموصل أيضاً بمهمة جمع أمراء العراق وغرب فارس تحت إمرته، وكان يحكم بصفته أسباسلارا للسلطان السلجوقي<sup>(٨)</sup>.

تتابع على أتابكية الموصل في ذلك العهد مجموعة كبيرة من الحكام كان من المفروض أن يبلغوا شأواً كبيراً في حركة الجهاد الإسلامي. لكن للأسف، فقد اتصف سلاجقة فارس وأتابكتهم في بداية الحروب الصليبية بالجمود، بحيث أنهم لم يتحركوا للحد من «توسع الفرنجة على الأقل في شمال العراق والشام وشرق آسيا الصغرى، ولم يحاولوا الاستفادة من الموقف السيء الذي بات فيه الصليبيون عقب أسر بوهمند أمير أنطاكية<sup>(٩)</sup>.

بل إن النزاع احتدم بين الأخوين بركياروق ومحمد ابنى ملكشاه، واستمر النزاع من سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م إلى سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م.

وقد أدرك بركياروق النتيجة التي تؤدي إليها هذه المنازعات، فقرر تسوية المشاكل مع أخيه فانعقد الصلح بين الأخوين سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م وبمقتضاه احتفظ بركياروق بالسيادة على ممتلكاته بفارس والعراق وتخلّى لأخيه عن الأطراف الغربية، وتشمل ديار بكر والجزيرة والموصل وسلطنة الشام<sup>(١٠)</sup>.

وقعت مهمة تعيين أتابك الموصل على عاتق السلطان محمد السلجوقي وكانت الموصل بعد وفاة أتابكها كربوقا سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م مصدر نزاع وصراع بين الأمراء الترك والتركمان<sup>(١١)</sup>.

كان كربوقا مسيطراً على الموصل وماحولها مثل نصيبين وماردين وآمد وقام بإيواء عماد الدين زنكى بن قسيم الدولة أفسنقر وكان قسيم الدولة آفنقر قد «قتل تاركاً زنكى وهو لا يزال صبيّاً، له من العمر نحو عشر سنين»<sup>(١٢)</sup>.

ظل عماد الدين زنكى مع كربوقا حتى وفاته في سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م، واستمر مقيماً

بالموصل مع الأتابكة اللاحقين.

توفي موسى التركماني الذي كان يحكم حصن كيفا نائباً عن كبروقا، فكاتبه أهل الموصل ونجح في دخول المدينة فتصدى له جكرمش حاكم جزيرة ابن عمر وتقاتلت قوتهم عند نصيبين، وهناك غدر جنود موسى التركماني به «وقام عليه عدة من الغلمان القوامية فقتلوه حيث رماه أحدهم بنشابه فقتله»<sup>(١٣)</sup>. لذلك نجح جكرمش في الاستيلاء على الموصل بدلاً من موسى التركماني. لكنه لم ينعم بزعامته زمناً طويلاً، إذ كان لزاماً عليه أن ينجس في السلطنة السلجوقية بالشرق من منازعات.

حينما تختم على بركياروق أن يقتسم أملاك أخيه محمد كانت الموصل كانت الموصل من نصيب محمد بن ملكشاه. فحاول جكرمش أن يستغل بانموصل فأعلن أنه لا يدين بالولاء إلا لبركياروق وحده وناوأ قوات محمد، غير أنه حدث في سنة ٤٩٩هـ/يناير ١١٠٥م أن توفي بركياروق، فانتقل ارثه كاملاً إلى أخيه محمد. ولما لم يعد لدى جكرمش عذر يتذرع به بادر بالإذعان وإعلان الخضوع لمحمد الذي اكتفى في ذلك الوقت بإعلان صداقته، وانسحب بجيوشه صوب الشرق دون أن يغامر بدخول الموصل في موكب النصر<sup>(١٤)</sup>.

تبدلت العلاقات بين السلطان محمد السلجوقي وجكرمش، مما دعا السلطان إلى انتزاع الموصل منه سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م ومنحها مع امارتي الجزيرة وديار بكر إلى مغامر تركي يدعى جاولى سقاوة الذي كان يسيطر على البلاد التي بين خوزستان وفارس<sup>(١٥)</sup>. كما قام السلطان محمد السلجوقي بتولية جاولى سقاوة على كل بلد يفتحه، فاستولى على كثير من البلاد والأموال ولكنه لم يرسل شيئاً للسلطان محمد. كما امتنع عن الرد على رسله من أجل إرسال قواته لمساعدته في محاربة سيف الدولة صدقة بن مزيد<sup>(١٦)</sup>. وأصر جاولى على موقفه خوفاً من الالتقاء بالسلطان.

وتشير المراجع إلى إساءة جاولى سقاوة لأهل الموصل، «حيث قد أخرج أهلها منها وأساء أصحابه السيرة فيها وارتكبوا كل محرم»<sup>(١٧)</sup>. كما قام بالاتصال بالفرنجة منتهزاً فرصة رغبة الأمراء الصليبيين في نداء بلدوين دي بورج الذي كان أسيراً في الموصل من أيام جكرمش وطلب من جوسلين - صاحب تل باشر - دفع مبلغ ستين ألف دينار والافراج عن الأسرى

المسلمين المعتقلين بالرها، لكن القدر لم يهل جاولي ليحصل على هذه الغنيمة<sup>(٢٠)</sup>.

### بداية ظهور مودود في الموصل :

كان شرف الدين مودود يعمل تحت إمرة السلطان محمد السلجوقي وعندما سمع السلطان محمد سوء سيرة جاولي سقاوة في الموصل ، أرسل إليه مودود ابن التوتكين ليرى أمره فخاف بنو من وصول مودود الذي قام بحصار جاولي مدة ثمانية شهور فأرسل جاولي إلى السلطان يقول له : «إني لا أبرأ إلى مودود فبن أرسلت غيره نزلت فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخر فنزل جاولي»<sup>(٢١)</sup>.

وقد كان هذا أول دور يظهر لمودود بن التوتكين، الذي بدأ نجمه يلمع بعد ذلك. وعندما تمادى جاولي سقاوة في إساءته لأهل الموصل، قرر السلطان محمد عقب الانتهاء من قتل صدقة بن مزيد ضرورة تجهيز قواته للقضاء على جاولي وأسند هذه المهمة إلى مودود بن التوتكين على أن يساعده بعض القواد، منهم سكران القطبي حاكم ميفارقين وأقسفر البرسقي ونصر بن مهلهل بن أبي الشوك الكردي، وأبو الهجاء صاحب إربل<sup>(٢٢)</sup>.

وصلت هذه القوة إلى الموصل، وعلى رأسها مودود في شهر رمضان سنة ٥٠١ هـ. حيث كان جاولي في حروب خارجية «تاركاً زوجته بالمدينة المحصنة المحاطة بسور كبير حيث أسكنها القلعة ومعها ألف وخمسمائة فارس من الأتراك سوى غيرهم وقد استعدوا بالبره والأدوات والآلات»<sup>(٢٣)</sup>.

والعجيب أن زوجة جاولي قد أساءت هي الأخرى معاملة من معها مما دعاهم جميعاً إلى الخروج عليها. ووصف ابن الأثير هذا الموقف بقوله «فتبادى الحصار بأهلها من خارج والظلم من داخل حتى آخر المحرم»<sup>(٢٤)</sup>.

وأخيراً اتفق الجميع على تسليم المدينة «فتعاون جماعة من الجصاصين على تسهيل المهمة لقوات مودود التي محاصرة المدينة حتى تم لهم دخولها، فنادى الأمير مودود بالسكون والأمن وأن يعود الناس إلى دورهم وأماكنهم».

وقد أمّن مودود زوجة جاوئي، ثم تولى حكم مدينة الموصل أتابكا من قبل السلطان محمد السلجوقي سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م.

كان وصول مودود إلى السلطة في الموصل في تلك الآونة بداية خير لتبلور حركة الجهاد الإسلامي التي وضع لبناتها الأولى ثم أكملها بعده عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود، حتى وصلت غايتها على عهد صلاح الدين الأيوبي.

وقد أمضى مودود السنة الأولى من حكمه يعمل على تثبيت أقدامه في إمارة الموصل. والحقيقة أن المراجع العربية والأجنبية أغفلت ذكر أية أخبار عنه إلا عندما أمره السلطان محمد بالحروج لجهاد الصليبيين في جمادى الأولى سنة ٥٠٣هـ/٢٦ نوفمبر سنة ١١٠٩م<sup>(٢٣)</sup>.

#### مودود وإمارة الرها الصليبية :

بدأ دور مودود في حركة الجهاد الإسلامي بإمارة الرها الصليبية، ومن المفيد أن نعطي لمحة قصيرة عن نشأة هذه الإمارة وحكامها حتى تلك الفترة.

المعروف من دراستنا أن هذه الإمارة قد تأسست عام ٤٩٢هـ/١٠٩٨م على يد بلدوين البولوني الذي أسند إليه فيما بعد حكم مملكة بيت المقدس، لذلك قام بتولية صهره بلدوين دي بروج على الرها<sup>(٢٤)</sup>. وقد قام الأخير بإحكام قبضته على هذه الإمارة بطرق كثيرة، فقد تزوج أميرة أرمنية تدعى مورافيا، وهي ابنة جبريل المليتاني الحاكم الثري السابق، كما قام باستقبال باسيل بطريرك الكنيسة الأرمنية بحفاوة بالغة وتكريم شديد في عام ١١٠٣م وقام باختيار أحد أتباعه الكبار هو ابن خالته جوسلين كورنتاي - الذي وصل في ذلك الحين من فرنسا - وسلمه إقطاعية تل باشر التي تقع بين الفرات وحدود انطاكية، وأخيراً وفي عام ٤٩٧هـ/١١٠٣م ساعد بلدوين دي بروج في تدبير الفدية اللازمة لفداء بوهمند حاكم انطاكية<sup>(٢٥)</sup> الذي تصور أنه من الممكن أن يتعاون معه في عملياته الصليبية ضد المسلمين، بدلاً من تانكرد الذي استحال التعاون معه<sup>(٢٦)</sup>.

وكدن من نتيجة هذا التحالف الهجوم الذي قاموا به على رضوان حاكم حلب سنة ٩٧٠هـ/١١٠٣م، وحملتهم على حران سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م والتي تقع على الطريق الموصل إلى بغداد قلب العالم الإسلامي، وكان معنى استيلاء الصليبيين على حران أنهم سيتمكنون من قطع الصلة بين المسلمين في الشرق وفارس وإخوانهم في الشام، فضلاً عن أن سقوط حران كان سيعطي للصليبيين فرصة لمهاجمة الموصل نفسها وتأمين طريق الرها، والسيطرة على إقليم الجزيرة<sup>(٢٧)</sup>.

هزم الصليبيون هزيمة نكراء في هذه المعركة ووقع أمير الرها ومعه جوسلين كورتناي حاكم تل باشر أسيرين في قبضة المسلمين<sup>(٢٨)</sup>.

توالت الأحداث بالنسبة للأمرء الصليبيين خلال عام ٤٩٨هـ/١١٠٤م أولاً بتعيين تانكرد وصيا على إمارة الرها، وثانياً سفر بوهمند إلى أوروبا، ثم وصاية تانكرد الثانية على إمارة انطاكية وبعدها قام تانكرد بمنح إمارة الرها إلى ابن عمه ريتشارد سالرنو الذي كان أقل منه قدرة فلم يحسب حساباً لأطباع أتباعه من الفرنجة، كما أنه فقد ولاء الأرمن، حتى أن سلطة الفرنج أصبحت تعتمد على الحاميات الموجودة بالمدن. لذلك بدأ المسلمون خاصة أمرء الموصل يقومون بحملات متتالية على إمارة الرها<sup>(٢٩)</sup>.

ومن هنا يتضح لنا أن أولى الإمارات الإسلامية التي بدأت تنصدي للإمارات الصليبية، هي إمارة الموصل، فقد قام جكرمش حاكم الموصل بغزو حدود الرها سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م وحذا حذوه قلعج أرسلان سلطان قونية، فقام بحملات مماثلة سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م، وسنة ٥٠١هـ/١١٠٧م<sup>(٣٠)</sup>.

لذلك يعتبر حكم ريتشارد سالرنو على إمارة الرها فترة ضعف الإمارات الشمال الصليبية.

وبينما كان ريتشارد سالرنو يحكم الرها كان بلدوين دي بورج يقيم أسيراً في الموصل في حين انتقل ابن خالته جوسلين كورتناي بعد وفاة سنغيان إلى ايلغازي الدانشمندي الذي أطلق سراح جوسلين سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م مقابل الحصول على فدية تقدر بحوالي عشرين ألف دينار، ووعد ببذل المساعدة الحربية له<sup>(٣١)</sup>.

سعى جوسلين بعد ذلك إلى إطلاق سراح بلدوين دي بورج الذي حمله جكرمش حاكم الموصل ضمن متاعه وآل بعد ذلك إلى جاولى سقاوة بعد سيطرته على المدينة.

نجح بلدوين بعد جهد شاق في أن يعود إلى إمارة الرها، وقام تانكرد بسحب ابن خالته ريتشارد سالرنو منها<sup>(٣٢)</sup>، ثم حدثت حرب داخلية بعد ذلك بين جبهتين إحداهما إسلامية تناصرها جبهة صليبية مع أخرى مثلها.

فقد تألف حلفان من جاولى حاكم الموصل مع بلدوين دي بورج حاكم الرها لذلك خاف رضوان أمير حلب هذا التحالف لأن جاولى يهدد ممتلكاته على نهر الفرات ورد رضوان على هذا التهديد والتحالف بمثله، فتحالف مع تانكرد حاكم أنطاكية وقامت الجبهتان بالاستعداد للمواجهة العسكرية<sup>(٣٣)</sup>.

قام رضوان بالاستيلاء على قافلة تجارية، كان من بين ماتحملة جزء من المال الذي افتدى به بلدوين نفسه، وكان مرسلًا من تل باشر إلى مقر جاولى بالموصل. لذلك قام جاولى سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م بشن هجوم على مدينة بالس الواقعة على نهر الفرات<sup>(٣٤)</sup>.

انتهت المعركة في البداية بتمكن قوات جاولى وبلدوين من رد فرنج أنطاكية، وتكبيدهم خسائر فادحة، لكن عندما خرج الجند الأتراك من جيش جاولى يبحثون عن الغنيمة، نزلت ساحة المعركة إلا من القواد فقط؛ لذلك هرب بلدوين دي بورج، وجوسلين وخسرا المعركة، لكنهما نجحا في العودة إلى الرها<sup>(٣٥)</sup>.

توجه تانكرد بعد ذلك إلى الثغور الشامية فملك طرسوس وأذنه، ونزل على حصن الأكراد، فسلمه أهله إليه، وتوجه إلى شيزر، فقرر عليها عشرة آلاف دينار، وملك الفرنج مدينة بيروت التي كانت ضمن ممتلكات الفاطميين<sup>(٣٦)</sup>، وقد طلب الصليبيون من إخوانهم النازليين على ثغر بيروت النجدة من عسكر الأمير مودود التي بدأت تتجهز من الموصل للوقوف في وجه الصليبيين في الرها.



### مودود وإمارة الرها :

أمر السلطان محمد السلجوقي مودوداً أتاك الموصل بإعداد العدة لمواجهة إمارة الرها، وقد أبرز لنا المؤرخون المسلمون أن مودوداً كان أبرز من رفع راية الجهاد الديني ضد الصليبيين على أساس الوحدة الإسلامية في مواجهتهم، فقد جهز جيشاً ضخماً للتوجه إلى الرها شاركه فيه مسعود ابن السلطان محمد، كما شاركها الأمير أبلغازي بن أرتق حاكم ماردين والأمير سكيان القطبي حاكم ميفارقين والمعروف بشاه أرمين<sup>(٣٧)</sup>. ويعلق ابن القلانسي على أعداد الذين شاركوا الأمير مودوداً في جهاد الصليبيين «بأنه قد وصل إليهم خلق كثير من المتطوعة»<sup>(٣٨)</sup> وقد قرر المجتمعون في جزيرة بني غير الاتجاه صوب الرها، وذلك لما ذكرناه عنها وعن حكامها وأهميتها، وموقعها بالنسبة للمسلمين وبالنسبة للموصل بوجه خاص.

والعجيب أن التناحر والتباغض الذي لسناه بين القادة الصليبيين في تلك الفترة - وعرضنا له - مالبث أن تلاشى عندما شعروا بقوة المسلمين ووحدتهم أمام الرها.

فقد أحكم بلدوين دي بوج أميرها سيطرته على المدينة «وشرع في تحصينها وخزن الميرة والطعام فيها»<sup>(٣٩)</sup> في الوقت الذي قام مودود وإخوانه المسلمون بحصار المدينة من جميع جهاتها، ومنعوا الداخل والخارج من المسير إليها حتى غلت الأسعار بالمدينة وطالت مدة الحصار. ويعلق الأستاذ Fink على ذلك «بأن مودوداً قد قام بتدمير القرى وأتلف المزارع والحدائق والبساتين لذلك قام بلدوين دي بوج بطلب المساعدة من الصليبيين»<sup>(٤٠)</sup> فاجتمع إليه تانكرد حاكم انطاكية وبرتراند حاكم طرابلس والملك بلدوين حاكم بيت المقدس، وغيرهم<sup>(٤١)</sup> «وتعاهدوا وتعاهدوا على الثبات في الحرب والمصابرة واللباث»<sup>(٤٢)</sup> لذلك توجهت قواتهم صوب الرها فلما وصلوا إلى الفرات بلغتهم كثرة المسلمين، فلم يقتربوا منهم وأقاموا على الفرات - رغم أن عدد جيشهم كان يزيد على خمسة عشر ألف رجل.

أراد المسلمون استخدام الحيلة وقرر مودود أن يرحل إلى حران - التي سبق أن استولى عليها - على أساس أن يسهل للفرنج عبور الفرات، ويتمكن من لقاءهم في المنطقة الفضاء

شرقي الفرات لذلك توقفوا عن مقاتلة الصليبيين حتى يعبروا، لكن الصليبيين أدركوا هذه الخطة وشعروا بما يدبر لهم، وأن الهلاك والخذلان نصيبهم؛ فقد تلقى بلدوين التحذير في الوقت المناسب وعرف أن خطة مودود هي اجتذابهم إلى أرض معادية كيما يطوق جناحهم، لذلك توقف عن حصار قلعة شناو التي تقع شمال غرب حران<sup>(٤٣)</sup>.

لحق مودود بمجموعة من الصليبيين ومعهم جمع من الأرمن الذين بدأوا في مغادرة البلاد بناء على خطة بلدوين دي بورج - التي تقضي بالاتجاه إلى البلاد الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات، والتي تعتبر أكثر أمناً واستقراراً، وتبعهم المسلمون فغنموا منهم «سوادهم وأثقالهم» وتتبعوا رجالهم قتلاً وأسراً، وأغرقوهم في نهر الفرات وامتلأت أيدي المسلمين بالغنائم والأسلاب والسبي والدواب وترك المسلمون فلول الصليبيين ورفضوا اللحاق بهم وعبروا الفرات لرغبتهم في العودة إلى الرها مرة أخرى<sup>(٤٤)</sup>.

ظهرت نواة قوة إسلامية جديدة تمثلت في الأتابك طغتكين أتابك دمشق، الذي سمع بما حدث للقوات الإسلامية في الرها، لذلك تحرك طغتكين بقواته «إلى ناحية الرقة وقلعة جعبر وقطع الفرات»، وتلوم هناك إلى أن عرف خبر الإفرنج، وأنهم قد أحجموا عن العبور<sup>(٤٥)</sup> وانضم إلى بقية جيش مودود. ولعل استيلاء طغتكين يرجع أولاً إلى استيلاء الصليبيين على ميناء بيروت في ١٣ مايو سنة ١١٠٩م، وميناء طرابلس قبل ذلك، وكان هذان الميناءان أهم مرفأين لدمشق على البحر المتوسط<sup>(٤٦)</sup>.

بلغ الحقد أشده ببلدوين دي بورج على مودود، لذلك قرر الانتقام، فقاد كتيبة من العسكر واجتاز بها النهر غير أن تفوق مودود في العدد والعدة، جعل اليأس يدب في نفوس الصليبيين، حتى أن بلدوين دي بورج كاد يتعرض للهلاك على يد مودود شخصياً لولا نجدة الملك بلدوين وتانكرد.

عاد بلدوين أولاً إلى سميساط، ومنها اتجه جنوباً، بينما اتجه تانكرد ناحية بلاد الشام لإنزال العقوبة برضوان حاكم حلب الذي هاجم بلاد تانكرد أثناء غيابه، وقد اعتقد تانكرد أن هذا

العمل خيانة وخروجاً على الاتفاق المعتود بينها من قبل، فاستولى تانكرد عنوة على قلعة النفرة الواقعة على الحدود ثم زحف على حصن الأثارب وهو بالقرب من مدينة حلب وحاصره، «ومنع الميرة عنه فضاق الأمر على من به من المسلمين فتقووا في القلعة نقباً، قصدوا أن يخرجوا منه إلى خيمة صاحب انطاكية فيقتلوه»<sup>(٤٧)</sup>، لكنه نجح في التحايل على المسلمين حتى امتلك تانكرد الحصن عنوة، وقتل أهله، ثم توجه إلى زردنا فحصره، وفتحته وفعل به مثلما فعل في حصن الأثارب فلما سمع أهل منبج بذلك خافوا من الفرنج وشاركهم أهل بالس. لذلك توجه الفرنج نحو صيدا فطلب أهلها الأمان فأمنوهم واستولوا عليها، وطلب المسلمون الهدنة فرفض الصليبيون «إلا على قطعة يأخذونها إلى مدة يسيرة»<sup>(٤٨)</sup>، لذلك صالحهم رضوان وصاحب صور وابن منتقذ وغيرهم بعد أن تعهدوا بدفع أموال طائلة للصليبيين.

كان هذا الموقف الصليبي رد فعل عنيف في العالم الإسلامي، فقد أثار الاستياء العام لدى جميع المسلمين مما أدى إلى «تجمهر أعداد كبيرة منهم يرؤسهم رجل من الأشراف الهاشميين من أهل حلب، وجماعة من الصوفية والتجار والفقهاء توجهوا إلى جامع السلطان ببغداد فاسغاثوا، وأنزلوا الخطيب عن المنبر وكسروه وصاحوا وبكوا لما لحق الإسلام من الفرنج وقتل الرجال وسبي النساء والأطفال»<sup>(٤٩)</sup>، وقد عاود المسلمون فعل ذلك في الجمعة التالية لذلك أوعز السلطان محمد السلجوقي إلى الأمراء والمقدمين بالعودة إلى أعمالهم والتأهب للمسير إلى جهاد أعداء الله الكفار»<sup>(٥٠)</sup>.

وصل في نفس الفترة رسول من قبل الامبراطور البيزنطي لاستشارة الخليفة والسلطان ضد الصليبيين «مضمونها البعث على جهاد الافرنج والإيقاع بهم والاجتماع على طردهم من هذه الأعمال وترك التراخي في أمرهم واستعمال الجد والاجتهاد في الفتك بهم قبل اعضاء خطبهم واستفحال شرهم»<sup>(٥١)</sup>.

وبين لهم كذلك بأنه منع الصليبيين من العبور إلى البلاد الإسلامية؛ لذلك أمر السلطان السلجوقي قواته بالتحرك صوب الصليبيين.

كان مودود أول من استجاب لنداء سيده واستعد وجهز قواته لتحقيق هدفين: أولاً ليستكمل الدور الذي بدأه ناحية الرها، وثانياً الانتقام من الصليبيين الذين أساءوا لأهل الشام.

كانت هذه الحملة تحت قيادته وساعده مسعود ابن السلطان محمد السلجوقي والأمير سكيان القطبي والأميران الكرديان أحمد يل صاحب مراغه وأبو الهيجاء صاحب إربل، فضلاً عن بعض أمراء فارس بزعامة برسق بن برسق أمير همدان<sup>(٥٢)</sup>. والأمير أيلغازي صاحب ماردين والأمراء البيكجية - وقد تحلف بعد ذلك أيلغازي وبعث بابنه إياز<sup>(٥٣)</sup>.

توجه مودود بعسكره أولاً إلى سنجتان، فافتتح تل مراد وعدة حصون، وهناك وصل إليه أحمد يل وعساكره، ثم قطب الدين سكيان القطبي، وكان تجمعهم في حران، وكتب إليهم سلطان بن علي بن منقذ صاحب شيزر يخبرهم بنزول تانكرد صاحب انطاكية أرض شيزر وشروعه في بناء تل ابن معشر في مقابلة شيزر وحمل الغلال إليه وطلب منهم مساعدته<sup>(٥٤)</sup>.

وعندما أحس بلدوين دي بوج أمير الرها بتلك التجمعات الإسلامية على حدود امارته، خاف أن يتعرض مرة أخرى لهجوم مودود، فشرع في تحصين إمارته وخزن الميرة والطعام فيها مما جعل مودوداً ينصرف عن حصارها ويتجه إلى ثاني مدن تلك الإمارة الصليبية وهي مدينة تل باشر غربي الفرات ومفتاح مدينة الرها. انتظر مودود وهو محاصر لتل باشر وصول الأمير برسق ابن برسق، فوصل في عسكره وهو مريض بالنقرس، وكان سكيان القطبي مريضاً أيضاً وقد ظل مودود والقوات الإسلامية محاصرين لتل باشر مدة خمسة وأربعين يوماً، وهناك وصلتهم رسالة من رضوان بأنه يستعد لمساعدتهم؛ لأنه لم يعد بوسعه أن يصمد طويلاً أمام تانكرد، وقد تأثر مودود لتغير سلوك رضوان وأنه سيشارك الجمع الإسلامي، وبناء على اقتراح أحمد يل الذي كان بينه وبين جوسلين حاكم تل باشر مودة وملاطفة حيث «قدم له جوسلين مالاً وهدية، وبذل الكون معه والميل إليه، وكان أكثر العساكر مع أحمد يل وسأله الرحيل عن الحصن»<sup>(٥٥)</sup>.

ضرب أحمد بل من مودود الرحيل . فوثق به مودود وضته صادقاً في غرضه ورفع الحصار عن تل بشر وتوجه صوب حلب . وخاب أمل مودود في رضوان أمير حلب . فما إن وصلت القوات الإسلامية إلى حدود حلب حتى أغلق رضوان في وجهها أبواب المدينة «وأخذ أهله رهائن إلى قلعة» . ورثب الجند وأحداث الباطنية والطائعين لحفظ الأسرار ومنع الحلبين من الصعود إلى نسير . فذُلق الحرامية في أخذ من يظفرون به من أطراف العسكرة<sup>(٥٦)</sup> معنى ذلك أن عساكر رضوان كانوا أخطر على مودود من الصليبيين .

أما عن موقف القواد المسلمين الملازمين لمودود فقد مرض سكان القطبي، وعاد مريضاً ونوفى في بلس، أما برسق بن برسق فكان يُحمل في محفة، ولا يتمكن من فعل أو قول، وأما أحمد بل فكان يرغب في العودة لطمعه في الاستيلاء على بلاد سكان القطبي<sup>(٥٧)</sup>.

#### مودود وطغتكين :

لعل إفراننا عنواناً لطبيعة العلاقة بين مودود وطغتكين للدليل على أهميتها عن غيرها . فالمعروف تاريخياً أن طغتكين كان أنابكا على دمشق لأولاد دقاق، وقد ظل بيته يتوارث هذه الأنابكية طوال فترة الحروب الصليبية إلى أن نجح نور الدين محمود في الاستيلاء على دمشق .

وقد بدأ اتصال طغتكين بمودود عندما كان الأخير محاصراً للرها سنة ٥٠٣ هـ . وأكد ابن القلانسي على أنه قد وصل الرقة وقلعة جعبر وعبر الفرات، وبعدها بدأت الصلات تتوثق بين الإثنين، وكثرت المراسلات إلى أن أفضت إلى استحكام المودة بينهما، واتفق الكلمة وتأکید أسباب الألفة<sup>(٥٨)</sup>.

ويؤكد المؤرخون الغربيون على أهمية اتصال طغتكين بمودود واتحادهما معاً، فقد كان نجاح الحملة الصليبية الأولى يرجع إلى الفرقة بين الأمراء الترك حكام الأقاليم أما الاتحاد بين دمشق والموصل فسؤدي إلى ضعف جبهة الصليبيين<sup>(٥٩)</sup> . وعندما خرج مودود بحملته على تل بشر

ومنها إلى حلب حضر طغتكين على رأس قوة عسكرية من بلاد الشام «للاعتضاد على الجهاد وتقوية النفوس»<sup>(٦٠)</sup> فوصل إلى حلب، وهناك استقبله المسلمون خاصة مودود بالمودعة والترحاب «وقويت بوصله النفوس، واشتدت الظهور» وفي هذه الفترة علم طغتكين أن رضوان صاحب حلب بدأ يدس الدسائس، ويوغر الصدور ليقع بين طغتكين ومودود والقوات الإسلامية، حتى أنه راسل بعض الأمراء في هذا الشأن، لذلك قرر طغتكين الاتفاق مع مودود «على التعاهد والتصادق فيما بينهما، وتقوية النفوس من أجل مجاهدة الصليبيين، حتى أنه بدأ يوزع كل ما يحمله من هدايا على الجنود المسلمين منها التحف والحُصن العربية والسُبق والأعلاق المصرية»<sup>(٦١)</sup> «ولم ينكر مودود عليه أعماله هذه، بل قابلها بالمثل وتجددت العهد بينهما»<sup>(٦٢)</sup>.

وقد طلب منهم طغتكين أن يتوجهوا معه صوب طرابلس، لأنه يمر في دمشق بظروف سيئة بعد استيلاء الصليبيين على ميناء طرابلس سنة ١١٠٩م، لذلك اقترح أن تبدأ الحرب المقدسة بطرابلس. لكن للأسف فإن القادة الذين كانوا يرافقون مودوداً لم يرغبوا في القتال من أجل مصلحة طغتكين ولا أن يكتثوا بعيداً عن أوطانهم أكثر من ذلك، لذلك تركوهم جميعاً كما ذكرنا<sup>(٦٣)</sup>.

قرر طغتكين لمودود في حالة مساعدته منحهم كل ما يحتاجونه من مؤن من دمشق وفي حالة حلول فصل الشتاء سيرحل بهم إلى دمشق، وللأسف الشديد فإننا قد رأينا اختلاف الرأي بين القواد المسلمين الذين كانوا في جيش مودود وكيف أنه فوجيء بأن كل واحد من هؤلاء القواد قد اتخذ موقفاً معيناً، كما سبق أن ذكرنا، فلم يكن أمام مودود إلا أن ينفذ رغبة طغتكين بنفسه دون الاعتماد على غيره، وأن يرحل معه هو وجنوده متجهين إلى نهر العاصي<sup>(٦٤)</sup>.

وصل إلى هذه الجموع سلطان بن منتقذ أمير شيرز ومعه جنوده، وأوضح لهم موقف الصليبيين، لكنه هون عليهم أمرهم وشجعهم على مواصلة الجهاد على أن تنضم إليهم جنود شيرز. لذلك بدأ يظهر الدور الإيجابي لطغتكين مع مودود، وتوطدت صلاتها، مما جعل

المؤرخين يجللون هذا الموقف، وهي كانت هذه العلاقات من قبل طغتكين أم أنه شعر بقوة مودود، فخاف نفوذه، وأراد أن يستقطبه إلى جانبه، لكن العبرة ستوضح في النهاية، والحقيقة الكامنة في نفس طغتكين يعلمها الله وحده، رغم دفع بعض المؤرخين عنه.

#### مودود وقوى الصليبيين ببلاد الشام :

رأينا خيبة أمل مودود في رضوان أمير حلب، وتحالف طغتكين وسلطان شيزر معه، لذلك نفذ خطتهم في الاتجاه صوب شيزر جنوباً فدخل عسكر مودود حول شيزر وأكرمها سلطان بني منقذ واحتفى بقيادة الحملة وهما مودود وضغتكين «بأن أصدعها إلى حصن المدينة وياشر خدمتها بنفسه»<sup>(٦٥)</sup>.

وفي هذه الآونة كان الصليبيون بزعامة تانكرد يعسكرون أمام شيزر وعندما علموا بوصول قوات مودود انسحبوا إلى أفياميه واستجدوا بالملك بلدوين ملك بيت المقدس، فاستجاب لهم، وأرسل إلى سائر الفرسان بالشرق ليلحقوا به، فتقدم معه البطريك جيلين وكبار الأتباع بالملكة أمثال جارييه سيد صيدا ووالتر صاحب حبرون، وبرتراند كونت طرابلس، ومن الشمال جاء بلدوين كونت الرها يصحبه تابعاه الكبيران جوسلين سيد تل باشر، وباجان صاحب سروج، واستدعى تانكرد أتباعه من سائر جهات أنطاكية فقدم إليه جاي الملقب بالمعزة من طرسوس والمصيصة، وريتشارد صاحب مرعش وجاوي المعروف بالزانة سيد حارم، وروبرت صاحب السويدية وروجر صاحب هب ومارتن صاحب اللاذقية، وبونا بلوس صاحب سرمدا وآل روبرين فصيله أرمني، بل إن أوشين صاحب لامبرون بعث بجماعة من جنده، والراجع أن عملهم اقتصر على التجسس لحساب الامبراطور<sup>(٦٦)</sup>.

وتقدر جميع هذه القوات بما يقرب من ستة عشر ألف مقاتل<sup>(٦٧)</sup> ويعلق ابن القلانسي على هذا الجمع الهائل من الصليبيين الذين برزوا أمام مودود وقواته الإسلامية أنهم قد استفادوا من حروبهم ضد المسلمين «فبعد التباين والمنافرة والخلف صاروا يداً واحدة وكلمة متفقة على الاسلام وأهله»<sup>(٦٨)</sup> ومن هنا نرى كيف أن ابن القلانسي قد أوضح لنا أن المسلمين خرجوا

متناحرين، وكل قائد منهم اعتذر بحجة معينة وتركوا الأمر لمودود ليحمل على عاتقه هذه المهمة الصعبة، في حين أن المحنة صلبت عود الصليبيين، فاجتمعوا علينا وتكاتفوا بعد أن كانوا متباغضين متناحرين.

اتجه الصليبيون إلى منطقة تسمى تل ابن معشر، وبدءوا في تجهيز قواتهم، وتحصين مواقعهم، لكن المسلمين كانوا قد نجحوا في تثبيت خيولهم من جميع الجهات، لكي تكون في مواجهة الصليبيين، وعسكروا عند معرة النعمان، وكان موقعهم يمنع وصول الماء والمؤن إلى الصليبيين، كما سيطر المسلمون أيضاً على شاطئ نهر العاصي، ومنعوا أي جندي صليبي من الاقتراب منه وكل من حاول ذلك تعرض للقتل، وهاجم المسلمون التل الذي يعسكر عليه الصليبيون، فارتد الصليبيون، واختبأوا ثلاث ليال لم يخرجوا خلاها للقاء المسلمين، ثم عادوا إلى أقاميه مرة أخرى، وتبعهم المسلمون الذين حملوا أعداداً كبيرة من الأسرى الصليبيين الذين كانوا يتخطفونهم، ثم عادوا إلى شيزر ومنها إلى حماة<sup>(٦٩)</sup>.

توطدت العلاقات عقب هذه الحملة بين مودود وطغتكين، فمن المؤرخين من يحاول إبعاد الحقد الداخلي والخوف من نفس طغتكين. ويمثل هؤلاء ابن القلانسي، أما ابن الأثير فله موقف آخر يخالف لموقف زملائه المؤرخين<sup>(٧٠)</sup>.

غادر مودود بلاد الشام إلى الموصل ليستعد لهجوم جديد يوجهه صوب مدينة الرها التي تعتبر الهدف الأساسي لحكام الموصل، فجهز نفسه وتوجه في عام ٥٠٦هـ/١١١٢م إلى الرها «فنزل عليها ورعى عسكره زروعها، ومكث بها ثمانية أيام»<sup>(٧١)</sup> ثم رحل عنها إلى سروج وفعل بها كذلك، وبين ابن الأثير أن مودوداً لم يأخذ حذره من الفرنج، وفجأة انقض عليهم جوسلين صاحب تل باشر، وهجم على الدواب التي كانت منتشرة في المرامي، وعندما تجهز مودود للثأر منه كان قد رحل إلى بلاده بعد أن قتل كثيراً من المسلمين واستولى على الدواب<sup>(٧٢)</sup>.

لذلك نعتبر أن حملة الرها لم تكن ذات أهمية بل إن مودوداً بعدها اكتفى مؤقتاً بمراقبة حدود الجزيرة، ومسالك الشام تحقيقاً لرغبة الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي<sup>(٧٣)</sup>.



ويعلق الأستاذ Fink على حصار مودود للرها بقوله «إذا كان مودود قد نجح في الاستيلاء على الرها لكان قد سبق عمه الدين زنكي الذي استولى عليها سنة ١١٤٤م وكان استيلاؤه عليها نقطة تحول في تاريخ الحروب الصليبية»<sup>(٧٥)</sup>.

وخلال هذه الفترة تعرضت مدينة صور في بلاد الشام لعدوان الملك بلدوين الصليبي ملك بيت المقدس الذي بدأ يجمع الصليبيين حول رايته بعدما رآه من الهجوم الإسلامي المتكرر على بلاد الشام، وبعد حملة مودود على شيزر، وقد جمع بلدوين ملك بيت المقدس جنوده وحشدتها نحو مدينة صور، لذلك استنجد أهلها بطغتكين حاكم دمشق والممسوا منه الحماية، فقام طغتكين بالاتصال بالأفضل بن بدر الجمالي الوزير الفاطمي في مصر، وبين له «أن من يتولى أمرها ويذب عنها ويحميها، بادرت بتسليمها إليه، وخروج نوابي منها»<sup>(٧٥)</sup>.

وعندما تقاعس الفاطميون عن إرسال النجدة إلى مدينة صور، التي تعتبر رسمياً ضمن ممتلكاتهم في بلاد الشام، كما أنها من المدن التي استعصت على بلدوين الأول، لذلك قرر طغتكين تعيين وال عليها يدعى مسعود، «فرق عليهم المؤن والأموال، فطابت نفوس أهل البلد»<sup>(٧٦)</sup> وقد قام بلدوين بعد ذلك وفي عام ٥٠٥هـ/١١١١م بحصار لصور، لكنه كان حصاراً غير تام لعدم وجود أسطول صليبي قوي يحبس المدينة من ناحية البحر<sup>(٧٧)</sup>.

وقد هزم بلدوين أمام المقاومة الإسلامية التي برزت في صور وبعدها تسلم طغتكين المدينة رسمياً. لذلك احتدم الصراع رسمياً بين طغتكين وبلدوين الأول، مما دفع طغتكين إلى مراسلة مودود، وطلب منه القدوم لنجدة «للاعتضاد به على دفع المردة الأضداد، والفوز بفضيلة الجهاد»<sup>(٧٨)</sup>.

والسبب الثاني لهذه الحملة هو الاعتداءات المتكررة التي كان يقوم بها بلدوين على مدينة دمشق، «حتى ندرت الأقوات بها وتعدرت»<sup>(٧٩)</sup>.

والحقيقة، كما هو ثابت أن مودوداً لم يكن في حاجة إلى تحرير، بل إنه كان يمثل أولاً

سلطة السلطان السلجوقي، في كل أمور الشام والجزيرة، لذلك كان عليه أن يمضي في جهاد الفرنج<sup>(٨٠)</sup>.

وثانياً، فإن استمرار قدومه إلى بلاد الشام لمحاربة الصليبيين، وإن لم تؤد إلى نتيجة ما، فهو يعتبر نقطة تحول في تاريخ حركة الإفاقة الإسلامية لما ترتب عليه من تطلع مودود إلى مهاجمة الصليبيين بالشام ذاتها، وإلى تفكيره في القطع بينها وبين الرها، وبذا انتقل مسرح النضال إلى أرض الشام<sup>(٨١)</sup>.

ورغم ذلك، فقد تعرض مودود شخصياً في هذه الفترة الحاسمة التي كان يمر بها العالم الإسلامي لوشايات وأباطيل نقلت عنه، وكلها مصدرها الحقد والغيرة والخوف من زعامة العالم الإسلامي «فقد شنع عليه عند السلطان غياث الدنيا والدين بشناعات من المحال، لفقها الحسدة والاعداء»<sup>(٨٢)</sup>.

لذلك اضطر «أن يبعث ابنه وزوجته إلى السلطان محمد السلجوقي للاعتذار وإثبات صدق نيته وعزمهم على مواصلة الجهاد».

وقد قام مودود بإعداد جيش ضخم خرج به إلى بلاد الشام في شهر ذي القعدة، لذلك انزعج بلدوين انزعاجاً شديداً لقدم هذا الجيش<sup>(٨٣)</sup>.

والواقع أن موقف الصليبيين في هذه الآونة كان يشهد تغيرات جديدة بشمال بلاد الشام، وأعلى الجزيرة، إذ مات ريتشارد النورماندي وبرتراند أمير طرابلس فتوثقت العلاقة بين بونز ابن برتراند وتانكرد، غير أن تانكرد مالبت أن مات سنة ١١١٢م فتولى الوصاية على انطاكية روجر بن ريتشارد حتى يقدم بوهمند الثاني وانتزع بلدوين دي بورج اقطاع تل باشر من جوسلين، فارتحل إلى بيت المقدس سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م، وحاز الجليل «طبرية» اقطاعاً له<sup>(٨٤)</sup>.

وتذكر المراجع أن أخبار تحركات مودود من الموصل إلى الشام وصلت إلى بلدوين دي بورج

كرت الرها، فبادر بزيلاؤها إلى بلدوين ملك بيت المقدس، لذلك قام باستدعاء أميرى  
الذكية وطرابلس.

خرج طغتكين من دمشق للقاء مودود وجيشه، وتم اللقاء عند مرج سلمييه جنوبي شرق  
حده. وافترق الإثنين على ملاقة جيش بلدوين، وصحبته في هذه الحملة جيوش من حص  
وحاه. ورفنيه ثم توجهوا إلى قدس ومنها إلى غير الحبر بسهل البقاع ثم إلى وادي التيم ونزلا  
ببباس<sup>(٩٢)</sup>.

ويحاول ابن القلانسي أن يركز على حسن معاملة طغتكين لمودود وتكريه وإعظامه «وماحله  
بى متدمني عسكره وخواصه من أنواع اللبوس والمأكول والمركوب»<sup>(٩٣)</sup>.

#### موقعة الصنبرة سنة ١١١٣م/٥٠٧هـ:

انضمت إلى قوات مودود وطغتكين قوات تمرك صاحب سنجار، والأمير أياز بن أيلغازي  
الأرتقي، وقد اتجه الجميع صوب طبرية، وقاموا بحصارها، وعندما استعصت عليهم أخذوا  
يدمرون وينهبون الممتلكات الصليبية المجاورة حتى جبل الطور<sup>(٩٤)</sup>.

اتحمت القوات الإسلامية بعد ذلك إلى الاقحوانة في حين قرر الصليبيون بزعامة بلدوين أن  
ينزلوا غربي جسر الصنبرة وهي قرية قديمة تقع على المجرى الأعلى لنهر الأردن ثم يقطعونه إلى  
الاقحوانة للقاء المسلمين، وقد شدد الحراسة على أمعتهم وأسلحتهم خلف الجسر<sup>(٩٥)</sup>.

نجح المسلمون في قطع جسر الصنبرة، ووقفوا أمام الفرنج في ثلاث جولات حربية  
انتصروا فيها وقتل من الإفرنج «تقدير ألفي رجل من الأعيان ووجوه الأبطال والشجعان،  
وملكوا ماكان نُصب من خيامهم»<sup>(٩٦)</sup>. ويعدد فولشر قديس شارتر عدد القتلى بثلاثين ألف  
فارس، واثنى عشر ألفا من المشاة<sup>(٩٧)</sup>. وقد تم أسر بلدوين «وفر هارباً، وحصل معسكر  
مودود على غنائم وفيرة»<sup>(٩٨)</sup> وقد غرقت أعداد كبيرة من جيش بلدوين في البحيرة، واختلط  
الدم والماء حتى أن الناس امتنعوا عن الشرب منه، وهرب من نجا من الصليبيين إلى طبرية.

عندئذ وصلت بقية الجيوش الصليبية إلى بلدوين، وقد لاموه على تسرعه في لقاء المسلمين، أما المسلمون فقد استأنفوا جهودهم فاتحهم ناحية طبرية وقرروا مهاجمة الصليبيين مرة أخرى فصعدوا الجبل المطل عليهم غربي طبرية، وبعد أن عاد المسلمون إلى معسكرهم، صعد الصليبيون الجبل، وتحصنوا به، ومع ذلك استمر المسلمون في مجاہدتهم وقرروا في النهاية عدم الصعود إلى الصليبيين لصعوبة الجبل<sup>(٩٢)</sup>. وقاسى الصليبيون من ندرة الماء، واستمروا فوق التل لمدة ستة وعشرين يوماً، وخلال هذه الفترة وصلت قوات من قبل رضوان أمير حلب تقدر بحوالي مائة فارس، وهو أقل من العدد المتفق عليه، لذلك توترت العلاقات بينه وبين طغتكين ومودود اللذين قررا عدم إقامة الخطبة له.

ظلت العساكر الإسلامية تطارد القوات الصليبية، بعد أن أدركوا عجز ملك بيت المقدس عن الدفاع عن إمارته، فاستمروا في إغارتهم على المناطق بين عكا وبيت المقدس، فأضحى الإقليم تحت رحمتهم، فهرب سكان المدن والقرى والفلاحون ولحقوا بالقوات الإسلامية، وأصاب الفرنج من الذلة والانكسار والخوف، ما جعلهم لا يجرؤون على مغادرة الاستحكامات والحصون<sup>(٩٣)</sup> ويعلق فولشر قديس شارتر على ذلك بقوله «إن العرب اتجهوا جماعات، والتفوا حول إخوانهم في الدين وأن الصليبيين لم يجرؤوا على مغادرة أسوار مدنها، فلم يتمكنوا من الاتصال بالملك بلدوين، كما لم يتمكنوا من حصد المحاصيل التي جادت بها الأراضي في ذلك العام<sup>(٩٤)</sup>». ثم كان أن زاد موقف الصليبيين حرجاً في ذلك الوقت عندما قامت حامية عسقلان بهجوم على بيت المقدس ذاته، مستغلة فرصة وجود الملك بلدوين الأول والجيش الصليبي قرب طبرية، وهكذا تقدم الجيش الفاطمي من عسقلان ودمر وينهب، ويقتني أثر الصليبيين حتى وصل إلى أسوار بيت المقدس، لكن حامية المدينة ومن بقي فيها من الفرسان ظلت متيقظة تماماً في الوقت الذي كان الجيش الفاطمي الذي خرج من عسقلان صغير العدد لا يستطيع القيام بعمل حربي ضخم ضد المدينة، مما جعل المسلمين يشرون في العودة إلى عسقلان في الليلة نفسها التي بلغوا فيها أسوار بيت المقدس<sup>(٩٥)</sup>.

وقد تبدلت الظروف بالنسبة لبلدوين حيث وفدت عليه جموع من انطاكية وطرابلس

لمواساته في مأساته، كما شاركهم مجموعة من الحجاج الغربيين القادمين من أوروبا، وقد تجمعوا في مجموعات كبير واتجهوا إليه<sup>(٩٦)</sup> على أن مودوداً أذن للعساكر في العودة إلى بلادهم والاستراحة على أن يتجمعوا في الربيع القادم لمواصلة الغزو، وذلك بعد أن ألح عليه عساكر العراق، وحلفاؤه، وعزم مودود على المقام بالشام والقرب من العدو<sup>(٩٧)</sup> لذلك عاد طغتكين ومودود إلى دمشق في الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٠٧هـ، وقد بالغ طغتكين في إكرامه واحترامه وخدمته بنفسه<sup>(٩٨)</sup>.

ويعقد الأستاذ «فنك» Fink مقارنة بين حملة سنة ١١١٣م/٥٠٧هـ، التي قام بها مودود وبين موقعة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م التي قام بها صلاح الدين الأيوبي، فبين أن هاتين المعركتين متشابهتان في أكثر من شيء، أولها أن الوحدة الإسلامية في كلتاها كانت سبباً في قهر المسيحيين، وفي كلتاها بدأ المسلمون بمهاجمة طبرية كما أدى هذا الهجوم إلى تجنيد عام في كل العالم الإسلامي وانتهى بانتصار المسلمين على الفرنج وألقوا بهم على تل قليل الماء<sup>(٩٩)</sup>.

أما عن وجه الاختلاف بين الاثنتين، فإن جيش بلدوين انهزم في حملة مودود وهرب بلدوين أما جيش جاي لوزجنان في حطين فانهزم وتم أسر الملك نفسه.

ثانياً: أن الملك بلدوين في الأولى كان يعاني وهو على التل المرتفع من نقص المياه وقتلتها في حين أن جاي لوزجنان في الثانية لم يجد الماء نهائياً.

ثالثاً: أن بلدوين كان يحظى باحترام رفاقه رغم الأخطاء التي وقع فيها، في حين أن جاي صدر ضده قرار من المجلس الصليبي العام يقضي بعزله، وأخيراً فإن بلدوين وصلته إمدادات ومساعدات خارجية، في حين أن جاي لوزجنان تم أسره مباشرة وقبل وصول الإمدادات إليه<sup>(١٠٠)</sup> والواقع أن مودود بعد عودته إلى دمشق شعر بأنه قد قام بتأسيس وبناء الأسس واللبنة لحركة الجهاد الإسلامي، فقد نجح في أن يكون تحالفاً بين الأتراك في العراق، وبين إخوانهم في دمشق التي تعتبر أقوى قطر إسلامي في بلاد الشام<sup>(١٠١)</sup>.

تعرض مودود المجاهد المسلم بعد هذا الجهد الجهيد لطعنات غادرة قام بها أحد رجال الشيعة الباطنية فأثناء ترجه برفقة طغتكين من غيجه يبرج باب الحديد إلى الجامع ، وبعد الصلاة خرج هذا الباطني وطعنه طعنات قاتلة تعرض بعدها الباطني لضربات الخراس المحيطين بهم فمزقوه إرباً ثم حرقوه فلم يعرفه أحد في الوقت الذي أصبح مودود يترنح من الألم<sup>(١٠٣)</sup>.

ويذكر ابن الأثير أن مودوداً كان صائماً ، فطلب منه طغتكين أن ينظر فرفض وقال «لا لقيت الله إلا صائماً ومات يومه»<sup>(١٠٣)</sup> ولعل مقتل مودود أثار وجهات نظر متعددة بين المؤرخين والغريب أن معظم الآراء اتهمت طغتكين بتدبير قتله ومن المؤرخين المسلمين يبرز ابن الأثير ، الذي يتهم طغتكين في تدبير مقتل مودود «لأنه خافه فوضع عليه من قتله»<sup>(١٠٤)</sup>.

ولعل ما قام به طغتكين من قطع رقبة القاتل وإحراق جثته ما يدلل به على رغبته في طمس معالم الجريمة والتخلص ممن قام بها ، حتى أنه تحالف فيما بعد مع الصليبيين .

أما المؤرخون المسلمون الذين أبعدوا التهمة عن طغتكين ، فعلى رأسهم ابن القلانسي وهو صديق طغتكين ومعاصره فذكر أنه «قلق لوفاته ، وتزايد حزنه ، وأسفه وانزعاجه»<sup>(١٠٥)</sup> وشاركه في ذلك سبط بن الجوزي الذي ذكر أن طغتكين قد صدم على قتل مودود وحزن حزناً شديداً . وشاركه في هذا الرأي أبو المحاسن ابن تغرى بردى<sup>(١٠٦)</sup>.

أما المؤرخون الغربيون أمثال البرت آخن ومتي الرهاوى ، فقد اتهموا طغتكين بقتل مودود ، أما فوشر قدس شارتر فقد أبعد عنه التهمة<sup>(١٠٧)</sup> والحقيقة أننا لانستطيع أن نتهم أو نبرئ طغتكين ، فالحقيقة يعلمها الله وحده ، ولكن هناك حدثاً سياسياً وهو أن طغتكين استقل بدمشق عن السلطنة السلجوقية حتى وفاته سنة ١١٢٨م وكما ذكرنا فإن اتصاله بالصليبيين – فيما بعد – أدى إلى ترسيخ الشكوك فيه .

## تقديم عام لمودود بن التوتكين :

وبعد أن استعرضنا هذا الدور الإيجابي لمودود حاكم الموصل الذي قاد حركة الجهاد الإسلامي، وأبرز أهمية الموصل بالنسبة لإمارات الشمال وأنه أول من بدأ توحيد الجبهة الإسلامية في الحروب التي دارت بين إمارات العراق والشام وبين الصليبيين، فقد أثبت أهمية هذه الوحدة في مجابهة الصليبيين، والتي بدونها لم ولن تقوم للمسلمين قائمة. ويعتبر مودود هو الذي أضاء الطريق الذي لم يغلق، فقد أشرت أن عماد الدين زنكى، وهو الشاب الذي تربى في هذه الإمارة وخاض مع مودود معاركه في بلاد الشام، لمع فيها بعد، وحمل نفس المشعل الذي أضاء به مودود طريق حركة الجهاد. وقد توطدت العلاقات بين مودود وزنكى وأحبه حتى أنه أطلق اسمه على ابنه قطب الدين مودود الذي تولى الموصل سنة ١١٤٩/١١٧٠ م.

وقد نجح عماد الدين زنكى كما نعلم في توحيد الموصل، وحلب وهي الخطة التي كان يعمل من أجلها مودود، كما نجح في استرداد الرها سنة ١١٤٤ م وهو الأمل الذي بذل من أجله النفس والمال وكاد يحققه، واكمّل هذه المسيرة نورالدين محمود بن زنكى الذي ضم دمشق إلى الوحدة الإسلامية، حتى كان صلاح الدين الأيوبي الذي تحققت على يديه الوحدة الإسلامية الكاملة بدخول مصر فيها حتى سقوط بيت المقدس، وعودتها إلى أحضان الإسلام.

أما عن آراء المؤرخين الغربيين فمنهم فولشر قديس شارتر الذي يصفه بأنه «كان قوياً وعظيماً حقاً وقائداً بارزاً من القواد الأتراك يتمتع بذكاء حاد ومكر كبير»<sup>(١١٨)</sup>، أما ألبرت آخن فيذكر «أن اسم مودود وشهرته قد تعدت وفاقّت جميع القادة الأتراك لأنه حارب الصليبيين أكثر من غيرهم»<sup>(١١٩)</sup> حتى أن متى الرهاوى الذي هاجم مودود ببلاده والذي كان يعرفه أكثر من غيره حتى أنه لقبه بلقب «مصاص الدماء» قد وصفه بأنه كان محارباً مغواراً<sup>(١٢٠)</sup>.

أما آراء المؤرخين المسلمين في مودود فيذكر عنه ابن الأثير، أنه كان خيراً عادلاً كثير الخير<sup>(١٢١)</sup> أما ابن القلانسي فيقول «انه لزم التدين والصدقات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فشاعت بالجميل أخباره وبحسن الارتضاء آثاره»<sup>(١٢٢)</sup>.

ويذكر د/ العريني «أن الفرنج فرحوا لما حدث من مصرع مودود لاختفاء عدو اعتبروه من أشد الخصوم كفاية وقدرة وصلابة»<sup>(١٣)</sup>.

أما د/ حبشي فيذكر أن مقدم مودود إلى حلب يعتبر نقطة انتقال هامة في تاريخ حركة الإفاقة الإسلامية، إذ يبدو أنه أدى إلى تطوع مودود لمهاجمة الصليبيين بالشام ذاتها وإلى تفكيره بالقطع بينها وبين الرها، ومن ثم أخذ مودود في التقرب إلى بعض الأمراء الشاميين<sup>(١٤)</sup>.

ويذكر د/ حسين مؤنس «أن أعظم نتائج جهاد مودود أنه أعاد إلى المسلمين الثقة بأنفسهم، فانقلبوا من الدفاع إلى الهجوم، واستخفوا بالصليبيين وأخذ المسلمون في الاتحاد، فأصبح الأمراء منهم أميل إلى الاتحاد ومخالفة بعضهم بعضاً، وتبينوا فضائل الاتحاد، ولم تعد جماعة منهم لتخرج إلى القتال إلا متحدة مع جماعة أخرى فكتب الله لهم الانتصار.

إن ميلاد حركة التوحيد في الموصل جعلت امانة بيت المقدس تهتم بالدفاع عن نفسها، فلم يعد بلدوين يهاجم مابقي للفاطمين من سواحل الشام، فاستفاد الفاطميون، وهددوا بيت المقدس سنة ١١١٥م، فبذل بلدوين جهداً في دفع هذه الغارة، وأن مودوداً من غير شك هو من الطبقة الأولى مثل نور الدين وصلاح الدين يستحق أن يكون من الظاهرين من أبطال الإسلام»<sup>(١٥)</sup>.

وإذا كانت هذه هي الأحكام التي أصدرها المؤرخون على مودود، لذلك فلا أقل أن يحظى باهتمامنا واهتمام من بعدنا.

جزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء ،،،



#### الهوامش:

- (١) انظر د/ عفاف صبر - «دراسات في تاريخ الحروب الصليبية» ومن أهم المراجع «دور الفقهاء وعلماء المسلمين في جهاد الصليبيين» «التركيان وجهاد الصليبيين».
- (٢) عن الموضوع انظر
- (٣) Stevenson «Crusaders in the east» PP. 64 - 84 - 87.

«Fink» Mawdud I of Mosul, Precursor of Saladin» PP. 18 - 28.



- (٤) Gibb. Damascus Chronicle of the crusades P.99 N.40
- (٥) Fink Mawdud of Mosul. Precursor of Saladin P.18 «The Muslim World» XIII - 1953
- (٦) الأتابكية، يحكمها الأتابك وهو الأمير الوالد وهي من مقطعين هما وئاء أي الوالد، وهذا اللقب كان يعطي لمن يفوضه السلطان تربية أحد أولاده الصغار، وكان الأتابك يدير باسم الوالد المدينة التي كانت العادة أن يوليها السلطان لابنه ثم توسعوا في معنى هذا اللقب ومنحوه لأول المتوظفين لأمر الجيوش، ثم صار السلطان يعطيه للمعطاء كلقب شرف.
- انظر - ابن العربي جرجوريوس اللطفي وتاريخ مختصر الدوله ص ١٩٨ حاشية ١.
- (٧) Cahen «The Turkish invasion» P.169
- (٨) Fink «op-cit» P.19
- (٩) المروف أن يوهند قد وقع في كمين دبره له الأمير الدانشمدي غازي كمشكين سنة ١١٠٠م فتم أسرهم وبيع رجاله - انظر Matthew of Edessa «R.H.I. ARM. Vol.I P.52.
- (١٠) Grousset «Histoire des les Croisades» T.I. P.402.
- (١١) رنسان وتاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ١٧٣ ترجمة د/الباز العربي.
- (١٢) ابن الأثير «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية» ص ١٦.
- (١٣) ابن الأثير «الكامل في التاريخ» ج ٨ ص ٢١١ حوادث سنة ٤٩٥هـ.
- (١٤) رنسان وتاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ١٧٧.
- (١٥) Fink «The Foundation of the Latin States» P.393.
- (١٦) أحد زعماء العرب يطلق عليه أمير العرب كان حاكماً على الحلة وواسط بالعراق انظر عاشور والحركة الصليبية ج ١.
- (١٧) ابن الفلاني «ذيل تاريخ دمشق» ص ١٦٠.
- (١٨) احتاج جاولي هذه القديعة لمواجهة الأمير مودود بن التونتكين الذي وجه إليه السلطان محمد السلجوقي لانتزاع الموصل منه.
- انظر رنسان والمرجع السابق ج ٢ ص ١٨١.
- (١٩) ابن الأثير «الكامل» ج ٨ حوادث سنة ٥٠٠هـ.
- (٢٠) ابن الأثير - نفسه ج ٨ حوادث سنة ٥٠٢هـ.
- (٢١) ابن الفلاني «الذيل» ص ١٦٠.
- (٢٢) ابن الفلاني - نفسه.
- ابن الأثير - نفسه.
- (٢٣) ويذكر ابن الأثير في «التاريخ الباهر» أن عباد الدين زنكي كان يتقدم مع جاولي سفارة. فلما سمع بما حدث في الموصل تركه مع غيره من الأمراء. انظر ص ١٦.
- عن الموضوع نفسه «Fink» Mawdud of Mosul. Precursor of Saladin PP.18 - 28.
- (٢٤) Fink «The Foundation of the Latin States» P.392.
- (٢٥) لقد تم أسر يوهند حاكم انطاكية على يد غازي كمشكين الدانشمدي سنة ١١٠٠م لئلا توجهه لتجدة ملطية من سيطرة الأتراك.
- انظر عاشور والحركة ج ١ ص ٣٧٧.
- (٢٦) Fink «The Foundation of the Latin States» P. 393.
- (٢٧) Grousset «op-cit» P. 401

- (٢٨) ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٤ هـ.
- (٢٩) Fink «The Foundation of the Latin States. P. 393.
- (٣٠) Ibid.
- (٣١) Michael Le. Syrian «op-cit» T. PP. 195-196.
- (٣٢) طبقاً لما أورده متى الرهوي «فإن بلدوس كان يرفض أن يستلم حكم الرها كأقطاع ممنوح له من قبل تانكرد حتى لا يصبح تابعاً له، ويذكر أن أدبية تانكرد قد أعمنته عن حقيقة هامة وهي أنه إذا تحالف هو وبلدوين دي بورج مع جاولي أنشس على السلطة السلجوقية، . نسينمكتوا جميعهم من توجه ضربة قاصمة للسلطنة السلجوقية» Matthew of Edessa «op-cit» PP.85, 86.
- (٣٣) Fink «op-cit» P. 394.
- (٣٤) Ibid.
- (٣٥) رنسان والمرجع السابق ج ٢ ص ١٥١.
- (٣٦) ابن القلانسي «ذيل تاريخ دمشق» ص ١٦٧.
- (٣٧) ابن العبري «تاريخ مختصر الدول» ص ١٩٩.
- (٣٨) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٦٩.
- (٣٩) ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٥ هـ.
- (٤٠) Fink «Mawdud I of Mosul» P.20.
- (٤١) لقد تأخر وصول بلدوين الأول لأن انتقاله من بيت المقدس إلى الرها استغرق شهر وانتظر كذلك حتى تمكن من حشد قوى الصليبيين وشاركهم أيضاً كوغ باسبيل الأرمني حاكم كيكون. Fink «Ibid» P.20.
- (٤٢) ابن القلانسي «نفسه».
- (٤٣) رنسان والمرجع السابق، ص ١٨٩.
- وقد حدثت نفس الحطة في الماضي عندما قام جاول سقاوة بتدبيرها ليوهند الأنطاكي وبلدوين دي بورج حاكم الرها وفي نفس المكان سنة ١١٠٤م، وكما حدث في الماضي السحيق عندما دبر البارثيون ذلك للقائد الروماني كراسوس سنة ٥٣ ق.م انظر Fink «Mawdud» P.20.
- (٤٤) ابن العديم «دبيلة الحلب» ج ٢ ص ١٥٤.
- (٤٥) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٦٩.
- (٤٦) Fink «Mawdud» P. 20.
- (٤٧) ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٤ هـ.
- (٤٨) نفسه.
- (٤٩) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٧٣.
- (٥٠) نفسه.
- (٥١) نفسه.
- (٥٢) ابن الأثير «نفسه» ج ٨ ص ٢٦٣ حوادث سنة ٥٠٥ هـ.
- (٥٣) نفسه.
- (٥٤) ابن القلانسي «ذيل تاريخ دمشق» ص ١٧٤ يذكر ابن الأثير في «التاريخ الباهر» ... أن عماد الدين زنكي قد وافق مردوداً في

حالة الرها، ويذكر أن مودوداً لم يتمكن من فتحها حيث كان فتحها عقيلة ومكرمة وفضيلة قد ادخرها الله سبحانه وتعالى للشهيد زكي.

فاستوضحت سبل الآمال حليلة\* عن الملوك إلى أعلامهم حبا  
أبرهم فضلاً أغمرهم بذلاً\* أنخرهم أبداً فعلاً ومنصباً  
أشهم أسوس معتد ويساراً دقه\* عل الملك مرعى دونها الحجا  
عمنع الفرم معمر الفناء به\* مظفر العزم والأراء منتخبا  
من معشر طالبا شربوا بكل وعي\* نارا يظل أعاديم لها خطبا

(٥٥) ابن القلائس «نفسه» ص ١٧٥. Matthew of Edessa «R.H.C.» A.R.M. Vol I P.97.

(٥٦) يذكر Fink أن أهم نتيجة لهذه الحملة هي أنها أضعفت إمارة الرها الصليبية انظر «Mawdud» P.21

ويذكر المؤرخون أن رضوان خاف من وصول مودود حتى لا يفقد استقلاله بإمارته المحلية، لذلك تحالف مع الباطنية الشيعة، ولم يعبأ بالوحدة الإسلامية وشعور المسلمين السنة الذين يمثلهم مودود.

Fink «Ibid» P.22.

(٥٧) ابن الأثير ج ٨ ص ٢٦٣ حوادث سنة ٥٠٥ هـ.

ابن القلائس ص ١٧٦.

(٥٨) ابن القلائس «نفسه» ص ١٧٠.

Fink «Mawdud» P.21.

(٦٠) ابن القلائس «نفسه» ص ١٧٥.

(٦١) نفسه ص ١٧٧.

ابن الأثير ج ٨ حوادث سنة ٥٠٥ هـ.

ابن العديم «زبدة الخلب» ج ٢ ص ١٦٠.

(٦٢) ابن القلائس «نفسه» ص ١٧٧.

Fink «Mawdud» P.22.

ابن العديم «زبدة الخلب» ج ٢ ص ١٦١.

(٦٤) ابن الأثير ج ٨ حوادث سنة ٥٠٥ هـ.

ابن القلائس «نفسه».

(٦٥) ابن القلائس «نفسه».

ابن الأثير «حوادث سنة ٥٠٥ هـ».

ابن العديم «زبدة الخلب» ج ٢ ص ١٦٠.

(٦٦) ريسان «المرجع السابق» ج ٢ ص ١٩٨. Matthew of Edessa P.275.

Michael le Syrien «op-cit» Vol III P.205.

(٦٧) Albert of Aia R.H.C. occ IV. P.683.

(٦٨) ابن القلائس «ذيل تاريخ دمشق» ص ١٧٧.

(٦٩) نفسه ص ١٧٧، ص ١٧٨.

ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٥ هـ.

ابن العديم «زبدة الخلب» ج ٢ ص ١٦١.

(٧٠) يهاجم ابن الأثير صفتين بقوله (أنه عندما اجتمع بالأمير مودود اصطحب من الأمراء على نيابة فاسدة في حقه، فهدف أن تؤخذ منه دمشق فشرع في مهادة الفرنج سرًا، وبين كذلك أن هذه الحملة قد باءت بالفشل في حين أن ابن القلاسي يؤكد على العلاقة الوثيقة بين القائدين ويصف المؤثر الفرنسي حروبه صفتين بأنه الحليف غير الوفي لمودود «op-cit» P.266. T I

- (٧١) ابن الأثير «الكامل» ج ٨ حوادث سنة ٥٠٦ هـ.
- (٧٢) ابن العربي «تاريخ مختصر الدول» ص ١٩٩.
- (٧٣) عاشور والحركة ج ١ ص ٣١٠.
- (٧٤) Fink «Mawdud» P.23.
- (٧٥) ابن القلاسي «ذيل تاريخ دمشق» ص ١٨٢.
- (٧٦) ابن الأثير نفسه «حوادث سنة ٥٠٤ هـ».
- (٧٧) عاشور «الحركة الصليبية» ج ١ ص ٣٠٤.
- (٧٨) ابن القلاسي نفسه ص ١٨٤.
- (٧٩) Matthew of Edessa R.H.C. ARM. T.I P.106.
- (٨٠) Grousset «op-cit» P.484.
- (٨١) ابن العديم «زبدة الحلب» ج ٢ ص ١٦٠.
- حبشي «نور الدين والصليبيون» ص ١٧.
- (٨٢) ابن القلاسي نفسه ص ١٨٤.
- من التهم التي لفت عل مودود أنه يسخر عن طاعة السلطان السلجوقي ويعمل لحسابه الخاص، وأنه تحالف مع الأتابك طغتكين وابتهاج أصبحا يدًا واحدة وأرادوا متوافقة، وهماؤهما متطابقة.
- (٨٣) ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٧ هـ.
- (٨٤) العربي والشرق الأوسط والحروب الصليبية» ص ٤٦٢. Grousset «op-cit» T.I. P.487.
- (٨٥) ابن القلاسي ص ١٨٤. Fink «Mawdud» P.23.
- (٨٦) نفسه.
- (٨٧) عاشور والحركة الصليبية» ص ٣١١.
- (٨٨) عاشور والحركة الصليبية» ص ٣١١.
- الأنحوانة شبه جزيرة يصنعها نهر الأردن مع نهر اليرموك جنوبي بحيرة طبرية ويعلق الأستاذ Fink على الأنحوانة التي اختارها مودود، بأنها هي نفس المكان الذي اختاره بعده صلاح الدين الأيوبي، وكسبت شهرتها بعد أن تمكن عن طريقها من دخول مدينة بيت المقدس في حملته المغيرة «حطين» سنة ١١٨٧ م، Fink «Mawdud» P.23.
- (٨٩) ابن القلاسي «نفسه» ص ١٨٥.
- ابن العديم «زبدة الحلب» ج ٢ ص ١٦١.
- (٩٠) Fulcher of Charter. «op-cit» P.568-569.
- (٩١) Grousset «op-cit» P.484-494.
- (٩٢) ابن القلاسي «نفسه» ص ١٨٦. Albert of Aix «R.H.C.» occ. IV P.696.
- (٩٣) العربي والشرق الأوسط ص ٤٦٣.
- (٩٤) Fulcher of Charter «op-cit» PP. 572-574.

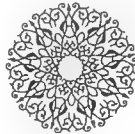
- (٩٥) عاشور والحركة الصليبية ج ١ ص ٣١٣.  
 Fink «Mawdud» P.24. (٩٦)  
 Fulcher of charter «op-cit» P.575. ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٦.  
 ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٧. (٩٨)  
 Fink «Mawdud» P.25. (٩٩)  
 Fink «Mawdud» P.25. (١٠٠)  
 Ibid. (١٠١)  
 ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٧. (١٠٢)  
 ابن الأثير «نفسه» حوادث ٥٠٧هـ. (١٠٣)  
 ابن الأثير «نفسه». (١٠٤)  
 ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٧. (١٠٥)  
 سبط بن الجوزي «مرآة الزمان» ج ١ ص ٤٢. (١٠٦)  
 أبو المحاسن «النجوم الزاهرة» ج ٥ ص ٢٠٧.  
 Fink «Mawdud» P.26. (١٠٧)  
 Fulcher of Charter «op-cit» P.578. (١٠٨)  
 Albert of Aix, R.H.C. occ. 10. P.700. (١٠٩)  
 Matthew of Edessa R.H.C. ARM. I PP.91-100-104. (١١٠)  
 ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٧هـ. (١١١)  
 «التاريخ الباهر» ص ١٨.  
 ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٨. (١١٢)  
 «العربي والشرق الأوسط» ص ٤٦٤. (١١٣)  
 حبيشي «نور الدين والصليبيون» ص ١٤٠. (١١٤)  
 حسين مؤنس «نور الدين» ص ١٣١-١٣٢. (١١٥)

### قائمة المصادر والمراجع العربية

- (١) ابن الأثير الجزري «أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الملقب بعز الدين ت. ١٢٣٢هـ/١٢٣٠م.  
 - الكامل في التاريخ - بيروت سنة ١٩٨٠م.  
 - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية - تحقيق عبد القادر أحمد طليحات. القاهرة سنة ١٩٦٣م.  
 (٢) ابن الجوزي «أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي» ت. ٥٩٧هـ/١٢٠١م - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ٨-٩ ط. حيدر آباد ١٣٥٩هـ.  
 (٣) ابن العربي «دجرجريوس الملقب» أبو الفرج بن هرون. ت. ٦٦٠هـ/١٢٨٦م.  
 - تاريخ مختصر الدول - بيروت سنة ١٨٩٠م.

- (٢٤) من مدينة الكبر الذي عرس من أحمد من جهة ثمة ١٢٦٢هـ/١٢٦٢م  
 من رتبة حسب في تاريخ حلب، جراك - تحقيق سامي المدهون  
 دمشق ١٣٧٠هـ/١٩٥١م
- (٢٥) من نقلاسي أبو يعن حمزة من نقلاسي ت ١١٦٠هـ/١١٦٠  
 من تاريخ دمشق - بيروت ١٩٩٨م
- (٢٦) أبو المحسن أحمد الدين يوسف بن يعزى رضى ت. ٨٧٤هـ/١٤٦٩م.  
 - السيرة الزاهرة في موكب مصر والقاهرة - القاهرة سنة ١٩٣٠م
- (٢٧) حتى (حسن)  
 - نور الدين والصليبيون - القاهرة سنة ١٩٤٨م
- (٢٨) حسن استيعار  
 - تاريخ الحروب الصليبية - ج ٢ بيروت سنة ١٩٦٧م
- (٢٩) صفة اعتقاد تحت الصنع  
 - درر في تاريخ الحروب الصليبية - القاهرة سنة ١٩٨٦م
- (٣٠) عنود سعيد عبد الفتاح  
 - حركة الصليبية، حراك - القاهرة سنة ١٩٧٨م
- (٣١) مؤسس حسين  
 - نور الدين - القاهرة سنة ١٩٥٩م

- 1) Albert. of Aix "Liber Christianae expeditione ereptione. emundatione. restitutione. sanctae hierosoly mitanae, ecclesiae "
- 2) Cohen C. The Turkish Invasion. in Setton "A History of the Crusades." Vol 1 Wisconsin, 1969.
- 3) Fink. H.S. The Foundation of the Latin States. in Setton, 1969. Mawdud I of Mosul, precursor of Saladin. The Muslim World XL(II). 1953.
- 4) Fulcher of Charter. Historia. Hierosoly mitanae ecclesiae. Edited by Heinrich Hagenmeyer Heidelberg. 1913.
- 5) Gibb, A.R. The Damascus Chronicle of the Crusades. London, 1932.
- 6) Grousset, R. Histoire, des Croisades. 3 Vols. Paris, 1936.
- 7) Matthew of Edessa. Extraits de la chronique de Matthew d'Edesse. R.H.C. Arm. 1.
- 8) Michel les Syrien Chronique. Edited and Translated by J.B. Chabat. 4 Vals. Paris, 1899-1910.
- 9) Stevenson. W.B. Crusaders in the east. Cambridge. 1907.





## ذكريات من البادية !... كيف اتجهت إلى البادية ؟

للأستاذ روكس بن زائد العزيمي

إذا أراد الله أمراً، هيا أسبابه. صدق من قال هذا! لم يخطر لي على بال أن أتجه يوماً إلى ارتياد البادية، أو أن أطوف فيها، أو أكتب عنها حرفاً.

لكن اتفق أني كنت في يوم ممطر، يصاحب مطره شأبيب من البرد، في شهر شباط سنة ١٩٢٢م منحدراً من المدرسة حيث كنت أعمل، فالتفت عند دار الحكومة التي يسمونها (السرايا) رجلاً بدوياً، قد أحاط به أربعة من جباة الضرائب، التي يدعونها (رسوم)، وهو يصرخ بأعلى صوته: «يا رجال أعتقوني لوجه الله، ذبحني البرد».

- \* كان أحدهم قد نزع عنه عباءته،
- \* والثاني أخذ خنجره - الشَّيرِيَّة - كما يسميه الأردنة -
- \* والثالث أخذ الحبل.
- \* والرابع أمسك بتلابيه،

فلما رآني، رفع صوته وقال «أنا إِبْوَجْهْ».

قلت: «وصلت!».

دفعت لهم ما يطالبونه به. وصحبت الرجل إلى الدار، في طرف مادبا الجنوبي، وهي أقصى البيوت يومذاك. غيرت ثوبه المبلل، وبعد أن أصطلى ودفء وطعم، بات ليلته ناعماً، دفعت له في الصباح ثمن كيس الفحم، وساعته بما دفعت عنه، فإذا هو يبي قسيده يثني فيها عليّ لموقفي. ليس هذا مكان ذكرها! ...

أعجبني ما يتحلّى به هذا الرجل من الوفاء. في النهار التالي سجلت الحادثة بمقال - وهو أول مقال ينشر لي - وبعثت به إلى جريدة أسبوعية كانت تصدر في (القدس) لا (بطريركية اللاتين) أسمها (رقيب صهيون\*)، فلما نشر المقال، وقرأه المسؤولون في عمان أوفدوا مفتشاً يطلع على حقيقة الأمر، فلما ثبت عنده صدق ما ورد في المقال، الغيت ثلاث ضرائب، ولم تبق على الفحم سوى واحدة، لا تزيد على غرشين عن كل كيس من الفحم. -  
بومذاك - لقد شجعتني ذلك على أمرين: -

١- مواصلة الكتابة للجرائد - من غير أن يذكر اسمي -

٢- دراسة أحوال البدو.

ذهب الرجل إلى أهله، وصار من عملاء والدي<sup>(١)</sup> في متجره الذي كان يتسلى به هو ومن هم في مثل سنه من رجالات العشيرة، قلت عملاء على حد تعبير الأمانة ولا أقصد العمالة السياسية لأن المرحوم والدي كان شديد الإبتعاد عن السياسة.

وصرت كلما أقبل البدو إلى الأرض القريبة من (مادبا)، توجهت إليهم، راجلاً أحياناً، وممتطياً فرسي أحياناً، وقد لقيت منهم ترحيباً في بادئ الأمر، ولاسيما يوم صرت أسأل من ألقى منهم عن اسم عشيرته، وزاد ترحيبهم يوم رأوني أصور وسوم<sup>(٢)</sup> الإبل والغنم، لأن بعضهم تصور أي أهد لتعداد إبلهم وأغنامهم، وقد كان البدو ينفرون من كل شيء له علاقة بالحكومة، ويسمونها (الدولة)، ومن أقوالهم الماثورة «الله يجفينا شر الدولة!»

فلما عرف شيوعهم ووجهاتهم غرضي، تلقيت ترحيباً منقطع النظر، وعرفت بينهم باسم (رودس ولد زايد العزيزات) ولم أحاول أن أفهمهم الفرق بين (رودس و (روكس)، ومنهم من سائي (دوكس)<sup>(٣)</sup>. وهو لقب أذينه بن السميع.



وأول ما اتجه إليه نظري هو الإهتمام بعلاقة الأبناء بالوالدين لأنني وصلت إلى فريق من البدو في رحيلهم، فرأيت شاباً في نحو الخامسة والعشرين يتمتع بجمال بدوي ساحر، يحمل عجزاً ضاوية الجسم، غطت زخارف الوشم وجهها، يشبه جمالها صاحب منصب معزول.

أستوقفته وسألته: - «عسى الخالة ما تشكو من مرض؟» أجاب حيشاهاً<sup>(٤)</sup> الحمد لله، ما بها مرض! «وليه تحملها؟» أجاب: - «والده يا النشمي<sup>(٥)</sup> أحملني ابطنها تسع أشهر، وأنا أحملها على ظهري! يوم الرحيل!»

سألته عن اسمه، فأجاب «ليه يا النشمي لك عندي أطلابه؟»

واصل سيره ولم يلتفت، سألت رجلاً لقيني بعده عن هوية هذا الشاب، فقال: «هذا شراري قصيراً<sup>(٦)</sup> لنا. ما تسمع يقولون افلان أبوه أبو شراري يحمله على ظهره يوم الرحيل؟

تعجبت من هذه الظاهرة، ولما تتبعتها، وجدت احترام الوالدين عند البدو عجيب، ولا سيما احترام الأم، والأخت فالأخت مجال الفخر والاعتزاز، فإذا ضيم أحدهم، هتف قائلاً «لحد أنا أخو فلانة!» أي دون اذلاي للحد، وأنا أخو فلانة!

وأردت أن أعرف، هل تظل المرأة تتمتع بهذا الاحترام إذا زالت عنها صفة الأمومة والأخوة؟ .. عدت فذكرت للمرحوم أبي ما رأيت وما سمعت، فقال لي «ليت الحضر يتعلمون احترام الوالدة والأخت من هؤلاء البدو. قلت: - لكني سمعت رجال العشيرة عندنا يقولون: «لحد أنا أخو فلانة» قال «أكثرهم يقولها باللسان، ولا يمارسها عملياً.»

لم يرد القدر أن يبقيني في حيرة من أمري، فقد جاء أحد عملاء والدي وزوجته معه، وبعد أن اشترى ما يحتاج إليه حان وقت الغداء فقدم الوالد للرجل طعاماً وألح عليه أن يدعو زوجته للأكل معه. ويبدو أن الرجل خجل فدعا زوجته للأكل معه. وقد فعلت على مضض.

وبعد أسبوع عاد الرجل، ولم تمد زوجته معه، فلما سأله والدي عن زوجته قائلاً «وين أم فلاح؟» أجاب «طلقتها»، فلامه والدي فكان جوابه «ماهي صارت أختي كلت معي!»

ثم صرت اسمع الكنائيات عند ذكر الزوجة: -

أ - حرمتي الله يكرمك من هالطاري،

ب - المرة الله لا يمرر لك ريق،

ج - العورة ميثاك. الله لا يعور لك عين.

د - الامعزبه وأنت أكبر قدر.

هـ - أم الأعيال الله لا يعل لك أمر. والمستورة. إلى غير ذلك من هذه الكنايات.

وسمعت ما هو أشنع من ذلك. إنه لا يحق للزوجة أن تذكر اسم زوجها، فهي تناديه هكذا «يا هاضا»<sup>(٧)</sup>، «يا هضاك»، يا هوه. ليس هذا فقط في البادية وحدها، بل شمل الحواضر، واعتبر ذهابي مع زوجتي ١٩٢٣م للزخمة ثورة اجتماعية، وسمعت من يقول «روكس تمدن خلص، خسرناه!»

وعلى سبيل الاستطراد، بأسلوب الجاحظ، فإن الزواج خارج العشيرة كان أمراً مستهجناً. وأول رجل من العزيزات تزوج بامرأة من (بيت جالا) من أسرة العلّم، سُمي أبنائوه (أعيال العلمية) وفيها بعد (العلميات) وكانت شبه ثورة اجتماعية عندما تزوج ثلاثة من (مادبا) بفتيات من الضفة الغربية. وتمت الثورة عندما حلق أحدهم لحيته تنفيذاً لرغبة زوجته فصار الأمر من المعايير له إذ صاروا يلقبونه بـ «امزين دقنه». فإذا فقد أحد الرعاة نعجة وسألوه «وين حد علمك في النعجة» أجاب «حد علمي فيها عند دار امزين دقنه». ولم يسقط عنه هذا اللقب إلا بعد أن أصبح أكثر الناس يخلقون لحاهم.

ثم انجذبت إلى دراسة العلاقة بين البدو والتجار لأرى ما عند البدو من الأمانة والإعتراف بالحق، فشاء الله أن يهد لي الأمر من أقرب السبل، ففي أمسية من الأمسيات زرت تاجراً معروفاً ووجهاً كنت أحبه. فدخل أحد الشيوخ، وسلم. فنهض التاجر اكراماً له، وجدد الفراش والقهوة، وبعد أن تعشى الضيف وكان العشاء خروفاً - لأنه كان من العار أن يذبح لتكريم رجل جليل، جدي، أو عنز. فإلى ذلك الحين كان بيع ذكور الغنم من المعايير، حتى السمن كان ينظر إلى من يبيعه باحتقار!... أذكر أنني سمعت رجلاً يسأل بدوياً عما إذا كان يبيعه سمناً، فأجابه بجفاء «ليه حنا صايرين امن الفلان وقيلته بتيغ السمن؟ السمن الله اخلقه ينصبّ على إيدين أجاويد الله، اكرامين اللحى:» فخجل الرجل وانصرف.

بعد العشاء قال الشيخ للتاجر «وش»<sup>(٨)</sup> حسابك اللي على العشيرة؟ وكان تسديد الدين له  
موسمان: -

(أ) الربيع، للبدو.

(ب) والبيدر، للذين يفلحون أراضيهم.

أحضر التاجر دفاتره - وهي كبيرة الأوراق ليس فيها أي تسطير، ورقها ضارب إلى  
الصفرة، وقلبها وجمع وطرح فقال: «ثلثية نيرة بينتوه»<sup>(٩)</sup> أي ثلاثية ليرة فرنسية. التفت  
الشيخ إلى التاجر بهدوء وقال: - «ما هو چثير يا أولدي؟» أجاب التاجر بشيء من الجده  
والإنفعال «الدفاتر موجودة» اما أنت تحلف وأنا عوضى على الله، أمزع دفاتري، واما أنا أحلف  
وتدفع، أنت وجماعتك المطلوب. والي أطلبه ماهو چثير، أنت تعرف چم خذوا عربانك؟»

أجاب الشيخ بهدوء أكثر: «لا والله يا أبو فلان ما أعرف! قال التاجر: لعاد أنا أحلف» ازداد  
الشيخ هدوءاً ورشف رشفة من سبيله<sup>(١٠)</sup> وقال «لا يا أبو فلان»<sup>(١١)</sup> جئنا نشترى بخت ما نبيع  
بخت، لا أنا أحلف ولا أنت تحلف، ياويل حالف، ياويل محلف: اللي تطلبه يجيك» ونهض  
ساعته ولم يقبل أن يبيت عنده. وكنت أظن انه صمم على أن لا يدفع من الدين شيئاً. لكن  
الذي حدث كان نقيض ذلك، لانه أحضر ما طلب الرجل، ولم يعد إلى التعامل معه!

وكان حساب بعض التجار عجيبي، إذ لم يكن هناك قيد لوحداث ما يُشترى، بل يسجل  
التاجر «عند فلان قهوة بليرة!» وعند فلان قماش بنت<sup>(١٢)</sup> بثلاث ليرات، وبيارم<sup>(١٣)</sup> بأربع  
ليرات وهكذا بلا تحديد. ولما صار يباع السمن، صارت حجارة الجدران غير المثبتة بالطين  
كلها مقاييس وأوزان! -

وأذكر مرة أن بعض التجار وزن السمن الذي في المداهن، ولما جاء يطرح ثقل تلك المداهن  
الحساسة<sup>(١٤)</sup> لم يجد من السمن شيئاً، فلما ضج البدو قال أحدهم «واقومكم، هن المداهن ما  
بهن سمن؟» صالحوه مصالحة على الذمة؟» . . . .

وبما عرفته من أمانة البدو، أن رجلاً وهو ينتظر ورود الصيد على العين ليلاً، سمع حركة  
فاطلق النار في الظلام. فإذا هو يسمع البصرخة، فلما وصل إلى مكان الصوت، وجد رجلاً

مقتولاً، فلفه ووضع في مغارة قريبة، وأخذ بندقيته. وبعد أيام مرّ أبو القتيل وهو ينادي: يا من علم يا من سمع عن فلان وهو يصلي على محمد أو يذكر الله! فسمع القاتل، ولم يتحرك، إلى أن انصرف والد القتيل، فبعه وقال له، «أحلف بالله وبمحمد رسول الله، أنك ما تطرد!»<sup>(١٥)</sup> القاتل، طرد قاتل العمدة، وأنا أدلك على قتال ابنك» . . .

أجاب «لك الله ومحمد رسول الله أني ما أطرده طرد قاتل العمدة، مادام القتل وهم! . . .» فلما حلف قال له «يا أعبي صلاة محمد، أنا قتلت ابنك خطأ» وهذه بارودته! «فأخذ الوالد البارودة، ولما ذهبت الجاجة للعطوة قال الوالد المفجوع» لا عطوة ولا غيرها، الله انطي أو هو أخذ، والقدر ما يشاور، والي قتل فلان هو عوض عنه!» وقال لي رجل صادق أن حفيد القاتل بعد حين ينكر يريزه أضاعها شراري ثم أخذ يصرخ «يا من شاف البريزة اللي وقعت مني أو هو يصوم ويصلي على محمد.» فظل البائس واضعاً قدمه على البريزة، إلى أن ذهب الشراري فأخذها حفيد الذي أعترف بالقتل اكراماً لصلاة النبي.

### ● الفتاة البدوية قبل الزواج والحرية ●

كنت في زيارة لفريق البدو الذي يقيم معه فريق النصاري، وجماعتنا وورعاتنا معهم، فدعاني جار لنا، وبعد لحظات سأل الوجيه عن ابنته، فقالت له أمها (فلانة تعلل)<sup>(١٧)</sup> والغرض من هذه السهرة التي يسمونها التعلي، منح الحرية للفتاة لتختار الزوج الذي يناسبها. لأن البدو الأصلاء لا يُكْرَهُون فتاة على الزواج بغير الذي تحب، على شرط ألا يثرثر. وإذا اتهم أحد المتعللين بأنه قبّل هويته، يحاسب هو وعشيرته كما يحاسب المجرم، لأنهم يقولون «من باس»<sup>(١٨)</sup> داس» وأذكر أن رجلاً كان يجب فتاة اسمها (رخية) اتهمه بعض خصومه بأنه قبلها وهو يسهر معها، فساقوه للقاضي، ففرض عليه أن يجتاز البشعة<sup>(١٩)</sup> وبعضهم يدعوها البلعة. فلما ذهب إلى المبعس، برأه من التهمة فخطب شقيقاً من أشقائه قائلاً:

يَارِيتْنَا<sup>(٢٠)</sup> يَاخُوي مَا آخَنَا بِرِيَيْنْ عَسَاها مَا هي لَلْمَبْلُغْ فِضِيَّة<sup>(٢١)</sup>  
أَلِّي بَرَأْنَا آمَنْ أَرِيشْ أَلْعَيْنْ يَا أَحْسِينْ يَحْرِقْ لِسَانَهْ بِالنَّارِ أَلْهَضِيَّة<sup>(٢١)</sup>

وَالله مَا غَيْرَ النَّظَرِ وَاللَّغَى الزَّيْنِ وَأَعْلَمُنَا يَظْهَرُ عَلَى الظَّاهِرِيَّةِ (٢٣)  
لَوْ قَطَعُونِي أَوْ قَطَعُوهَا أُبْسِفِينَ لَأَعُوذُ حَيًّا يَوْمَ تَنْدُهُ (رِخِيَّة) (٢٣)  
صُورَ السَّهْمِ لَوْ رَتَّبُوهُنَّ إِبْصَفِينَ لَوْ خَيْرُونِي قِلْتُ أَبْنِي رِخِيَّة (٢٤)

مع كل هذا فقد زوجها رجل لا تحبه، من غير أن تستشار على خلاف عادة البدو وهو لون من العقوبة، وبعد أن ولدت من زوجها ثلاثة أبناء ذكور، توفي الزوج، وجاءت غارة استولت على ما تملك العشيرة، وقتل أبوها وأخوها في المعركة، فلم تجد لها ملجأ. فاستشارت أمها بما يجب أن تصنع، ابناً. على حياة أطفالها، فأشارت عليها أن تلجأ إلى جيبها السابق، فذهبت معها وقالت له: «(رِخِيَّة) وأعيانها أوداء لك» كتم دموعاً كادت تفيض من عينيه، ولعل الحبيبة المحروقة كتمت جراحاً في قلبها!... ودموعاً فاضت من قلبها!...

توجه الحبيب المفجوع وذبح ذلوله التي لا يملك غيرها. وكأنما هو يذبح وحيداً له، وخاطب أحناً له اسمه (علي) قائلاً: بألم: -.

يَا (علي) يَا مَشْكَايَ حَقَّقْ (رِخِيَّة) عَظَّمَا نَحْمَ لَأَعْيَالَهَا لَا يَجُوعُونَ (٢٥)  
لَصَارَ أَهْلُهَا وَدَّعُوهَا أَمْعِيَّةَ إِنْ هَمَّ قَبْلَ يَمِينِهَا عَنِ جَنَابِي يَفْضُونَ (٢٦)

#### تكریم الضیف بـ (العداية) (٢٧):

من التقاليد المعروفة في البادية أن الضيف العزيز، أو المكرم، يجعل بقراه، وإذا لم يكن عند المضيف - بضم الميم وكسر الصاد - ما يقري به ضيفه، أو كانت أغنامه ليست في متناول اليد، اعتدى على أول غنم يجدها في طريقه، وأخذ منها ما يكرم به ضيفه، وقام فيها بعد، بأرضاء صاحب الشاة ببديلة لها يسمونها (سنيته) (٢٨) أي في مثل سنها ومواصفاتها. أو دفع له الثمن. وإذا خاف (العداي) كما يسمونه - من المعارضة قال للراعي، أو لصاحب الأغنام إذا كان موجوداً «أذكر الله بالمضيف أو ماله حيلة غير الاعداية لبيضا وجهه» فيسمح له عادة.

وكان صاحب (قرية المريجة) جنوبي (مادبا) الشيخ (قبطان الحامد) من بني صخر من الغنم فارساً كريماً، يقري ضيوفه (عداية) فحل به ضيوف فامتطى فرسه، واعتدى على أغنام

(حنا الفرج) ولما لم يجد حطباً، أخذ القماش الذي لتاجر الأقمشة الجوال الذي حل بالقرية، وكان يبلها بالسمن ويشعلها إلى أن انصج اللحم، وقرى ضيوفه.

فلما علم (حنا الفرج) بالأمر، ركب هو وأربعة من العشرة وأخذوا من غنم (قفطان) خمس نعاج، وقالوا للراعي «أخبر (الشيخ قفطان) أنه مردود<sup>(٢٩)</sup> عليه الفقأ، هو يذبح لضيوفه من غنم (حنا الفرج) يكرم ضيوفه من غنم (قفطان) والعيب على اللي يزعل أو يجض<sup>(٣٠)</sup> ! ! . . .

فلما علم (قفطان) بالأمر، زار (حنا الفرج) معذراً.

ومن نوادر هذا الشيخ (قفطان) أن زاره مرة قاضي مدينة (السلط) فكرمه - على حسب العادة بذبيحة عداية، فلما قدم الطعام للقاضي، امتنع القاضي من أن يمد يده إلى الطعام قائلاً: «هذا مال حرام منهوب، وأنا لا أكل الحرام». فامتنق (قفطان) سيفه وهزه فوق رأس القاضي قائلاً: «هذا ما هو حرام أنا أرضي أهله، أما الحرام فهو البراطيل اللي تأكلها من دم الأراامل واليتامى الضعوف، والله ان ما مديت أيدك لأخلي<sup>(٣١)</sup> رأسك يدخل مع البطين، تأكله الجلاب، كل بلا جذب !».

فاضطر القاضي أن يأكل ! . . .

أحب شيخ معروف من شيوخ الأرادنة، فتاة جميلة، فخطبها فأشترطت لقبولها به، أن يكون لها شيق مثل شيقه (مضيف)<sup>(٣٢)</sup> لاستقبال الضيوف وأن تكون حشمتها سبع ليال. فقبل بهذين الشرطين ونفذهما. وفي أحد الأيام كان جمهور من وجهاء مادبا يميرون بالقرب من مضيف الشيخة. ولم يحلوا به، فوفقت ونادت بصوت عال: «يا أعيال<sup>(٣٣)</sup> !! عقيدتكم ما هو غشي<sup>(٣٤)</sup> له ما تحولون للغدا». فخرجوا وترجلوا، فأرسلت أحد عبيدها، وأحضر من أغنامها شاة، وبعد أن تغدوا، قالت ما معناه، «لو حللتكم من غير توبيخ، لكان تكريمكم واجباً، واذبح لكل واحد منكم ذبيحة، أما وقد تجاوزتم آداب الضيافة، فأنتم تأكلون أحساناً لا تكريماً. فأخذ كل واحد من الوجهاء ينظر إلى وجه الآخر، وقال كبيرهم<sup>(٣٥)</sup>: «إنها محققة في الذي تقول».

وأعذر القوم لها. فقالت: «لا تعرووها».

ومن ذكريات البادية: زعيان أحدهما هوايته تربية الخيل الأصلية والبدي يقولون الخيل الأصيلة، قال الشاعر:-

أشر الأصائل، لا تهاب الفصائل لو هنّ هزائل، لا تغالي بالاثان!.. (٣٦)  
والثاني هوايته اقتناؤها، ولُتسمّ الذي يربي الخيل (فاضلاً)، والذي يهوي اقتناءها (فالحاً).

حل (فالح) ضيفاً على (فاضل)، وبعد أن أكرمه سأله عن غرض هذه الزيارة، فأجاب «سمعت أن عندك صقلاوية» (٣٧) تريد تبيعها» أجاب (فاضل): - «ما حرم المأمون مالاً على البيع، سمه». أخذ (فالح) يساوم إلى أن أوصل الثمن إلى مائة وثمانين ليرة. فأصر فاضل على مائتين. فنهض (فالح) (وأعطى المعازيب الخلف) (٣٨). وبعد أن مضى ساعتين رفع (فاضل) الفراس، الذي جرده لإضيفه (فالح) ومديده في (العلو) (٣٩) الذي كان قد وضع فيه مائتي ليرة ذهباً. فلم يجد الصرة، فلم يشك في أن ضيفه قد سرق الصرة، فنبعه، فوجد عنده ضيوفاً. رحب بمعزبه (فاضل) صاحب الفرس، وظن أنه قدم لكي يبيعه الفرس بمائة وثمانين ليرة، الثمن الذي فرضه هو فلم يكلمه. وفي الصباح أفطر الضيوف وأفطر (فاضل) معهم. لكن الضيوف انصرفوا وبقي (فاضل) وحده، فسأله (فالح) عما يريد. قال له «الحق» (٤٠) (فالح) اقترب منه وهمس في أذنه قائلاً «ياشيخ، أنا أدري أنك خذيت» (٤١) صرة الثيرات من العلو حتى أتبعك، وأبيعك الفرس. الفرس ما هي للبيع بأقل من ميتين نيرة بيتوه»!.. (٤٢).

تبسم (فالح) وقال «الي قلته صحيح، امهلني حتى أجيب لك المصاري». خرج (فالح) وأخذ يدور على عَرَبِه بيتاً وبيتاً إلى أن جمع له ما طلب بالليرة والاثنين. فلما جمع المبلغ قال له «أعذرني ترى بعض المحتاجين استقرض مني ذهبات أورددهن علي عجديات.. أو مائتي أنك تظن للمصاري حالاً بالعجل».

عاد (فاضل) فوجد عنده في المراح ابلاً لا عهد له بها، فسأل ابنة (نشمي) عن مصدر هذه الإبل، فأجاب أنها أخذت (الذخرة) البلي في العلو واشترت هذه الإبل بها..

صفق (فاضل) كفأ بكف، وعاد حالاً إلى (فالح) معتذراً، وعاتبه قائلاً: «كيف اعترفت بالتهمة وأنت بريء؟ ودفعت المبلغ؟» أجاب: «لو أنكرت لقال مناسي - إني سرقت مال مضيفي، والناس مستعدون لقبول أية إشاعة، ولا سيما إشاعات السوء. والعامّة لا تمحص خبراً، ولا تفكر فيه، وما أصدق من قال :-

«قد قيل ما قيل، ان صدقاً وان كذباً فما اعتذارك في قول إذا قيلاً؟!...»  
فأنا دفعت لك المبلغ، لأشتري تاريخي الطويل، ولا أعرضه لقالة السوء، أعاد إليه المبلغ وأقسم بالطلاق أن لا يعود إلى أهله وهو يركب الفرس التي سببت هذه المشكلة. وسلمها لخالق، فقبل الهدية والهدية لها جزية.

#### البحث عن كنوز الأدب في البادية :

كنوز الأدب في البادية كثيرة، ومن هذه الكنوز ما اهتمت إليه وأنا أبحث عن شواهد لمؤلفاتي الخاصة بالبادية وأهمها (قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية) الذي طبع لأول مرة بمهمة معالي أمير اللواء المتقاعد (معن باشا أبو نوار) في مطابع القوات المسلحة الأردنية ١٩٧٣م، ١٩٧٤م بمهمة أبو سظام المشير حابس المجالية. ثم أعيد طبعه في المطبعة نفسها بمهمة سيادة الشريف الفريق الأول الركن (زيد بن شاكر) فقَدَّمَتْهُ هدية لأبناء الشهداء ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. وكتابي (معلمة للتراث الأردني) المؤلف من خمسة أجزاء ظهر منها أربعة وسيتم طبع الجزء الخامس بمهمة وزارة السياحة، وقد تشرفت بأهدائه إلى جلالة الحسين المفدى.

ومن تلك الكنوز القصيدة التي رواها لنا السيد (محمد الصقور) والصقور من أقرباء العزيزات ينتمون إلى صقر أخي عبدالرحمن جد العزيزات الذي تروى تقاليد البادية انه ساعد (خالد بن الوليد) رضي الله عنه في (واقعة مؤتة)<sup>(٤٥)</sup> فقدر له (خالد) صنيعه وكرمه تكريماً ما يزال البدو يذكرونه لهذه العشيرة فيقولون: «جسبك يا أعزيز طيب» «جسبك يا أعزيز مبارك». وعَدَّلَ في رواية القصيدة المرحوم (سالم الفنصل) والمرحوم (سلمان العليمات) وقصة



هذه القصيدة هي في سنة ١٨٣٦ تقريباً كان يعيش في البادية الأردنية شاعر بدوي اسمه (علي الرميثي) نسبة إلى (الرميثة) في شمالي المملكة العربية السعودية، عصر الألم قلبه وألح عليه الفقر على الرغم مما وهب له الله من جمال النفس وروعة المظهر والشم والنجدة - وكان لهذا الشاعر ابن عم يدعى (سالمًا) فكان الله - جلّت قدرته - قد اقتطع لعلي من الشعور الفياض وجمال الجسم والنفس من رزقه. فعاش معدماً إلا من فضائله. أما ابن عمه (سالم) فكان من الأغنياء المشهورين ومن الوجهاء. وفي أحد الأيام غزا (سالم الرميثي) عقيداً لعصابة في عيادها (ابن عمه علي) وفي أثناء الغارة، قتلت فرس (سالم) وجرح، وفر عنه رفاقه، إلا ابن عمه (عليًا) فإنه - ردّ عنده<sup>(٤٥)</sup> كما يقول الأرادنة والبدو عامة وحله على فرسه وهرب به إلى أن أوصله إلى منجائه، وعولج (سالم) فشفي من جراحه فكان يعد نفسه مديناً بحياته لابن عمه (علي). فلم يكن يرد لي (علي) طلباً، إلى أن لعب القدر لعبته، فأحب الرجلان فتاة معروفة في الحي بجهاها، فتنازعا بسببها، وكما قال نابليون: «فتش عن المرأة» ولما سئلت الفتاة اختارت (عليًا) - على خصاصته وفقره - فلم يستطع أبوها إلا القبول، لأن البدو الأصلاء لا يرغبون فتاة علي الزواج بمن لا تحب. فهم يقولون «المقصوبة مالها عرض». وكل ما استطاع أبوها أن يفعل، انه اشتط في طلب السياق فساعد (عليًا) كل من عرفه، وجمع السياق حالاً، فتزوج (علي) فحقد (سالم) على الفتاة وعلى ابن عمه وتنكر لها.

ولما توفيت زوجة (علي) أملت إملاقاً شقياً، فرأى أن سبب الخصام بينها قد زال لأن الفتاة واجهت ربه. وفي ليلة كثر ثلجها، لم ينتبه (سالم) إلا وابن عمه (علي) في الشق - القسم المخصص بالضيق من بيت الشعر - فلم يلتفت إليه، على خلاف ما توجهه تقاليف البادية، ولم يقدم له طعاماً، فأتى ذلك في نفس (علي) أعمق تأثير وعاتب ابن عمه عتاباً تطرق فيه إلى الهجاء المر، بلا وقاحة وذكره بخاتمته في الحياة، فكانت قصيدته من أروع ما رأينا في شعر البادية، على طول مدارستها له، وقد التزم فيها قافيتين واحدة في الصدر، وواحدة في العجز، على عادة فحول الشعراء في البادية. وكم كانت دهشتنا يوم رأينا هذه القصيدة - على إيجازها تشتمل على أكثر معاني قصيدة (الطين) للشاعر المحلق (إيليا أبو ماضي) وهذه هي القصيدة :-

[أثرنا أن نروي قصيدة (الرميثي) ونذكر بعد كل بيت ما يناسبه من قصيدة (الطين) ضارين صفحاً عن اختلاف الروايات في قصيدة (الرميثي) التي ذكرها الرواة لأنه ليس هذا مكانها !! بعد أن ذكرناها في كتابنا (فريسة أبي ماضي) المطبوع في (مطبعة الاتحاد) في عمان ١٩٥٦م].

١ - قال الرميثي :-

يا أخوي ما آحنا فحمة ما آبها سفي ولا أنت شمسا تسهب  
الذوباضية (١٦ع ٢)

ويقول المرحوم أبو ماضي :-

يا أخي، لا تملم بوجهك عني ما أنا فحمة، ولا أنت فرقد!  
٢ - لَصَارَ مَا تَأْكُلُ ذَهَبٌ يَوْمَ تَبْلَى  
يا أخوي وش نفع الذهب يوم تنقاه؟ (١٧ع)

ويقول المرحوم أبو ماضي :

انت لا تأكل النضار إذا جعت ولا تشرب الجمان المنضد!  
٣ - مَلْبُوسُكَ أَمِنْ الْبَرِّ بِلَاةٍ بَلَوَى  
مثل الاجفان الميت طال مشحاه! (١٨ع)

ويقول المرحوم أبو ماضي :

انت في البردة الموشاة مثلي في كسائي الرويم تشقى وتسعد  
٤ - أَلَيْتَهُ الْوَلَّى بِضَمِيرِكَ أَوْ مَقْوَى  
لي مثلها ياشين، بالقلب نهواة! (١٩ع)  
٥ - نَحْلُمُ أَحْلَمًا جِلْوَةً يَوْمَ نَرْضَى  
وأتمر يوم السعيد مابان مظاه! (٢٠ع)

أما المرحوم أبو ماضي، فقد عبر عن هذين البيتين بأربعة أبيات هي :

لك في عالم النهار أمانى ورؤى والظلام فوقك ممتد،  
وبقلبي كما بقلبك أحلام حسان، فأنه غير جلمد،  
أمانى كلها لتلاشي؟ وأمانيك للخلود الموكد؟  
لا، فهذي، وتلك تأتي وتمضي كذوبها، وأي شيء يؤبد!...

ويقول الرميثي معرضاً بجبن ابن عمه، ونقص في رجوله :-

٦ - يَوْمَ الرِّمَاحِ أَتَا وَشَكَ لَيْهَ تَلَوَى ؟ وَالتَّرْفَ يَوْمَ آيَفَارُكَ لَيْهَ يَشْهَاهُ؟ (٥١)

والمرحوم أبو ماضي يعبر عن شطر من بيت الرميثي بيت تام قال :-

وإذا راعك الحبيب بهجر ودعتك الذكرى إلا تتوجد؟

٧ - ويقول الرميثي :-

وَأَدْمُوعُنَا وَالضُّجُجَ نَسَابِيهَ سَلَوَى مِثْلَهُ، يَأْتِينَ لَصَارَ تَلَقَّاهُ؟ (٥٢)

ويقول المرحوم أبو ماضي :-

أدموعي خلّ ودمعك شهد؟ وبكائي ذلّ ونوحك سؤدد؟

وأبنسامي الراب لاري فيه وابتنساماتك اللّالي الخرد؟

ونلاحظ أن الشاعر المنفوق قد عقد بيتين كاملين لما عبر عنه الشاعر البدوي ببيت واحد،

فوق هذا لم يحسن أبو ماضي الطباق. إذ قال «أدموعي خلّ ودمعك شهد؟ والصواب أن يقول

للمطابقة: - أدموعي خلّ ودمعك خمر؟ لكنه لم يوفق.

٨ - وقال الرميثي :-

كَلَيْتَنَا نَحْنِي أَوْ نَحْيَا لَا تُؤْمِنُكَ يَالضُّبُعَ نَفْسُكَ إِبْمَشَاهُ؟ (٥٣)

والمرحوم أبو ماضي يقول :-

أنت مثلي من الثرى وإليه فلماذا يا صاحبي التيه والصد

٩ - ونرى الرميثي يقول بيتاً في منتهى الروعة :-

هَذَا الْقَمَرُ وَالنَّجْمُ وَالشَّمْسُ تَعْلَى وَأَنَحُو مِسْكَ مِثْلَ الْخَرَابِيشِ بِنَصَاهُ؟ (٥٤)

أما المرحوم أبو ماضي، فيعبر عن هذا البيت بثلاثة أبيات :-

النجوم التي تراها أراها حين تحفي، وعندما تتوقد

قمر واحد يطل علينا وعلى الكوخ والبناء الموطد  
الك القصر دونه الحرس الشاكي ومن حوله الجدار المشيد  
١٠- ويقول الرميثي :-

جِئَاكَ إِلَيَّ أَسِوْفُهُمْ نُورٌ يَلْظِي مَا يَمْنَعُونَ الْمَوْتَ إِنْ جَاكَ مَعْدَاهُ (٥٥)  
يضطر أبو ماضي ساعه الله لمنظم ثلاثة أبيات للتعبير عن هذا البيت :

ألك القصر دونه الحرس الشاكي ومن حوله الجدار المشيد؟  
فامنع الليل أن يمد رواقاً فوقه والضباب أن يتلبد،  
مِرْقَد واحد نصيبك منه افتدري كم فيه للذر مِرْقَد؟  
١١- ويقول الرميثي :-

الله يَحْشُونُكَ كَيْتَ لِلنَّاسِ مَنْصَى حَتَّى الْغَشَا فِي آخُو مِسْكَ مَا لَقَيْنَاهُ (٥٦)  
١٢- أَلْتَلَجَ يَذْرِي وَالسَّوَاعِرُ بَضْوَى هَبِيتَ نَحْنَى الْعَبْدِ وَالله نَسَاهُ (٥٧)  
وقد عبر الشاعر المهجري عن هذين البيتين بثلاثة أبيات هي :

زرتنى عنه والمعوصف تعدو في طلاي والجو اقتسم أربد  
بينما الكلب واجد فيه مأوى وطعاماً والهر كالكلب يرقد  
فسمعت الحياة تضحك مني أترجي ومنك تاي وتجدد

ويختم القصيدة بقوله - أي الرميثي :-

إِنِّي إِوْ مَا تَمَرْتُ تَسْقِطُ أَوْ تَبْلَى وَأَتَرَابَ قُبْرِكَ سَاقِي الرِّيحِ تَسْفَاهُ (٥٨)  
وهي خاتمة رهية جداً.

بقيت قصيدة الرميثي التي رثي فيها زوجته ، وقد عُثِرَ فيها ، لما قدمت الكتاب للمطبعة -  
وهانذا أروي ما سلم من أبياتها من العبت - . أما شبيخة القصيد فمُثَبِتة في كتابنا فريسة أبي

ماضي مع تفسيرها. وقد اخترت لها رواية المرحوم الصديق أنسهم (توما الحمارنة) صاحب الفضل في إيصال مياه عيون موسى إلى (مادبا)، يوم كان رئيساً لمجلس (مادبا) البلدي.

وقد سلمت الكتاب لمطبعة الأستاذ الكردي بتوصية من المغفور له سباحة (الشيخ إبراهيم النقطان) طيب الله ثراه، وبعد أن كتبنا اتفاقاً يقضي بأن أي اختلاف بيننا يحسمه المغفور له الأديب (شكري باشا شعشاعة)، بدأت المطبعة بطبع الكتاب الذي كان قد توقف طبعه، وأن الأيدي قد لعبت به، فتوجهت إلى المطبعة وإذا الباقي من الكتاب اشلاء، للمتها وذهبت بها إلى (مطبعة الاتحاد) راضياً من الغنيمة بالاياب مفلساً ١ . . . ولم أرد أن أزعج المرحوم الباشا، فوجدت أن كثيراً من القصائد وتراجم الشعراء كلها قد فقدت، وفي عداد ما فقد رثاء (علي الرميثي) لزوجته، وليس عندي نسخة ثانية، ثم أثبتت زوبعة قيل فيها: -

أ - أن الرميثي شخصية وهمية.

ب - أن العزيزي سخر شاعراً شعبياً ينظم القصيدة التي هي أصول (قصيدة الطين).

ج - وأن العزيزي يستشهد بالموتى من الناس.

فكان علي أن أثبت الحقيقة بشهود أحياء يعرفون القصيدة.

فكان من الشهود الاحياء يومذاك خمسة كتبوا شهاداتهم بأيديهم نشرتها في (مجلة الحكمة) في (بيروت) وتناقلت صحف العالم العربي والمهجر قضية (قصيدة الطين) وأصولها.

وكان الشهود :-

١ - المرحوم (سلامة الغيشان) الذي يعرفه الجميع شاعراً محلقاً وراوية للشعر الشعبي.

٢ - المرحوم (شحادة المصاروة) المعروف بكونه راوية للشعر وشاعراً.

٣ - (محمد بن حماد بن أغريز العقيلي) الشاعر والراوية. وكان خصماً لي، كما هو مشهور<sup>(٥٩)</sup>.

٤ - المرحوم (يوسف بن سليمان الصوالحة) وهو راوية للشعر.

٥ - المرحوم (عيس عودة الله الزعمرط) وكان راوية لاشعار البادية.

فلما اسقط في أيدي المتهمين قالوا «ان الأمر توارد خواطر» فثبت أن والد المرحوم (إيليا أبو ماضي) كان يروي قصيدة (الرميثي) نفسها في إدارة مجلة (السائح) (٦٠) في نيويورك في أميركة.

ولم أتذكر من رثائه لزوجته إلا أبياتاً في حين أنها تزيد على الثلاثين بيتاً وهذا هو الجزء الذي ذكرته :

- ١- أَلْبَازِحَةُ عَيْيٍ يَجْجَحُ نَظِيرِي
- ٢- وَالْقَلْبُ شَقَّهُ سَيْفٌ مِرْهَفٌ شِطِيرِي
- ٣- يَجْجِي أَمَعَ الدِّيَانُ طِفْلاً صَغِيرِي
- ٤- بَلَوَى (عَلِي) يَا نَاسَ أَمْرَةٍ عَصِيرِي
- ٥- يَا لَوَعِي بِالْقَلْبِ فَارَقَ عَشِيرِي
- ٦- الصَّبْرُ فَارَقَنِي أَوْ قَلْبِي جَسِيرِي
- ٧- مَا أَدْرِي أَمَنْ (الْهَيْثَانُ) وَالَا (اللَضِيرِي)
- ٨- يَانَاَسَ جَيْفَ أَعِيشَ مِنْ هُوَ نَظِيرِي
- ٩- جَشْفَا أَوْ بِالزُّيْنَاتِ مَا لَهُ نَظِيرِي
- ١٠- جَشْفَا شَبِيَةَ الرَّيْمِ رِيحَهُ ذَوِيرِي
- ١١- مَا يَنْسَبِعُ لَهُ جِسْمُهُ غَضِيرِي
- أَوْحَسْتُ بِهِ سَمَّ الْإِفَاعِي أَوْ دَرْنُوحُ<sup>(١)</sup>
- خَلَى الرَّمِيثِي بَيْنَ الْأَقْبُورِ مَطْرُوحُ<sup>(٢)</sup>
- إِمْنَ الْحَيَا يَخْفِي أَدْمُوعُهُ إَوْ لَا آيُوحُ<sup>(٣)</sup>
- إِغْرَابَ أَلْنَا يَغْشَا بِاللَّيْلِ وَأَجُوحُ<sup>(٤)</sup>
- لَوْ بَاخَ جَزَنِي صِرْتُ بِالنَّاسِ مَقْضُوحُ<sup>(٥)</sup>
- بَصِيمٍ أَمِنْ السَّاقِينِ بِالْقَاعِ شَرْشُوحُ<sup>(٦)</sup>
- إِسْمِي غَدَا مِنْ بَابَةِ النَّاسِ تَمْسُوحُ<sup>(٧)</sup>
- لَا ظَلَّ لَهُ وَلَغَا إُولَا عَادِيَةُ رُوحُ<sup>(٨)</sup>
- مِنْ عَقِبِهَا قَلْبِي أَمِنْ الْجَزْنِ تَجْرُوحُ<sup>(٩)</sup>
- صَبُورٌ لَا تَشْكِي أَوْ بِالرُّمَّا أَتُوحُ<sup>(١٠)</sup>
- صَفُوحٌ أَعْنُ الْجَبْرَانِ وَالْبَيْتِ مَفْتُوحُ<sup>(١١)</sup>

#### التفسير :-

- ١- البارحة كان بصري عتيداً مضطرباً شعرت كأن في عيني سم الحيات أو ذر فيها الذرنوح في لسان العرب ومحيط المحيط وأقرب الموارد الذرنوح من السموم.
- ٢- والقلب مزقة سيف حاد مسنون جعل الرميثي مطروحاً بين القبور.
- ٣- يكي في الصحاري كأنه طفل صغير، ولخجله يحاول أن يخفي دموعه ولا يبوح بحزنه.
- ٤- بلوى على الرميثي ياناس أمرها عسير وغراب البين يفاجئه في الليل وفي الصباح.

- ٥ - حزني مستقر في قلبي لقد فارقتني الحبيب الذي أعاشره، ولو ظهر حزني على حقيقة لفضحت بين البشر.
- ٦ - لقد فارقتني الصبر وكسر قلبي كمن كسر ساقه وطرح كالثوب البالي في الأرض.
- ٧ - لم أعد أعلم من أي العربان أنا، أنا من هتم أم من اللصيري الضائعين اسمي أضحي مسحاً من بين الناس.
- ٨ - أيها الناس كيف أعيش من الذي تشبه مصيبيته مصيبي ؟ لا تبقى لي حبيب ولا يبقى في روح.
- ٩ - فقدت غز الا ليس في جيلات النساء من تشبهها قلبي بعدها مجروح من الحزن.
- ١٠ - هي غزال يشبه الريم رائحتها زكية صبور على المكاره لا تشكو كتوم للسر لا تبوح بما يلقي إليها من أسرار.
- ١١ - صوتها خافت، لا يسمع لها أحد صوتها، تصفح عن جيرانها ان أساءوا لها وبيتها مفتوح للضيفان.



#### هوامش :

- \* - أي الجريدة التي تراقب تحركات الصهيونية - يومذاك - .
- ١ - كان والذي من التجار المعروفين، ولما تقدمت به السن صار متجراً للتبغ.
- ٢ - يسمى الأمانة سيات الحيوانات وسوماً جمع وسيم.
- ٣ - (روكس أورينشس) لقب أزيمة الذي لقبته به المشيخة الرومانية ومعناه (نائب الامبراطور على الشرق).
- ٤ - حشاها - حاشاها الله وقاما من كل مكروه.
- ٥ - النشي هو الفتي الجامع لكل عناصر النبل والارمجة - وكانوا يظنون انه ليس للكلمة أصل في اللغة وفاتهم انه من نشم بمعنى رفع وعلى يقال: «نشم الله ذكر فلان، أي رفعه وعلاؤه، يقول البدو فلان نشمي أي جامع لكل عناصر النبل سريع إلى النجدة، وإذا قالوا نشمة عنوانها جملة عفيفة سامية الاخلاق.
- ٦ - قصير - جار طلب الحماية.
- ٧ - هاضا - هذا - يلقب الذال ضاراً في حين أن أهل شالي الاردن يقبلون الضاد ذ الا فيقولون «أذرب» في أضرب.
- ٨ - وش - اختصار لكلمة (أي شيء هو).
- ٩ - نيره ييتوه - اسم لـ (الليرة الفرنسية الذهب) لأن علي بعضها صورة اثني.
- ١٠ - سبيله - السبيل هو غليون صغير.
- ١١ - جنا - نحن.

- ١٢- بقت - نوع من القماش القطني الأبيض. يتخذ من الرجال ملابس لهم - قديماً -
- ١٣- ييارم - جمع بيرمة، وهي قطعة من القماش، كانت نساء الاردن - قبل التطور الاجتماعي يتخذن منها ثياباً، وهي من البقت تصبغ باللون الأسود صباغاً خاصاً وهي نوعان.
- أ - بيرمة مفرد طولها متران.
- ب - بيرمة مجوز طولها أربعة أمتار.
- وقد بطل استعمال هذا القماش للملابس النساء نهائياً ١٩٤٥ وكان المصوبغ منه صبيغاً جيداً يدعى (الببتي) أي انه صالح للملابس ربات البيوت الغنيات.
- ١٤- الحسافة - هي انقاص وزن الوعاء من الوزن الاجمالي.
- ١٥- طرد المجرم - طالبه بالجرعة، هو وأقاربه إلى الدرجة الخامسة.
- ١٦- المعطوة المندنة يراجع الجزء الثالث من كتابنا (معلمة للتراث الأردني).
- ١٧- نعلل - اصطلاح معناه سهر، والتعليلة والتعللة هي سهرة المحبين.
- ١٨- من باس داس - أي من قبل جامع.
- ١٩- البجمة والبلعة - هي الامتحان بالثأر - راجع الجزء الثالث من كتاب (معلمة للتراث الأردني).
- ٢٠- ريتنا - ليتنا - وهم يقبلون اللام راء - بافرة لغوية.
- المعنى - ياليتنا لسا أبرياء من هذا الاهتمام أسأله تعالى أن يضيئ الحياة على هذا القاضي بحيث لا يرى نوراً.
- ٢١- فالذي برأنا من قبله ذات الاهداب الطويلة - يا حسين - أحرق الله لسانه بنار شديدة الالتهاب.
- ٢٢- اسم بالله أنه لم يكن بيني وبين الحبيبة، سوى النظرات والأحاديث اللطيفة وكل شيء لنا واضح براه الناس.
- ٢٣- لو قلعوني وقطعوا الحبيبة بسيتين فإني أعود إلى الحياة عندما تنادييني (رُخية).
- ٢٤- فلو انهم رثبوا حوريات الجنة بصفتين متقابلين، وبعد ذلك جعلوا الخيار لاخترت (رُخية) مفضلها عليهم! ...
- ٢٥- يا شقيتي يا (علي) الذي أشكو إليه همومي، اعط (رُخية) حصة من لحم ذلولي، لكلا يجوع أطفالها.
- ٢٦- ما دام أهلها قد جعلوها ودعة لي، مع أنهم كانوا قديماً يهربون بها خوفاً مني.
- ٢٧- العداية - اصطلاح أردني - يعني أن يهيب الرجل من مواشي غيره ما يقدمه تكريماً لضيوفه فإذا كان صاحب رأس الغنم المهرب قوياً عوفس عن شاته، وإن كان ضعيفاً لم ينل شيئاً.
- ٢٨- سنيبتها - أي من سنها.
- ٢٩- مردود عليه النقا - مهال عليه التراث وهي من اصطلاحات الارادنة، لا شد التحديدات وتشبه اعلان الحرب. أو هي اعلان الحرب حقاً،
- ٣٠- يفض - يرفع صوته مثلاً وهو مقلوب ضج.
- ٣١- لأخلي - لأجعلن.
- ٣٢- الحشمة، اصطلاح كان الأردانة يمتنون به لملاطفة العروس، وإيناسها. قبل الدخول بها من ليلة إلى سبع ليال على حسب منزلة أهل العروس.
- ٣٣- يا أعيال - إذا قال الأردانة أعيال نشامي عنوا بذلك انهم رجال طيبون، اما إذا قالوا هذا (علي) بالمفرد عنوا بذلك انه طفل. أو انسان سفيه.
- ٣٤- ليه - لأي شيء وهو.
- ٣٥- لا تعودوها - لا تكررهما.
- ٣٦- اشتر الخيل ذات الأصل لا تهيب المساومة على أثمانها ولا تبخل بدفع الأثمان الغالية ولو كانت تلك الخيول هزيلة.
- ٣٧- صفلاوية - الجمع صفلاويات سلالة مشهورة من الخيول العربية الأردنية راجع كتابنا (معلمة للتراث الأردني). الجزء



- ٣٦ - تراجع - بحث الخيل  
(ما حرم المؤمن مالا على البيع) المؤمن هو أشرك ويعصون بذلك أن النبي ﷺ، لم يحرم أي مفتي من المفتيات أن يباع.
- ٣٧ - أغضب المعارب الخلف - اصطلاح عند الأمانة بمعنى ارتحال الضيف بعد تكريه، وعند ارتحاله يقول: وخلف الله على المعارب، أي أعاص الله 'تصميم عن دينه'. والرولة يكرهون هذا الاصطلاح ويقولون سلا منه وأنعم الله عليهم) أو عليكم! ..
- ٤٠ - العلو - وسادة من السج نضع فيه البسريت ملايهن وتتخذ وسادة، فإذا كان الصيف كرى، أو عزيزاً، أعطوه العلو وسادة والجمع أعلوة. وإذا كان الزوج عزيزاً وضعت ثيابه مع ثياب صاحبة البيت وقد يتخذ لحفظ ثياب الرجل وحده.
- ٤١ - خُتْ - أقل.
- ٤٢ - خذبت - أخذت.
- ٤٣ - نيره بيتونه - ليره فرنسية.
- ٤٤ - الذخيرة - كل ما يدخر حين الحاجة، يسمونه ذخيرة أو ذخيرة.
- ٤٥ - رد عنده - اصطلاح أردني يعني انه عاد إليه بعد أن يتخل عنه أعرانه.
- ٤٦ - يأنحي لسا فحمة لا جمال فيها ولست شمساً تنير الكون بنورها!
- ٤٧ - ما دمت لا تأكل ذهباً عندما يموت، قل لي ما فائدة الذهب الذي تقتنيه؟
- ٤٨ - ملايسك من القماش الفاخر، خُتِلَ، بحسية لا تحمل، كما تبل الاكفان التي على ميت، زمن من زمن بعيد.
- ٤٩ - الأمانى والطموحات التي في نفسك. لي مثلها يا حقير، مستقرة في قلوبنا نحب الوصول إليها.
- ٥٠ - أحلامنا وأمانينا حلوة عندما تكون راضين وإن لم يحالفنا الحظ، فهي عذبة.
- ٥١ - عندما تطمعك الرماح لماذا تتألم، والحبيبة يوم تفارقك لماذا تحزن وتلطف شوقاً إليها.
- ٥٢ - دمرعا كدموعك، وصحكا كضحكك، فيها تعزية لنا أيها الجلف. لو تدبرت ذلك لرأيت أنك لا تختلف عنا في شيء.
- ٥٣ - كلنا ماضون إلى القبر في مسيرتنا، لا تورم في كبريائك أيها الحسب، انك أهل منا منزلة.
- ٥٤ - القمر والنجوم والشمس تزور بيتك ذا الأعمدة الخمسة مثل أصفر العرائش.
- ٥٥ - رجالك، ذرو السيوف اللامعة كأنها النور المتلألئ. لا يستطيعون أن يمتنعوا عنك الموت إذا جاء أرواه! ..
- ٥٦ - قاتلك الله، الست مقصراً لفضاء احتياجات الناس؟ فلماذا صرت حقيراً إلى ذلك أنك لم تقدم لنا طعاماً في بيتك الذي هو عنوان الوجاعة والزعامة لانه ذو خمسة أعمدة.
- ٥٧ - الثلج ينساقط، والبرق والصواعق تنير، وفي هذه الحالة يخلت بالطعام نفصد عبداً حقيراً ونسئ الله الرزاق الأعلى.
- ٥٨ - فليمحن الله كل ما جمعت من أموال ويمحقك معها، وليسلط الله المواقف على قبرك لتحول تربة غباراً تذروه الرياح السافيات.
- ٥٩ - كان رحمه الله - نائباً للحاكم العشائري في (مادبا) فأرسل زنجياً لاحضار مطلوب المحاكمة فلما لم يجده أخذ طفلًا عمره ثلاث عشرة سنة ومن غير سبب أخذ يجلده بعضا خيزران، فقلت له ماذا تريد من هذا الطفل ولماذا تضربه، فأجاب بطمعانية: - معي أمر أن أضربه مية شوطاً قبل ما يصل إلى (ابن حاد) ! قلت لكن ماذنيه، وافترض انه مذنب، إذا ضربته مائة عصا، يموت قبل أن يصل، فانجي نحوي يريد أن يضربني - فعندها قلت للطفل أن يهرب واختطف المصامنه وأرؤسته ضرباً، فلما رأى (ابن حاد) أنني أضرب سفيره جاء حاجباً علي ومعه بعض أعرانه شامراً مسدداً يريد أن يفرغه في رأسي، وأصابني ضربة سقطت على أثرها، فاجأت عجزو كانت في عداد من حضروا وهم كثر ورات تصميم (ابن حاد) على ذبحي، فألقت بنفسها علي، وأسمها (سلمى الصوالحة) عندها تبه زبل لي في المدرسة اسمه (ميخائيل الطوال) فأهاب بالخشوع قائلاً: وما هذا الحكم القراقرشي ما الداعي لاغتياال الرجل، فأخذت الاحتجاجات تتوالى. فأغمد مسدسه. وطلب أن أناد للمحاكمة فلما صرت قريباً من تلك الغرفة، قال وجيه من العشيرة، اسمه (خليل الصوالحة) إذا

دخل العززي، فلن يخرج حياً، فاضطر للدخول في غرفته واغلاق الباب عليه فلما أقمت الدعوى عليه قال القاضي النظامي، وهو صديق لي اسمه (رشيد بن ماضي): «أنصح لك أن تتخلّى عن الدعوى لئلا أكون أنا وأنت ضحية الحكم ! وهب اني حكمت، فمن الذي ينفذ الحكم. فتنازلت عن حقّي وبعثت بترضية عن ضربّي المائة ريال فضة واسقطت دعوي.

هذا الرجل - كان شاعراً، وراويّة للأشعار كان بين الشهود في قضية الرميثي وكتب شهادته بيده.

٦٠ - مجلة السائح أو جريدة السائح، كان يصدرها المرحوم الشاعر (عبد المسيح حداد) في (نيويورك).

ملاحظة - تفسير رثاء الرميثي لزوجته منشور مع النص.

### أهم ركائز البحث :

- ١ - مجلة لفة الحرب للعلامة الكرمل المجلد الأول ١ تموز ١٩١١ - ١٢ آيار ١٩١٢ طبعة ثانية.
- ٢ - تاريخ العرب المطول - الجزء الال الطبعة الثالثة ١٩٦١ للدكتور فيليب متي، والدكتور جبرائيل جبور.
- ٣ - لقاءات شخصية بين القبائل من سنة ١٩٢٢ - إلى ١٩٨٠
- ٤ - قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية - للعززي.
- ثلاثة أجزاء. مطبعة القوات المسلحة الأردنية ١٩٧٣ - ١٩٧٤.
- ٥ - معلنة للتراث الأردني خمسة أجزاء أربعة مطبوعة والخامس في طريقه إلى المطبعة. للعززي.
- ٦ - فرسية أبي ماضي مطبعة الاتحاد عمان سنة ١٩٥٦
- ٧ - مادبا وضواحيها للأب جورج سابا، وروكس بن زائد العززي، مطبعة الآباء الفرنسين القدس سنة ١٩٦١.
- ٨ - خمسة أعوام في شرقي الأردن للارشمندريت بولس سلمان، مطبعة القديس بولس في حريصا لبنان سنة ١٩٢٩.
- ٩ - مذكرات العززي من سنة ١٩٤٨ - إلى اليوم مخطوطة.
- ١٠ - أدب البادية مخطوط للعززي.
- ١١ - المجتمع البدوي سياسته نشر جزء منه في مجلة العرب للاستثمار حمد الجاسر.
- ١٢ - فوائد مسجلة مخطوطة للعززي.

# صلاح الدين الأيوبي وموقفه من القوى الناوثة في بلاد الشام

٥٧٠/٥٨٩ هـ - ١١٧٤/١١٩٣ م

د. /عبد الكريم عبده حاتم

ملخص :

كلنا يعلم ما لصلاح الدين من دور كبير في طرد الصليبيين من القدس وتحرير الوطن الاسلامي العربي منهم، لم يكن صلاح الدين يواجه خطر الصليبيين فحسب بل كانت هناك قوى داخلية تناوئه وتقف ضده بكل قوة وقد عملت على القضاء عليه بشتى الوسائل والأساليب الظاهرة منها والخفية، فتجسست حيناً على شكل معارك حربية وأحياناً على شكل دسائس ومؤامرات واغتيالات بشتى صنوفها، هذه القوى كانت الفرقة الاسماعيليه (الباطنية) التي حاولت بكل ما أوتيت من حيلة وعزيمة بالانتقام من صلاح الدين لأنه كما كانوا يرون السبب الرئيس في القضاء على دولتهم واسقاطها (الدولة الفاطمية في مصر). فلم يألوا جهداً في تدبير المؤامرات وتكوين القوى المضادة ولو كلفهم ذلك وضع أيديهم في أيدي اليهود أو الصليبيين أو أي عدو آخر لصلاح الدين في سبيل الوصول إلى بغيتهم، واستمر العداء بين الطرفين ما يزيد عن التسعة عشر عاماً انتهى بعقد الصلح بينهما في قلعة مصياف بعد حصارها من قبل صلاح الدين مدة أسبوع.

قمت في هذا البحث المتواضع بتفصيل هذه الأحداث بالعودة إلى المصادر والمراجع التي كتبت حول هذا الموضوع بكل تحرد ومنهجية علمية وقد أوردت أقوال المؤرخين المؤيدين لكلا الطرفين وخرجت بعد الربط والاستنتاج من كل هذه الأقوال بخلاصة دوتها في نهاية هذا البحث.

ظهرت الحركة الاسماعيليه بوفاة الإمام جعفر الصادق في منتصف القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي. وبعد وفاته انقسم أتباعه إلى فرقتين رئيسيتين<sup>(١)</sup>.

الفرقة الأولى : وهم المعروفون بالاثني عشرية حيث الإمامة إلى موسى الكاظم فالأئمة من نسله حتى الإمام الثاني عشر (الفائب).

الفرقة الثانية : وهم المعروفون بالاسماعيلية<sup>(٢)</sup>، حيث جعلت الإمامة إلى اسماعيل بن جعفر الصادق ثم إلى ابنه محمد بن اسماعيل.

كانت الحركة الاسماعيلية سرية يعمل على ترويجها في الخفاء الإمام اسماعيل في حياة أبيه، وبمساعدة دعائه الأربعة<sup>(٣)</sup>. وفي زمن ولده محمد انتقل مركز الدعوة إلى (سملا)<sup>(٤)</sup> ولكنه استقر أخيراً في مدينة تدمر. وعند وفاته سنة (٧٨٩/١٩٣) تولى الحكم بعده ابنه أحمد الوافي الذي نقل مركز الدعوة إلى مدينة سلمية في سورية والتي أصبحت في عهده مركز الدعوة والدعاة ودار هجرة للأئمة المستورين<sup>(٥)</sup>، وبعد وفاته (٨١١/٢١٢) انتقلت الإمامة إلى ابنه رضي الدين عبدالله، وفي زمنه انتقلت الدعوة الاسماعيلية من طور التأسيس إلى طور العمل والظهور من أجل بناء دولة اسماعيلية قوية، وبعد وفاته تسلم الإمامة ولده عبدالله الذي ذهب إلى المغرب وأعلن الخلافة الفاطمية هناك وبذلك قامت الدولة الفاطمية التي انتقلت إلى مصر سنة (٩٦٨/٣٥٧).

وفي زمن الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤)، ازداد نفوذ الوزراء الفاطميين، فقد استبد الوزير بدر الدين الجمالي بالسلطة في مصر وابنه الأفضل غالي باغتصاب حقوق ولي العهد نزار<sup>(٦)</sup> والبيعة لأخيه الأصغر المستعلي بالله، وقد انسحب فريق من الناس اثر هذه البيعة وأعلنوا ولاءهم لإمامة نزار وأولاده من بعده، وكان على رأس هؤلاء الحسن بن الصباح<sup>(٧)</sup>، الذي بدأت في عهده الحركة الاسماعيلية بطور جديد وقد أصبحت الحركة الاسماعيلية الجديدة أكثر فعالية وتنظيماً من الدعوة الاسماعيلية القديمة فقد غدت «جمعية سرية لم يكن واقفاً على أغراضها وطرقها الا زعمائها الأقلون وقادة أفكارها المقربون بعد أن قطعوا مراحل التكريس واقسموا القسم الغليظ»<sup>(٨)</sup>. بينما كانت الأكثرية الساحقة من الاتباع لا تعرف عن أمر هذه الجمعية الا الشيء القليل، والذي كان يطلعهم عليه الدعاة وبقدر معلوم<sup>(٩)</sup>.

وقد أطلق المؤرخون على هذه الحركة الجديدة تسميات عديدة منها :

الباطنية. الذين ادعوا أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري مجرى اللب في القشر، وأنها توهم الأغبياء وتتهم الفطناء رموزاً وإشارات إلى حقائق خفية وإن من تقاعد عن العرض<sup>(١١)</sup> على الخفايا والبواطن تعثر ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكلف واستراح من أعبائه واستشهد بقوله تعالى: «يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم»<sup>(١٢)</sup>. وقد سمو البابكية لأن طائفة منهم شيعوا بابك الخرمي وكان قد خرج من ناحية أذربيجان في أيام المعتصم، فاستحل المحرمات فبعث إليه المعتصم الأفشين فتخاذل عن قتاله<sup>(١٣)</sup>. كذلك سمو بالحمرة لأنهم صبغوا الثياب بالحمرة أيام بابك وكانت شعارهم<sup>(١٤)</sup>. وأيضاً سمو بالتعليمية لأن مبدأ مذهبهم إبطال الرأي وإبطال تصرف العقل، وأنه لا مدرك للعلوم إلا بالتعليم<sup>(١٥)</sup>. وسموا أيضاً السبعية لأنهم زعموا أن الكواكب السبعة مدبرة للعالم السفلي، أما الغزالي فقد أورد سبباً لهذه التسمية وهو اعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة وأن الإنتهاء إلى السابع هو آخر الدور<sup>(١٦)</sup>. وهذا ما أميل إلى الأخذ به وذلك نتيجة الحركات الاسماعيلية التي لعبت دوراً هاماً في ذلك الزمن، وبالإضافة إلى ما ذكر فقد سمو بالحشاشين (Assassins) وهو اصطلاح عام للجماعات الفدائية السرية، وقد عني به في معظم اللغات الأوروبية (المغتال) الذي يقتل خلسة أو بالخيانة.

وعلى أية حال فإن حركة الاسماعيلية الجديدة «الحشاشين» ظهرت بشخص الحسن بن الصباح، الذي تمكن من احتلال قلعة الموت سنة (١٠٩٠/٤٨٣) الواقعة في المرتفعات الشالية الغربية من فارس على شواطئ بحر قزوين الجنوبية<sup>(١٧)</sup> وأصبحت فيما بعد مركزاً للدعوة ما بين سنة (٤٨٣ - ٦٥٤ / ١٠٩٠ - ١٢٥٦) وانتهجت أسلوباً جديداً في العمل والتنظيم فاستخدمت الاغتيال وبذلك تحولت من جمعية نظرية تؤمن بالأسلوب السلمى إلى جماعة حركية تؤمن بالاغتيال والتنظيم السياسي الدقيق<sup>(١٨)</sup>. وعلى هذا الأساس رأى الحسن ابن الصباح نشر دعوته والتوسع نحو الغرب، فكانت بلاد الشام اختياره الطبيعي كي يضعف الدولة السلجوقية القوية (السنية) ويحيطها من الشرق والغرب، ولكي يكون قريباً من إخوانه في العقيدة وهم الفاطميون (الشيعة) في مصر، كذلك إضعاف الخلافة العباسية (السنية) في

بغداد، أضف إلى ذلك عاملاً آخر هاماً يتعلق بالظروف الطبيعية والبشرية في سورية، فهناك سيجدون الدعم والعون من الشيعة والفرق الأخرى المتطرفة الذين كانوا يسكنون المناطق المرتفعة شرقي اللاذقية وجنوب<sup>(٢٩)</sup>. كذلك فقد كانت سورية نادراً ما عرفت الوحدة السياسية كما أن طبيعة أراضيها المتموجة وجبها العصية تساعد على اتخاذها مركزاً للدعوة والدعاة<sup>(٣٠)</sup>. وفي سورية حاول الاسماعيليون بمختلف الوسائل السيطرة على الحصون والقلاع الحصينة لاتخاذها مقراً لأعمالهم واستخدامها كقواعد لحملة الإرهاب<sup>(٣١)</sup> التي شنوها ضد أعدائهم من القادة والأمراء السنيين ومن وجدوا فيه خطراً يهدد دعوتهم ونتيجة لهذه السياسة التي ارتسموها فقد سيطروا على حصن مصياف والقدموس واذمية، وكونوا لهم جمعيات علنية في دمشق وحلب وقاموا بسلسلة من الاغتيالات كان ضحيتها الكثير من كبار رجال الدولة العباسية وأمرائها منهم الأمير جناح الدولة حسين (١١٠٢/٤٩٦) والأمير خلف بن ملاعب سنة (١١٠٦/٩٩)<sup>(٣٢)</sup> واتبك الموصل مودود سنة (١١١٣/٥٠٧)<sup>(٣٣)</sup>، كما قتلوا أيضاً سنقر البرسقي اتابك الموصل (١١٢٦/٥٢٠)<sup>(٣٤)</sup> في جامع الموصل العتيق أثناء تأديته صلاة الجمعة، ولم يكتفوا بذلك فقد تمكنوا أيضاً من دخول عدد من الحصون بأعمال الحيلة كسيطرتهم على مدينة بانياس (١١٢٦/٥٢٠)<sup>(٣٥)</sup> وبعد اتفاقهم مع الفرنجة سلموا هذا الحصن سنة (١١٣٠/٥٢٤)<sup>(٣٦)</sup> وفي هذا العام نكب الاسماعيليون حيث ثار عليهم العامة والأحداث بدمشق وفتكوا بهم، بعد أن تكبدوا كثيراً من القتل والجرحى<sup>(٣٧)</sup> مما يدل على كثرة أعدائهم في دمشق ولكنهم تعلموا درساً قاسياً بعد هذه النكبة وخرجوا بنتيجة قطعية: وهي أن المدن الكبيرة لا تصلح أن تكون مركزاً لحركتهم.

ترأس الحركة الاسماعيلية في منطقة الشام بعد تلك النكبات راشد الدين سنان<sup>(٣٨)</sup> الذي قام بنقل مقر عمله من حلب إلى قلعة مصياف وسمي بشيخ الجبل<sup>(٣٩)</sup>، وكانت مرتبته في الدعوة داعي دعاة ويلي في المقام: الداعية الكبير، ويلي: الداعية العادي، ويلي: الرفيق، وأخيراً الفداوية الذين اشتهروا بطاعاتهم العمياء في تنفيذ أوامر سيدهم شيخ الجبل<sup>(٤٠)</sup>.

وتاريخ الاسماعيلية في الشام هو تاريخ الاغتيالات التي قاموا بها ضد المؤسسات السنية

بصورة عامة « فلم يقاتل الحشيشية عادة الإثني عشرية أو الشيعة الآخرين ولم يدبروا سكاكينهم ضد النصارى أو اليهود المحليين »<sup>(٣٢)</sup> وهذا يؤدي إلى التساؤل عن حقيقة التعاون بين الاسماعيليين والفرنجة من جهة، وبينهم وبين اليهود من جهة ثانية، ومن الأدلة التي تثبت حقيقة التعاون مع الفرنجة أنه في سنة (١١٧٣/٥٦٩) أرسل راشد الدين سنان وفداً إلى أمليرك ملك بيت المقدس لعقد اتفاق بين الطرفين ضد نور الدين، ولوح له بأنه وقومه يفكرون بالتحويل نحو النصرانية، وطلب منه مقابل ذلك إلغاء الضريبة التي فرضتها فرسان الداوية من الفرنجة على بعض القرى الاسماعيلية، لأنه أدرك النتائج الإيجابية التي انطوى عليها ذلك الاتفاق، ولما عاد وفد الاسماعيليين من القدس سقط في كمين لفرسان الداوية دمر على أثره، مما أثار غضب أمليرك فبعث بكتاب توبيخ للجنة، وطلب من مقدم الداوية سجنهم، كما أرسل إلى سنان معتذراً وأعلمه أن الجناة نالوا عقابهم، وكان لهذا العمل أثره الطيب مما زاد في إبقاء العلاقات الطيبة بين الطرفين.

وبعد وفاة نور الدين تجدد الاتفاق المعقود بين الفرنجة والاسماعيليين على قتال صلاح الدين والقيام بانقلاب داخل القاهرة للاستيلاء بالحكم الأيوبي وإعادة الخلافة الفاطمية<sup>(٣٤)</sup> أما علاقة الاسماعيليين باليهود، فكما يبدو أن عدداً كبيراً من اليهود كان يعمل بين صفوف الحركة الاسماعيلية لخدمة أهدافها، وقد ذكر الرحالة اليهودي بنيامين الذي زار منطقة الشام حوالي سنة (١١٧٣/٥٦٩) بأنه كان يقيم بين الاسماعيليين في الشام نحو أربعة آلاف يهودي « يسكنون الجبال مثلهم ويرافقونهم في غزواتهم وحروبهم، وهم أشداء لا يقدر أحد على قتلهم، وبينهم العلماء التابعون لنفوذ رأس الجالوت بيقداً<sup>(٣٥)</sup>. وجد هؤلاء الاسماعيليون في صلاح الدين عدواً كبيراً لهم لأنه قضى على دولتهم الفاطمية في مصر، وتقدم إلى الشام لتحييده وضمه إلى مصر وبخاصة أنه من القادة السنين، ومن أجل ذلك قاموا وتعاونوا مع الفرنجة والزنكيين لأجل القضاء عليه، غير أن محاولاتهم فشلت، ففي سنة (١١٧٤/٥٧٠) راسل سعد الدين كمشتكين - تائب الملك الصالح بن نور الدين - راشد الدين سنان أثناء حصار صلاح الدين لحلب، وبذل له أموالاً كثيرة وعدداً من القرى ثمناً لقتل صلاح الدين<sup>(٣٦)</sup>، فأرسل سنان جماعة من فدائييه إلى المعسكر الأيوبي، فلما وصلوا رأهم أمير اسمه خمارتكين فعرفهم فقال

هم. «ما الذي أقدمكم وفي أي شيء جئتم، وكيف تجاسرتم على انوصول وما خشيتكم»<sup>(٣٧)</sup> فهجموا عليه وقتلوه، وحمل أحدهم على صلاح الدين لقتله فقتل دونه، وقاتل الباقون من الاسماعيلية حتى قتلوا جميعاً بعد أن قتلوا جماعة من العسكر الأيوبي<sup>(٣٨)</sup>.

أوضحت هذه المحاولة الخطيرة لاغتيال صلاح الدين أن له أعداء حقيقيين من غير الزنكيين ومن الصليبيين وانه يجب عليه أن يحسب لهم الحساب.

ولم يكتف مقدم الاسماعيلية بهذه المحاولات الفاشلة لقتل صلاح الدين فقد أرسل إليه في ٤ ذي القعدة سنة ٥٧١هـ/ ٢٢ أيار ١١٧٦م جماعة من أتباعه بزي الأجناد دخلوا بين العسكر الأيوبي وبأشروا الحرب معهم حتى أمتزجوا بهم انتظاراً لفرصة مواتية ليجهزوا على صلاح الدين فيقتلوه<sup>(٣٩)</sup>.

وفي أثناء محاصرة قلعة عزاز التي كانت أهم حصون حلب، تقدم صلاح الدين إلى خيمة الأمير جاوли الأسدي لتشجيع العسكر على مواصلة القتال، وفي أثناء ذلك قفز عليه أحد الاسماعيلية وضرب رأس صلاح الدين بسكين معه وكاد يقتله لولا المغفر الزرد الذي كان تحت قلنسوة الناصر وكان صلاح محترزاً «لا ينزع الزردية عن بدنه ولا صفائح الحديد من على رأسه»<sup>(٤٠)</sup> وأمسك السلطان بيد الملحد الباطني، ولم يستطع أن يحول دون ضرباته التي كانت موجهة إلى عنق الناصر المسمى بالكراعتد<sup>(٤١)</sup> ولما لم يستطع الباطني قتل السلطان مد بالسكينة إلى خد صلاح الدين فخدشه وجرى منه بعض قطرات من الدم، ونتيجة لذلك أسرع حرس السلطان لحمايته من الملاحدة.

ويخبرنا ابن واصل عن هذه المحاولة بقوله: «وأسرع مملوك السلطان وهو سيف الدين بازكوج وأمسك السكين بكفه فجرحه الباطني ولم يطلقها حتى قتل الباطني وجاء آخر - أي باطني آخر - فاعترضه الأمير داود بن متكلان الكردي فمنعه وجرحه الباطني في جنبه فمات وقتل الباطني وجاء آخر فعانقه الأمير علي بن أبي الفوارس وضمه من تحت أبطيه وبقيت يد



الباطني من ورائه لا يتمكن من الضرب ونادى علي: اقتلونني معه فقد قتلتني واذهب قوتي، فطعنه ناصر محمد بن شريكه وقتله وخرج آخر من الخيمة - أي باطني آخر كان في خيمة السلطان - منهزماً، فثار عليه أهل سوق العسكر فقتلوه<sup>(٤٢)</sup>.

ارتاع صلاح الدين لهذا الحادث وقد عاد إلى خيمته والدم يسيل على وجهه ثم استعرض جنده فمّن أنكره أبعدته ومن عرفه أقره، وبعد ذلك أخذ بالاحتراز الشديد حتى أنه ضرب حول خيمته «على مثال خشب الخركاه»<sup>(٤٣)</sup> وجلس في بيت الخشب وبرز للناس كالمحتجب ورغم هذا تابع حصار مدينة عزاز حتى سلمت له بكرة الاربعاء ١١ ذي الحجة من سنة (٥٧٢/١١٧٦)<sup>(٤٤)</sup>.

كان لهذه المحاولة الفاشلة والتي استهدفت قتل صلاح الدين صدى بالغ الأثر في نفوس العسكر الأيوبي، فقد توقف القتال بسببها ذلك اليوم، وهاج الناس واضطرب الجند حتى خاف بعضهم من بعض «فالجنات الحال إلى ركوب السلطان ليشاهده الناس فركب حتى سكن العسكر»<sup>(٤٥)</sup>.

نستدل من هذه المحاولة على أن الحركة الاسماعيلية كانت دقيقة ومنظمة وسرية في عملياتها الاغتيال، فبالرغم من وجود عدد من الاسماعيلية داخل العسكر الأيوبي غير المعروفين فإنهم إيهجموا على صلاح الدين جميعاً دفعة واحدة، وربما حقق أحدهم هدف مجيئهم فيظل الباقيون غير مكشوفين لتنفيذ مهمات أخرى، لذلك فلا داعي لاشتراكهم جميعاً في هذه العملية، ولما لم يحقق الباطني الأول الهدف هجم الثاني ثم الثالث.. وهكذا..

وقد ظلت الاسماعيلية مصدراً للانحلال السياسي والإجتماعي في بلاد الشام طيلة عصر الحروب الصليبية<sup>(٤٦)</sup> واتخذوا من الاغتيال السياسي والتصفية الجسدية مبدأ ساروا عليه لتحقيق أهدافهم في السيطرة على أجزاء من بلاد الشام وانهاك القوى السنية فيها، حتى أن السلطان صلاح الدين كان هدفاً لمحاولتين استهدفتا اغتياله ولكنه نجا من خناجرهم<sup>(٤٧)</sup>.



وبالمقابل قام صلاح الدين بالهجوم على قلاعهم وحصونهم الممتدة على طول صفحة جبل لبنان في ٢٠ محرم سنة (١١٧٦/٥٧٢م) بقصد خرابها وقتل الاسماعيلية فيها، وأهم تلك القلاع والحصون: القدموس<sup>(٥٨)</sup> والكهف<sup>(٥٩)</sup> ومصيف<sup>(٦٠)</sup> والعليقة والرصافي والمنيقة والقلعة والرصافة والخوابي وغيرها<sup>(٦١)</sup>. وقد تمكن صلاح الدين وعسكره من حصار بعضها ونصب عليها المجانيق الكبار ثم أوسع من بداخلها قتلاً وساق أبقارهم وخرب ديارهم<sup>(٦٢)</sup>. كذلك حاصر قلعة مصيف مركز زعيمهم وهي أعظم حصونهم ولكنه لم يتمكن من فتح قلعة مصيف التي قاومت الحصار اسبوعاً، والروايات التاريخية مختلفة فيما حدث ولماذا انسحب صلاح الدين منها قبل أن يتم فتحها - ومن الروايات التاريخية التي تذكر ذلك رواية المؤرخ الاسماعيلي أبو فراس جاء فيها: «ان صلاح الدين انسحب من مصيف خوفاً من سنان، وحفاظاً على حياته مما رآه وسمعه من الخوارج التي كان يقوم بها سنان ضده»<sup>(٦٣)</sup>.

وتذكر الروايات الاسماعيلية أيضاً أن صلاح الدين تبادل الرسائل مع سنان وطلب منه التسليم فرد سنان بالرفض فأجابه على الفور بأنه مستعد لقتاله، وفي الليلة نفسها أرسل إليه سنان أحد فدائييه فتمكن من دخول خيمة صلاح الدين ووضع له عند رأسه اشعاراً ينطوي على بعض التهديد<sup>(٦٤)</sup>، وفي الليلة التي أعقبتها ضرب صلاح الدين حول خيمته نطقاً من الحراس وأمر بنشر الطحين حواليتها، وفي الصباح وجد صلاح الدين سليماً وقد بدل محل مصابيح خيمته، علماً بأن أحداً، من الحراس لم يشاهد أي زائر من البشر يدخل إلى الخيمة، فاستولى على العساكر الرعب سيما وقد هبطت إليهم رسالة بواسطة سهم من مصيف جاء فيها: «ألا فاعلموا أننا نروح ونغدو كما كنا في السابق ولن توقعونا بحال من الأحوال»<sup>(٦٥)</sup>.

ومن الروايات الأخرى التي تذكر سبب مغادرة صلاح الدين مصيف ماجاء في الرواية التالية: «ما مد صلاح الدين سنان مع اثنين من مساعديه، وعندما أراد التقدم إليهم ببعض أمرائه للقبض عليهم وجدوا أنفسهم غير قادرين على التقدم، لقد سيطرت عليهم قوة مخدرة جردتهم من قدرتهم، وقد انزعج صلاح الدين مما حصل واعتقد أن هناك قوة خفية تعمل لصالح عدوه، لذلك طلب مصالحة سنان وكسب جانبه»<sup>(٦٦)</sup>.

ويبدو من هذه الروايات التاريخية أنها عن مقدرة سنان أنها ضعيفة وغير دقيقة بدليل أن الاسماعيلية حاولت اغتيال صلاح الدين أكثر من مرة ولم تفعل في مسعاها. ولو صح أنها ثكنت منه كما ذكرت هذه الروايات لاستطاعت قتله. وهناك رواية تاريخية أخرى تذكر «أن عسكر صلاح الدين لما قتلت الاسماعيلية وضربت ديارهم، شنع فيهم خاله شهاب الدين - صاحب حماه - إذ كان راشد الدين سنان قد راسله في ذلك لأنه من جيرانه، فقبل صلاح الدين شناعة خاله فيهم وترك حصار مصياف»<sup>(٢٦)</sup> في حين يذكر ابن الأثير في كتابه الكامل أن راشد الدين سنان لم يرسل شهاب الدين ويطلب منه التوسط لدى صلاح الدين بالكف عن حصار مصياف من باب الترجي أو التوسل إنما قال له: «إن لم تفعل قتلناك وجميع أهل صلاح الدين وأمرائه»<sup>(٢٨)</sup>.

ويستطرد ابن الأثير قائلاً: «ان العسكر الصلاحي ملّ من طول الانتظار لعدم التمكن من فتح مصياف، وكانت أيديهم مملوءة بالنائم التي كسبها من عسكر الموصل وبلد الاسماعيلية، فطلبوا العودة إلى بلادهم للاستراحة فأذن لهم صلاح الدين وسار هو إلى مصر»<sup>(٢٩)</sup> ولذلك انتهى حصار مصياف.

والحقيقة أن فشل حصار مصياف لم يكن لتهديدات سنان لصلاح الدين ولخاله شهاب الدين فحسب وإنما كان هدفه واضحاً للجميع وهو: توحيد الجبهة الإسلامية لمقاتلة الصليبيين وطردهم من البلاد المغتصبة، وخوفاً من هجوم الصليبيين على البلاد الإسلامية، ورغبة في عدم استنزاف المزيد من الوقت، وقد تحقق ذلك. فحين كان صلاح الدين محاصراً لمصياف أغار الفرنجة على بعض البقاع فخرج إليهم شمس الدين محمد بن عبد الملك ابن المقدم - متولي بلعك - فقتل منهم جماعة واسر أكثر من مائتين وأحضرهم إلى صلاح الدين في مصياف، فخاف أن يثور الفرنجة في الشام الأعلى وهو بعيد عنهم فصالح سنان وعاد إلى دمشق<sup>(٣٠)</sup>، وربما كانت وساطة شهاب الدين قد جاءت في الوقت الذي كان صلاح الدين عازماً على مصالحة الاسماعيلية.

وعلى كل فإن الصلح تم بين الاسماعيلية وصلاح الدين ويبدو أن صلاح الدين اتبع معهم سياسة حكيمة جعلهم يقفون على الحياد للتفرغ للصليبيين بعد أن قضى على الدولة الفاطمية، وعندما عقد صلاح الدين صلح الرملة سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م) اشترط عليهم دخول بلاد الاسماعيلية في شروط الصلح حتى لا يستخدمهم الفرنجة في مهاجمة أملاكه<sup>(١)</sup>. كذلك فإن الاسماعيلية رغبوا في الصلح قبل أن يسعى إليه صلاح الدين. لفشل محاولاتهم المتكررة لاغتياله، وعدم وجود قوة عسكرية اسماعيلية تتمكن من التصدي للقوات الأيوبية، لذلك فضلوا وقوف صلاح الدين على الحياد على أن يكون عدواً مباشراً، لهم وكان صلاح الدين يرغب بمصالحتهم لحصانة قلاعهم وتهديدهم لحياته وأمنه ورغبته في التفرغ إلى الجانب الأكثر خطورة على مستقبل سياسته ودولته، كانت تلك الخطورة متمثلة في تفكك الامارات الزنكية ورغبته بتوحيدها وضمها إليه أولاً والقضاء على الصليبيين في الشام وتحرير القدس ثانياً.



#### الهوامش :

- (١) برنارد لويس، أصول الاسماعيلية، نقله إلى العربية غنيل أحمد جلع ورفيقه ط. القاهرة، د، ت. ص ٩٥-٩٦.
- (٢) يوسف غوانم غلاة الشيعة الباطنية في بلاد الشام، ط. عمان، ١٩٨١، ص ٤١ محمد حبيب الدين سرور، مصر في عهد الدولة العاضية، ط. القاهرة، ١٩٦٠ ص ٤. كذلك أنظر هامتون أ. رحب، صلاح الدين الأيوبي، تحرير يوسف ابيش، ط بيروت، ١٩٨٣، ص ١٦.
- (٣) ميمون الفداح، مبارك بن جعفر، الفصل من عمر، حمدان بن أحمد، برنارد لويس، 'أصول الاسماعيلية، ص ١٠٧.
- (٤) سملاً: اطلق عليها فيما بعد اسم ومحمد أباده سنة اليه سرور، مصر في عهد الدولة العاضية، ص ٦-٦ وهي مدينة في شمال الهند. محطة اصطيف على سفوح هملابا، كانت عاصمة الهند الصفية. المنهل در الشرق، ط ٢٧، بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٦٦.
- (٥) فريد عبد الغدرد نوري، سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام وجنيرة، ط. بغداد، ١٩٧٦، ص ٣٦٤-٣٦٥.
- (٦) الفلفشندي ت (١٤١٨/٨٢١): أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله، صبح الأعشى في صناعة الاث، ط القاهرة، ١٣٣٨/١٣٣١، ج ١٣، ص ٢٤٥ كذلك أنظر 'توشامة ت (١٢٦٧ ٦٦٥): شهاب الدين بن محمد عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المغربي، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق محمد حمدي محمد أحمد، ط القاهرة، ١٩٥٦، ص ٥٢.
- (٧) هو الحسن بن علي بن محمد الحميري، ونذ في قم وكان كوالده من الشيعة الاثنى عشرية، عبره وقع تحت تأثير أحد دعة

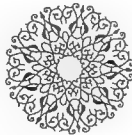
العضوية واسمه (عمر درة) وتقل على عهد من أمارة الاسعديّة. وكان رجلاً صريحاً يلب بإقامة دولة جديدة وفي رمضان سنة ٢٦٤ هـ - ١٠٧٢م ذهب إلى القاهرة عاصمة الدولة العضوية بعد أن عمل كوكيل لأس عتشر المدعي في مدينة صهيون مدة سنتين وقد تمكن من العودة إلى فارس ثم تسلم إلى قلعة الموت واحتلها وبعد تمكن اتاعه من السيطرة على عدد من نللاع حصينة في حال فارس مصطفى عتاش. علاه الاسعديّة. ط. بيروت، ١٩٦٤  
ص ٢٢٢-٢٢٨. فهد حماد محمد عاشور حماد النلسن في اقروب العضوية. الطبعة الأولى. بيروت ١٤٠١هـ/١٩٩١. ص ٦٨-٦٩.

- (٨) يمدني حوزي، من تزيخ الحركات الفكرية في الاسلام، ط. الامدلس، ١٩٢٨، ص ٥٢
- (٩) دريد نوري، سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام، ص ٣٣٦، محمد عبد المتاح تسيب، القرامطة اعراق. ط. القاهرة، ١٩٠٧، ص ١٨-١٩
- (١٠) ابن اخوري ت (٢٩٦-١٢٠١)، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، القرامطة تخنيق بحسب طبعه. ص. بيروت، ١٩٧٠، ص ٣٧.
- (١١) قرآن كريب، سورة الاعراف، آية ١٥٧.
- (١٢) من المعروف ان الاثنتين اسر بابلك وأتى به إلى سر من رأى ثم قتله. أنظر ابن الخوزي، القرامطة، ص ٤٩.
- (١٣) ابن اخوري، منذ انعمه أو تليس ابليلس، ط. بيروت، ١٩٦٨، ص ١٠٢ ثم القرامطة، ص ٤٩.
- (١٤) ابن اخوري، القرامطة، ص ٥٠
- (١٥) ابن اخوري، تليس، ابليلس، ص ١٠٢.
- (١٦) دريد نوري، سياسة صلاح الدين في مصر والشام، ص ٣٦٧.
- (١٧) عبد العزيز سلا، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ط. الاسكندرية ١٩٦٧، ص ٤٧٤، فليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ٢ ترجمة جورج حداد وكيال البازجي، ط. بيروت ١٩٥٨-١٩٥٩، ص ٢٤٥-٢٤٦، وليهم لانجر، موسوعة تاريخ الإسلام، أشرف على ترجمتها محمد مصطفى زياده ط. القاهرة، ١٩٥٩، ج ٢، ص ٩٥.
- (١٨) محمد كامل حسين، طائفة الاساعيلية، تاريخها، تنظيمها، ط. القاهرة د.ت، ص ٦٣. دريد نوري، سياسة صلاح الدين، ص ٣٧٠.
- (١٩) ابن جبير ت (٦١٥/١٢١٧): أبو الحسن محمد بن أحد الكناي الأندلسي، رحلة ابن جبير ط. بيروت ١٣٨٤/١٩٦٤.
- يوسف غوثه، غلاة الشيعة الباطنية في بلاد الشام، ص ٢٠.
- (٢٠) برنارد ليريس، الدعوة الاساعيلية الجديدة (الحشيشية)، نقله إلى العربية د. سبيل زكار، ط. بيروت، ١٩٧١، ص ١١٥.
- (٢١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (٢٢) جناح الدولة حسين صاحب حمص عمدا سنة (١١٠٢/١٩٦٦) إلى اغتياله حيث وثب عليه (ثلاثة نفر عجم من الباطنية) وقتلوه بالسكاكين. ابن الأثير ت (٦٣٠/١٢٣٣) أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، ج ٨، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦، ص ٤٩٥.
- (٢٣) صاحب حصن اقامية الذي استولى عليه الاساعيلية بعد مقتله. أنظر ابن القلانسي ت (٥٥٥/١١٦٠): أبو يعلى حمزة، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أمدروز، ط. القاهرة، ١٩٠٨، ص ١٤٩.
- (٢٤) ذكرت المصادر انه كان مجاهداً تقياً، قتله الاساعيلية بعد انتهائه من صلاة الجمعة في شهر ربيع الآخر سنة (٥٠٧/١١١٣) في دمشق، عندما كان عازماً على توحيد الجيوش الإسلامية لمحاربة الفرنجة، كسب مودة أهل بلاد الشام، حتى تبرأ قيادة المسلمين في الدفاع عن أراضيهم ضد الغزاة، غير أن الاساعيلية اغتالته لأنه مدد مصالحها. المصدر نفسه، ص ٢١٤.

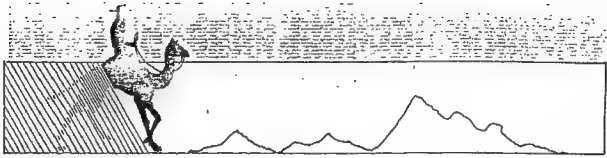
- (٢٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج ١٠، ص ٦٣٢.
- (٢٧) دريد نوري، سياسة صلاح الدين، ص ٣٧١.
- (٢٨) قدر عدد قتلاهم بستة آلاف، ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٦٥٧.
- (٢٩) من أماني عقد السودان (قرية قرب البصرة) ذهب إلى حصن الموت، وهناك أثبت جدارة وبناءة عقل، أرسله صاحب الموث إلى حصون الشام ليرغم قيادة الأساعيلية، قاتل السلطان نور الدين محمود في عدة معارك، توفي سنة (١١٩٣/٥٨٩).
- مزيداً من التفاصيل أنظر: ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٢٥، الياقوتي (١٣٦٦/٧٦٨): أبو محمد عبد الله بن أسعد مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج ٣، ط. حيدر أباد الدكن، ١٩٧٠، ص ٤٤٨.
- (٣٠) برنارد لويس، الحشيشة، ص ٢٠٧، كذلك صفحة ٢١٢.
- (٣١) Browne (Edward G): A Literary history of Persia Vol. II, Cambridge. 1951. p.209.
- (٣٢) برنارد لويس، الحشيشة، ص ١٥٣.
- (٣٣) Runciman (Steven): A history of the crusades Vol. II, London 1957. P.688.
- (٣٤) ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ٤١٢، قليب حتى، تاريخ سورية وفلسطين ج ٢، ص ٢٤٥ - ٣٤٦، عبد العزيز سالم، طرابلس الشام، في التاريخ الإسلامي، ص ٤٧٤، الأسكدرية، دار المعارف ١٩٦٧، يوسف غوانم، إمارة الكرك الأيوبية، ص ١٠٨.
- (٣٥) بنيامين ت (١١٧٣/٥٦٩): الربيع بن يونس التطيلي، رحلة بنيامين، ترجمة عن العبرية عزرا حداد، ط. بغداد، ١٩٤٥، ص ١٥٣ - ١٥٤.
- (٣٦) ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ٤١٩، أبو شامة ت (١٢٦٧/٦٦٥): شهاب الدين أبو محمد بن عبد الرحمن، الروصين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط. القاهرة، الكامل، ج ١١، ص ٤١٩.
- (٣٧) ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ٤١٩.
- (٣٨) ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ٤١٩ - كذلك أنظر ابن واصل ت (١٢٩٨/٦٩٧) جمال الدين بن سالم، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة، ١٩٥٧، ج ٢، ص ٢٦.
- (٣٩) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ١، ص ٢٤.
- (٤٠) المصدر نفسه والصفحة نفسها، كذلك أنظر البغدادي ت (١٢٥٤/٦٤٣): قوام الدين أبو علي بن محمد، سائق الشامي وهو مختصر لكتاب البرق الشامي للعباد الاصفهاني، تحقيق د. رمضان ششن، ط. بيروت، ١٩٧١، ج ١، ص ٢١٠.
- (٤١) الكراعتد: صفائح اخديدي. ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢، ص ٢٥.
- (٤٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢، ص ٤٤ - ٤٥.
- (٤٣) الحفرگاه: لفظ فارسي معناه نوع من الخبز يتكون من قطع خشب معقود بينها على شكل قبة ويقال انه أبيض قبة تركية ونقشها قطع من البلد السديري. سائق الشامي، ج ١، ص ٣١١ دريد نوري، سياسة صلاح الدين في مصر والشام، ص ٣٨٠ - ٣٨١ (الخامس رقم ٧).
- (٤٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢، ص ٤٥.
- (٤٥) اس كثرت (١٣٧٢هـ/١٧٧٤): عباد الدين بن أبي الفداء اسمعيل، البداية والنهاية، ج ١٢، ط. القاهرة، ١٩٣٣، ص ٢٩٣.
- (٤٦) برنارد لويس، الدعوة الاساعيلية الخديفة، ص ١٢٥.
- (٤٧) سعيد عبد الفتاح عشور، تاريخ الحركة الاساعيلية، ج ١، ط. القاهرة، ١٩١٥، ص ٥٤٦، يوسف غوانم، علاء الشحه

نصبة في بلاد الشام، ص ٣

- (٤٨) من لائبر، الكامل، ج ١، ص ٣٤٠ من كثير، البداية والنهاية ج ١٢، ص ٢٠٤
- (٤٩) كتاب الكيف والقدوس حصص من حصص شعبة لعدم طرابلس وهو حصص ميدان نصر عهدي  
(١١٣هـ/١٧٦٨م) عرس من حين من تاهين كتاب ردة كشف اسماء وبيان الطرق والاشاكت، ص ١ - ريس  
١١٩٣، ص ٤٨.
- (٥٠) مصعب، كان من اضع اخصر، وبلغ من تسجل شامي قرب مدينة طرابلس، تحفه سان مركزاً لحركته وقد سار  
عليه سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) حجة دورت عنه ومكية نصبت له، ودخلوا فيه وقتلوا صاحبه بملوك من مشد صر -  
شيز، مريدة من التفصيلات عفر، من لائبر، الكامل، ج ١١ ص ٣٩٩، سعيد عاشور الحركة الصليبية، ج ١،  
ص ٥٤٤ دريد نوري، سياسة صلاح الدين في مصر وبلاد الشام، ص ٣٨٢ (الخاتمة).
- (٥١) مراد لويس، ندوة لاسمعية جديدة، ص ١٣٥، من لائبر، الكامل، ج ٨، ص ٣٦٩
- (٥٢) من لائبر، الكامل، ج ١١ ص ٤٣٦
- (٥٣) من لائبر، الكامل، ج ١١ ص ٤٣٦، عده حي الحلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ط، بيروت، د ت ج ٤،  
ص ٢٩٤ - ٢٩٥ كذلك انظر -
- Runciman (Stevan). A history of the crusades Vol II, London, 1957, p.410
- دريد نوري، سياسة صلاح الدين ص ٣٧٣
- (٥٤) من العراق، شذرات الذهب، ج ٤ ص ٢٩٤ - ٢٩٥.
- (٥٥) هارولد لامب، شعلة الاسلام، ترجمة محمد عبدالله، ط، بغداد، ١٩٦٧، ص ٧١ - ٧٢.
- (٥٦) Rosebault (Charles J): Saladin prince of chistry, London 1930, pp.112-114.
- (٥٧) ابو شامة، الروضتين، ج ١ ص ٢٦١.
- (٥٨) من لائبر، الكامل، ج ١١، ص ٤٣٦.
- (٥٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٦٠) ابو شامة، الروضتين، ج ١، ص ٢٦١.
- (٦١) المصدر نفسه والصفحة نفسها، كذلك انظر يوسف غوانم، امارة الكرك الايوبية، عمان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٦٧.







## مع آخر رحالة أوروبى يعبر الجزيرة العربية على ظهر بعير

لخصها عن الانجليزية الأستاذ:  
السيد أحمد مرسى عباس

رحلة عالم النبات الدنمركي باركلي راونكاير  
عام ١٩١٢م الموافق ١٣٣٠هـ

آخر رحلة في قوافل الإبل يسجلها أوروبى في وقت لم يكن الملك عبد العزيز قد استكمل سيطرته بعد على جميع أرجاء الجزيرة العربية - وكانت حائل - بدعم من الأتراك - في حرب مستمرة ضده، وكانت الاحساء في قبضة الحامية التركية التي عملت على انتشار الفوضى وانعدام الأمن - لقد جاء هذا الأوروبى من الدنمرك مبعوثاً من الجمعية الجغرافية الدنمركية، لكي يبحث عن قاعدة لبعثة علمية دنمركية، تأتي لدراسة الصحراء الجنوبية الكبرى للجزيرة العربية، والتي كانت مجهولة تماماً في ذلك الوقت، وحصلت الجمعية على إذن الحكومة العثمانية بالذهاب إلى الاحساء وزودت مبعوثها الرحالة بالآلات اللازمة للمساحة وأجهزة التصوير، وأجهزة قياس الحرارة والضغط الجوي، وكذلك بإرشادات وتعليمات، تقضي بأن يذهب إلى البحرين ومنها إلى القطيف أو العقير، ومن هناك يسافر إلى الحفوف لدراسة واحة الاحساء ثم يتوغل غرباً وجنوباً بأقصى ما يستطيع لدراسة تلك المناطق.

وصل إلى القسطنطينية وركب قطار الأناضول حتى أنزل في قسنة على السطح الجنوبي لجبل بلحر. ثم ركب عربة إلى طرسوس ثم قصر مرسينا - أضنه حتى وصل إلى مرسينا ومنه أبحر إلى الإسكندرونه حيث استأجر عربة إلى حلب، ومنها في عربة أخرى إلى بغداد عن طريق وادي الفرات وأقام أسبوعين في بغداد استطاع خلالها تدبير خادم عربي مسيحي من الموصل يدعى حنا، سبق له الترحال في خدمة الأوروبيين في كردستان والعراق وإيران ولكنه اتخذ اسماً مستمراً - عليا - في صحبة الدفكري، وركب معه أحد بواخر شركة لينش العاملة في نهر الدجلة يوم ١٦ يناير ١٩١٢م في طريقها إلى البصرة.

وصل الرحالة البصرة يوم ٢٢ يناير وحظى بعناية حسن رضا باشا والي البصرة العثماني وأسبغ عليه حمايته، واشترك معه في وضع خطط الرحلة المقبلة - ولما كانت هناك ظروف سياسية خاصة في شرق الجزيرة العربية سببت متاعب جمة للأتراك في الأحساء فقد لزم إحداث تعديلات في الخطة الأصلية، فبدلاً من السفر إلى الأحساء عن طريق البحرين، بات لزاماً أن يسافر إلى الكويت معتمداً على التوصيات التركية، وأن يقنع حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح بالسماح له بالسفر جنوباً وبطريق البر إلى الأحساء وقد تم ترتيب كل شيء لهذه الغاية - ثم اتخذ زياً عربياً بناءً على نصيحة العديد من الناس.

غادر البصرة يوم ٢٧ يناير سنة ١٩١٢م (٦ صفر ١٣٣٠هـ) مزوداً بخطابات توصية، وجواز سفر تركي لاستخدامه في منطقة الأحساء - ووصل إلى الزبير، حيث حظى بكرم ضيافة الثري العربي عبد الوهاب المنديل وبهرته الزبير بطابعها العربي النجدي، إذ أن أغلب السكان من العرب النجادة وبخاصة العاملين في قوافل التجارة لأن الزبير ملتقى طرق القوافل من شرق ووسط الجزيرة العربية ويمر بها جميع مبعوثي الشيوخ العرب في طريقهم من وإلى حاكم البصرة التركي، ويتفرع منها طريقان هامين للقوافل أحدهما إلى الكويت حيث يتفرع إلى القطيف وإلى الزلفى والأخر يتخذ مساره في وادي الرمة إلى بريدة - فالزبير على اتصال دائم بنجد، والتأثير الوهابي واضح جداً إذ يلاحظ قلة عدد المقاهي وانخفاض عدد المدخنين بعكس البصرة تماماً.

وفي صباح اليوم التالي قام عبد الوهاب المنديل - ومن ماله الخاص - بتزويد الرحالة بالأرز والحبز واللحم وحملت الخيول واندفعت في طريقها إلى الكويت - وصلت القافلة الصغيرة إلى صفوان بعد الظهر حيث توجد قشلة تركية تضم عشرة جنود وهي آخر نقطة تحت الإدارة التركية، وبعد استراحة ملئت خلالها القرب بالماء استؤنفت الرحلة ثم توقفت عند الغروب لإعداد الطعام وإطلاق الخيول لترعى، ثم عاودت المسير حتى منتصف الليل وفي الصباح استؤنفت المسير مروراً بمضارب المتفق<sup>(١)</sup> على بعد ٢٠ كيلو متراً من الجهراء - وصلت القافلة إلى مدينة الجهراء واستراحات في ظل قلعة مبارك الطينية، ولفت الانظار مرور العرب المنتظم فرادى أو جماعات يسوقون دوابهم المحملة بالأثقال مما يدل على استتباب الأمن في هذه البقعة عما هو معتاد في الجزيرة العربية. وصلت القافلة أطراف الكويت بين الثامنة والتاسعة مساءً والمدينة نائمة ومضارب الخيام خارجها كثيرة وشاهد على وميض نيرانها السكان وهم جالسون يحسسون القهوة وكذلك الدواب الرابضة حولها - دخلت القافلة المدينة وأخذت تتحسس طريقها في الظلام حتى وصلت إلى قصر الشيخ مبارك وهو بناء شبيه بالقلعة يبلغ ارتفاعه بين ثمانية وعشرة أمتار يخترقه عمر ضيق كادت الخيول المحملة بالأمتعة تسده تماماً وامتلأ الممر بالرجال المسلحين ورفع بعضهم المشاعل والفوانيس وأخذوا خطابات التوصية الموجهة إلى مبارك وانتظرت القافلة بعض الوقت حتى عاد أحد رجال مبارك الثقات واسمه محمد. فسمح للقافلة بالمرور عبر بوابة منخفضة إلى ممر آخر مظلم بين صفين من الحراس المدججين بالسلاح، فوصلت إلى فناء تحيط به مجموعة مختلطة من الأبنية، حيث نزلت القافلة في إحداها وخصصت لها غرفة فرشت بالسجاد فوق الحصر الذي يغطي الأرض، ثم جاء عبد حبشي يحمل صينية مملوءة بصحاف اللبن والحبز والتمر وجاء معه محمد ليعبر عن الاعتذار نيابة عن الشيخ مبارك<sup>(٢)</sup> عن عدم تقديم وجبة كاملة لأن العشاء انتهى في الساعة السادسة - وأخذ محمد أثناء تناول الطعام - ومعه رجل آخر من رجال مبارك - مطران الدغركى بوابل من الأسئلة: من أنت؟ ومن أين أتيت؟ وإلى أين؟ أنت عميل للانجليز أو للألمان؟ لماذا نزلت ضيفاً على الشيخ ولم تنزل على الوكيل السياسي الانجليزي؟ (الكاتب شكسبير وقتئذ) وجميع هذه الأسئلة تجيب عليها خطابات التوصية.

وفي صباح اليوم الثاني استيقظ الدغمركي ورفيقه على صوت العبد الذي أحضر ضعام لافطار المكون من الشاي والخبز والعسل، ثم جاء محمد ليعلم أن الشيخ مبارك مستعد لاستقباله فذهب ورفيقه إلى الشيخ مروراً بقنطرة تصل بين السراى أو بيت الحكومة وبين قصر الشيخ - كان مبارك وهو شيخ في الثالثة والسبعين يجلس ونظره إلى البحر ويحيط به حرس من ستين رجلاً مسلحين جيداً. يجلسون على الأرض على مسافة ضئيلة منه بينما جلس الشيخ على كرسي ذي مسندين يرقب منظر الأوروبي القادم في زي عربي والذي ليس هو انجليزياً ولا ألمانياً، وإنما جاء في ظل الحماية الخاصة للحكومة التركية. واستقبل الشيخ ضيفه استقبلاً لافتاً وأخذ يوجه إليه أسئلة المنفعة بالشك وعدم الثقة. وكانت هي نفس أسئلة الأسس مع تكرارها، وخلصها حتى يقع الدغمركي في أي تناقض وخاصة من ناحية الأمور السياسية إذ لم يستطع أن يتجاهل مشاعره الودية حيال الأتراك وفي نفس الوقت عبر عن ميله نحو الانجليز مما بذر الشك في نفس مبارك - وانتهت المقابلة بأن وعده مبارك بأن يدبر له رجلاً من قبيلة العجمان ليأخذه إلى القطيف والخفوف ثم أصدر أوامره إلى محمد ليكون تحت إمرة الدغمركي في كل شيء وأن يصاحبه في التجوال في المدينة.

وكان قصر الشيخ مبارك مكوناً من ثلاثة أقسام أولها مقر إقامة الشيخ والحريم على مرتفع من الشاطيء وثانيها مساكن الحرس والخدم الذكور والعبيد ومنازل الضيوف على منحدر خلفي وثالثها السراى أو مبنى الحكومة فيقع على الشاطيء نفسه، وكان الشيخ يخرج كل صباح من جناحه إلى السراى حيث يقف على حراسته حوالي ٥٠ حارساً مدججين بالسلاح ويتخذ مقعده في الفرانده المواجهة للبحر حيث يقضى ساعة في إنجاز مراسلاته ويسمع الخطابات تقرأ عليه ويملى ردوده على السكرتير، وبعد الفراغ منها يغادر السراى في عربة سوداء تجرها خيول سوداء ذات أردية حريرية تحمله إلى أحد المنازل في السوق حيث يستقبل الزوار ويفصل في الأمور والقضايا؛ لأن الزيارات في القصر مقصورة على أهل الثقة والحظوة ويسير الحراس أمام العربة أما خلفها فيسير عبد ضخم فوق حصان أبيض ويحمل بندقية موزر جاهزة للإطلاق، ويخرج الموكب مخترقاً أطول شارع في السوق ويتوقف العمل لحظات لكي يسلم كل إنسان على الشيخ، وعند وصول العربة إلى مقر الشيخ في السوق يترجل إلى الدخل ويتنشر الحراس في

السوق ، وعند انتهاء الشيخ من أعماله في السوق يعود إلى القصر ليجلس في الفراشة حتى وقت الظهيرة وعند الغداء يسرع العبيد بصواني الطعام يتصاعد منها البخار، يلي ذلك هدوء قد يطول حتى العصر ينام خلاله الشيخ بل قد تنام المدينة بأكملها، ويصحو القصر على طرقات طحن القهوة في الهاون النحاسي وتعود الحركة ويستعد الجميع لخروج الشيخ من الحريم إلى السراى ويتخذ مجلسه على طنفسة في نهاية إحدى غرف الاستقبال بينما يتوافد الضيوف والوجهاء للسلام والتحية ويجلسون على الديوانيات المروضة على الجوانب ويدخل عبد أسود يحمل كمية من الفناجيل في يده اليسرى ودلة القهوة النحاسية المصنوعة في الاحساء في يده اليمنى ويوزع القهوة على الجميع بالترتيب - وبعد ساعة يخرج مبارك مرة أخرى إلى السوق ولا يعود إلا عند الغروب ويتناول العشاء بعد الصلاة مباشرة وعندما يحل الظلام يشعل الحراس النار عند الأبواب والأركان - وهكذا تمضي الأيام والليالي في قصر مبارك .

وموارد شيخ الكويت لا تأتي من الضرائب المباشرة، وإنما من مكوس الجمارك وإتاوات السوق فالسوق والميناء لها أهمية تجارية وسياسية وحجم المرفأ لا يتناسب مع حجم نشاط السفن فليس هناك سوى الزورق البخاري البريطاني الذي يلقي مراسيه على بعد نصف ميل من الشاطئ وتذهب إليه عشرة قوارب لتفريغ حمولته ويذهب مدير جمارك الشيخ على رأس هذه القوارب ولا يتم التفريغ إلا بإشرافه وعندما تعود القوارب تدخل البضائع في مستودعات الجمارك الملاصقة للسراى - ويوجد ثلاثة مدافع كبيرة يرجع تاريخها إلى عهد البرتغاليين عندما كانوا يمارسون التجارة والقرصنة في الخليج - وهذه المدافع قائمة بين مستودعات الجمارك والشاطئ، وتستخدم لإطلاق التحية في المناسبات الجديرة بالاحتفال كان آخرها عندما تلقى الشيخ وساماً تركياً عرفاناً بمعونه المادية للحكومة التركية، خلال حربها ضد إيطاليا في طرابلس ليبيا . والكويت غنية بالمرائب البحرية اللازمة لصيد اللؤلؤ في وقت الموسم وتستطيع تلك المراكب أن تصل إلى أماكن تعجز الزوارق البخارية عن ارتيادها وتملك الكويت حوالي ٥٠٠ مركب من ذلك النوع ويعمل في صيد اللؤلؤ ما بين ١٠ إلى ١٥ ألف رجل ولما كانت الكويت صغيرة ولا تستطيع توفير هذا العدد من الرجال الأشداء فقد أتى الكثيرون من وسط الجزيرة والعراق، ففي شهر ابريل مع وقت الموسم تصل قوافل الشباب

من واحات نجد إلى الساحل بعد رحلة خطيرة وشاقة في الصحاري ليعملوا في مهنة ليست خالية من الخطر، وبعيداً عن أوطانهم، ويعود كل منهم - بعد الموسم - بثوبين فقط وهو ثمن زهيد مقابل عمل في عرض البحر بين الصخور والشعب المرجانية تحت وطأة الحرارة الشديدة والرطوبة الحارقة والطعام المتواضع والأجر الأكثر تواضعاً.

لاحظ الرحالة أن الأمن مستتب تماماً في الكويت بخلاف باقي بلاد الخليج، وذلك لأن السلطة في يد رجل واحد يملك الإرادة والقوة لسحق أية معارضة ومن أجل ذلك لا يقتني أهل الكويت الأسلحة، وبالتالي فتجارة الأسلحة لا قيمة لها - والتجارة والملاحة في الكويت أيدي البريطانيين، وتمتلك حركة البواخر شركة الهند البريطانية للملاحة والتي تصل ببواخرها أسبوعياً وبدير الهند وكالتهها - ولا توجد حدود مرسومة للكويت، إلا عن طريق القبائل التي تعترف بسلطة مبارك. والسكان يتكونون من عنصري العرب والايرائين الوافدين من بوشهر وما حولها، ويتميزون بزيهم الخاص: السراويل البيضاء والمعطف الأزرق والعمامة السوداء، أما العرب فتجسد فيهم علامات الوهاية - والكويت أهم مدينة تجارية على الساحل الشرقي للجزيرة العربية، لأن أكبر قسم من تجارة داخل الجزيرة العربية يمر بالكويت - كما أنها مفتاح ما بين النهرين، ومفتاح وسط الجزيرة العربية؛ لأنها المدينة الوحيدة بين شط العرب ورأس مسندم، كما أنها دولة مستقلة وهي البقعة الوحيدة التي يصل عن طريقها سكان وسط الجزيرة العربية إلى البحر، لأن الاحساء يحتلها الأتراك، وفي الجنوب تمنع صحراء الربع الخالي الحركة التجارية - أما شمال الجزيرة وغربها فخاضعان للحكم التركي ويتجنب التجار المرور في الأراضي التركية، لأن السلطات التركية تمنع مرور الأسلحة وهي أدوات لازمة للقوافل لحماية نفسها من هجمات البادية وبذلك أثبتت الإدارة التركية حمايتها وتقرر نظرها - لذا كانت الكويت مركز تجمع العرب القادمين من داخل الجزيرة العربية، إذ يمكنهم الوصول إليها بدون أن يتحرقش بهم أحد، أو يسألمهم عما في حوزتهم من أسلحة وذلك يرجع إلى سلطة شيخ الكويت القوية. والسوق في الكويت ليس مجرد مكان لممارسة التجارة، وإنما نقطة انطلاق القوافل فعندما توشك قافلة على الرحيل يبدأ أصحاب الإبل ودوابهم في التجمع في الجزء



أخبرني من السوق والذي يؤدي إلى الصحراء. ثم يأتي التجار ببالات السلع التي ستحمل إلى داخل جزيرة العربية - ويستقبل السوق البدو القادمين من الداخل لبيع إنتاجهم من الأغنام والخرنوب وشراء ما يلزمهم من المواد الأخرى - وقد عين الشيخ مبارك رجلاً يقوم بجباية بضرب عن كل حيوان يباع في السوق مثل ٤,٥ آنة عن كل خروف ومن روبية إلى أربع روبيات عن كل حمار حسب الحجم ونسبة ١٠٪ من ثمن كل بعير سواء كان بعير ركوب أو بعير نقل - ويجاور السوق الكبير سوق آخر للفحم المجلوب من إيران، وعلى مقربة منه يوجد في الشارع الرئيسي دكان لبيع الانجيل وهو تابع للإرسالية الأمريكية، يعرض طبعات عربية من الإنجيلات المسيحية ونادراً ما يصادف أن يعبر إنسان عربي عتبة هذا الدكان، ويقع أكبر مسجد في الكويت على الجانب الأيسر من الشارع المتفرع من السوق وعلى منتصف الطريق إلى السراي، وتوجد مساجد أخرى أصغر في جميع أرجاء المدينة، وتقع وكالة البواخر الانجليزية في شارع ينحرف يمينا من الشارع الرئيسي المؤدي إلى السراي، وكذلك تقع الإرسالية الأمريكية في هذا الشارع، وهي بناء جيد كان يشغله مبارك قبل أن يحوز السلطة والثروة التي لديه الآن، أما البيوت فهي من طابق واحد مبنية من الطين الجاف وشبابيكها لا تطل على الشوارع وأبوابها مغلقة.

كان الشيخ مبارك قد وعد الرحالة بتدبير رجل من قبيلة العجمان ليأخذه إلى القطيف ولكنه عاد وقال له إنه بات مستحيلاً العثور على مثل ذلك الرجل ونصحه بركوب القارب البريطاني إلى البحرين، فطلب الدغمكي أن يأذن له بالسفر في صحبة القافلة المسافرة إلى بريدة ثم إلى الرياض والنفوف، فوافق الشيخ على الاذن له بالسفر، وأمكن من خلال مساعي الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الكابتن و. هـ. شكسبير أن يتفق مع عبد العزيز بن عثمان (ابن أمير الزلفي السابق) على أن يرافق الدغمكي في رحلته من الكويت إلى بريدة ثم عنيزة فالرياض فالنفوف فالعقير، وعلى أن يضع تحت إمرته ستة جمال لنقله وخادمه على وأمتعتهم، وتم الاتفاق على الأجر وقام الشيخ مبارك من جانبه بتزويد الدغمكي بأقوى خطابات التوصية الموجهة إلى بريدة وإلى ابن سعود في الرياض وأصبح كل شيء جاهزاً للرحيل.

وخلال الانتظار الذي دام أياماً طويلة حتى تسافر القافلة أخذ يمضي وقته في السوق يتحدث إلى البدو ورجال القوافل ويحاول جمع المعلومات عن الكويت والأراضي الداخلية في الجزيرة العربية، ولم يفز بما يشفى غليله، فأخذ يصيغ أسئلته بأسلوب يبتز به المعلومة من زلة لسان المواطن الموجه إليه السؤال - وكان يوجد أعداد غفيرة من أبناء داخل الجزيرة العربية في السوق وفي داخل قصر مبارك، الأمر الذي زاد معلوماته بل كان يوجد مجموعة رجال من طرف ابن الرشيد أمير حائل كانوا قد حضروا معهم رجل مريض كي يعالج في المستشفى الإرسالي الأمريكي بعد أن حملوه مئات الأميال عبر جبال ورمال وانتظروا بضعة أيام في الكويت دون أن يشفى فعادوا به - كذلك نزل في قصر مبارك تاجر لؤلؤ بحريني يدعى جعفر، جاء خصيصاً ليبحث عن زوجة جديدة ولما كانت غرفة الدفكري مجاورة لغرفة البحريني فقد أحاط الأول بكل تفاصيل مفاوضات اختيار العروس وكانت مدار الحديث في جلسة السمر في المساء أثناء شرب القهوة.

وفجأة - أصيب الدفكري بمرض وانتشر الخبر - فجاء عبد العزيز بن عثمان (الذي سيرافقه بجماله في الرحلة) ليخبره أنه إذا تسبب في تعطيل القافلة عن السفر بسبب المرض فعليه أن يدفع جميع نفقات القافلة المثلثة في علف البعير وأجرة الجمالين طوال فترة الانتظار - ولكن الرحالة الأوروبي أجابه: إنه سعيد للغاية أن يسمع أن القافلة جاهزة للرحيل - وإن كانت لم ترحل فعلاً إلا بعد أسبوع حيث استرد الرحالة صحته وقوته.

أزفت لحظة الرحيل صباح يوم ٢٤ فبراير ١٩١٢ م (٦ ربيع الأول ١٣٣٠هـ) وقام بتوديع الشيخ المضياف مبارك وحملت الأمتعة على الجمال في فناء القصر وسارت حتى الجزء الجنوبي الغربي من السوق حيث مكان تجمع القافلة - سارت القافلة لمدة نصف ساعة في اتجاه الجنوب ثم توقفت لدى مجموعة من الآبار ثم عادت إلى المسير واستأذن عبد العزيز في العودة إلى الكويت بحجة أنه نسي أن يشتري ملحقاً للرحلة ولكي يودع زوجته على أن يعود في المساء - وفي صباح اليوم التالي تحركت القافلة نحو قرعة الكويت ومنها إلى تلال معدنيات وتوقفت في الساعة ٤٠، ١٠ حتى يصل باقي القافلة وفي اليوم التالي بدأ وصول أعراب مع جمالهم من



الكويت ليلحقوا بالقافلة ولم يعد عبد العزيز وفي وقت العصر وصل رجل موفد من الدويش زعيم قبيلة معطير يطالب بأن تدفع القافلة ريالاً عن كل بعير كضريبة مقابل السماح للقافلة بالمرور في أراضي القبيلة التي تسيطر على جميع الآبار الواقعة بين الكويت والزلفي وبدأت المفاوضات بين المطيري ورجال القافلة صاحبة نظراً لارتفاع القيمة المطلوبة دون الوصول إلى شيء - ظلت القافلة في مكانها حتى وصل كل أفرادها - وهم ٥٠ رجلاً يصحبون مائة بعير - وأخيراً عاد عبد العزيز بعد غروب يوم ٢٨ فبراير (١٠ ربيع الأول) في هيئة المحارب المستعد بحمل بندقية مارتنيني وسيفاً.

سارت القافلة في اليوم التالي في الاتجاه الجنوبي الغربي حتى بئر الطويل حيث ملئت القرب بالمياه استعداداً لمسيرة ستة أيام قادمة تنعدم فيها المياه - حتى الوصول إلى بئر الصفا، وقد استمر ملء الجلود حتى الليل وقبل شروق شمس اليوم التالي بساعتين أوقظت القافلة على صباح وضجيج إذا اختفت مجموعة من الخيول الواردة من العراق وهي في طريقها إلى نجد حيث تباع بأثمان مرتفعة إذ انشغل أصحابها بملء القرب وشرب القهوة والمسامرة وأهملوا حراسة خيولهم بل لم يفكروا في تقييدها فانتهزت الخيول الفرصة وهربت ربما في اتجاه الكويت فهرع رُكبة الجمال في كل الاتجاهات فوراً وأمكن استعادة الخيول بعد عدة ساعات.

ازدادت حدة المطيري في مطالبته بالضريبة وأخذ يؤكد كلماته بإثارة تراب الأرض بعصاه في وجه الرجال حوله، ولكن عبد العزيز قرر وضع حد لهذا النقاش بأن رفع بندقيته إلى رأس المطيري وأعلنه أنه سوف يطلق النار إذا استمر في كلامه - كانت عملية مسرحية ولكنها أفادت. كان رجال القافلة يكررون أسئلتهم للدعركي: من أنت؟ وإلى أين؟ البعض يظن أنه إنجليزي والآخرين يؤكدون أنه عثمانلي أو فرنساوي أو موسكوي - وهذا كله لم يهم - بل المهم كلمة «نصراني» مما أدى إلى صعوبة القيام بأي عمل علمي يستخدم فيه الأجهزة العلمية نظراً لتأثيرها المؤلم على رفاق السفر.

ولما كانت القافلة متوجهة إلى بريدة فسوف يتفرق أعضاؤها كل حسب وجهته، ففريق

سيذهب إلى عنيزة وفريق إلى الزلفي وبعض التجار إلى شقراء.

وصلت القافلة إلى بئر أم قادر الناضبة يوم ٢ مارس (١٢ ربيع الأول) ثم إلى قرعا يوم ٣ مارس ثم قارة يوم ٤ مارس حيث الأرض غنية بالكمأة (نبات الفقع) وجمعت كميات كبيرة منه لطعام القافلة وأخذ خادم الدغمركي يطبخ له الفقع بالكاري مما أدى إلى استهلاك كمية الفحم التي اشتراها من الكويت، فلجأ إلى بعر الجبال كوقود ولكن البعر لا يصلح لإنضاج الخبز - وكانت عادة القافلة أثناء إناخة الاستراحة أن تطلق الإبل لترعى في حراسة الرجال وبعد صلاة المغرب تقدم وجبة الطعام الرئيسية وتعود الإبل إلى وسط المخيم وتنتخ فوق الأرض وتربط الساق الأمامية لكل بعير حتى لا يقوى على النهوض أو الفرار، وترتب السروج حول المخيم ويصطف الحراس من رجال القافلة خلفها طوال الليل - وفي ليلة ٢٤ مارس نذت صيحة وتلاها ضجيج طويل وهول كل انسان هنا وهناك بلا هدف أو غرض، فهذا أمسك ببندقية، ولكنه نسي الذخيرة والآخر أمسك الذخيرة وليس لديه بندقية ولم يتضح سبب هذه الفوضى، فقد توهم الحراس شيئاً قد يكون هجوماً وتبين أخيراً أن جماعة من الركبان خرجوا من الظلام أوضحوا أنهم بادية من مخيم مجاور.

استؤنف السير يوم ٥ مارس في اتجاه جنوبي غربي قاره وانضم الركبان الجدد إلى القافلة، ولكنهم حرصوا على السير على مسافة بعيدة من الجناح الأيمن، وفي السبعان توقفت وقبل الغروب بساعة وصلت أنباء قدوم راكب نحوهم كما شوهد بدو في الجنوب فأسرع كل فرد إلى سلاحه ووسط الاضطراب ركب ثمانية من أنشط الرجال خيولهم غير المسروجة وانطلقوا بأقصى سرعة - ومن بينهم الهمام عبدالعزيز - وعاد الرجال بعد الغروب سالمين بعد أن تبينوا أنه بدوى من الجنوب من قبيلة مطير وليس لديه نية عدوان - تركت القافلة السبعان يوم ٦ مارس ووصلت الدبدبة الغنية بالفقع فتوقفت وضربت الخيام وانسحب الركبان الجدد إلى اليمين مواصلين سيرهم إلى الصفا مما أثار شكوك عبد العزيز فقد فكر أنهم قد سارعوا إلى الصفا بعد أن اطلعوا على قوة القافلة ليلغوا بنى قبيلتهم هناك، فأسرع رجال على الخيول عديمة السروج واختفوا في الصحراء في أثرهم وبعد ساعات عادوا يسوقونهم إلى المخيم وتوجب على كل فرد في القافلة أن

يراقبهم وأن يرعى كل شيء قابل للسرقة كما وضعت حراسة على الخيول.

غادرت القافلة الدبدبة يوم ٧ مارس مع إحكام الملاحظة على الأغراب وقام تجار الخيول بقيد خيولهم إلى سروج جماعهم وتركوا حصانين يرعيان وفجأة قفز رجل على ظهر أحدهما وهمز به لينطلق بأقصى سرعة - إنه المطيري المطالب بالضريبة أراد الفرار وفي نفس الوقت يغوز بحصان فصدرت صيحة فزع عن صاحب الحصان اخترقت القافلة من أقصاها إلى أقصاها فأخذ راكبو الجمال يطلقون الرصاص لعل طريق الحرب وومضت طلقات البنادق في كل الاتجاهات فجمح الحصان وتقهقر ورمى بالمطيري من فوق ظهره ليستط على الشجيرات.

وصلت القافلة إلى بئر الصفا وتوقفت وانهارت الخيول على الحشائش النابتة حول البئر بشبه وعينت الحراسة على المرتفعات المحيطة بالوادي الذي يقع فيه البئر ورغم هذه الاحتياطات الأمنية فقد ساد القلق وترددت كلمة «جم» أي أتى المهاجمون وجرى ملء القرب بالماء، والرجال يغنون والنيران مشتتة لإعداد القهوة - وفجأة يقف رجل فوق صخرة إلى الجنوب الشرقي وسرت صيحة خوف التقطها الحراس القريبون والبعيدون وفي لحظة هروا الجميع ناحية البئر في اندفاع عنيف وتوقف الغناء، وعلت صيحات الذعر من فم إلى آخر تنقل أخبار قدوم جماعة من الركبان من الجنوب الشرقي وجرى الرجال هنا وهناك بحثاً عن أسلحتهم وصعدوا إلى المرتفعات يحتلونها، وأثناء ذلك وصل قائد الجماعة المقبلة إلى الصخرة راكباً بعيره وفور إلقاء نظراته على أعراب القافلة وهم يجرون في اتجاهه نزع عباءته وأخذ يلوح بها عالياً فوق رأسه علامة أن القادمين ليسوا أعداء - لقد كان هؤلاء الركبان أربعة رجال بعثهم الإمام في الرياض إلى الشيخ مبارك في الكويت وإلى والي البصرة وإلى أمير حائل الذي يشعل الحرب القبلية في صحراء الهجرة شمال بئر الحفر - نزل القادمون إلى البئر وأناخوا وربطوا مطاياهم ووضع قائدهم سيفه على الأرض وجلس وتحلق حوله رجال القافلة تشوقاً لسماع الأخبار، وتم تحرير الخطابات وقدمت كميات ضخمة من التمر والقهوة وبعد ساعة رحل الركبان بعد أن انقسموا إلى جماعتين: إحداها اتجهت إلى الحفر، والأخرى ذهبت إلى الكويت.

خرجت القافلة من وادي الصفا إلى وادي شيري ثم خيمت في وادي جو الثور وهنا استأذن المطيري في الذهاب، واختفى في الفلاة يحمل الضربة التي جمعها من القافلة ومرتبداً ثوباً جديداً وتنفست القافلة الصعداء أن تخلصت منه - وفي يوم ١٠ مارس وصلت القافلة إلى الحد الفاصل بين الصهان ورمال الدهناء، فأناخت وتبين ضياع جمل أخذوا في البحث عنه طوال الليل، وفي الصباح تحركت داخل الصحراء الرملية الحقيقية والكتبان العريضة وصلت القافلة إلى الارطاوية يوم ١٢ مارس (٢٣ ربيع الأول) وأعلن ركبان الاستكشاف الذين يتقدمون القافلة عن تواجد أغراب لدى بئر الارطاوية فأسرع الباقون يشرعون أسلحتهم ويصيحون مما جعل الأغراب يفرون من عند البئر تاركين بعض الحمير فأخذت القافلة تلك الحمير معها لعلها تجد أصحابها في الزلفي - وفي اليوم التالي انفصل الفريق المتوجه إلى شقراء عن القافلة بينما استمر الباقون إلى وادي السبلة حيث توقفوا - وعند الغروب هبط اثنان من المراقبين يعلنان عن تواجد شيء يتحرك في السبلة فأمسك الدغركي منظاره وبندقيته وصعد إلى قمة أقرب تل وشاهد شيئاً قائماً يزحف على سهل السبلة وفي اتجاه القافلة ولكن هذا الشيء بدأ يتفرق إلى عدة أشياء منفصلة فعرف أنه عبارة عن ٢٣ بعيراً فأسرع رجال القافلة يسوقون الجبال إلى داخل المخيم وانتشر حملة البنادق وسط الوادي استعداداً للقتال واقترب الغرباء وصعدوا الصخور المحيطة بالوادي وخفتت الصيحات ترقباً لأول رصاصة تطلق، وبرز أول بعير للقاديين وبمجرد أن أبصر رجال القافلة المسلحين وبنادقهم مصوبة تجاهه حتى نزع عبائه ولوح بها فوق رأسه علامة السلام ووصل القادمون بأكملهم وجرى إعداد القهوة ولكن مظهرهم لا يبعث على الاطمئنان إذ أنهم يحملون أثقالاً وليس معهم عائلات ومسلحون جيداً ويصبحون قطعاً من الإبل الشابة السمينة غير المرسجة إلى جانب الإبل التي يركبونها - كل هذا يعني أن القافلة التقت بواحد من أعنى قادة الغزو القادمين من جنوبي عينة والعائدين إلى بلادهم بعد حملة غزو في الدهناء حيث استولوا على هذا القطيع الرائع من الجبال واستشعر الدغركي الخطر لأن القافلة نقص عدد رجالها بانفصال رجال شقراء صباح نفس اليوم وكذلك غياب القيادة القوية بغياب عبد العزيز الذي سبق إلى الزلفي لزيارة إحدى زوجاته المقيمة هناك - لم يمض وقت طويل حتى بدأ الهياج يتحول إلى شجار بين أحد المصوص من قبيلة مطير

وأحد رجال القافلة وهو من عتية بسبب نقاش حول أي القبيلتين تملك الغزاة الأقوى وحول عدد الأنعام المسروقة في العام الماضي من مكان إلى آخر، وتطور النقاش إلى المفاضلة بين لاغتيال وسرقة الأغنام وتفرع إلى أمور أخرى مثل معارك العام الماضي بين القبائل، أو بتفسير أدق قضايا الدين ونشطت القرائح وجلجلت الأصوات عالية متحشجة مصحوبة بإشهار البنادق، وكادت تنشب معركة لولا أن عاد زعيم اللصوص إلى رشده وعاد الفريقان إلى شرب القهوة، ومضى الليل في سلام مع تشديد الحراسة اليقظة.

استأنفت القافلة مسيرتها يوم ١٤ مارس (٢٥ ربيع أول) وانفصل عنها من يريد طريق بريدة واستمر الباقون إلى الزلفي لكي ينزلوا ضيوفاً على عبد العزيز قائد القافلة الذي سبق إليها في اليوم السابق ، وتم قضاء الليل في منزل عبد العزيز - وفي صباح اليوم التالي تحركت القافلة إلى وادي نقرة سلطان، ثم بستان الحامدية، ثم إلى الصحراء مرة ثانية حتى وصلت إلى واحة الشامية حيث توقفت لسقي الإبل وملء القرب من البئر.

وفي يوم ١٠ مارس دخلت القافلة وادي الرمة، ليتجه فريق من القافلة نحو عنيزة ويستمر الباقون في اتجاه بريده، ولدى اقترابها من بوابة المدينة جاء أحد رجال أمير بريدة ليقودها. لقد نقل رجال القافلة الذين سبقوا إلى المدينة أنباء وجود نصراني في القافلة فاثارت استفزازاً ضخماً في المدينة، حتى هرع بعض المتمرئين إلى أسلحتهم لولا أمير بريدة الذي يعلم جيداً أن الرحالة يسافر في حماية أمير الكويت وفي حوزته خطابات توصية إلى جميع أمراء نجد.

نزل الدغركي ومعه عبد العزيز وعلى في ضيافته الأمير في القلعة، وخصصت لهم غرفة في مكان الضيافة شاركهما فيها رجل من طرف الأمير يدعى فهداً لحراستها ومراقبتها في نفس الوقت - ثم جاء مطوع الأمير - أو مستشاره الديني - واسمه مبارك - وحياهم بأدب جم وطلب من على أن يخرج معه، وبعد برهة عاد ليعلم أن الأمير يريد مقابلتها فخرجوا إلى

السرائي ومنها إلى قاعة اجتماعات الأمير حيث أخذوا مجلسهم إلى جواره على الأرض المقروشة بالحصر والسجاجيد - كان الأمير فهد بن معمر رجلاً متوسط العمر لا يميزه عن الآخرين أي شيء - أخذ يسأل الدغمكي: من أنت؟ من أين أتيت؟ ولماذا أتيت إلى نجد؟ هل معك أية كتب؟ هل أنت انجليزي؟ هل تعرف والي البصرة؟ هل تلتقط صوراً فوتوغرافية؟ هل أنت طبيب؟ هل تجمع أحجاراً أو نباتات من البلاد؟ ماذا تبغى من ابن سعود؟ هل كنت في مكان ما هنا في القصيم حيث يوجد الذهب، هل تدون مذكرات في مفكرة؟ كم لبثت مع مبارك؟ ما اسم المكان الذي يوجد فيه الذهب في القصيم؟ كيف تجرؤ على الحضور إلى بريدة؟ لا يأتي نصراني إلى هنا - فمن أرسلك؟ وغير ذلك واستمر الأمير في أسئلته وقتاً طويلاً يغيرها ويخلطها ويعدلها لعل الدغمكي يقع في أي تناقض - ويبدو أنه لم يفتح رسالة مبارك التي توصيه به خيراً - ثم تحول الحديث إلى موضوعات أخرى فاستفسر عن الرحلة وخطتها فلما علم أن الدغمكي يرغب في الذهاب إلى عنيزة ثم الرياض ومنها إلى الأحساء اعترض قائلاً إنه لن يسمح بذلك، وعليه أن يعود إلى الكويت من حيث أتى فأخبره الدغمكي أن الأمر سيكون على مسئوليته شخصياً إذا خالف مباركاً أو ابن سعود ثم أطلعه على الرسائل التي معه والموجهة إلى الرياض - ثم سأله عما إذا كان يحمل رسالة إلى أمير عنيزة فأجاب بالنفي فوعده بإعطائه خطاباً يقدمه لهذا الأمير - ثم أخذ الأمير يستفسر عن أخبار الحرب التركية الإيطالية في طرابلس (ليبيا) ثم سأل عليها عن مجريات الأمور في بغداد وأعطاه مجموعة من الجرائد العربية المطبوعة في القسطنطينية والتي تصل بانتظام إلى بريدة عن طريق المدينة، لأن الأمير مشترك فيها - ثم أخذهم فهد إلى حيث تناولوا الطعام فوق سطح القصر في صحبة رجلين من رجال الأمير ثم عادوا بصحبة فهد إلى غرفتهم.

وفي منتصف الليل جاء مبارك مطويع الأمير يسأل عليا عما إذا كان الدغمكي يحمل هدية للأمير - وكان الدغمكي قد تناقش مع أمير الكويت في هذا الموضوع ولكن حاكم الكويت أخبره أنه ضيف نفسه - أي ضيف حاكم الكويت وضيف ابن سعود وليس شيوخ نجد من ييمون كرم ضيافتهم بالهدايا - غير أن أمير بريدة له رأي آخر في هذه المسألة - وتقدم

الدغمركي مسدساً وذخيرة للمطوع مبارك ليوصلها إلى الأمير ولكن الأمير رفض قبوله بحجة أنه مسدس رديء وغير مزخرف فلا يستحق أن يكون هدية لأمر بريدة وتمت ترضية الأمير بإهدائه المتظار الذي كان الدغمركي بنوي أن يعطيه لأمر عنيزة (والذي أرسل يعلن رفضه دخول الدغمركي أرض بلاده).

كلف الأمير فهذا أن يصحب الدغمركي ورجاله إلى الرياض، وفي صباح ١٧ مارس (٢٨ ربيع الأول) تجهزت القافلة الصغيرة للسفر وقام الدغمركي وعلى بوداع الأمير وخرجت الجمال إلى الصحراء وفي صحبتهم بعض رجال من أهل الزلفي العائدين إلى بلدتهم بعد أن اشترى بعض الأشياء التي لا تباع عندهم مثل روافع سحب المياه - خرجت القافلة إلى وادي الرمة وحرص الدغمركي على التقاط بعض الصور بالكاميرا المخبأة تحت العباءة وفجأة هبت ريح رفعت طرف العباءة حيث توجد الكاميرا فومضت أجزاءها اللامعة في ضوء الشمس مما أثار دهشة أهل القافلة بل وهياجهم. واحتد النقاش بين الرجال حول أيسر الطرق الموصلة إلى الزلفي سالمين وزاد عناء رفاق الدغمركي - على وعبد العزيز - أن فهذا استطاع أن يكشف نقاط الضعف لديها فالأول مسيحي متكرر في اسم مسلم والثاني كان قد قتل أحد رجال ابن سعود منذ عدة سنوات فأخذ يبذل كل ما في استطاعته ليحطم روحها المعنوية وخاصة عبد العزيز إذ ينتهز كل فرصة ويسأله عما ينتظره عندما يصل إلى الرياض ويقول لعل إنه لا يعرف ماذا سيحدث له في الرياض. وأثناء السفر في الصحراء اختفى فهذا فجأة فزاد قلق عبد العزيز وعلى وأخذ يلحان على الدغمركي أن يلغى رحلته إلى الرياض ولكنه رفض وعندما وصلوا الشاسية ليلاً وجدوا فهذا هناك وأمضوا الليل فيها بعد أن جلب فهذا أرزاً ولحماً من لدى أميرها - وفي الصباح استأنفوا السير حتى الزلفي حيث نزلوا في بيت عبد العزيز وكانت فرصة للدغمركي لإعادة ترتيب المتاع: المذكرات اليومية والرسومات والخرائط والكاميرا فقد وزع هذه الأدوات في حقيبتين (خارجين) منفصلتين ليحملا فوق بعيره الذي يركبه حتى يضمن عدم ضياعها - ذهب عبد العزيز يطلب حراساً من أمير الزلفي يصحبونهم إلى الغاط، ولكن الأمير رفض - غادرت القافلة الزلفي يوم ٢١ مارس (٢ ربيع الثاني) متجهين جنوباً وأثناء السير

لمحوا شخصين يركبان نحوهم فتوقفوا يترقبون ظهور آخرين ولما لم يظهر أحد ذهب فهد ليقابلها فسلمها خطاباً ثم عادا أدراجهما، لقد كان الخطاب من أمير الغاط يأمر عبد العزيز ومن معه بألا يأتوا إلى الغاط وإذا أصروا على الذهاب فعليهم تحمل ما قد يحدث ولكن القافلة مضطرة إلى اللجوء إلى الغاط نظراً لنفاد الماء فنهض فهد وقد أحسّ بخطورة الموقف وذهب ليجهز لدخولهم الغاط وأثناء غيابه تمرد على وعبد العزيز على الدغركي وأصرّا على عدم الذهاب إلى الرياض واقترح عبد العزيز العودة إلى الكويت ثم يرسل رسالة من هناك إلى الرياض يستفسر عن إمكان السماح لهم بالقدوم إليها، فإذا وصل الإذن سافروا من هناك، ولكن الدغركي لم يعط موافقته النهائية على ذلك وأخذ يسوّف كسباً للوقت حتى يتم اجتياز المجمعَة وبعدها يستطيع أن يقرر إما أن يتوجه من المجمعَة إلى الصفا أو يخترق الصحراء إلى الأحساء.

وصلت القافلة إلى خارج الغاط مباشرة، حيث كان فهد في انتظارهم وضربت الخيام وزودهم الأمير بالطعام وفي اليوم التالي غادروا الغاط إلى جبل طويق ومنها إلى الروضة ولما أصبحوا على مشارف المجمعَة تقدم فهد ليجهز لاستقبالهم - نزلوا في منزل للأمير ملاصق لسور البلدة وزارهم الأمير عبدالله بن عسكر الذي أخذ يتحدث مع فهد حول الأمن في الطريق لأن رجلين قتلًا منذ يومين بين المجمعَة وجلاجل.

غادرت القافلة المجمعَة يوم ٢٣ مارس (٤ ربيع الثاني) ومرت في طريقها بواحات التويم والحوطة والجنوبية والعتار ثم واحة العودة الصغيرة، حتى وصلت إلى ثاج حيث اضطرت إلى التوقف كي تغلف بالقماش الأدوات المعدنية من المتاع والدلاة من الجمال حتى لا تحدث أصواتاً إذا ما اصطدمت بعضها البعض فيكشف مكان مرور القافلة بين الصخور ولكن الجمال لم تتوقف عن الرغاء وفشل الجميع في تكميم أفواهها - استمر المسير حتى نادق وذهب فهد ليجلب حراساً من عند أميرها وعاد ومعه عشرون راكباً وبعد مسيرة يوم آخر وصلت القافلة إلى مشارف واحة حريملا .

تحركت من حريملا صباح يوم ٢٦ مارس (٧ ربيع الثاني) في اتجاه الجنوب حيث واحة



سدوس المحصنة جيداً بالأسوار والأبراج، وتسلل الحراس واحداً فواحداً إلى داخل البلدة تركيزاً دغركي ورفاقه وحدهم - وبعد الظهر وصلوا إلى وادي حنيفة الذي مازال يحمل دلائل النشاط التدميري لإبراهيم باشا - واستراحت القافلة في أطلال العينة التي كانت منازل سامقة جيدة البناء وعند الغروب تحركت شرقاً من الوادي مع الحذر من الوقوع في فوهات الأبار المعطلة المتناثرة في كل مكان مروراً بواحة ملجى وواحة العلب فالدرعية حتى أصبحت على مقربة من الرياض فترك فهد القافلة ويسارع ليليل الامام بقدمهم.

لكن أين الامام عبد العزيز؟ لقد قيل إنه شاب في الثالثة والثلاثين من عمره - وقد غادر الرياض منذ يومين متوجهاً إلى جهة الغرب على رأس جيشه كي يؤدب عربان عتية الذين نهروا قوافله - إنه حاكم قوى وجندى جسور وفي نفس الوقت يحب الاستمتاع بملذات الحياة في حدود الشريعة ويتحدى التزم. هذه المعلومات استقاها الدغركي من أصدقاء الامام المخلصين مما جعله يشاقق لرؤيته - ولكن أخبار غياب الامام خارج الرياض أسعدت عبد العزيز (الخائف من دية الدم) - وعاد فهد ليقود القافلة إلى بساتين الرياض وقابلهم راكب في زي عربي كامل فحياتهم باحترام - إنه أحد رجال الامام - وقادهم إلى بستان يقع خارج المدينة حيث نزلوا في بيت من بيوت ضيافة الامام - والامام عبد العزيز لم يكن موجوداً فعلاً في الرياض وكان على الدغركي أن يلتقي بوالده الامام عبد الرحمن عصر يوم ٢٨ مارس (٩ ربيع الثاني) وذهب مع رجاله يحيط به الحرس المسلحون إلى بستان نخيل منعزل يحيط به سور قوي يبعد حوالي نصف كيلومتر شرق سور مدينة الرياض وساروا بين النخيل إلى بركة فرشت بالسجاجيد الفارسية واتخذوا مجلسهم على السجادة وبعد برهة دخل الإمام عبد الرحمن مع حاشيته من بين النخيل وبعد التحية اتخذ الجميع مجلسهم على السجادة متكئين على مخدات وجلس رجال الحاشية في مكان بعيد - ودار الحديث حول الكويت وحروب الإمام ومصالح إنجلترا وتركيا في الجزيرة العربية والحرب التركية الايطالية، وأخيراً حول القوى النسبية للدول الأوروبية في آسيا وأفريقيا وتفوق إنجلترا على الجميع - وفي نهاية اللقاء وعد الامام ضيفه الدغركي بعمل اللازم لكي ينحى بقافلة متوجهة إلى الاحساء في اليوم التالي - وعندما عاد الدغركي إلى بيت الضيافة التقى بقائد القافلة المتوجهة إلى الهفوف وعلم أن الإمام أمره بالمحافظة على ضيفه وأن يحضر

من الضيف خطاب تزكية بعد وصوله سالماً وفي المساء أرسل الإمام كميات ضخمة من الأرز والسمن تكفي لأربع رحلات على الأقل هدية لضيفه ورفاقه .

في صباح ٢٩ مارس (١٠ ربيع الثاني) حملت الأمتعة على الجمال وخرجت إلى الصحراء انتظاراً لقافلة الأحساء التي بدأت تخرج في جماعات صغيرة من بوابة المدينة يتبعها الصحاب والمعارف من أهل الرياض (لوداع المسافرين)، وتحرك الركب تجاه الشمال الشرقي ومروا بمضارب بني قحطان ثم العان حيث توقفوا حتى تكتمل القافلة المكونة من ١٧٥ شخصاً - منهم ٣٠ يركبون البعير ومنهم ٢٠ يحملون البنادق والباقيون من المشاة الفقراء من غير ذوي الأمتعة ومسلحون بالسكاكين والعصى التي اصطادوا بها الضباب والفقع أثناء السير ومعظم هؤلاء من الشباب المتوجه إلى البحرين لصيد اللؤلؤ - أثناء الانتظار هذا جاء رجلان من رجال ابن سعود إلى المخيم وحيّاهم الدغركي بحرارة واستدعيا كل رجال القافلة ليتحلقوا حولها وقام أحدهما بإلقاء خطبة قصيرة جيدة خلاصتها أن الدغركي صديق ابن سعود، وأن أي رجل يمرؤ على إيذائه سوف يقتل ثم عاد الرجلان إلى الرياض - ثم غادرت القافلة العان صباح ٢٠ مارس (١١ ربيع الثاني) حتى وادي الشايب ثم العرمة ثم بئر العجفية وهي مصدر المياه الوحيد على الطريق بين الرياض والمهوف واستراحت القافلة بجوار هذه البئر ليوم ونصف يوم تسقى أغنامها وتمت صفقات بيع جمال بين القافلة وبني مرة وبني قحطان المقيمين في نفس المنطقة .

تحركت القافلة من العجفية يوم ٣ أبريل (١٥ ربيع الثاني) متجهة شرقاً وبعد ساعة وصلت إلى كلبان الدهناء العالية - تبدل سلوك عبد العزيز بعد الخروج من الرياض إذ أخذ يختلس الأرز والسمن الذي أهدها الامام عبد الرحمن لضيفه الدغركي وأخذ ييذر في المياه وامتدت يده إلى اللحم المخصص لطعام الرحالة وفوق ذلك فقد تعرف بامرأة من بين المسافرين وأخذ يغدق عليها بكرم وشهامة مما يسرقه من مئونة الدغركي حتى نفدت بكاملها - وصلت القافلة إلى الصمان يوم ٤ أبريل (١٦ ربيع الثاني) ثم الربيزة يوم ٥ أبريل وخيمت في وادي الشعاب وفي الليل اشعل الرجال المتوجهون للعمل في صيد اللؤلؤ ناراً عظيمة وأخذوا يرقصون حولها



ويعتدون وفي أيديهم البنادق المشحونة بالذخيرة مما أدى إلى انطلاق الرصاصات كيفما اتفق في جميع الاتجاهات وأصبح المخيم مغلفاً بدخان البارود، تركت القافلة الشعاب إلى وادي فارق الكثيف الاعشاب وعندما خرجت منه إلى تلة رملية قابلتهم جماعة من راكبي الإبل فهرع كل انسان إلى سلاحه ودفعت دواب الأمتعة والنساء وكبار السن والأطفال إلى خلف التلة وتقدم حملة البنادق في اتجاه القادمين وأخذ صيادو اللؤلؤ ينشدون أنشودة حرب واندفعوا شاهرين سيوفهم وسكاكينهم مما جعل الجماعة القادمة تعلن إشارة السلام رغم تفوقها في عدد البنادق - وصلت القافلة إلى نائلة ثم وادي باب ثم رأس سيد حيث وجدت بقايا حيوانات وآثار معركة قريبة بين البادية والقبوالت التركية من الخفوف قتل فيها قائد البادية ودفن في تلة علي اليعين أصبحت القافلة على مشارف الخفوف وأمضت ليلة ٧ أبريل في وادي جو واستأنفت السير في الصباح إلى الخفوف مروراً بأول قشلة تركية وعبرت بوابة البلدة إلى الركن الشمالي حيث تقع مباني الحكومة.

نزل الدغمركي في أحد الأبنية الحكومية وهو في حالة إعياء تام وعامله الجنود الأتراك بعناية وكرم فائقين، بينما ذهب عبد العزيز وأخوه إلى منزل القوافل - قام بجولة في الواحة في صحبة عباس حلمي بك الحاكم العسكري للأحساء وتمتع بكرم ضيافته، وزار السجن الذي يضم اللصوص والقتلة وقد ثبتت الاغلال في أعضائهم ذلك لأن الخفوف وما حولها تنص بالعصابات التي تهاجم الواحة في وضح النهار وتسرق الأغنام والحمر والجمال وفي أوقات السوق بل طوال النهار يجوب الجنود الأتراك السوق ويعرف الجميع أن هذه المهجبات مصدرها الرياض التي لم تنس أن الأحساء تابعة لها.

تحدد رحيل الدغمركي إلى البحرين يوم ١١ أبريل (٢٣ ربيع الثاني) ولم يعلن شيء عن سفره حتى لا يتسرب النبا إلى اللصوص فيخططوا لمهاجمته وفي الرابعة من مساء ذلك اليوم استدعى خمسون فارساً من الجنود الأتراك ليكونوا حرساً مرافقاً له في رحلته - وصلت القافلة الجديدة إلى بلدة الحصول ثم الحفر حيث نزلوا ضيوفاً لدى شخصية عربية معروفة هناك.

وفي صباح ١٢ أبريل تحركت إلى الحيسا ثم رأس العلى حيث تناثرت بقايا معركة جرت بين عصابات البادية وقافلة من ٥٠٠ بعير كانت في طريقها من العقير إلى الحقوف وكان يحرسها الجنود الأتراك ورجال من القبائل ورغم ذلك فقد مزقت شر ممزق ونهبت أكثر البضائع وقتل الكثير من العرب والأتراك - وصلت القافلة إلى بئر أبي هيل ثم نخيل سواد ثم صعدت قمة كئبان تنحدر منه الأرض انحداراً شديداً تجاه مياه الخليج الزرقاء وتوجد تحت الكئيب مباشرة قلعة مراقبة تركية على مقربة من بلدة العقير - أمضت الجماعة ليلتها في القلعة التركية وعكف الأتراك على شرب الراكي (خمر) لدرجة فقدان الوعي وفي الصباح التالي ركب الدغمركي مركباً عربياً ذا شراع إلى البحرين بعد وداع حار من الأتراك.



### الهوامش :

- كان فعلاً آخر رحالة أوروبي يعبر الجزيرة العربية على ظهر البعير وإن كان الكابتن شكبير عبر الجزيرة عام ١٩١٤م (١٣٣٢هـ) على ظهر البعير وكذلك فيليب عام ١٩١٧م (١٣٣٥هـ) . فإنها لم يكونا رحالين بل كانا مبعوثين سياسيين من قبل حكومتها إلى الملك عبد العزيز، وسافرا في حماية الخروسة المسلحة وفي رعاية الملك عبد العزيز لإنجاز مهام سياسية في ظروف معينة بخلاف الرحالة وونكاير الذي جاء منفرداً في مهمة عسكية وسافر في صحبة القوافل العادية التي تتولى حماية نفسها بنفسها - إلى أوجاه بعيدة في الجزيرة العربية ومجهولة له تماماً - يشاهد ويدون المعلومات الطبيعية والجغرافية والاجتماعية.
- (١) من قبائل أهل العراق التي تعيش بين البصرة وبغداد ونظراً لتحسن العلاقات مع شيخ الكويت فقد توغلت إلى قرب أراضيها.
- (٢) هو الشيخ مبارك بن صباح بن حابر بن عبدالله بن صباح من عترة - ولد عام ١٢٥٤هـ الموافق ١٨٣٨م - تولى حكم الكويت عام ١٣١٣هـ بعد أن قتل أخويه محمداً وحراحا واستمر في حكم الكويت حتى وفاته ١٣٣٤هـ الموافق ١٩١٥م (الاعلام للزركل) .

# الكشف عن هداغن من خمسة آلاف عام في جنوب الظهران

للأستاذين:

عبد العزيز فهد النفيسة، عبدالله سليمان الهدلق

نبذة تاريخية:

دراساتهم ومشاهداتهم، ومن أشهر من كتب عن منطقة الخليج العربي، أو الساحل الشرقي للجزيرة العربية، هما «سترابو وبلييني» وقد نقلنا عن أسلافهما ومن سبقوهما من الكتاب.

وحين ظهر جلم الآثار على مسرح المنطقة في الخمسينات من القرن الحالي، بدأت الاستكشافات والتنقيبات. تمد الباحثين بالمصادر الهامة، ونجيب عن بعض التساؤلات حول حضارة المنطقة في عصورها القديمة وتمكنت البعثات من التنقيب في أجزاء كثيرة من منطقة الخليج.

كانت دراسة الجزء الشرقي من بلاد العرب والخليج العربي في مراحل عصور ما قبل التاريخ، مجالاً لعدد قليل من المؤرخين، كانوا يستندون على مادة تاريخية محدودة مثل كتابات بعض المؤرخين والجغرافيين الإغريق واللاتين، ومثل الشعر العربي القديم والروايات العربية المعتمدة على الأسانيد التاريخية.

وخلال الفترة الواقعة بين ٣٠٠ قبل الميلاد و ٢٠٠ ميلادية قام الكثير من الكتاب والمؤرخين والجغرافيين والرحالة «الكلاسيكيين» القدامى، بتسجيل



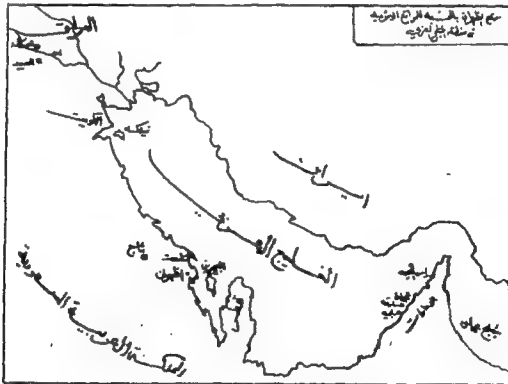
يرجع إلى العهد «البرونزي».

وخلال الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٤٠م - ١٩٧٥م أُلقيت بعض الأضواء على منطقة المدافن في جنوب الظهران؛ حيث تم العثور على عدد كبير من المخلفات الأثرية.

وخلال عملية إنشاء مطار الظهران الدولي ١٩٦٠م تعرض هذا الموقع إلى إزالة عدد كبير من المدافن «التلال» الأثرية.

وفي عام ١٩٦٢م قام بيبي (BIBBY) من البعثة الدنمركية بإجراء مجسات، أسفرت عن الكشف بالتشابه الحضاري، والتزامن

وقد أثبتت الدراسات الأولية أهمية هذا الجزء من الناحية الأثرية والتاريخية. (أنظر خارطة رقم «١» التي تبين موقع الظهران بالنسبة للخليج)، فلم يكن حفل المدافن في جنوب الظهران معروفاً حتى تم اكتشافه في عام ١٩٤٠م حيث قام الباحث كورنول (CORNWALL) بوصف هذه المنطقة أثناء عمله في منطقة مدافن البحرين، بأن أهم موقع في بلاد الإحساء عموماً هو الظهران وما جاورها، حيث يوجد آثار بناء حجري مدور عظيم، تعلو سطوح منحدراته الخارجية آلاف المدافن، من النمط الذي



موقع الظهران بالنسبة للمواقع الأثرية في منطقة الخليج العربي.

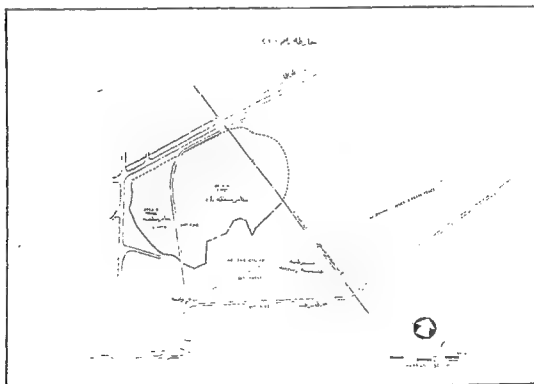
حيث قام بإعداد خارطة لمنطقة المدافن، وأجرى إحصاء تقريبي لعدد التلال كانت حصيلته ١٥٠٠ تل.

وفي عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م قامت الإدارة بعمل حفرة إنقاذية، لأكبر عدد من المدافن بعد أن أصبح الموقع مهدداً بالزحف العمراني، كذلك تم إجراء عملية إحصاء لتلك التلال كانت حصيلتها ٩٠٠ تل، وقد أمكن خلال هذا الموسم، الذي يعد الموسم الأول حفر وإنقاذ «٢٢» تلاً، كما أنه في هذا الموسم تم تقسيم الموقع إلى منطقتين « أ » في الجهة الشرقية من الموقع، و« ب » في الجهة

التاريخي، مع المدافن في البحرين في الجهة المقابلة من الخليج العربي.

وفي عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م قام فريق الإدارة العامة للآثار والمتاحف بعمل بحاسبات، أطلق عليها «مشروع مسح الألف الثالث قبل الميلاد»، وتم اختيار عدد من المواقع، كان من ضمنها منطقة جنوب الظهران؛ حيث تم الكشف عن عدد من المدافن.

وفي عام ٢١٣٩٧هـ/١٩٧٧م قام فريق المسح الأثري التابع للإدارة بزيارة المنطقة؛







١/٢ متصل أحياناً إلى ٥٠ م. ويتراوح نصف قطرها من ٢ م إلى ٢٠ م وغالبيتها ما بين ٤ م - ٨ م.

وتتخذ التلال عادة شكل قبة، نتيجة لكيفية بناء المدفن داخلها والوضع الذي اتخذته الجدار الدائري، ولعوامل التعرية التي أعطتها سطحاً أملساً، تكسوه حجارة ملساء أيضاً، وتنبت فوق هذه التلال الأعشاب البرية، التي تستمد غذاءها من المواد العضوية الأدمية.

#### طريقة الحفر:

كانت الطريقة المستعملة في الحفر بأخذ بحس علوي فوق التل والنزول به حتى الوصول إلى غطاء المدفن (CAPSTONE) ثم فتح المدفن.

أما في عامي ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م و ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م فلقد استخدمت طريقة نموذجية، وذلك بتقسيم التل إلى أربعة أقسام متساوية، ثم الحفر في أحد أجزائه، ونقوم بتتبع الظواهر المعمارية للمدفن حسب امتداده، صورة رقم «١» مما يجعلنا في بعض الأحيان نقوم بتجسيد

(٩٠٠م × ١٤٠٠م)، وقد تم إحصاء تقريبي لتلك التلال في عام ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م، كما سبق أن ذكرنا، والذي كانت حصيلته ١٥٠٠ تل تقلصت إلى ٩٠٠ تل في عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

وبغض النظر عن تلال المدافن المنتثرة، وعلى ما يبدو فإن تلك التلال تتواجد على ارتفاع مغاير لماحوله، ويظهر ذلك واضحاً بأن السكان القدامى اختاروا المواقع المرتفعة لدفن موتاهم؛ تجنباً لغرقها وانجرافها. وذلك ناتج عن الزحف العمراني لذلك الموقع.

فكان العمل في تلك المواسم الثلاثة الماضية يأخذ صفة الإنقاذ، وهدفه الحصول على أكبر قدر من النتائج العلمية والتاريخية واللقى الأثرية.

وفعلاً تم العثور على نتائج باهرة وعظيمة الأهمية، من حيث المعثورات المنقولة والثابتة.

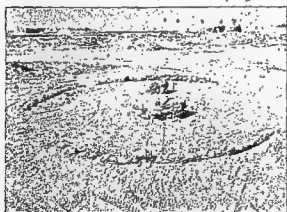
#### التلال:

تتعد التلال عن بعضها في المناطق الكثيفة من ٢ - ١٠ م ويبلغ ارتفاعها من

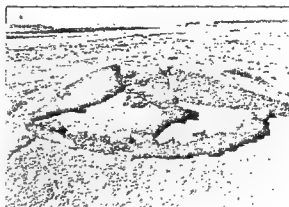
الجهة الشرقية. لكي يتم وضع جثة جديدة، ويتراوح عدد الهياكل العظمية في المدافن الكبيرة من ٥٠ - ١٠٠ هيكل .

ومن الملاحظ أن البناء لتلك المدافن يتسع في قاعدته التي يصل عرضها إلى حوالي ١٢٠ سم تقريباً، ويضيق في أعلاه عند الغطاء (CAP STONE) وذلك لكي يسهل وضع حجارة الغطاء وتكون الحجارة المستعملة في البناء مهذبة من الداخل، وقد استعمل الطين في الربط بين الحجارة ببعضها.

وبعض المدافن تمتاز بوجود غرف دفن جانبية تابعة للمدفن الرئيسي، ومدافن جانبية تكون عادة صغيرة وملتصقة بالجدار الدائري (RING WALL) الذي يحيط بالمدفن الرئيسي صورة رقم «٢».



صورة رقم «٢» التل ٢٧ ب بعد انتهاء أعمال الكشف ويتضح المدفن المركزي وبقايا الجدار الدائري.



صورة رقم «١» تل رقم ٢٢ ب أثناء الحفر والكشف عن الربيع الأول من التل.

المدفن كاملاً، ثم نقوم بعد ذلك بفتح المدفن، وذلك برفع الغطاء الحجري ثم النزول في المدفن طبقة طبقة.

#### طريقة بناء المدافن:

يأخذ المدفن عادة الامتداد من جهة الغرب إلى جهة الشرق تقريباً، فبذلك تكون الجهة الغربية هي المدخل الرئيسي للمدفن، والدليل على ذلك وجود القرايين وبعض المدافن الكبيرة التي تمتاز بوجود عتبات ووجود هياكل عظمية آدمية كاملة، أما في الجهة الشرقية فتوجد كميات كبيرة من العظام المتراكمة فوق بعضها؛ وذلك مما يدل على أنهم استعملوا تلك المدافن لعدة فترات، وذلك بإزاحتهم للعظام القديمة، الموجودة في الجهة الغربية، ووضعها في

### الفخار :

الفخار من أهم ماعثر عليه، وذلك  
لتشابهه مع ماعثر عليه في مداخل البحرين.  
ومن أشكال تلك الأواني :

- ١ - الأنواع الخالية من الرسومات  
والزخارف.
- ٢ - الأواني ذات الشكل الكمثري.
- ٣ - الأواني ذات الحواف المرتدة.
- ٤ - الأواني ذات الفوهة المتسعة.
- ٥ - الأواني ذات العنق القصير.
- ٦ - الأواني المزججة.

إن التشابه في المعثورات من الفخار  
خلال حفريات جنوب الظهران، لم يقتصر  
على ماعثر عليه في حفريات البحرين فقط،  
بل هنالك تشابه كبير مع ماعثر عليه في  
فيلكا بالكويت، وفي الإمارات العربية  
المتحدة وعمان، وإيران وفي تونس «سوسة»  
صور رقم «٣-٤-٥-٦-٧».

### السلال المطلية بالقار :

تم العثور على بعض السلال المصنوعة  
من سعف النخيل، والمغطاة بمادة القار من  
الداخل والخارج، لتأخذ شكلاً منتظماً،

وتتخذ تلك المدافن خاصة المدافن  
الرئيسية عدة أشكال منها شكل  
(I.U.F.T.L.) وقد تصل إلى ثلاثة مدافن  
رئيسية في سور واحد.

### «المعثورات» :

المدافن بشكل عام غنية بالمعثورات  
الأثرية، مع الأخذ في الاعتبار أن أيدي  
العابثين ولصوص الآثار لم تسلم منهم تلك  
المدافن، سواء في العصور القديمة أو الحديثة  
المعاصرة.

وأهم تلك المعثورات هي الأواني  
الفخارية، وأواني الحجر الصابوني، وسلال  
سعف النخيل المطلية بالقار، والاختام  
والخلى والمجوهرات، كالحلزون والذهب  
والأسورة والخواتم) ورءوس السهام  
والرماح، والعاج والعظام، والمباخر  
والأصداف.

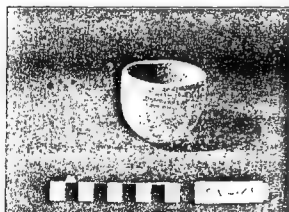
وبعد تصنيف هذه المعثورات، وعمل  
الدراسات اللازمة لها، وجدت أنها تتماثل  
مع ماعثر عليه في مداخل البحرين، وفيلكا  
بالكويت، وهذا دليل على الترابط بين  
مجتمعات الخليج العربي بشكل عام.



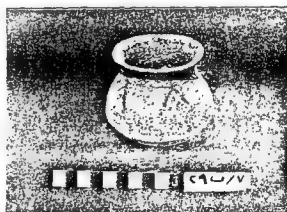
صورة رقم «٤» جرة فخارية ذات عجينة حمراء  
وعنق ضيق ويلاحظ الخزوز والرسوم الهندسية  
عليها.



صورة رقم «٣» جرة فخارية ذات عجينة حمراء  
عليها رسوم هندسية وخطوط متعرجة.



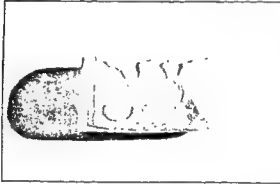
صورة رقم «٦» كأس فخاري وتبدو عليه  
خطوط ورسوم هندسية.



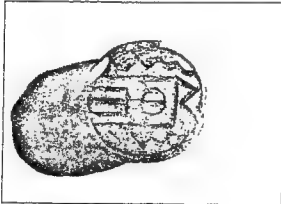
صورة رقم «٥» اناء فخاري ذو فوهة مرتدة.

المنطقة، وتلقي الضوء على تاريخ الجزيرة العربية بشكل عام، ومنطقة جنوب الظهران بشكل خاص، وهذه الأختام تتشابه مع ماعثر عليه في البحرين وفيلكة، ولكن حتى الآن لم يتم العثور على انطباعات طينية.

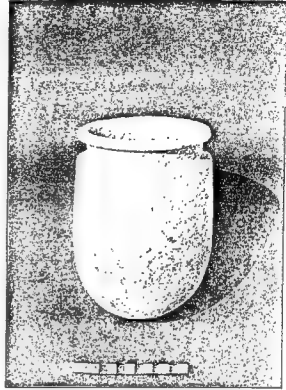
ومن أهم الأختام أختام أسطوانية ودائرية، وأصداف بحرية وجعران صور رقم (٨-٩).



صورة رقم «٨» ختم اسلواني من الجص المحروق عليه نقش عبارة عن أسد غائر.



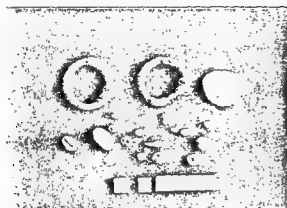
صورة رقم «٩»، ختم دائري عليه نقوش حفر غائر قطره ١.٢ سم.



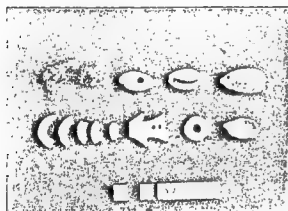
صورة رقم «٧» اناء فخاري اسطواني الشكل. وليحول ذلك دون تسرب السوائل التي توضع بداخلها.

### الأختام :

تعد الأختام من أهم المعثورات التي لها دلالتها التعبيرية الفنية والدينية، وكذلك وظيفتها التجارية، وهي من الناحية الحضارية أيضاً لها أهميتها الخاصة، كدليل أثري بالنسبة لتأكيد الاتصالات التجارية وأحضارية بين المجتمعات الخليجية آنذاك، وذلك لأنها تعطي دلالات هامة عن تاريخ



صورة رقم ١٢ « بعض أدوات الحلي والزينة.



صورة رقم ١٣ « بعض من الصدف والحلي للحلي والزينة.

يظل الأمل معقوداً على ماستكشفه  
معاول الباحثين، مما تحويه هذه المدافن من  
كنوز ونفائس مستقبلاً.



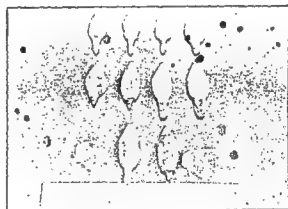
#### المراجع:

- (١) حفريات البيئة العربية د/ معاوية إبراهيم.
- (٢) منطقة الخليج العربي د/ سليمان سعدون البندر.
- (٣) التفسير المصد من قبل الإدارة لعام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- (٤) للمعجم الجغرافي «المنطقة الشرقية» حمد الجاسر.

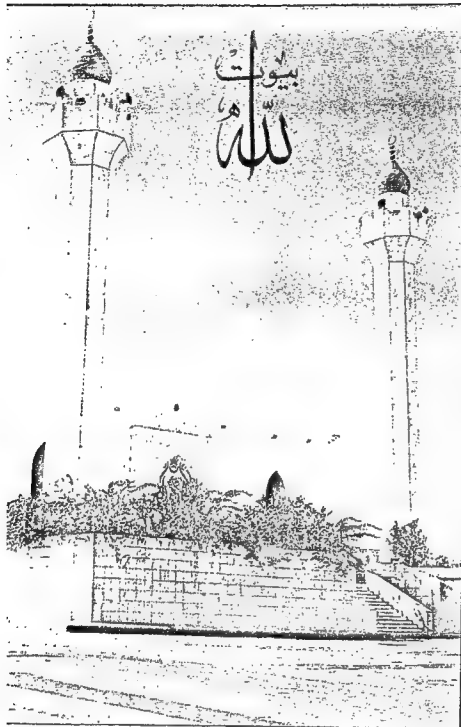
أما بالنسبة للحلي والمجوهرات،  
ورؤوس السهام والرماح، والعاج  
والأصداف والمباخر، فهي تعود إلى فترات  
تاريخية، وتضم نماذج مختلفة صور رقم  
«١٠-١١-١٢-١٣».



صورة رقم ١٠ « مبخرة من الطين المحروق.



صورة رقم ١١ « رؤوس سهام نحاسية.



جامع الأميرة حصة بنت أحمد السديري  
العليا - الرياض

عالم  
وطني

أ. مصطفى أمين جاهين

# جبل طارق



«جبل طارق» شبه جزيرة من الصخر الجيري تابعة لبريطانيا، وهي إلى الجنوب الشرقي من إقليم قانس الأسباني، وتكاد تكون في الطرف الجنوبي الأقصى لأسبانيا، وتمتد ثلاثة أميال من الشمال إلى الجنوب وأقصى مايلقه عرضها ميلا واحداً، ومياحتها ميلان مربعان، وبها مدينة ومرفأ يحملان الإسم نفسه، وهما يسايران السفح الغربي وهو أقل من الشرقي إنحداراً، وعدد سكانها أكثر من ثلاثين ألف نسمة من الأسبان والإنجليز والمغاربة.

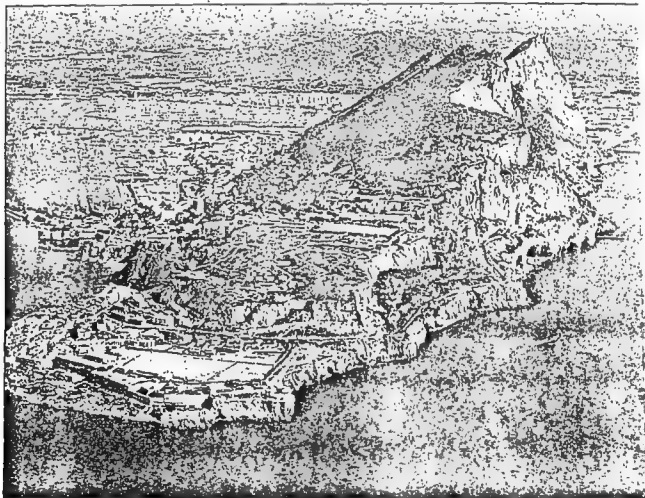
وجبل طارق مفتاح البحر الأبيض المتوسط، ويصله بالمحيط الأطلنطي، ولذلك حصن تحصيناً متيناً، ولم تستطع شوي ثلاث أمم أن تستولي على هذا المضيق خلال تاريخه، وعلى طول ١٦٥٠ سنة.

## ● تاريخه القديم ●

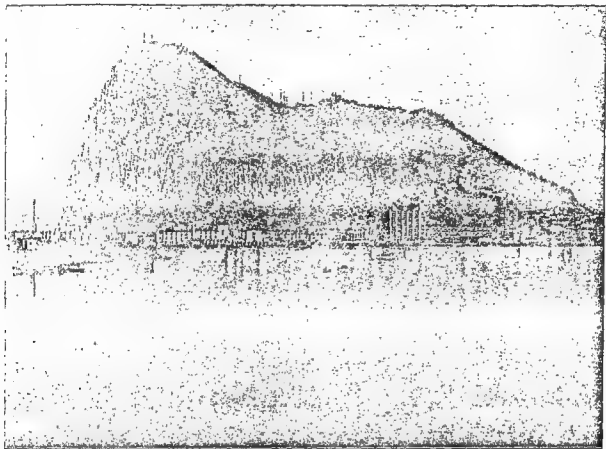
كان القدماء الذين يعيشون في حوض البحر الأبيض المتوسط ينظرون إليه على أنه آخر العالم القديم، وكان الإغريق يسمون الصخرة وجبل أبيل «Mount Abyla» على الساحل الأفريقي «أعتد هرقل»، وكانت هذه نهاية فتوحات «هرقل» كما يقول الأساطير، وليس هناك ما يدل على أن قوماً كانوا يعيشون فيه ويستقرون استقراراً تاماً، رغم أن التجار القدماء أخذوا منه قاعدة في طرق تجارتهم.



# في التاريخ



● جبل طارق من الجو ●



● لقطة للجبل في المساء ●

وقد اجتاحت موجة من الفاتحين العرب هذا المضيق إلى أوروبا عام ٧١١ م ، بقيادة القائد «طارق بن زياد»، وأطلق اسم هذا القائد على الصخرة، فأصبح «جبل طارق»، وقد اشتق اسمه الحديث منه، إلا أنهم أيضاً لم يستقروا فيه تماماً؛ وأول مدينة معروفة في هذا المكان، أنشئت عام ١١٦٠م أنشأها الحاكم المسلم «عبد المؤمن»، وقد شيدت بهذه المدينة المساجد والقصور، وجداول مائية منظمة، ودفاعات جيدة التصميم .

وقد استولى الأسبان على «جبل طارق» عام ١٣٠٩م ، واحتفظوا به حتى استولى عليه الملك المغربي «أبو الحسن» عام ١٣٣٣م ، ولا تزال هناك بجبل طارق آثار مغربية ترجع إلى ذلك التاريخ .

وأخيراً غادر المغاربة المدينة في ٢٠ أغسطس عام ١٤٦٢م ، وكان هذا يوم القديس برنارد ، ومن ثم أصبح هذا القديس حامي المدينة ، وقد احتفظ الأسبان بالمدينة حتى عام ١٧٠٤م ، عندما ظهر البريطانيون على مسرح الأحداث .

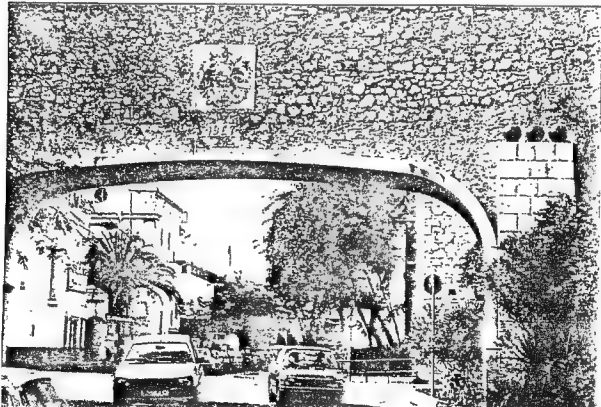
## ● مجيء البريطانيين ●

عام ١٧٠١م ، تحالفت بريطانيا مع هولندا ، والنمسا ، والبرتغال والداغرك ، وبعض الإمارات الألمانية ، وكان هذا التحالف موجهاً ضد فرنسا وأسبانيا ، وسبباً في نشوب حرب الوراثة الأسبانية ، وفي عام ١٧٠٤م ، ظهر السيد «جورج روك» Sir George Rooke نائب الأدميرال الإنجليزي في خليج جبل طارق مع الأسطول البريطاني الهولندي ، وهبط إلى الساحل نحو ٢٠٠٠ من جنود البحرية البريطانية والهولندية وسلم الأسبان المدافعون عن الصخرة يوم ٢٤ يوليو ١٤٠٧م ، ومن ثم استولى البريطانيون عليها .

ولقد مضى بعض الوقت قبل أن يفقد الأسبان الأمل في استعادة الصخرة ، واستطاع البريطانيون مقاومة الحصار عدة مرات ، وكان أهم حصار هو مسمى بالحصار الكبير الذي بدأ عام ١٧٧٩م ، واستمر ثلاثة أعوام ونصف ، وكان المحاصر هو الجيش الفرنسي والأسباني ، وكان عددهم يفوق القوات البريطانية وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي حاول فيها أحد أن يستولى على الصخرة من يد البريطانيين .

كان «جبل طارق» قاعدة بحرية عظيمة الفائدة خلال حرين عالميتين وأحواض السفن تعمل بأقصى طاقتها في إصلاح سفن بريطانيا وحلفائها .

## € بوابة شيدت عام ١٩٦٧م €



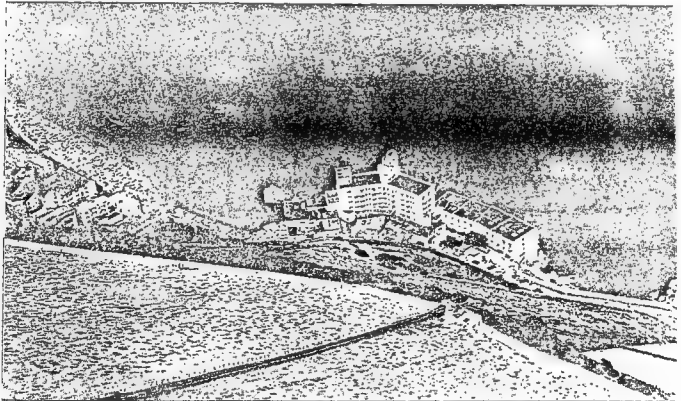
واحتشد الميناء بمئات من الطائرات في مطارهِ الذي شيد ما بين الصخرة ومدينة (الانينا)  
الاسبانية قبيل غزو الحلفاء لشمال إفريقيا وأجل معظم السكان المدنيين عن جبل طارق أثناء  
الحرب العالمية الثانية فغادروه إلى بريطانيا، ما بين يوليو، ونوفمبر ١٩٤٥ م .

### ● جبل طارق اليوم ●

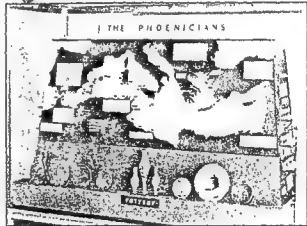
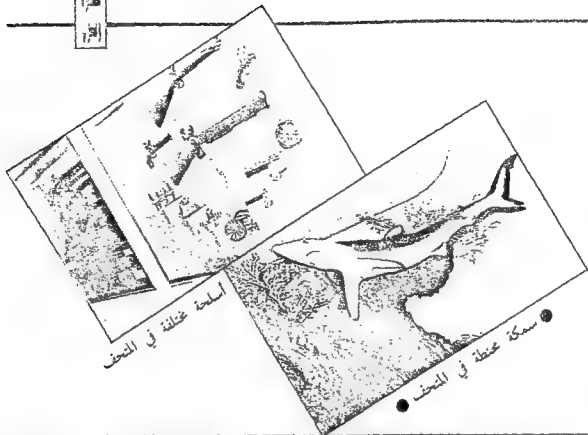
جبل طارق اليوم مستعمرة بريطانية مزدهرة ، ذات مرفأ وأحواض جافة، وخط طيران  
يومي منتظم من لندن وإليها ، وهو أيضاً قاعدة بحرية ، وحربية ، وجوية .

وقد حلت مشكلة المياه بإنشاء مناطق تجمع مياه فوق قمة الصخرة تتجمع فيها مياه  
الأمطار ، وتخزن داخل الصخرة ذاتها ، كما يقطر ماء البحر ، ويستخدم في بعض الأغراض .

كما تم حفر أنفاق في الصخرة ، شيدت بداخلها مخازن ، وورش ، وصهاريج زيت ،  
ومحطات قوى كهربائية ، بل ومستشفيات ؛ كما تم تشييد فنادق فاخرة ، ومطاعم ، ومتحف  
يحتوي على بعض الآثار الإسلامية والأسلحة والذخائر الإنجليزية ، والأسماك والقرود المحنطة  
وغير ذلك من المباني الضخمة الحديثة .



● فندق حديث في جبل طارق ●



● فرد مخفي في المتحف ●

● بعض القطع الأثرية الإسلامية في المتحف ●

كما أن قرود جبل طارق تعيش بين الناس في الشوارع وعلى سفح الجبل ، وقد أخذت القرود شعاراً للجبل ، وتقول الأسطورة إذا غادرت القرود جبل طارق ، فسيغادرها الإنجليز .

● ● ●

### المراجع :

- ١ - دائرة المعارف الإسلامية - المجلد السادس .
- ٢ - المعرفة - المجلد الرابع عشر - اللجنة العلمية الانتشورية للمعرفة . بيروت - لبنان - ١٩٧٩ م .
- ٣ - الموسوعة العربية الميسرة - دار نهضة لبنان للطبع والنشر - بيروت - لبنان - ١٩٨١ م .

# أحداث تاريخية



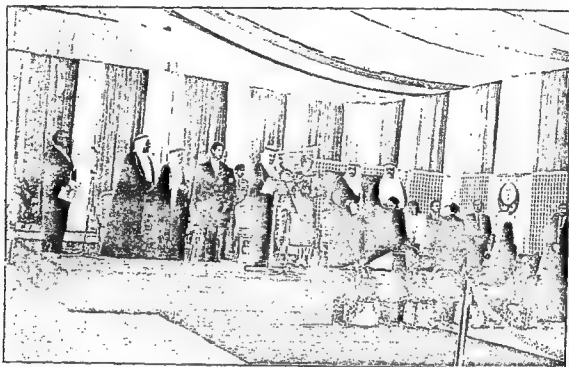
## معرض الرياض

# بين الأمس واليوم

وبعد سماع أي من  
الذكر الحكيم ، ألقى سمو  
الأمير «سلمان» كلمة أكد  
فيها أن أواصر الصداقة  
التي تربط بين شعبنا منذ  
وقت طويل ، أصيلة  
أصالة الشعبين البريطاني

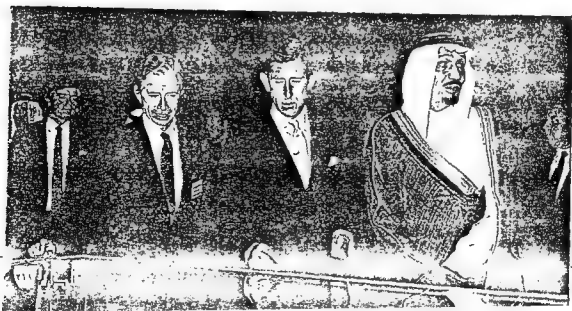
الأمير تشارلز وقرنته  
ديانا ، وحشد كبير من  
المشولين البريطانيين  
والسعوديين والجاليات  
العربية ، معرض الرياض  
بين الأمس واليوم في  
لندن .

● الثلاثاء ٢١ ذو القعدة  
١٤٠٦ هـ - ٢٩ يوليو  
١٩٨٦ م افتتح صاحب  
السمو الملكي الأمير سلمان  
ابن عبدالعزيز أمير منطقة  
الرياض ، بحضور ولي  
عهد بريطانيا أمير ويلز



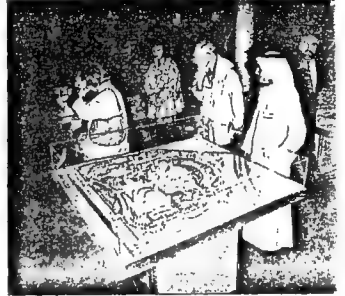
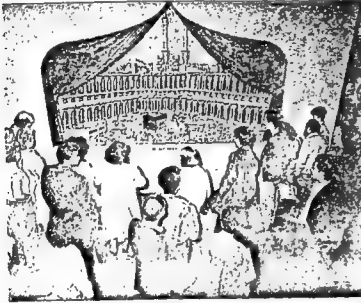
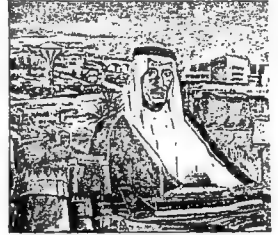
صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز وسمو الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا وقريته في افتتاح معرض الرياض بين الأسس واليوم في لندن .

# سهم في لندن



صادقة وتقدير عظيم .  
وقد رد سمو ولي عهد  
بريطانيا بكلمة شكر فيما  
سمو الأمير سلمان ، على  
كلمته وأشاد بمحتويات  
المعرض والمنجزات التي  
تحققت في المملكة .  
وعقب وداع ولي عهد

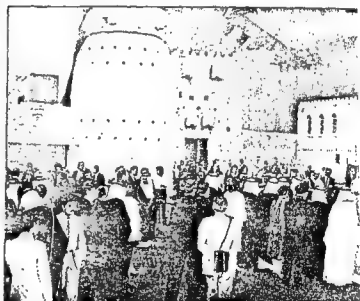
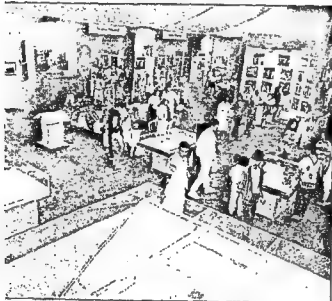
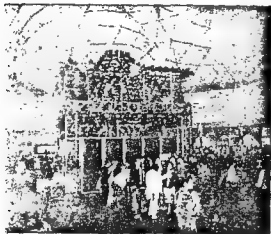
والسعودي ، وسوف  
تجدون في هذا المعرض  
الذي شاهدتموه نموذجاً  
مصغراً لمدينة الرياض التي  
سوف تسعد بزيارتكم ،  
وسوف تجدون شعبها  
صديقاً حياً مخلصاً أميناً  
صادقاً يستقبلكم بقلوب





الصحافة والإعلام من  
عرب وأجانب وتبادل  
معهم الأحاديث عن  
حضور تراث المملكة  
وتطورها وبهذه الصورة  
المشرقة إلى لندن من خلال  
معرض الرياض بين  
الأمس واليوم .

بريطانيا وقريته وكبار  
الضيوف بدأ حفل الغداء  
للمدعوين ، ثم قام سمو  
الأمير وسلمان بن عبد  
العزیز بجولة أخرى  
داخل المعرض، وخلال  
الجولة كان سموه يبدى  
اهتماماً صادقا برجال

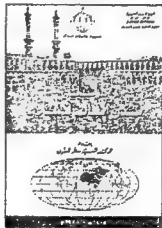




\* ملامع تربوية في الشعر  
الجاهلي والإسلامي  
د. علي شواخ اسحاق الشعبي  
٧٢ صفحة - الطبعة الأولى  
١٤٠٦هـ  
الناشر: دار الرفاعي للنشر  
والطباعة والتوزيع بالرياض.



\* القشع من كبريات القبائل  
العربية  
د. علي شواخ اسحاق الشعبي  
٤٠٤ صفحة - الطبعة الأولى  
١٤٠٦هـ  
الناشر: دار المعارف للطباعة



\* دراسات في سكان العالم  
الإسلامي  
د. السيد خالد المطيري  
٦٧٠ صفحة - ١٤٠٥هـ  
الناشر: جامعة الملك عبدالعزيز  
- كلية الآداب والعلوم  
الإنسانية.



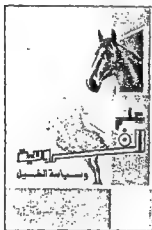
\* التاريخ السياسي للكويت في  
عهد مبارك.  
د. فهد عبدالمحسن الحارش  
٢٨٨ صفحة - الطبعة الأولى  
١٤٠٥هـ



\* الشرح الوائد لكتاب نظم  
الفرائد وحصر الشوارد  
تأليف: مهلب بن حسن بن  
يركات  
تحقيق ومراجعة د. محمود حسن  
أبوناجي  
٢٠٠ صفحة - الطبعة الأولى  
١٤٠٦هـ



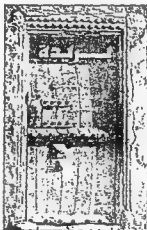
\* ذاتية السياسة الاقتصادية  
الإسلامية وأهمية الاقتصاد  
الإسلامي  
د. محمد شوقي الفنجري  
١١٤ صفحة - الطبعة الثالثة  
١٤٠٦هـ  
الناشر: دار نفيع للنشر  
والتأليف - الرياض .



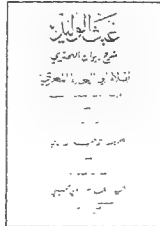
\* علم الفرومية وسياسة الخيل  
بكتوت الرماح الحازندار  
الظاهري  
١٥٢ صفحة - ١٤٠٦هـ  
الناشر: الحرس الوطني -  
الشؤون الثقافية والتعليمية.



\* المدخل إلى لغة الفوتوتزان  
د. سالم أحمد سحاب  
د. محمد يحيى عبدالرحمن  
٢١٨ صفحة  
الناشر: جامعة الملك عبدالعزيز  
- مركز النشر العلمي



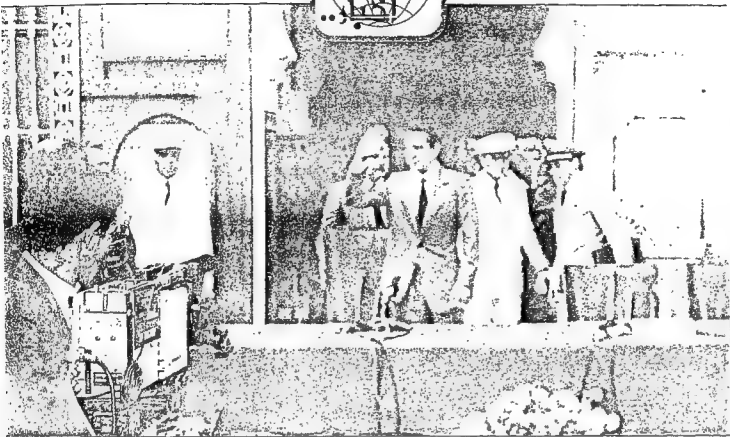
\* «إبريدة»  
إبراهيم بن عبد العزيز المعارك  
الناشر: مؤسسة روابي وهطان -  
الرياض .



\* عبث الوليد  
«شرح ديوان البحري - إملاء  
أبي العلاء المعري»  
تعليل: محمد عبدالله المدني  
٢٤٠ صفحة - الطبعة الثالثة  
١٤٠٥هـ  
الناشر: دار الرفاعي للنشر  
والطباعة والتوزيع بالرياض .



\* ميكولوجية التنشئة الاجتماعية  
د. عبدالرحمن العيسوي  
٢٤٤ صفحة - ١٩٨٥م



ولي عهد المغرب سمو الأمير محمد في حفل افتتاح موسم أصيلة الثقافي التاسع .

## ولي عهد المغرب سمو الأمير محمد في حفل افتتاح موسم أصيلة الثقافي التاسع

أساس فرع جامعة المعتمد  
ابن عباد في مدينة أصيلة،  
وقد حضر الحفل لفيف  
كبير من المسؤولين  
والمهتمين بالثقافة من عدة  
دول .

بحضور سعادة الأستاذ  
«محمد بن عيسى» وزير  
الشئون الثقافية بالمغرب،  
وكبار المسؤولين، وقد ألقى  
سموه كلمة نوه فيها عن  
مواسم أصيلة الثقافية  
السابقة كما وضع حجر

● السبت ٤ ذو الحجة  
١٤٠٦هـ - ٩ أغسطس  
١٩٨٦م تفضل صاحب  
السمو الملكي الأمير  
«محمد» ولي عهد المملكة  
المغربية، بافتتاح موسم  
أصيلة الثقافي التاسع،



# العلاقات السعودية الألمانية في عهد الملك عبد العزيز

أ. د. هلموت مايشر

تلخيص وترجمة / الأستاذ عبد السلام عبد المنعم

لم تحظ العلاقة السعودية - الألمانية إبان عهد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بالتسجيل والتحليل الجديرة بهما؛ إذ لم تتناول هذه العلاقة سوى فصول ثانوية في كتب تعالج موضوعات عن الرايخ الثالث الألماني والشرق العربي، أو هتلر والقضية الفلسطينية، أو ما كتب حول الامبريالية الألمانية في إنشاء خط حديد بغداد - الحدييد.



وعلى هذا فإن النصوص التاريخية المتعلقة بتحديد وتفسير مجال العلاقات السعودية الألمانية، عادة ما نجدها بعيدة عن البؤرة، هذا فيما يختص بالدائرة السعودية. كما أن المصادر والسجلات الوثائقية، أيضاً، قد تناولت الأحداث والسياسات بعيداً عن واقع محك الأحداث الخاصة بالسعودية.

ويمكن شرح هذه النتائج، إلى حد ما، على ضوء الحقيقة المعروفة التي تقول إن القضايا السياسية في الشرق الأوسط وفاعلية السياسة الخارجية قد استحوذتا على مناحي إقليمية أكبر ولكنها ذات نقاط بؤرية متباعدة. وفي الحالة هذه، فإنه بات من المؤكد أيضاً اعتبار أن العلاقة السعودية الألمانية برمتها قد وجدت لفترة زمنية وجيزة في عهد جلالة الملك عبد العزيز - بيد أننا نجد مثلاً، معاهدة صداقة تتضمن شروطاً تجارية قد أبرمت في ٢٦ أبريل سنة ١٩٢٦م،

مع العلم بأن كلا من المفاوضات وتبادل التصديقات قد أجرى في القاهرة في ٦ نوفمبر. هذا، غير أنه منذ ذلك الحين لم يُسمع سوى القليل عن هذه العلاقة حتى سنة ١٩٣٧م. وهنا بوسعنا أن نقول أيضاً إن الستين التاليين لهذا التاريخ، كانتا حافلتين بما يمكن أن نطلق عليه في وقتنا الراهن التودد السعودي الألماني والذي تمخض عن إرساء قواعد التمثيل الدبلوماسي الألماني في جدة في شهر يناير سنة ١٩٣٩م، ذلك التمثيل الذي ما كادت تمر عليه سبعة أشهر حتى تجدد لمدة خمس عشرة سنة ليُستأنف ثانية في شهر نوفمبر سنة ١٩٥٤م. والفترة التي ستنوّلها هنا في بحثنا هذا، هي تلك الفترة من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٣٩م.

#### ١ - الشرق الأوسط ودوره في التجارة الألمانية والسياسة الخارجية في الثلاثينات :

يتفق المؤرخون بصورة واسعة على أن الملك عبد العزيز كان بارعاً، بل وذو مهارات خاصة في تكوين وموازنة العلاقات مع القوى الأخرى، وذلك بغية تأمين تأسيس الدولة السعودية.

ومن هذه الزاوية، بمقدورنا أن نَلْمَحَ روح علاقته المفاجئة والنشطة مع ألمانيا في أواخر الثلاثينات، والتي أخذت شكلها المنظم والمائل لمحاولاته السابقة التي أُنْهَجهَا لكسب اعتراف واشنطن الدبلوماسي الكامل والتمثيل القنصلي. وهنا، قيل إن «الملك عبد العزيز قد وجه الأوامر بوقف شراء المركبات من أمريكا عن طريق الحكومة كنوع من الاحتجاج على رفض الولايات المتحدة إيفاد ممثل لها في جدة كاعتراف بحكومته». كان جلاله الملك مصراً إصراراً لا رجعة فيه على «أن يسبق العلم التبادل التجاري وليس العكس». وبهذا المعنى بدأت تجري الاتصالات مع ألمانيا التي اعتبرت نفسها - قبيل استقرار السلطة في يد هتلر - كقوة نالته أخرى في الشرق الأوسط : في إيران وتركيا والعراق وأفغانستان.

وبطبيعة الحال، فإن الملك عبد العزيز لم يبن تصوراته بالضرورة، عن الدور الألماني في الشرق الأوسط، على تقييم مماثل للمصالح، ولا يمكن افتراض ذلك أيضاً من جانب رجال الدولة في ألمانيا. لذا، ما الذي حدا بألمانيا بأن تعمل على اجتذابه نحوها؟ وما الأدوار التي يمكن لألمانيا أن تقدمها له «كقوة ثالثة»؟

### في المجال التجاري :

تشير الإحصاءات التجارية الألمانية الرسمية خلال سنوات الحرب الكونية الثانية، أن بلدان الشرق الأوسط التي دخلت في علاقات تجارية مع ألمانيا انحصرت في تركيا ومصر وإيران وفلسطين (وفي سنة ١٩٣٧ دخلت أيضاً العراق وأفغانستان والسودان). وكانت التجارة مع أفغانستان والعراق والأردن وجزيرة العرب أي السعودية وعمان والكويت واليمن يطلق عليها، في العملية التجارية، «باقي آسيا» .

وبشكل عام، فإنه منذ أوائل الثلاثينات فصاعداً، نرى أن العملية التجارية الألمانية في الشرق الأوسط استفادت من عاملين متحدين: أولهما السياسة المحلية لإيجاد وظائف، وثانيهما السياسة الشرق أوسطية الحقيقية في تطوير الاستيراد وتحديثه والتي تعتمد على تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية. وتدخل في إطار هذا المفهوم كل من تركيا ومصر وإيران والعراق. ووضع كل من هذين العاملين بقصد التغلب على الآثار المحلية المترتبة على الانخفاض الاقتصادي العالمي وبناء اقتصاد قومي .

كانت المملكة العربية السعودية قد عانت بشكل ملموس وخطر، وإن لم يكن بشكل مباشر، من تلك الآثار الناجمة عن الفترتين الاقتصادي إبان تلك الفترة. وتمثل ذلك في الانخفاض الحاد في عدد الحجاج السنوي، مما تسبب عنه تدهور نسبة الدخول السنوية، الأمر الذي أقنع الملك عبد العزيز بأن على دولته الجديدة البحث عن مصادر تمويلية أكثر ثباتاً. ولا يحضرنا هنا سوى عدد قليل من الأرقام الإحصائية التي نعرضها بقصد الإيضاح. ففي عام ١٩٣٠م، كان عائد حكومتي الحجاز ونجد وملحقاتها يقدر بنحو ٢٢٣,٧٠٠ دولار، الذي كان لا يتجاوز الدخل العائد من الحج منه ٢,٩٢٠,٢٠٠ دولار. وقدرت نسبة الدخول العائدة من رسوم الجمارك وكافة رسوم الضرائب الأخرى بنحو ٣,٠٠٠,٠٠٠ (ثلاثة ملايين دولار)، ١,٢٥٠,٠٠٠ دولار، على التوالي ولأنه كان يقدر ما يتفقه كل حاج أثناء فترة مكوته في الحجاز بمائتي دولار تقريباً، ولأن عدد الحجاج كان يبلغ في السنة نحو ١٠٠,٠٠٠ حاج فإن دخل الحكومة من ذلك كان يقدر بنحو ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار سنوياً.

وعلى أية حال، فإنه في أعقاب فترة الفئور الإقتصادى العالمى، هبط معدل عدد الحجاج السنوى من ١١٦,٠٠٠ فى سنة ١٩٣٠م إلى ٢٠,٠٠٠ حاج فقط فى عامى ١٩٣٣، ١٩٣٤م. ثم أخذ يتزايد العدد حتى بلغ زهاء ٥٠,٠٠٠ فى عام ١٩٣٧م، ٤٨,٠٠٠ فى عام ١٩٣٩م. وبات هذا التدهور الملموس فى الدخول سنة تلو الأخرى ينذر بكارثة قد تلحق بالدولة والمجتمع ككل. فى الوقت الذى أصبحت فيه قوة الدولة الشرائية غير قادرة على مواجهة ما يقدر بنحو ١٣,٠٠٠,٠٠٠ إلى ١٥,٠٠٠,٠٠٠ دولار من الواردات السنوية، والتى كانت تقدر نسبة السلع الغذائية الضرورية والمنسوجات منها بنحو ٧٠ ٪. ففي عام ١٩٣٢م قام الأمير فيصل، وزير الدولة للشئون الخارجية يومئذ، بإجراء زيارات لكافة العواصم الأوروبية الهامة، كما تم عقد المفاوضات فى لندن بقصد الحصول على قروض مالية.

وفي برلين، حيث وصل الأمير فيصل بن عبد العزيز في ٢١ مايو عن طريق روما، ببرن، باريس ولندن، عقدت الأمل على تحسين أواصر العلاقات التجارية وإقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين.

وخلال جولته في أوروبا، يبدو أنه قد تم مناقشة تأسيس بنك مركزي بمساهمة كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ومصر.

وفي نهاية المطاف، فإن الملك عبد العزيز لم يجد مخرجاً لتلك الأزمات الاقتصادية إلا عن طريق اللجوء إلى منح حق الامتياز لشركة الزيت بـكاليفورنيا. هذا ولم تكن مبشرات العلاج العاجل لتظهر وتلوح في الأفق إلا بعد أن اشترط جلالته أن يتم الدفع نقداً.. وكانت تلك هي البداية.

ومما هو جدير بالذكر هنا، أن نقارن قصة نجاح أرامكو بالكفاءة الألمانية الناضجة في سياستها البترولية في العراق المجاور إبّان تلك الفترة ذاتها. ومن هنا، يتضح لنا أنه كانت لدى جلالة الملك عبد العزيز أسباب اقتصادية حملته على رفض العروض البترولية الألمانية الخاصة، مع أن ذلك ينطبق بالمثل على العملية التجارية. ففي عام ١٩٣٧م، اجتازت التجارة الألمانية سنوات القصور الاقتصادي حتى بدأت تبلغ أوجها في عام ١٩٢٩م. وفي عام ١٩٣٨م شهدت العملية



التجارية بين البلدين طفرة مفاجئة جعلت الصادرات الألمانية للشرق الأوسط ترتفع بمعدل أسرع يفوق، في حقيقة الأمر، صادراتها الإجمالية.

## ٢ - انفصال ألمانيا عن تطور النفط في الشرق الأوسط:

### بعض القيود الاقتصادية والنواحي السياسية :

منذ ظهور الآثار المأساوية المحلية التي أفرزها الفتور الاقتصادي العالمي في أوائل الثلاثينات، فقد اعتبر الملك عبد العزيز اكتشاف وتصدير البترول من المتطلبات المطلقة لتمويل الدولة وتطوير اقتصادها، كما قام، أيضاً، جلالة بمنح حق الامتياز لشركات تحظى بأسواقها المتزايدة والرابحة والتي لا تفرض عليه شروطاً سياسية. ومثالاً لذلك شركة «كاسوك» Casoc التي منحها جلالة حق الإمتياز في أوائل الثلاثينات. (شركة كالفورنيا للنفط).

وبالمقارنة، واضعين في الحسبان هذين المعيارين، فإن أي شركة ألمانية أو أي شركة متعددة الجنسيات وتخضع لألمانيا في نظامها، كانت ستعتبر نفسها بالتأكيد، على الأقل، طرفاً منافساً في مثل هذا العطاء. ذلك لأن الرايخ الألماني الثالث، بالإضافة إلى إيطاليا واليابان، كان من أكثر الأسواق البترولية المبشرة في تلك الفترة، ومرجع ذلك يعزى إلى تفوقه في صناعة السيارات والطيران ومجال التسليح.

ورغم ذلك، وكما تكشف الإشاعات التي سادت إبان تلك الفترة عن الدوافع الحقيقية وراء زيارة «جروبا» لجدة في أوائل الثلاثينات، فتمه سوء فهم فيما يتعلق بسياسة ألمانية البترولية في الثلاثينات لسوء الحظ، فإن الدليل الوثائقي لتقييم الملك عبد العزيز لهذه السياسة غير متوفر لدينا. وهنا بمقدورنا أن نجزم أنه ما من شك في أن الحكومة البريطانية كانت تحيك الدسائس والفتن من أجل إفساد العملية التجارية الخاصة بالألمان.

والشيء الذي يبدو أنه غاب عن ذهن الكثيرين من المراقبين في ذلك الوقت، هو أنه منذ منتصف الثلاثينات، أي وقت شروع هتلر في إعلان الحرب، أصبح للبترول والوقود قيمتهما الفائقة من الناحية الاستراتيجية، للدرجة التي حتمت عدم تركه عرضة للسقوط تحت أيدي

لنفوذ الخارجي، ففي حالة نشوب حرب في أوروبا والبحر المتوسط مع بريطانيا كواحدة من  
لخصوم، فإن إمدادات النفط لألمانيا من الشرق الأوسط يصبح من غير الممكن الدفاع عنها..  
كان هذا هو مفهوم السياسة البترولية الألمانية السائد في أواخر الثلاثينات.

### ٣- الازدواجية في صنع السياسة الخارجية الألمانية :

تسبب النظام الألماني المزدوج في صنع السياسة الخارجية بعد عام ١٩٣٣م في إيجاد أشكال  
من سوء التفاهم المتكرر إزاء الدوافع والأهداف الحقيقية المتصلة بعمل ألمانيا السياسي  
والديبلوماسي والدعائي في الشرق الأوسط. ثم جاء هتلر ليتولى السلطة في ألمانيا بالطرق  
الشرعية، ولكن بهدف تغيير الهيكل السياسي ككل .

في البداية، رأى هتلر أن يسمح لمكتب الخارجية الألماني بمواصلة أعماله نظراً للعجز الحاد في  
الكفاءات الشخصية بين رجالات حزبه لتعيينهم في هذا المضمار من جهة، ومن جهة أخرى  
لتأمين الثقة وإحراز الاعتراف الدولي .

لم يفتأ هتلر عن مواصلة جهوده في أن يأخذ الحزب الهتلري القومي مكانه تدريجياً ويبدأ في  
ممارسة الشؤون الخارجية للدولة وأقام الحزب مكتب سياسته الخارجية برئاسة «روزنبرج» .

فيما يتعلق بالشرق الأوسط، وكما سنتناول بالشرح والتعليق في الفصل التالي، فإن السعودية  
تعرضت لتلك التجربة الألمانية في النظام المزدوج بطريقة خاصة، حيث كان على الملك عبد  
العزيز أن يتعامل مع فيرر - أوتو قون هيتيج الذي كان مسؤولاً عن دائرة الشرق الأوسط في  
مكتب خارجية برلين وكذلك فريتز جروبا Fritz Grobba السفير الألماني في بغداد، الذي عين  
بعد ذلك كمبعوث في جدة، والذي كان مفتوناً بالفرص الجديدة التي كان من شأنها أن تعطي  
مزيداً من التقدم للسياسة الألمانية في الشرق الأوسط .

(٢) «المرحلة الساختة» في المفاوضات السعودية الألمانية الخاصة بشراء الأسلحة وإقامة  
علاقات ديبلوماسية في أواخر الثلاثينات :

في فترة قبيل دخول الثلاثينات، وبالتحديد في خريف عام ١٩٢٩م، وقبل تبادل التصديق

اخصر، باتفاقية الصداقة السعودية - الألمانية في القاهرة بفترة وجيزة، نقلت الصحف خبراً مفاده أن مجموعة من المدربين العسكريين الألمان قد يوفدون لمساعدة الملك عبد العزيز في بناء جيش حديث. وقبل ذلك بعام واحد، وبالتحديد في مارس سنة ١٩٢٨م، سرت إشاعات عن شحن ذخائر ومعدات حربية من «كيل» الميناء الألماني إلى جدة. ولو ساند هذا الزعم أي أساس من الصحة، فمعنى ذلك أن المفاوضات الأخيرة التي أجراها الملك عبد العزيز إنما تمت من أجل الصالح العام لتدعيم قوة دولته.

#### ١ - مجرى الأحداث :

قد يكون من الممكن تعقب التاريخ الحقيقي لبدء المباحثات الألمانية - السعودية حول موضوع الأسلحة، والتي يرجعها بعض المؤرخين إلى تاريخ انعقاد اللجنة المفوضة بتقسيم فلسطين برئاسة «بيل» Peel التابعة للحكومة البريطانية وقد مارست هذه اللجنة أعمالها في شهر يونية سنة ١٩٣٧م. هذا بينما يرجعها آخرون إلى شهر فبراير من العام نفسه، مشيرين لذلك بمصادر من مكتب الوثائق الخارجية الألمانية.

وطبقاً لما ورد على لسان الملحق العسكري للولايات المتحدة الأمريكية في برلين، فإن القائد «ترومان سميث» والذي يعد واحداً من الشخصيات البارزة في مجال التجارة الخارجية لصناعة الأسلحة الألمانية قد أوضح له أنه «خلال الأشهر الأخيرة فإن المراقبين الأوربيين قد لاحظوا اهتماماً مفاجئاً وظاهراً في عملية تسليح بلاد الشرق الأدنى. هذا كما أن تركيا قد استمرت لسنوات عديدة كمشتري ثابت للأسلحة الألمانية.

علاوة على ذلك، نجد أن كلاً من أفغانستان وإيران والعراق والحجاز في الوقت ذاته قد قررت تحديث تسليح بلادها بدرجة مدهشة، لدرجة أنه لم يكد يمر أسبوعان دون أن نجد لجنة جديدة مفوضة من إحدى هذه البلاد تظهر في برلين. ففي تقرير سابق، وبالتحديد في ٢٥ مايو ١٩٣٧م، وأثناء العرض الذي أقامه مصنع رينميثال للأسلحة الألمانية، ألمح الملحق نفسه أنه كان من بين الحضور ممثلين عن الحجاز. كما أوردت الصحف في ذلك الوقت روايات ماثلة عن تحديث الجيش العربي السعودي. وطبقاً للتقارير نفسها تأسست وزارة الدفاع تحت التوجيه

المؤقت لمستشار الملك عبد العزيز المالي عبدالله السليمان .

ومن وجهة النظر الألمانية، رأى المسئولون الألمان، لأول وهلة، أن الاتجاهات السعودية نحو ألمانيا بدت أقل حركة، ففي الخامس من نوفمبر سنة ١٩٣٧م، عقد الدكتور فريتز جروب، المبعوث الألماني في بغداد، اجتماعاً مع الشيخ يوسف ياسين، سكرتير الملك الخاص. ومع أن المشكلة الفلسطينية قد غطيت أثناء المباحثات، إلا أن النواحي العسكرية للثورة في فلسطين وطلبات الأسلحة لم تثر خلال الاجتماع. وبدلاً من ذلك، أخذ يوسف ياسين يؤكد على جروب أهمية إقامة علاقات دبلوماسية رسمية بين البلدين، كما نقل رغبة الملك عبد العزيز المجددة في أن يرى مبعوثاً سياسياً يتم إعتماده في جدة ويكون هناك تبادل في وجهات النظر في المسائل ذات الإهتمام المشترك.

علاوة على ذلك، فإن الدلائل الوثائقية أفادت بأن المسئولين في إدارة السياسة الخارجية للحزب النازي، حاولوا من جانبهم التأثير على الوسطاء العرب.

يبدو أن هذه العوامل كان لها دورها في إيجاد حلقة إتصال بين إدارة السياسة الخارجية في الحزب النازي وبين بعض رجالات الملك عبد العزيز البارزين من أمثال طبيب جلالته الخاص مدحت شيخ الأرض أو خالد القرقي. وقد أثار الأول سؤالين هامين خلال زيارته لبرلين في خريف سنة ١٩٣٧م. ويختص السؤال الأول بما إذا كانت الحملة النازية المضادة للسامية تستهدف العرب بالمثل. أما السؤال الثاني فكان يتعلق بطلب تسليم أسلحة إلى العربية السعودية. أما فيما يتعلق بالموضوع الأول، فيمكن إيعاز قلق الملك عبد العزيز إزاء ذلك إلى ماقامت به الدعاية البريطانية من دور في هذا الصدد. وربما كانت مناقشة الموضوع الثاني استمراراً لمحادثات بغداد سنة ١٩٣٧م. وهنا يلزم التنويه إلى أن ازدواجية السياسة الخارجية الألمانية قد لعبت دوراً في ذلك، الأثر الذي جعل جلالة الملك عبد العزيز يبدى اهتمامه بذلك التأخير في العلاقة. فعندما وصل خالد القرقي، وزير التجارة السعودي، إلى برلين في يناير سنة ١٩٣٨م فإننا نجده لم يتفاوض في موضوع تكثيف التعاون التجاري والاقتصادي فحسب، ولكنه أيضاً حاول دفع مسألة الحصول على أسلحة مشتملة على ٢٠,٠٠٠ بنديقة وإنشاء مصنع خرطوش للبنادق.

وفي واقع الأمر، فإن اتفاقية صفقة الأسلحة، على ما يبدو، كانت الغرض الأساسي المهمة الفرقي، رغم أن تلك الجهود لم تؤت ثمارها. وبات من الواضح أن مسألة التوسع في العلاقات التجارية وبخاصة ما يتعلق بصفقات السلاح كان يتطلب إقامة علاقات دبلوماسية رسمية حتى يمكن ترتيب القروض الحكومية لتمويلها .

وحقيقة فقد اشترط جلالة الملك عبد العزيز، بعد نظره المميز واستشرافه العملي في حل المشكلات، هذا المطلب مراراً وتكراراً، بيد أنه قبل بمكتب الخارجية الألماني الذي كان معارضاً له .

وبصفة أساسية، وكما أظهر سجل الإنجازات الألمانية - السعودية، فإن قضايا العلاقات الدبلوماسية الرسمية وصفقة الأسلحة لم يكونا متصلين بشكل ضروري، ذلك أنه عندما زار وزير الدولة للشؤون الخارجية بالنيابة، فؤاد حمزة برلين في أواخر أغسطس سنة ١٩٣٨م كان لزاماً عليه أن ينقل ذلك إلى «قون هونتج» مع أن الغرض من مهمته الحقيقية ظل محل تكهنات .

وأخيراً، وعند نهاية عام ١٩٣٨م، وخلال مجرى المحادثات والمفاوضات التي تلت اعتماد أوراق الدكتور جروبا، كمبعوث ألماني في جدة، بدأ يترأى للعيان أن مكتب الخارجية الألمانية طلب من المملكة العربية السعودية ثمناً سياسياً لذلك، بيد أن جلالة الملك عبد العزيز كان أفطن من أن يوافق على ذلك دون تحفظات .

ولنهم ما تضمنته المفاوضات ولتقييم وتحديد أهدافها الحقيقية ونتائجها، فإن إعادة بناء التعرجات الدبلوماسية كان لا يكفي؛ فثمة ضء يجب أن يلقى على المحيط الاقليمي والدولي للسياسة الحاضرة واعتبارات الأمان فيما يخص بالملك عبد العزيز والسياسة الألمانية حيال الشرق الأوسط .

## (٢) المخاطر القائمة وقتها :

### أ - في الجانب السعودي :

في عام ١٩٣٠م، واجهت حنكة الملك عبد العزيز في إدارة شؤون دولته تحدياً يؤول سببه

إلى بعض الأعضاء المحلية التي كان من بينها مشكلات الحدود، وكذلك التغيرات في القوى المحركة الإقليمية. واستنرم ذلك الأمر، علاوة على المهارات الدبلوماسية الاستثنائية والمرونة قوة رادعة يعتمد عليها مثل القوة المسلحة للدولة .

كما أن العلاقات السعودية مع البحرين والكويت ولاسيما في المجال التجاري . تطلبت أيضاً فحوصاً شاملاً . وكان للإشاعات المتعلقة بالمحاولات البريطانية الرامية إلى تشكيل تحالف بين بعض إمارات الخليج ، دورها في تحريك دافع الإهتمامات السعودية الخاصة بحدودها الشرقية . وبينما نجد أن مثل هذه المسائل قد تصنع السياسة السعودية في الجانب الدفاعي ، فإن أفعالاً أخرى كانت تتطلب من الرياض سياسة أكثر تقدماً ، إذ كان عليها أن تتبوأ قيادة العالم الإسلامي بما أوتيت من شرعية الحفاظ على الأماكن المقدسة في مكة والمدينة . ولم تستطع المملكة العربية السعودية أن تنأى بنفسها عن مساندة الكفاح المصري من أجل الاستقلال (١٩٣٦م) ولا عن مساندة الكفاح من أجل فلسطين والقدس .

#### ب - في الجانب الألماني :

كان عام ١٩٣٧م بمثابة الحد الفاصل للسياسة الألمانية الخارجية ، مع أن خطة «بيل» Peel في تقسيم فلسطين في عام ١٩٣٧م أثارت اهتماماً لدى الدوائر السياسية الألمانية في برلين ، إلا أنها لم تمس صميم السياسة الألمانية الخارجية . أما فيما يتعلق بأهم الأحداث التي شهدتها عام ١٩٣٧م فكان أولها ما أحرزته ألمانيا من وعي ذاتي في تبوء وضع لا يستهان به بين القوى العالمية داخل نظام دولي كان آخذاً في التفكك السريع ، ولم يكن هذا الوضع ليتوافق وبصفة أساسية مع المصالح البريطانية .

كان غزو اليابان لشمال الصين ، وداخل منغوليا ، ثم فشل مهمة هاليفاكس Halifax في ألمانيا بغية التوصل لسياسات مشتركة في وسط وجنوب شرق أوروبا ثم تطور الحرب الأهلية في أسبانيا ، كان لكل هذه الأحداث إضافة إلى نجاحات ألمانيا سنة ١٩٣٦م والتي تمثلت في التخلص من القيود المتبقية من نظام معاهدة فرساي ، أثرها البين في وضع بريطانيا الأمبريالية دولياً في موقف الدفاع .

أما العنصر الأساسي الثاني في واقع الأمر، والذي جعل من عام ١٩٣٧م عاماً له أهميته هو أن إعادة التسليح الألماني قد بلغ أقصى طاقته الإنتاجية ثم إن عملية تحويل الإقتصاد إلى استعداد عسكري أدت إلى مشكلات عويصة في النقد الأجنبي ونقص في الواردات من المواد الخام .

لهذا كانت السياسات الجديدة في إدعاء «المجال الحيوي» في شرق أوروبا، وإرهاق محيط الاكتفاء الذاتي الإقتصادي والتي رأت ضرورة جعل ألمانيا مستقلة عن السوق العالمي، ولهذا أيضاً كانت زيادة تجارة المفاوضة مع تركيا وإيران .

من هنا كانت الحرب هي الوسيلة الشرعية في نهج هذه السياسة؛ ذلك لأن نهج هذه السياسة بعينها كان من شأنه حماية وصون الكفاءة الحربية . وعلى عكس هذا الأساس يجب أن يتم تقييم مغامرات ألمانيا التجارية في الشرق الأوسط، ولاسيما فيما يتعلق بالملكة العربية السعودية؛ ذلك لأن هتلر في عام ١٩٣٧م قد وقع في صدام مع سياسة بريطانيا الخارجية، الأمر الذي حدا به إلى التسليم بأن فكرة الحرب لا مفر منها . هذا، وبينما كان هتلر ينظر إلى منطقة الشرق الأوسط على اعتبارها موضعاً استراتيجياً ثانوياً يمكن توجيهه عن طريق الحليف الإيطالي، فإن صنع السياسة الخارجية الألمانية لم تكن، مع ذلك، معفاة من حماية المصالح القومية .

وعلى أساس هذه النقطة الحاسمة ارتكز النظام الألماني المزودج في صنع السياسة الخارجية الألمانية في الشرق الأوسط وفي المملكة العربية السعودية واعتقدت إدارة السياسة الخارجية في الحزب النازي أن بوسعها قيادة تيارات القومية العربية، كما اعتقدت أيضاً أنه بات ميسوراً لها اجتثاث جذور الأمبريالية البريطانية في الشرق الأوسط عن طريق إرسال الأسلحة إلى العراق وفلسطين وسوريا .

ولذا، فإن تقدير فون هيننج لمهمة فؤاد حمزة في برلين في أغسطس عام ١٩٣٧م جاء ليؤكد توافقاً في الفكر . وأكد نائب وزير الخارجية السعودية عنى المغزى السياسي للقيودات التي مارسها القوّة البريطانية في الشرق على دبلوماسية المنث عبد العزيز .

وكانت ملاحظة ثون هينج الشخصية التي تقول: «هنا أمامنا رجل، رجل عاقل وقور. رجل لا يأخذ بالنواحي الملحظة. والذي قد نكون له أهميته الحاسمة في القريب لعجز بالنسبة لنا» وهذا يكشف لنا في الحقيقة الحد الذي بلغه انقسام الرأي الألماني حيال سياسته في الشرق الأوسط.

ومع المعازل التجارية المحصنة في تركيا وإيران، فإن القوة البريطانية، وشرايين المواصلات الامبريالية في الشرق الأوسط يمكن احتواءها عن طريق السعودية التي التزمت الحياد، والتي يمكن اتجاهها، حالة اندلاع حرب عظمى، إلى ألمانيا وذلك على سبيل نهج «حياد إيجابي». وهذا في حقيقة الأمر كن الثمن السياسي الذي عمدت ألمانيا من خلاله لعقد صفقة أسلحة مع الملك عبد العزيز.

### ٣ - القيودات والنتائج :

لقد بلغت المفاوضات السعودية الألمانية في مجال التعاون الوثيق مرحلتها الحاسمة في النصف الأول من عام ١٩٣٩م حيث بدأت المحادثات التحضيرية في شهر فبراير بمناسبة زيارة الدكتور جروبا الأولى لجلدة .

وكان اعتماد السفير الألماني في العراق كسفير لبرلين في جدة يعد نجاحاً دبلوماسياً هامياً .

انحصرت لقاءات جروبا مع يوسف ياسين في ثلاثة اجتماعات ومقابلتين مع جلالة الملك عبد العزيز، وأوضحت التقارير المطولة التي أرسلها المبعوث الألماني إلى بلاده رأى الملك عبد العزيز ومستشاريه، الذين أعربوا عن استيائهم الشديد إزاء غطرسة وصلف بريطانيا في حضرموت، وعمان، وفلسطين، وكذلك حول قضية الاسكندرية . ولم ير جلالة خياراً آخر غير مسابرة تلك القوة التي كانت تحاصر أيضاً حدود المملكة العربية السعودية، كما أبدى جلالة الملك ومستشاريه وجهات نظرهم حول السياسة الإيطالية في الشرق الأوسط، بشكل تشويه الخيطة والحذر. هذا مع أن العلاقة مع روما قد وصفت عامة بكونها علاقة طيبة وأقرب ماتوصل إليه جلالة الملك عبد العزيز كان تسليمه بمساورته الشكوك حول السياسة الإيطالية في



البحر الأحمر وأنه توصل لمعالجة هذا الموقف إلى ضرب بريطانيا وإيطاليا معاً. وفيما يتعلق بمستقبل التعاون مع ألمانيا أعرب جلالة الملك عبد العزيز عن استعداده بالتزام حالة الحياد الإيجابي حال نشوب حرب أوربية. أما عن الأمور التي طلبها من ألمانيا في المقابل فقد كان أولها الدعم المعنوي في حالة أي تدخل أجنبي في الشؤون السعودية عن طريق قوة ثالثة. أما المساعدة الثانية فكانت تتعلق بتسليح جيش بلاده حفاظاً على استقلاله.

ومع ذلك، فلم يحظ تفاؤل جروباً لما اعتبره نجاحاً لبعثته بقبول على وجه الإطلاق، لدى مكتب الخارجية في برلين. وراح الملك عبد العزيز يقارن الحياد الإيجابي بفهمه لكارثة أثيوبيا، فلم يأخذ برأي حاشيته عندما دعت بريطانيا وعصبة الأمم المتحدة إلى مقاطعة موسوليني. كان منطق في ذلك، مع الأخذ في اعتبارنا أنه حامي الأماكن المقدسة في مكة والمدينة، أنه لا يجب توريط دار الإسلام في مشاكل السياسات الدولية. وعلى النقيض من ذلك فقد بذل مكتب الخارجية الألماني كل مساعيه من أجل التوصل إلى تعهد سعودي يكفل التزام سياسة أكثر فاعلية في الحياد الإيجابي، حالة حدوث حرب. وتلت ذلك حلقة المفاوضات، وكانت حلقة المفاوضات التالية والحاسمة في منتصف عام ١٩٣٩ والتي أفتتحت بحادثة كان المقصود من ورائها شد انتباه العالم وذلك عن طريق إخراج عناوين رئيسة مهرة لما يحدث في العالم مثل: «مساعي برلين»، و«ذئب الصحراء»، و«هتلر في طريقه إلى العرب» كان الترتيب الحاذق في استقبال هتلر لخالد القرقني في عودته من أيرسانبرج في ١٧ يونيو قد سبقته رحلة ثون هيتج الخاصة إلى الشرق الأوسط والذي توقف خلالها في بغداد، وكان المقصود من هذه الزيارة موافاة جروباً بالخط الذي ينتهجه مكتب الخارجية فيما يخص مسألة الحياد السعودي.

وأخيراً، وفي محاولة لجذب الملك عبد العزيز الذي عرف بحرصه وحيطته خطط التفكير الألماني، فقد ووفق على منح خالد القرقني في ١٧ يولييه ١٩٣٩م صفقة أسلحة مكرّنة من ٨,٠٠٠ بندقية، بالإضافة إلى إقامة مصنع صغير لخرطوش البنادق في المملكة، كما تم إرسال ٤٠٠٠ بندقية كهدية للملك عبد العزيز ولإثبات حسن المعاملة.

أما عن حقيقة إسقاط الحكومة الألمانية كافة الطلبات في النهاية بقصد إعلان سياسة حياد إيجابي فعال كشرط لبيع الأسلحة، فقد تم شرح ذلك في فترة مؤخّة، والذي كان الهدف من

ورائه رغبة ألمانيا في تقويم الفهم السعودي للاتفاقية الألمانية السوفيتية المبرمة في صيف عام ١٩٣٩ م .

وحقيقة الأمر التي تبلورت مؤخراً أمام الدبلوماسيين الألمان أن سياسة الملك عبد العزيز لم تكن تؤدي إلى إثارة بريطانيا وإيطاليا ضد بعضهما البعض فحسب، ولكنها أيضاً كانت تؤدي إلى إثارة ألمانيا ضدتهما في الشرق الأوسط . ولأن بريطانيا وإيطاليا كانتا تنتهجان سياسة المصالح الأمبريالية في الشرق الأوسط ، فقد كان من قبيل المحتمل أن يوصلا إلى تسوية تلحق الضرر والأذى بالأراضي العربية ، كما كان الحال بين المصالح البريطانية والفرنسية في المنطقة ، ويدل على ذلك إنفراج التوتر في العلاقات بين هاتين الدولتين ، الصادر في الثاني من يناير سنة ١٩٣٧م وكذلك في الاتفاقية الأنجلو-إيطالية في أبريل سنة ١٩٣٨م والخاصة بدائرة المصالح المشتركة في البحر الأحمر .

### خاتمة

كما أوضحنا آنفاً، فإن العلاقة السعودية الألمانية إبّان عهد جلالة الملك عبد العزيز قد أملت بها بقدر كبير وبصورة مشتركة إعتبارات السياسة الإقليمية، ذلك أنه بينما كانت ألمانيا مقيدة بنظامها المزدوج في صنع سياستها الخارجية، فقد حاول الملك عبد العزيز بشكل يفوق الحسبان استخراج تعهد محدد من برلين في مجالات العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والسياسية المشتركة، والتي كان يأمل من ورائها زيادة فعالية مناورته إزاء الإعتداءات والإنتهكات البريطانية والإيطالية في المنطقة . وفي الواقع فإنه قد لا يكون مدركاً تماماً حقيقة أن ألمانيا في أواخر الثلاثينات، وبعضها عن بتروال الشرق الأوسط، وسياسة اقتصادها الذاتي، وانسحابها من عصبة الأمم، قد أثرت فرض عزلة ذاتية ونهج سياسة دفاع قومي كمقدمة للحرب التي سعى إليها هتلر في أوروبا . ومن الناحية الأخرى ، فإنه من المؤكد أن يكون الملك عبد العزيز قد تفهم تماماً أنه لم تكن لدى ألمانيا سياسة شرق أوسطية محسوبة على الإطلاق . ومجمل القول أن الملك عبد العزيز بالتزامه سياسة الحياد هذه، قد أظهر حرصاً عاتقاً وحذراً غير عادي .

- with King 'Abd al-'Aziz and was being considered a partisan of the British. The King, in fact, had told him (Grobba), that Germany should negotiate with nobody else than with Yussuf Yasin and Khalid al-Hud. Grobba to Undersecretary of state Woermann, AA. Baghdad 2.5.1939, D'ji-Nr. 101/39. PA: Pol.Abt. VII Deutschland/Saudisch Arabien (385515-21).
54. The exact wording in German read: "Da ich er Auffassung war, daß von allen arabischen Verhandlungspartnern, die uns bisher hier besucht haben, Fuad Hamza der nuchternste ist, derjenige, der sich am wenigsten durch Augenblicksgesichtspunkte leiten laßt und vor allem später einmal für uns von entscheidender Wichtigkeit sein konnte, so habe ich ihn auch nach Rücksprache mit ministerialdirektor Prufer mit Viceadmiral Canaris in Verbindung gebracht." Canaris was head of the German Counter-Intelligence.
55. Grobba to Undersecretary of State Woermann, AA, 2.5.1939, Dji-Nr. 101/39, p. 3. The wording in German read: "Ich darf ausserdem daran erinnern, dass der Grund meiner Entsendung nach Saudisch-Arabien nicht nur die Anknüpfung diplomatischer Beziehungen, sondern vielmehr die Schaffung einer Ausweichstellung für mich im Falle eines Kriegs war."
56. s. Grobba to AA, 18.2.1939. Nr. Dji-44. PA: Pol.Abt. VII. Saudisch-Arabien/Deutschland. (385522-29). Consultations with Yussuf Jasin on 12.2.1939, with King Ibn Saud on 13.3.1939, with Yussuf Jasin on 15.2.1939, with King Ibn Saud on 17.2.1939, with Yussuf Jasin on 18.2.1939.
57. Indicative of the importance, which was attached to this statement in Grobba's report is, that it was underlined by the Foreign Office. Cf. Anlage zum Bericht der deutschen Gesandtschaft in Djidda vom 18.2.1939, Nr. Dji-44. PA: Pol.Abt. VII (385535).
58. Ibidem.
59. Woermann (AA) to Grobba (Baghdad), 18.4.1939 P.A.: Pol.Abt. VII (385547-8).
60. Britain herself only halfheartedly observed the boycott. She continued supplying oil, lest her negotiations for purchasing Italy's shares in the British Oil Development Company in Iraq should break down.
61. s. Clive Leatherdale: op.cit., p. 182.
62. Daily Mail, 23.6.1939.
63. Albert Viton in: Asia, July 1939.
64. El-Misri, Cairo 27.6.1939.
65. On this occasion a personal letter from King 'Abd al-'Aziz was handed over. PA: Pol.Abt. VII, (E 590593, 385557-8).
66. Woermann to Grobba, 18.4.1939. PA: Pol.Abt. VII (385547-8).
67. The real motive for giving these arms as a gift had to do with credit restrictions. Germany tried to avoid setting a precedent for other states to demand similar credit facilities, as Germany was willing to offer them to Saudi Arabia. s. PA: Pol.Abt. VII. 1143 Saudi Arabien Deutschland. Aufzeichnung Herrn von Hentigs, 1.7.1939.
68. Clive Leatherdale: op.cit., p. 309.
69. cf. Royal Institute of International Affairs (Ed.): Political and Strategic Interests of the United Kingdom. An Outline. Oxford 1939. p. 179f.

- 
35. It has to be considered, however, that the B.B.C. did not inaugurate its Arab Service, which was very popular in the Middle East, until 3 January 1938. s. Callum A. Mac Donald: *Radio Bari: Italian Wireless Propaganda in the Middle East and British Countermeasures 1934-38*. In: *Middle Eastern Studies*, Vol. 13, No. 2 (May 1977), p. 203.
36. Grobba (Bagdad) an das AA, 20.1. 1938. Nr. 142 Wunsch Ibn Sauds nach Aufnahme diplomatischer Beziehungen mit Deutschland. PA: Pol. Abt. VII (385474-5). F. Grobba: *Manner und Mächte im Orient*. p. 107.
37. s. Footnote 32: Memorandum: Saudi Arabien, p. 3 f.
38. Fuad-bey-Hamza, who visited Berlin on his way from Karlsbad to London, stressed the British factor in King 'Abd al-'Aziz's deliberations. Hentig was much taken in by Fuad-bey-Hamza, of whom he jotted down "that of all Arabs who had negotiated. . . (he) was the most sober one; the one who was least guided by momentary aspects and who might perhaps later on be of crucial importance to us." Aufzeichnung, von Hentig, 27.8.1938. PA: Pol. Abt. VII (385489-91).
39. John S. Habib: *Ibn Sa'ud's Warriors of Islam*. Leiden 1978, p. 136ff.
40. A. J. Toynbee: *Survey of International Affairs 1934*. London 1935, p. 304ff. J.B. Glubb: *The Story of the Arab Legion*. London 1948, p. 203ff.
41. A.J. Toynbee: op.cit., p. 310ff.
42. Clive Leatherdale: op.cit., p. 221ff. See also F. Grobba (Bagdad) an AA., 4.7.1938, Report No. 1687, annex; Ibn Saud und der Vereinigungsplan der arabischen Fürstentümer am Persischen Golf. PA: Pol. Abt. VII (385478).
43. For a background on the constitutional movement in Kuwait cf. Jacqueline S. Ismael: *Kuwait. Social Change in Historical Perspective*. Syracuse 1982, p. 77ff.
44. s. Ahmed M. Goma: *The Foundation of the League of Arab States. Wartime Diplomacy and Inter-Arab Politics 1942-1945*. London 1977, p. 12ff.
45. cf. Gottfried Niedhart: *Deutsche Außenpolitik und Internationales System im Krisenjahr 1937*. In: Wolfgang Michalka (Hrsg.): *Nationalsozialistische Außenpolitik*. Darmstadt 1978, p. 360-376.
46. Some British observers saw this tour as the beginning of the German challenge to their "Moment in the Middle East". s. Elizabeth Monroe: *The Mediterranean in Politics*. Oxford 1938.
47. See Clive Leatherdale: op.cit., p. 301.
48. G. Niedhart: op.cit., p. 362. Reference there is made to a study by H.-E. Volkmann: *Außenhandel und Aufrüstung in Deutschland 1933 bis 1939*. In: F. Forstmeier/H.-E. Volkmann (Hrsg.): *Wirtschaft und Rüstung am Vorabend des Zweiten Weltkriegs*. Düsseldorf 1975.
49. cf. Dietmar Petzina: *Autarkiepolitik im Dritten Reich. Der nationalsozialistische Vierjahresplan*. Stuttgart 1968.
50. s. Footnote 48.
51. Concerning the dilemmas involved for the German admiralty. s. Walter Baum und Eberhard Wichold: *Der Krieg der "Achsenmächte" im Mittelmeer-Raum. Die "Strategie" der Diktatoren*. Göttingen 1973.
52. s.p.
53. According to strictly confidential reports by Grobba to the AA, Fuad Hamza had lost standing
-

- personal adviser to King Saud bin 'Abd al-'Aziz bin Abd ar-Rahman bin Feisal al-Saud.
21. Dr. Fritz Grobba, like von Hentig a career diplomat with a fairly wide experience of the Middle East, was probably because of his record as a free mason prevented from joining the Nazi establishment. On the impact, which nazism had on him, a report by the British Embassy at Baghdad observed the following: "He went on leave in 1935 for the first time for four years in order that he might get into personal touch with his new masters and acquire something of what he described as the 'atmosphere' of nazism. When he returned he was in many ways a changed man, clearly much impressed by all he had seen and heard and full of the breezes of Nuremberg. Since that time he has pursued a more forward policy than in the past." Report on Heads of Foreign Missions at Bagdad. F.O. 371/23314. PRO London.
  22. Rigasche Rundschau, 27.9.1929. The newspaper referred to reports in the British "Daily Mail".
  23. Hamburger Echo, 23.3.1928.
  24. cf. literature listed in footnote 1.
  25. Clive Leatherdale: op.cit., p. 301; L. Hirsowicz: op.cit., p. 33f.
  26. The difference in emphasis on these dates, of course, also stems from the fact, that some of the studies do not clearly distinguish the issue of arms deliveries to the Palestinians (via Saudi Arabia) from the arms negotiations with King 'Abd al-'Aziz.
  27. Quoted after M. Wolffson: op.cit., (unpublish MS), p. 7f.
  28. Ibidem, p. 9.
  29. Neue Züricher Zeitung, 1.4.1937.
  30. Grobba an das Auswärtige Amt, 9.11.1937. Nr. 2633. PA (Political Archive of the German Foreign Office), Pol. Abt. VII. Saudisch Arabien/Deutschland.
  31. Grobba in turn enquired, what King 'Abd al-'Aziz thought of having a Saudi envoy accredited at Berlin.
  32. cf. Memorandum: Saudi Arabien. 23.7.1938. Von Herrn Osthus (APA) im Auftrag von Freiherrn von Harder übergeben. PA, Pol.Abt. VII (385485-8), p. 2. The APA itself was also approached by pro-Hashemite Arab middlemen. In November 1937, for instance, the APA introduced to Grobba at Baghdad a certain young Sharif Seif ibn Nasir, who was the son of the commander-in-chief of King Ali of Hedjaz, who had tried to defend Jedda against King 'Abd al-'Aziz. Seif ibn Nasir, who had been brought into contact with the APA through an Arab merchant, apparently tried to win German sympathy, if not support, for a Hashimite led conspiracy against King 'Abd al-'Aziz. Grobba (Baghdad) an AA, 7.1.1938. Nr. 27. Geplanter Aufstand gegen Ibn Saud. PA, Pol. Abt. VII (385467-73).
  33. Midhat Sheikh al-Ard was a Syrian from Damascus. Presumably the Germans were very cautious; cf. L. Hirsowicz: op.cit., p. 48. Khalid al-Hud al-Qarqani was a Tripolitanian and "notoriously pro-German" (cf. Clive Leatherdale: op.cit., p. 305). According to L. Hirsowicz: op.cit., p. 48, al-Qarqani, however had visited Warsaw for a similar purpose early in the 1930's. The fact, that by 1931 Saudi Arabia owed 30,000 pounds sterling to Poland may be evidence, that an arms deal had successfully been concluded on a loan basis. cf. Memorandum: Economic Situation in the Hejaz and Nejd and its Dependencies. s. Footnote 5.
  34. M. Wolffsohn: op.cit. (M.S.), p. 16.

- 
- same author: *The International Petroleum Cartel* (1928). Arab and Turkish Oil Aspirations and German Oil Policy towards the Middle East on the Eve of the Second World War. In: K.-J. Gantzel and H. Mejer (Eds.): *Oil, the Middle East, North Africa and the Industrial States*. Paderborn 1984.
8. A major research project with reference to Turkey, Egypt and Iraq is currently conducted by Camilla Dawletschin at the Department of History in the University of Hamburg. See also: Dietmar Rothermund (Hrsg.): *Die Peripherie in der Weltwirtschaftskrise: Afrika, Asien und Lateinamerika 1929-1939*. Paderborn 1983.
  9. Source: Memorandum, Economic Situation in the Hejaz and Nejd and its Dependencies, 27.1.1931 s. Footnote 5.
  10. These figures are taken from Carl Rathjens: *Die Pilgerfahrt nach Mekka. Von der Weihrauchstraße zur Ölwirtschaft*. Hamburg 1948, p. 105. They occasionally vary from the figures given in official Saudi statistics such as *Basic Statistics on Hajj*. Hajj Research Centre, Jedda 1978, s. Ulrich Fiedler: *Der Bedeutungswandel der Hedschasbahn. Eine historisch-geographische Untersuchung*. Berlin 1984, P. 269.
  11. David Holden and Richard Johns: *The House of Saud*. London 1982, p. 107f.
  12. Atherton (American Embassy, London) to Department of State, 7.3.1932, 890 F. 51/2. Sloan (A.E., Bagdad) to Department of State, 12.3.1932, 890 F. 51/3. Internal Affairs of Saudi Arabia. NA.
  13. Nothing came out of this either, s. D. Holden and R. Johns (op.cit., p. 108. Also: W.M. Walmsley (American Vice Consul., Aden) the Secretary of State, 3.8.1932. 890F. 51/6 NA.
  14. It is not quite clear, whether this project was ventilated during or immediately after the tour to European capitals. It seems that the Egyptian ex-Khedive had a hand in it. Walmsley to Secretary of State, 12.4.1933 890F. 516 State/3. NA.
  15. s. Helmut Reichardt: *Der deutsche Aussenhandel mit dem Orient 1938*. In: *Orient-Nachrichten* 5, No. 6., 16.3.1939, p. 83ff.
  16. s. Footnote 7.
  17. cf. Wallace Murray, Division of Near Eastern Affairs, 2.8.1939. *The Struggle for Oil Concessions in Saudi Arabia*. FW 890F. 6363 Standard Oil Co./118. NA. In his memoirs Grobba underlines that he was not working for a German oil concession but instead supporting the Japanese to obtain one. Fritz Grobba: *Manner und Mächte im Orient*. Göttingen 1967, p. 94f. There is, on the other hand, some evidence that rumours about alleged German oil interests were spread and made use of by the American oil lobby in its struggle for diplomatic support from Washington, cf. A.D. Miller: *Search for Security. Saudi Arabian Oil and American Foreign Policy, 1939-1949*. Chapel Hill 1980, p. 27f.
  18. s. Footnote 7.
  19. s. Meyer-Dornberg: *Die Ölversorgung der Kriegsmarine*. Freiburg 1973.
  20. Best evidence on von Hentig's strong reservations against the Nazi establishment and especially the APA is a summary complaint drawn up by the Reichsleiter Rosenberg himself for submission to Hitler. Reproduced in von Hentig's memoirs: *Mein Leben eine Dienstreise*. Göttingen 1963, p. 481ff. After the war von Hentig became the Federal Republic's envoy to Indonesia. After his resignation from the Foreign Service in March 1954 he was until 1956 a
-

---

that Germany did not have a calculable Middle Eastern policy at all. By sticking to his version of a policy of neutrality he indeed showed remarkable circumspection and wise caution.

#### Footnotes :

1. cf. Lukasz Hirsowicz: *The Third Reich and the Arab East*. London 1966. Heinz Tillmann: *Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg*. Berlin (Ost) 1965. This book by an East-German author stresses the continuity from Wilhelmine Germany's policy towards the Middle East to that by the Third Reich. Suggestive of this thesis, although rather accentuating the Balkan countries is: *The Fabian Society (Ed.): Hitler's Route to Bagdad*. London 1939. See also: Albert Viton: *Hitler goes to the Arabs*. In: *Asia*. July 1939, p. 419-422. Some other well researched works on Hitler and the Middle East are: Mohamed-Kamal El Dessouki: *Hitler und der Nahe Osten*. Berlin (West) 1963. Bernd Philipp Schroder: *Deutschland und der Mittlere Osten im Zweiten Weltkrieg*. Göttingen 1975. With special reference to Palestine cf. R. Melka: *Nazi Germany and the Palestine Question*. In: *Middle Eastern Studies* 5, London 1969. Francis Nicosia: *Arab Nationalism and National Socialist Germany, 1933-1939: Ideological and Strategic Incompatibility*. In: *Int. J. Middle East Stud.* 12 (1980), 351-372. H.D. Schmidt: *The Nazi Party in Palestine and the Levant 1932-1939*. In *International Affairs* 28, 1952. On Saudi Arabia and her arms negotiations with Germany in the 30's cf. D.C. Watt: *The Foreign Policy of Ibn Saud 1936-1939*. In: *Journal of the Royal Central Asian Society*. London, April 1963. As a recent piece of Zionist propaganda may pass: Michael Wolffsohn: *The German-Saudi Arabian Arms Deal of 1936 to 1939 Reconsidered*. (The 1930s Dimension of an Issue of the 1980s). In: Uriel Dann (Ed.): *The Great Powers in the Middle East, 1919-1939*. New York 1984.
2. The negotiations and signatories were the German envoy at Cairo von Stohrer and the Saudi envoy Shejkh Fausan El Sabek together with King 'Abd al-'Aziz's personal adviser Shejkh Hafez Wahba. See : *Deutsche Allgemeine Zeitung*, 17.5.1929. *Kölnische Zeitung*. 2.5.1929. *Islam Echo*, Berlin, 1.6.1929.
3. Clive Leatherdale: *Britain and Saudi Arabia 1925-1939. The Imperial Oasis*. London 1983, p. 300-306.
4. s. Yves Farnchon et Maurice Leruth: *L'Allemagne et le Moyen-Orient*. Paris 1957, p. 188.
5. Wallace Murray (Division of Near Eastern Affairs, Department of State) to Secretary of State, Washington, 27.1.1931. Enclosure: Memorandum: Economic Situation in the Hejaz and Nejd and its Dependencies. p. 3. National Archives Washington (NA). Records of the Department of State Relating to Internal Affairs of Saudi Arabia 1930-1944. Decimal File. 890F. 01 28, (Roll 1).
6. cf. Y.P. Hirschfeld: *Deutschland und Iran im Spielfeld der Mächte. Internationale Beziehungen unter Reza Schah 1921-1941*. Düsseldorf 1980. p. 53-101. Also: Y. Farnchon et M. Leruth: op. cit., p. 16f.
7. For a comprehensive treatment s. Helmut Mejcher: *Die Politik und das Öl im Nahen Osten*. Bd. 1: *Der Kampf der Mächte und Konzerne vor dem Zweiten Weltkrieg*. Stuttgart 1980. By the

---

redressing Saudi disenchantment over the conclusion of the German-Soviet Non-Aggression Pact in summer 1939.<sup>(78)</sup> Be that as it may, the German gesture of an arms deal – which because of the outbreak of war in Europe in September 1939 never materialised – may as well have been a kind of signal to King 'Abd al-'Aziz, that Germany, in case of need would offer her good services to check Italian overbearing. As the latter powers both pursued imperial interests in the Middle East, they were likely to reach a compromise to the detriment of Arab lands as had been the case with British and French interests before. The Anglo-Italian detente as it had been effected by the Anglo-Italian Agreement of April 1938 on the mutual spheres of interest in the Red Sea area<sup>(79)</sup> testified to this fact. In other words, mastering the art of balancing power relationships in order to safeguard a measure of order for securing stability and survival, King 'Abd al-'Aziz with all his ingenuity had at a propitious moment tried to assign Germany a role on his chessboard of Middle Eastern politics.

### **Conclusion:**

As was shown, the relationship between Saudi Arabia and Germany under the reign of King 'Abd al-'Aziz was mutually dictated in large measure by considerations of regional policy. While Germany, however, was restrained by her predominantly central European orientation and also clearly restricted by her 'dual system of foreign policy making', i.e. the infighting between the APA and AA, King 'Abd al-'Aziz energetically tried to elicit from Berlin a definite commitment in the fields of bilateral diplomatic, commercial and political relations. By it, he hoped to increase his maneuverability in warding off the British and Italian imperial encroachments. He may not always have been fully aware of the fact, that Germany, in the late 30's, by her dissociation from oil development in the Middle East, her economic policy of autarky and her withdrawal from the League of Nations had set on a course of self-imposed "isolation" and a "policy of entrenchment" as a prelude to the war in Europe, which Hitler sought. On the other hand, King 'Abd al-'Aziz surely must have sensed

---



---

delivery of "a large number of Mauser rifles" as well as for the construction of a cartridge factory at a preferential price.<sup>(58)</sup>

Grobba's optimism about what he considered to be a success of his mission was not shared at all by the Foreign Office in Berlin.<sup>(59)</sup> The crux of the matter was a consent on a clear determination of what positive neutrality should mean. Enclosed was a commitment to its full scope. King 'Abd al-'Aziz had compared positive neutrality with his approach to the crisis on Abyssinia. He had not followed suit, when British admonishments and appeals by the League of Nations called for an economic boycott of Mussolini's Italy.<sup>(60)</sup> His legitimization was, that as the custodian of the Holy Places of Mecca and Medina he should not entangle the dar-al-islam into issues of international politics.<sup>(61)</sup> In contrast the German Foreign Office and foremost von Hentig strove for a Saudi commitment to a more active policy of positive neutrality in case of war. The next and decisive round of negotiations in mid-1939 was inaugurated by an event, which was to produce glaring headlines around the world, like "Berlin woos 'The Wolf of the Desert'"<sup>(62)</sup> or "Hitler goes to the Arabs"<sup>(63)</sup> or "Report about Herr Hitler and the Saudi Plenipotentiary".<sup>(64)</sup> Khalid al-Hud's skillfully arranged reception by Hitler at his retreat at Obersalzberg on June 17th was however preceded by von Hentig's special trip to the Middle East, in the course of which he also stopped at Baghdad,<sup>(66)</sup> in order to bring home to Grobba the Foreign office line of thinking as regarded Saudi Arabian neutrality.

Finally, in an all out attempt of winning also the ever cautious King 'Abd al-'Aziz over to the German line of thinking, Khalid al-Hud on July 17th 1939 was "granted" an arms deal consisting of 8,000 rifles, 8 Mil. bullets, and the erection of a small cartridge factory. A special credit of 6 Mil. German Reichsmark was arranged. Furthermore, as a "gesture of goodwill" about 4,000 rifles were marshalled off as a gift to 'Abd al-'Aziz.<sup>(67)</sup> The fact that in the end the government at Berlin had dropped all demands for a declaration of active positive neutrality as a prerequisite for arms sales has recently been explained by a German desire of

---

---

course of "positive neutrality". This indeed, was the political price, which Germany asked for an arms deal with King 'Abd al-'Aziz.

### **3. Constraints and Results.**

The Saudi Arabia - German negotiations for closer cooperation reached their crucial stage in the first half of 1939. A high level round of what may be described as preparatory talks took place in February on the occasion of Dr. Grobba's first visit to Jedda.

The accrediting of Germany's ambassador to Iraq also at Jedda was considered by Berlin as a diplomatic success of its own. In short, the position was regarded as a turn-out in case of major difficulties with the British at Baghdad and a cancellation of diplomatic relations.<sup>(55)</sup>

Grobba had altogether three meetings with Yusuf Yasin and two audiences with King 'Abd al-'Aziz. The lengthy reports<sup>(56)</sup>, which the German envoy sent to Berlin, portrayed court advisers and a Saudi King, who revealed deep resentments against the arrogance of power displayed by the British in the Hadramaut, in Oman, in Palestine and over the issue of Alexandretta, but who saw no other choice than to try and get on with that power, which beleaguered also Saudi Arabia's borders. The King and his advisers were less outspoken about their views on Italian policy in the Middle East. The relationship with Rome was described as generally good. The nearest that King 'Abd al-'Aziz came to, was his conceding that he did harbour suspicions about Italian policy in the Red Sea and that he was tackling the situation by playing off the British and Italians against each other. Concerning the future cooperation with Germany King 'Abd al-'Aziz, presumably informed by Yusuf Yasin about Berlin's priorities, straightforwardly expressed readiness of promising an attitude of positive neutrality in case of a European war.<sup>(57)</sup> The things which he in turn requested from Germany were first moral support in case of any interference in Saudi Arabian affairs by a third power and second help with building up and arming his country so that it might maintain its independence. He did not beat around the bush that he was asking for

---

---

rather a side-show for strategies to be handled mainly by the Italian ally,<sup>(51)</sup> German foreign policy making was nevertheless not exempted from safeguarding national interests and approaching the Middle East in a constructive way concomitant with Berlin's more global strategy.

It was on this crucial point, where the dual system of German foreign policy making made itself felt on the Middle East and also on Saudi Arabia. The APA rather dilettantly thought that they could ride the waves of Arab nationalism. By sending arms to Iraq, Palestine and later on to Syria as well as by disseminating slogans, they thought they could erode Britain's imperial position in the Middle East.

In contrast, the AA and foremost von Hentig, who were too experienced in respect to the Middle East to have any illusions about the foundations of British imperial might and interests there, pursued a subtle policy of containment. To them the countries of the Fertile Crescent as well as Egypt were strongholds of British and French dominance in the Middle East. In view of Hitler's priorities for a central European German expansion, they considered that it would be futile and at best dangerously adventurous to undertake to unseat the entente's hegemony in the Middle East in the way, as the APA saw fit.

Therefore von Hentig's high appreciation of Fuad bey Hamza's performance in Berlin in August 1938 in a way testifies to a meeting of minds.<sup>(52)</sup> The Saudi deputy foreign secretary impressed upon von Hentig the political significance of the restraints, which British power in the East exerted on King 'Abd al-'Aziz's diplomacy.<sup>(53)</sup> Von Hentig's personal note, that here was a man "... the most sober one; the one who was least guided by momentary aspects and who might perhaps later on be of crucial importance to us"<sup>(54)</sup> is, indeed, revealing for the dichotomy which was developing between the Middle Eastern policies of the APA and the AA. Together with commercially well founded German strongholds in Turkey and Iran Britain's might and imperial arteries in the Middle East might best be contained by a Saudi Arabia, that was neutral and which, in the event of a major war, might even incline towards Germany by pursuing a

---

---

policy.<sup>(45)</sup> What was so decisive about the year 1937 was first the newly won German self-consciousness of having again attained world power status in an international system, that was mainly to the detriment of the British Empire, rapidly disintegrating. Japan's invasion of North China and Inner Mongolia; Italy's accession to the Anti-Comintern Pact on November 6, 1937; the failure of Lord Halifax's mission to Germany to find common ground for mutual policies last not least in central and southeastern Europe; the development of the civil war in Spain; all these events together with Germany's successes in 1936 of having thrown off the shackles that had remained from the Versailles treaty system put imperial Britain globally on a defensive. Germany's self-consciousness, nevertheless, was not Prometheus unbound. In fact the second component, which made 1937 a watershed, was that the German rearmament had reached the limits of its production capacity.<sup>(48)</sup> The transformation of the economy into a military economy geared to rearmament had led to severe foreign exchange problems and shortages of raw material imports. Hence the new policies of claiming "Lebensraum" in eastern Europe; of pegging out a sphere of economic autarky, which should make Germany independent of the world market;<sup>(49)</sup> of increasing barter trade with Turkey and Iran.<sup>(50)</sup>

War was now considered to be a legitimate means for pursuing this policy. In fact a largely dialectical process had been set in motion. For the pursuance of that very policy should also safeguard the capacity for war.

It is against this background, that Germany's stakes in the Middle East and, in particular, with regard to Saudi Arabia have to be evaluated. As Hitler, by 1937, had set on a collision course with British foreign policy, war with the British Empire could no longer be excluded. Still reluctant to precipitate a major clash, the Middle East nevertheless began to commend itself as an area, from which Britain's vital imperial links might be vulnerable or else a certain measure of containment of British power be feasible.

While Hitler himself, however, kept looking upon the Middle East as

---

---

late August 1938, he must have conveyed this at least to von Hentig of the AA, although his mission's true purpose had remained subject to speculation.<sup>(38)</sup> Finally towards the end of 1938 and in the course of the comprehensive discussions and negotiations following Dr. Grobba's accrediting as German envoy at Jedda, it emerged that the German Foreign Office demanded from Saudi Arabia a political price, which King 'Abd al-'Aziz was too shrewd to underwrite without reservations.

To understand the contents of the negotiations and to evaluate and determine their true aims and results a mere reconstruction of the menders of diplomacy is not sufficient. Light must be shed on the regional and international context of the immediate policy and security considerations as they concerned both King 'Abd al-'Aziz and Germany's Middle East policy making.

## **2. The Stakes at Play.**

### **a. The Saudi-Arabian Angle.**

In the 1930's King 'Abd al-'Aziz's statecraft was challenged by an extraordinary range of domestic issues, border problems and vicissitudes of regional dynamics. Appropriate response required not only exceptional diplomatic skills and flexibility but also credible deterrents such as armed state power.

Not enough, the urgency for a credible defence capacity was dramatically underlined by the Italian conquest of the Cyrenaica and Tripolitania, Mussolini's conquest of Abyssinia and further Italian encroachments in the Red Sea. Surely a scenario for dangers incumbent on a state and kingdom, that had only just been founded, could not have been worse. Therefore, pragmatism and armed watchfulness were the needs of the hour. King 'Abd al-'Aziz's approaches to the Berlin government testified to his diplomatic acumen, circumspection and resolution.

### **b. The German Angle.**

The year 1937 constituted a watershed in Germany's overall foreign

---

---

campaign was aimed at Arabs as well and second, a request for arms deliveries.<sup>(34)</sup> As concerns the first topic, it is possible that King 'Abd al-'Aziz's worry may also have been caused by British propaganda.<sup>(35)</sup> Discussion of the second topic may have been in continuation of the talks at Baghdad in 1937. It has to be observed, however, that at Berlin the "dual system of German foreign policy making" became involved. The ensuing tug of war between the Foreign Office (AA=Auswärtiges Amt) and the APA was mainly responsible for the zigzag proceedings of the Saudi-German negotiations in the months ahead. King 'Abd al-'Aziz was concerned about the retardation. When, in January 1938, Khalid al-Hud, the Saudi minister of commerce arrived in Berlin, he did not only negotiate about an intensification of trade and economic cooperation, but he also tried to push the issue of an arms deal including up to 20,000 Mauser rifles and a cartridge factory. In fact, the successful and rapid conclusion of an arms deal seems to have been the sole purpose of al-Hud's mission.<sup>(36)</sup> At one stage he tried to play the APA off against the AA. However the efforts were of no avail; in fact they may even have been counterproductive. By mid 1938 it was clear, that Khalid al-Hud's mission had failed, much to the dismay and outrage of King 'Abd al-'Aziz.<sup>(37)</sup>

Notwithstandingly, the mission did have one positive side effect at least. It had become clear that extensive business and especially arms deals required for their loan arrangements on governmental level and also because of the political aspects involved the establishment of formal diplomatic relations. True, King 'Abd al-'Aziz in his remarkable farsightedness and solid pragmatism had stipulated this requirement very early and repeatedly. But he had encountered a German Foreign Office, that somehow was reluctant.

Principally, however and as the record of German-Saudi approaches indeed clearly demonstrates the issues of formal diplomatic relations and of an arms deal were not necessarily linked. When the Saudi Under-Secretary-of-State for Foreign Affairs, Fuad-bey-Hamza visited Berlin in

---

---

May 25, 1937, on a weapons demonstration by the German arms manufacturer Rheinmetall the same attache had mentioned among those attending also representatives of the Hejaz<sup>(28)</sup>. Newspapers at the time carried similar stories about the modernization of Saudi Arabia's army and they reported of huge arms deliveries from France. According to the same sources a "ministry of defence" had been founded under the provisional direction of King 'Abd al-'Aziz's financial adviser 'Abdallah al-Suleiman<sup>(29)</sup>.

Seen from the German angle the Saudi approaches to Berlin's officials, on first sight at least, looked less dramatic. On November 5th, 1937, Dr. Fritz Grobba, Germany's envoy in Baghdad had a meeting with Sheikh Yusuf Yasin, the private secretary of King 'Abd al-'Aziz<sup>(30)</sup>. Although the Palestinian problem and its implications for Saudi-British relations were covered in the discussions, military aspects of the "rebellion" in Palestine and arms requests seem not to have been raised. Instead Yusuf Yasin stressed upon Grobba the importance of establishing formal diplomatic relations between Berlin and Riyadh. He forwarded King 'Abd al-'Aziz's renewed wish to see a German diplomatic envoy being accredited to Jedda and to have a regular exchange of views on questions of mutual interest<sup>(31)</sup>.

It has nevertheless to be assumed that Grobba's and Yasin's meeting on a diplomatic level was related to recent Saudi approaches at Baghdad to representatives of the Otto Wolff enterprise, which were engaged in negotiations with the Iraqi Ministry of Defence for the supply of German arms. Furthermore, documentary evidence suggests, that officials of the APA (Foreign Policy Department of the Nazi Party) on their part had already for some time been working on Arab middlemen.<sup>(32)</sup> These again seem to have been instrumental in bringing the APA into contact with more influential members of King 'Abd al-'Aziz's entourage such as his personal physician Midhat Sheikh al-Ard or Khalid al-Hud al-Qarqani.<sup>(33)</sup> The former called on the APA during a visit to Berlin in autumn 1937. He raised two points: first, a clarification of whether the Nazi's anti-Semitic

---

---

Nevertheless, the by-now well documented Saudi-German arms negotiations in the late 1930's have remained shrouded in mystery as regards their full scope, true motives and actual deliveries. The reasons for this state of affairs and for the current historiographical controversies are manifold indeed. By and large they all have to do with the complexity of the contemporary historical context of the Saudi policy performance<sup>(24)</sup>. Therefore, while hitherto the constraints upon Germany's Middle East policy have been stressed, in this chapter the specific concerns, dimensions and constraints of Saudi Arabia's regional policies will be accentuated. Rather than Berlin's sudden anti-British sentiments, the feelers towards Arab middlemen and the wild dreams of the APA (Foreign Policy Department of the Nazi Party) officials, it was waxing security concerns and regional policies of young Saudi Arabia, which provided the background and motive forces for King 'Abd al-'Aziz's arms negotiations.

### 1. The Course of Events.

The exact date and level of the beginnings of German-Saudi Arabian discussions about an arms deal may be impossible to trace. Some historians have placed them in the context of the Peel Commission's partition plan for Palestine, which was submitted to the British government in July 1937<sup>(25)</sup>. Others trace them to February of that year and refer to sources from the German Foreign Office archives<sup>(26)</sup>. This latter date is corroborated by evidence from the National Archives in Washington. According to the United States' Military Attache at Berlin, Major Truman Smith, a prominent figure in the foreign business field of the German armament industry had explained to him, that "in recent months every European arms concern has noticed a sudden and quite remarkable interest in armaments throughout the Near East countries. Turkey for several years has been a steady arms customer of Germany . . . Since February, however, Afghanistan, Persia, Iraq and the Hejaz have all decided simultaneously on a modernization of armaments on a scale which is quite surprising. Hardly a fortnight goes without a new commission from one of these lands appearing in Berlin"<sup>(27)</sup>. In an earlier report, of

---



---

behaviour would not change. Gradually however, Hitler's Nationalist Socialist Party mustered its own rank and file for conducting foreign affairs. The party, in fact, established its own Foreign Policy Office (Außenpolitisches Amt, APA), headed by Rosenberg, which quite systematically at home and abroad set about to usurp functions of the still existent German Foreign Office (Auswärtiges Amt, AA) and enforce a party ideological line on issues of foreign policy. There were mounting clashes of loyalties. Many a diplomat, who was dissatisfied with the restraints of the Weimar Republic's foreign policy but who lacked the credentials of the Hitler party, was caught in the middle.

As concerned the Middle East and as will be exemplified in the next chapter, Saudi Arabia came to experience this dual system in a particular way. The opposite protagonists, with whom King 'Abd al-'Aziz had to deal, were Werner-Otto von Henting, who was in charge of the Oriental desk at Berlin's Foreign Office<sup>(20)</sup>, and Fritz Grobba, the German ambassador at Baghdad and later an accredited envoy also at Jedda, who became enthralled by the new chances of a forward policy in the Middle East<sup>(21)</sup>.

## II. The "Hot Phase" of Saudi-German Arms Negotiations and Diplomatic Relations in the late 1930's.

Already in autumn 1929, shortly before the documents of the ratification of the Saudi-German treaty of friendship were exchanged at Cairo, newspapers had reported that German military instructors might be assisting King 'Abd al-'Aziz in building up a large modern army<sup>(22)</sup>. A year before, in March 1928, there even had been rumours about shipments of munitions from the German port of Kiel to Jedda<sup>(23)</sup>. Be that as it may, rumours are not easy to discard at least as long as there are dubious circumstances. If the news headlines had any substance at all, they would at best indicate, that King 'Abd al-'Aziz's later arms negotiations also may have primarily been conducted in the interest of state power.

---

---

interest in the British Oil Development Company (BOD), which, in the early 30's, had obtained a concession in northern Iraq<sup>(18)</sup>. True, there was considerable British governmental intrigue of spoiling business for the German shareholders. However, the government at Berlin had not been constructive either. It even had allowed opportunities for a German or combined German-Italian majority shareholding to pass. When governmental support was afforded at all, it was either with the aim of securing export orders for German heavy industries or else to make the German position in the BOD more attractive to major oil companies and exchange it for a share in a concession in Central America.

What seems to have escaped the attention of many observers at the time was that ever since the mid-30's, when Hitler set on the road to war, oil and fuel were considered to be too precious, strategically, to be left vulnerable by outside interference. In the event of a war in Europe and the Mediterranean with Britain as one of the adversaries, German oil supplies from the Middle East would not be defensible. This was the strategic ruling of German oil policy abroad in the late 30's<sup>(19)</sup>. Hence the poor performance of German shareholders later on in the BOD; hence Iraq's failure, in 1937, of engaging German oil interests in the Basra province; hence the constraints upon Germany's envoy at Baghdad and Jedda, Dr. Fritz Grobba.

### 3. The Dual System of German Foreign Policy Making.

The frequent misunderstandings over the motives and true aims of Germany's political, diplomatic and later on, propagandistic performance in the Middle East have in no small degree been brought about by the dual system of German foreign policy making after 1933. Hitler had come to power by legal means, but with the aim of altering the entire body politic. Partly to secure credibility and recognition internationally, partly because of a lack of adequately trained personnel among his party ranks for assignments in foreign policy making and diplomacy he allowed the German Foreign Office to continue its work, so as if foreign policy

---

---

from Germany's dissociation from Middle Eastern oil development.

## 2. Germany's Dissociation from Middle Eastern Oil Development. Some Economic Restraints and Political Aspects.

Ever since the dramatic local effects of the global economic depression in the early 30's King 'Abd al-'Aziz considered the exploration and export of oil as absolute requirements for state-financiation and economic development. In view of a glutted world oil market as well as of British prohibitive marketing practices, not to speak of British imperial designs at large, King 'Abd al-'Aziz naturally inclined to grant oil concessions to companies with both an access to profitable markets and no political strings. In this sense CASOC was an obvious choice in the early 30's.

In comparison and also judged by those two criteria any Germany oil company or German dominated multinational oil company would surely also have commended itself at least as a competitive bidder. For the Third Reich, because of its large scale motorisation, aviation and armament efforts, was – besides Italy and Japan – one of the most promising oil markets at the time<sup>(16)</sup>. Furthermore by geographical distance as well as foreign policy orientations towards central Europe, Germany – despite her pre-1914 imperial legacies – seemed to be trustworthy. Indeed her caution, at least until 1937, of not confronting the British in the Middle East politically made Germany acceptable to those, who had to take British sensibilities into consideration.

Nevertheless, as the wide-spread rumours about the alleged motives of Grobba's visit to Jedda in early 1939 reveal<sup>(17)</sup>, there was considerable ignorance and misunderstanding regarding German oil policy in the 1930's. Unfortunately, documentary evidence for King 'Abd al-'Aziz's personal estimate seems so far not available. Being a shrewed observer of everything that was going on in the Middle East and especially in the oil sector it has, however, to be assumed that he must have pondered over the lack of official backing at Berlin for German oil enterprise in the Middle East. A lesson by itself was the performance – and failure – of German oil

---

---

Whereas a diehard British government apparently tried to attach imperial strings such as a British inspectorate of the Saudi financial reorganization as well as exclusive air communication and landing rights,<sup>(12)</sup> the Soviets were more accomodating. Although in the end not much came out of it either, the latter at least provided King 'Abd al-'Aziz with some leverage against the British<sup>(13)</sup>. At Berlin, where Faisal had arrived on May 21st via Rome, Bern, Paris, London and Deng Haag, hopes were expressed for a stronger development of commercial relations and the establishment of diplomatic relations. The deflationary policies of the then Reich Chancellor Dr. Heinrich Bruning, the lack of capital and curbs to loss guarantees for export trade were, however, bad starting conditions. Also, at one stage of this tour through Europe a project seems to have been discussed of establishing a central bank with English, French, Italian and Egyptian shareholding<sup>(14)</sup>. In the end all that 'Abd al-'Aziz could resort to was the granting, in 1933, of an oil concession to the Standard Oil Company of California. In view of a glutted world oil market, the prospects for an immediate remedy were not too bright, but the company had paid cash and that was a beginning.

The success story of what was to become ARAMCO is well known. Of greater significance here is the comparison of the rather poor German performance in oil politics in neighbouring Iraq at about the same time. It also provides the true perspective for Grobba's alleged hunt for oil concessions on the peninsula in the late 1930's. From this angle it can surely be assumed that King 'Abd al-'Aziz had economic reasons as well for not taking German oil interests seriously. This however did not equally apply to German trade. By 1937, German trading with the Middle East had largely recuperated from the depression years and began to surpass the figures of the boom year 1929. The year 1938 showed a further upsurge. Germany's exports to the Middle East, in fact, rose faster than her total exports<sup>(15)</sup>. The share of the Middle East in German exports amounted to 4% whereas its import share was 5.5%. Although these figures look altogether rather modest, they nevertheless markedly differ

---

---

economies.<sup>(8)</sup>

Saudi Arabia, too, had very seriously although indirectly suffered from the effects of the depression. The sharp decline of the annual pilgrimage and the resultant dramatic loss in revenues taught King 'Abd al-'Aziz, that his newly created state had to look for more stable sources of financing. A few statistical figures<sup>(9)</sup> must suffice here to illustrate, how gloomy Saudi Arabia's prospects of state income and financing of imports had looked in the early 30's. In 1930 the revenue of the government of the Hejaz and Nejd and its Dependencies was estimated at \$7,223,700, of which a total of about \$2,920,000 were derived from pilgrims. Customs revenues and all other taxes such as tithes accounted for another \$3,000,000 and \$1,250,000 respectively. As each foreign pilgrim was estimated to spend an average of \$200 during his stay in the Hejaz; and as the number of pilgrims in normal years was usually about 100,000, the country's approximate annual income from pilgrimage was about \$20,000,000. However, in the wake of the global economic depression the annual number of pilgrims had dropped from 116,000 in 1930 to a mere 20,000 in the years 1933 and 1934; and after an upsurge of 80,000 in 1936 the number again had decreased to 50,000 in 1937 and 48,000 in 1939.<sup>(10)</sup> Year-to-year losses of revenue of such size forebode calamity for rulership, state and society. The country's purchasing power could no longer meet the estimated worth of \$13,000,000 to \$15,000,000 of annual imports, of which approximately 70% consisted of essential food products and textiles. As these purchases usually could only partially be paid or else entirely, when a pilgrimage season paid-off, Saudi Arabia, in the 30's and according to Philby, was run more or less on a "rolling credit" or an informal public debt basis.

King 'Abd al-'Aziz, who was only used to a budgetless finance, was compelled to take unprecedented and long-term measures to alleviate the court's distress. In the spring of 1932 his son Faisal, as Secretary of State for Foreign Affairs, paid visits to nearly all major European capitals. Negotiations for loans were conducted at London and Moscow.<sup>(11)</sup>

---

---

Germany could have meant to King 'Abd al-'Aziz, it is, however, indispensable, to screen Germany's overall commercial performance in the Middle East and point out some of the factors, by which trade and politics were conditioned. Some basic tenets of Germany's Middle Eastern oil policy in the 30's also will be elucidated.<sup>(7)</sup>

Of course, it is not implied, that King 'Abd al-'Aziz necessarily shaped his perceptions of a German role in the Middle East on a similar evaluation of facts and interests nor is it suggested, that all German middlemen acted on such premises. On the other hand, what might be inferred from a brief overview is that King 'Abd al-'Aziz probably harboured no great illusions about the limitations of any immediate German commitment to Saudi Arabia in international politics or in oil development as a cornerstone for state financing. It is in this latter respect that the roles of Germany and the United States in King 'Abd al-'Aziz's calculations differed fundamentally. However, what made Germany so attractive to him? Which functions as a "third power" could she perform?

### 1. The Commercial Performance.

In the official German trade statistics of the inter-war years the Middle Eastern countries listed separately were Turkey, Egypt, Iran, Palestine and Syria-Lebanon (since 1937 also Iraq, Afghanistan, Anglo-Egyptian Sudan). Trading with such countries as Afghanistan, Iran, Transjordan, Arabia (i.e. Saudi Arabia, Oman, Kuwait, Yemen) was summarized under the heading 'remaining Asia'.

Generally speaking, from the early 1930's onwards German trading with the Orient benefitted from a combination of two factors: first, a domestic policy of job creation and obtaining supply orders; second, an authentic Middle Eastern policy of import substitution and modernisation based on state intervention. The countries concerned were Turkey, Egypt, Iran and Iraq. Each way in turn was designed both to overcome the local effects of the global depression and to build strong national

---

---

recently has been described as Saudi Arabia's courtship of Germany.<sup>(3)</sup> It finally let to the establishment of the German diplomatic representation at Jedda in January 1939. Hardly seven months later the relations were frozen not to be resumed again until 15 years later in November 1954.<sup>(4)</sup>

It is those years from 1937 to 1939, which are under survey here. The short period of intensive political relations between the two powers, diverse but both on an ascending line is fascinating for the light which is shed on the stakes at play and the policy restraints as well as on the zeal and circumspection of the prime movers in the corridors of power, last not least of King 'Abd al-'Aziz himself.

#### **I. The Middle East and its Role in German Commerce and Foreign Policy in the 1930's. An Overview and some Basic Tenets.**

Historians widely agree that King 'Abd al-'Aziz mastered the skills of building and balancing power relationships and loyalty bonds, both domestically and internationally, in order to safeguard the formation of the Saudi state and rulership. Seen from this angle his sudden and energetic "courting of" Germany in the late 1930's might have proceeded in a systematic fashion similar to his earlier attempts and methods of winning Washington's full diplomatic recognition and consular representation. In this case it had been reported, that "King 'Abd al-'Aziz had given orders that purchases of American vehicles by the government were to be stopped or greatly curtailed as a protest against the refusal of the United States to recognize his government and to send an accredited representative to Jedda".<sup>(5)</sup> The King's insistence that the flag should precede trade and not vice versa as was the general pattern of commercial penetration clearly was aimed at gaining international standing and enlisting support in checking British imperial ambitions. In this sense contacts were made to a Germany which already before Hitler's coming to power had begun to commend herself as a kind of 'Third Power' elsewhere in the Middle East, e.g. in Iran, Turkey, Iraq, Afghanistan.<sup>(6)</sup>

Prior to a proper assessment of what this new power performance of

---

# Saudi Arabia's Relationship With Germany Under King 'Abd Al-'Aziz

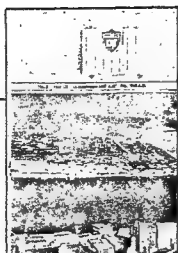
By Prof. Helmut Mejcher

## Introduction

**Saudi** Arabia's relationship with Germany under the reign of King 'Abd al-'Aziz ibn 'Abd ar-Rahman al-Faisal Al Sa'ud has hardly ever been recorded and analysed on its own merits. Accounts of it usually form sub-chapters in books that tilt to such overriding themes as The Third Reich and the Arab East; Hitler and the Palestine Issue or else Germany's New Baghdad Railway Imperialism.<sup>(1)</sup> Accordingly the historical context for determining and interpreting the scope and performance of Saudi-Germany relations usually has been somewhat out of focus as far as the Saudi angle is concerned. The consultation of archival sources and documentary records likewise has rather aimed at evidence on events and policies outside the Saudi realm of action.

Partly, these shortcomings might be explained by the well-known fact, that in the Middle East political issues and foreign policy performance usually do have a larger regional configuration with varying focal points. In the present case, however, it surely must also be considered that altogether a Saudi-German relationship existed only for a very short period of king 'Abd al-'Aziz's reign: A treaty of friendship enclosing also some provisions for trade was concluded as early as April 26, 1929. Both the negotiations as well as the exchange of ratifications on November 6, 1930 took place at Cairo.<sup>(2)</sup> Since then not much was heard of a relationship until the year 1937. The next two years were filled with what





# GIBRALTAR

The Rock as  
seen from the  
Western Arm  
Mole Head.

جبل طارق

The writers' views do  
not necessarily reflect  
those of the magazine.

Articles are arranged technically regardless of the writer's prestige.

## Annual Subscriptions :

- Saudi Arabia : 20 Riyals.
- Arab Countries : The equivalent of 4 issues price.
- Non-Arab Countries : US 6 \$.

Articles can not  
be returned to  
authors whether  
published or not.

## ● PRICE PER ISSUE ●

- |                      |                 |
|----------------------|-----------------|
| - Saudi Arabia       | : 3 Riyals      |
| - U. A. E.           | : 4 Dirhams     |
| - Qatar              | : 4 Riyals      |
| - Egypt              | : 35 Piastres   |
| - Morocco            | : 5 Dirhams     |
| - Tunisia            | : 400 Milliemes |
| - Non-Arab Countries | : 1.U.S. \$     |

Saudi Arabia : Al-Greisy Distributing Est.,  
P.O. Box 1405, Riyadh, Tel.: 4022564.

Bahrain : Al-Hilal Distributing Est.,  
Manama, P.O. Box 224, Tel.: 262026.

Abu-Dhaby : P.O. Box 3778, Abu Dhaby,  
Tel.: 323011.

Egypt : Al-Ahram Distributing Est.,  
Al-Gataa Street, Cairo, Tel.: 755500.

Dhubai : Dar-Al-Hikma Library.  
P.O. Box 2007, Tel.: 228552.

Tunisia : The Tunisian Distributing  
Company 5, Nahg Kartaj.

Qatar : Dar-Al-Thakafa.  
P.O. Box 323, Tel.: 413180.

Morocco : Al-Sharafia Distributing Company,  
P.O. Box 683, Casablanca, 05.



*EDITOR-IN-CHIEF*

**MOHAMMAD HUSSEIN ZEIDAN**



*EDITORIAL DIRECTOR*

**ABDULLAH HAMAD AL-HOQAIL**



*EDITORIAL BOARD*

**DR. MANSOUR IBRAHIM AL-HAZMI**

**ABDULLAH ABDUL-AZIZ BIN EDRIS**

**DR. ABDUL-RAHMAN AL-TAYYEB AL-ANSARI**

**DR. ABDULLAH AL-SALEH AL-UTHAYMIN**

**DR. MOHAMMAD AL-SULAYMAN AL-SUDAIS**



*EDITORIAL SECRETARY*

**MUSTAFA AMIN JAHIN**

All correspondence should be directed to the Editor-in-Chief. Tel.: 4417020

Editorial Director: Tel.: 4414681

General Supervisor :

*His Excellency Shaikh :*  
**HASSAN BIN ABDULLAH AL-AL-SHAIKH**

*Minister of Higher Education & Head of the Board of  
Directors of King Abdul Aziz Research Centre.*



Members of the Board :

- His Excellency Mr. Abdul Aziz Al-Refaey.
- H.E.Mr. Abdullah Bin Khamis.
- Dr. Ahmed M. Al-Dhubaib Deputy-Rector of King Saud University.
- H.E.Dr. Abdul Rahman Bin Saleh Al-Shebaili.  
Deputy Minister for Higher Education .
- H.E.Dr. Abdullah Al-Masri  
Assistant Deputy Minister for Cultural Affairs,  
Ministry of Education .
- H.E.Mr. Abdul Rahman Fahd Al-Rashid.  
Assistant Deputy Minister For Domestic Information,  
Ministry of Information .
- H.E.Mr. Muhammad Hussein Zeidan.
- H.E.Mr. Abdullah Hamad Al-ho Kali  
Secretary General of King Abdul Aziz Research Centre».

Annual Subscriptions are to be directed to the Secretary General of-Addarah Tel.:4414681  
Editorial Board: Tel.: 4412316 - 4412317

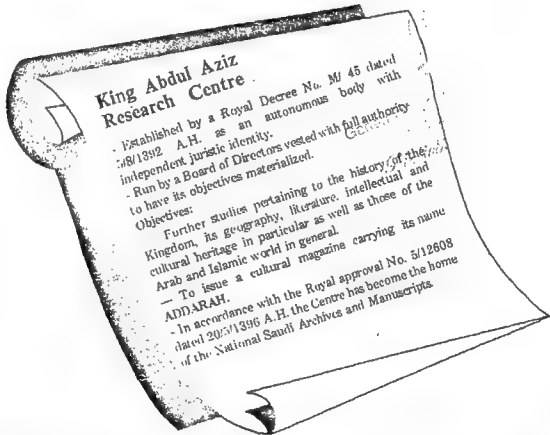


IN THE  
NAME OF ALLAH.  
THE MERCIFUL.  
THE BENEFICENT



An Academic Quarterly  
Issued by: King Abdul Aziz Research Centre

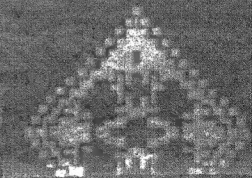
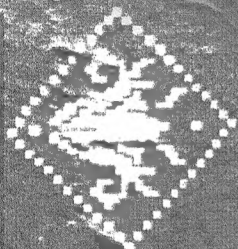
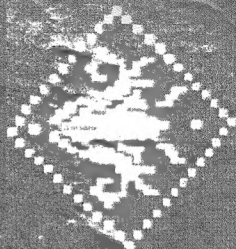
No. 2 • Year 12 • Al-Muharram 1407 A.H • Sep. 1986 A.D.

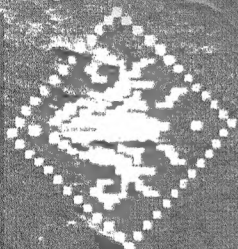
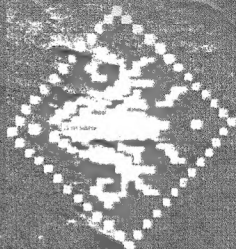


العدد ٢ - السنة ١٢ - المحرم ١٤٠٧ هـ - المملكة العربية السعودية

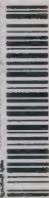
Facsimile No.: 00/966/1/4417020

$$P_{\text{eff}}^{\text{eff}}(z) = \frac{1}{2} \left( \frac{1}{z} + \frac{1}{z^2} \right) \left( \frac{1}{z} + \frac{1}{z^2} \right) = \frac{1}{2} \left( \frac{1}{z^2} + \frac{1}{z^3} \right)$$





Bibliotheca Alexandrina



0530562